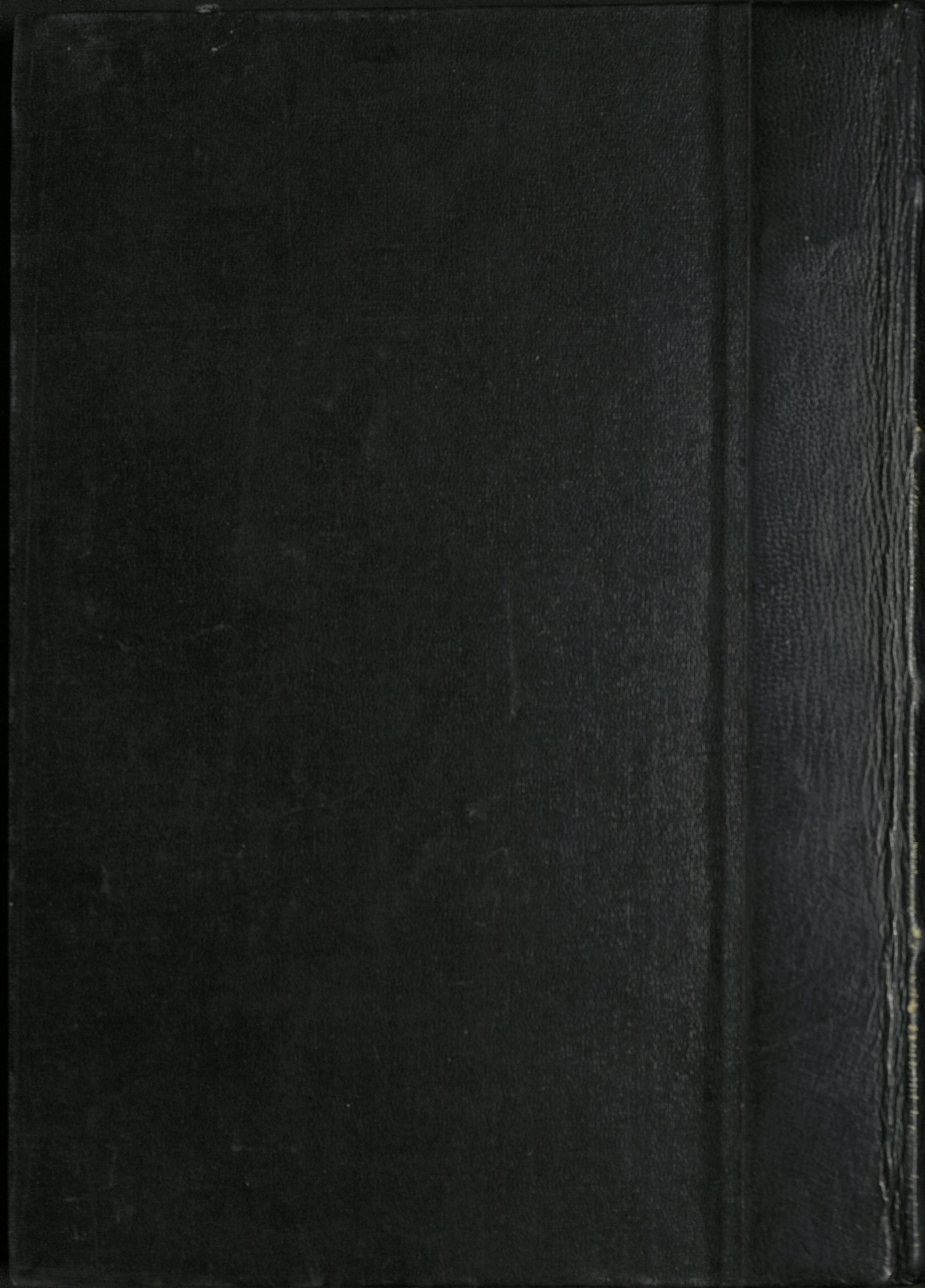
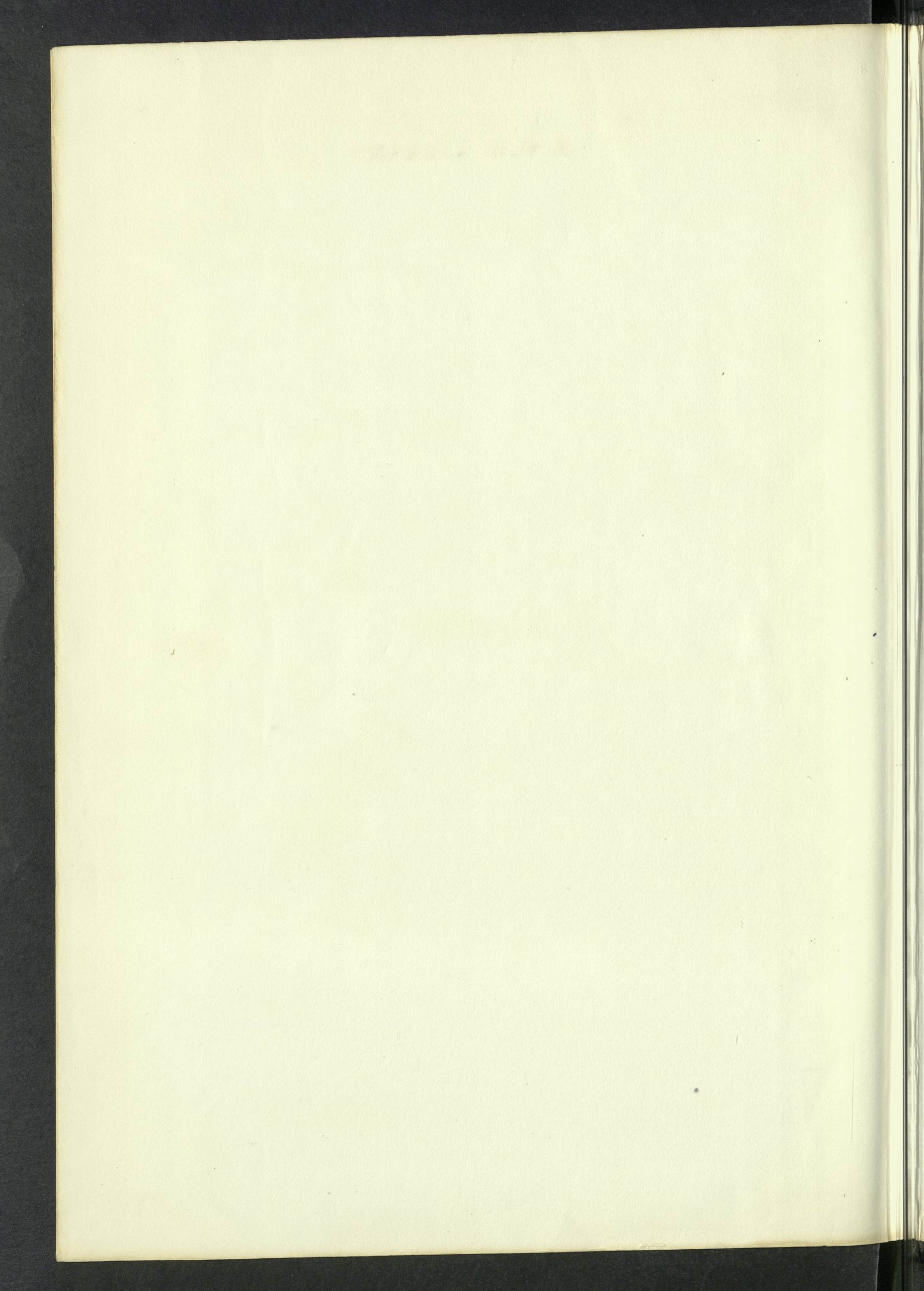
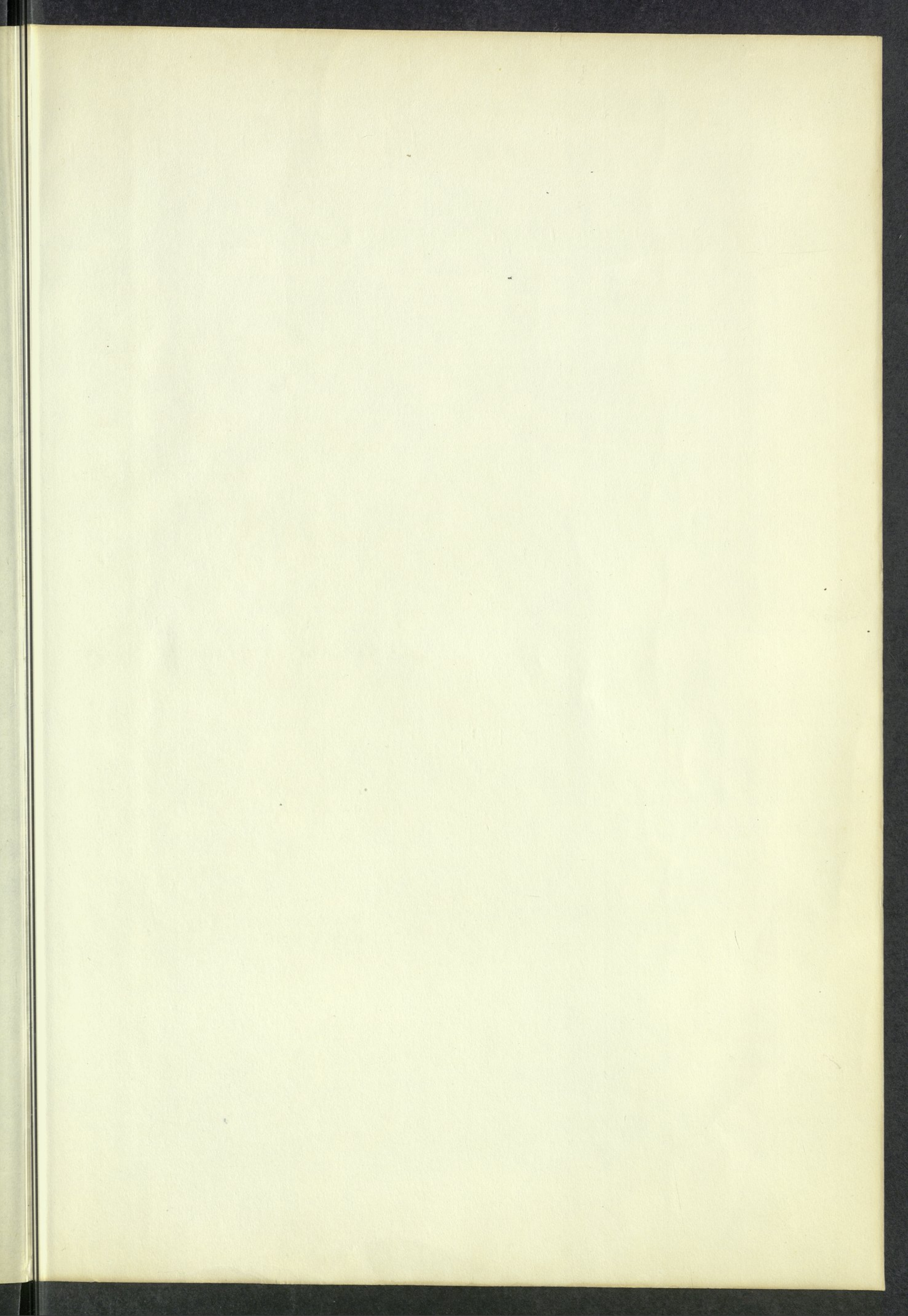
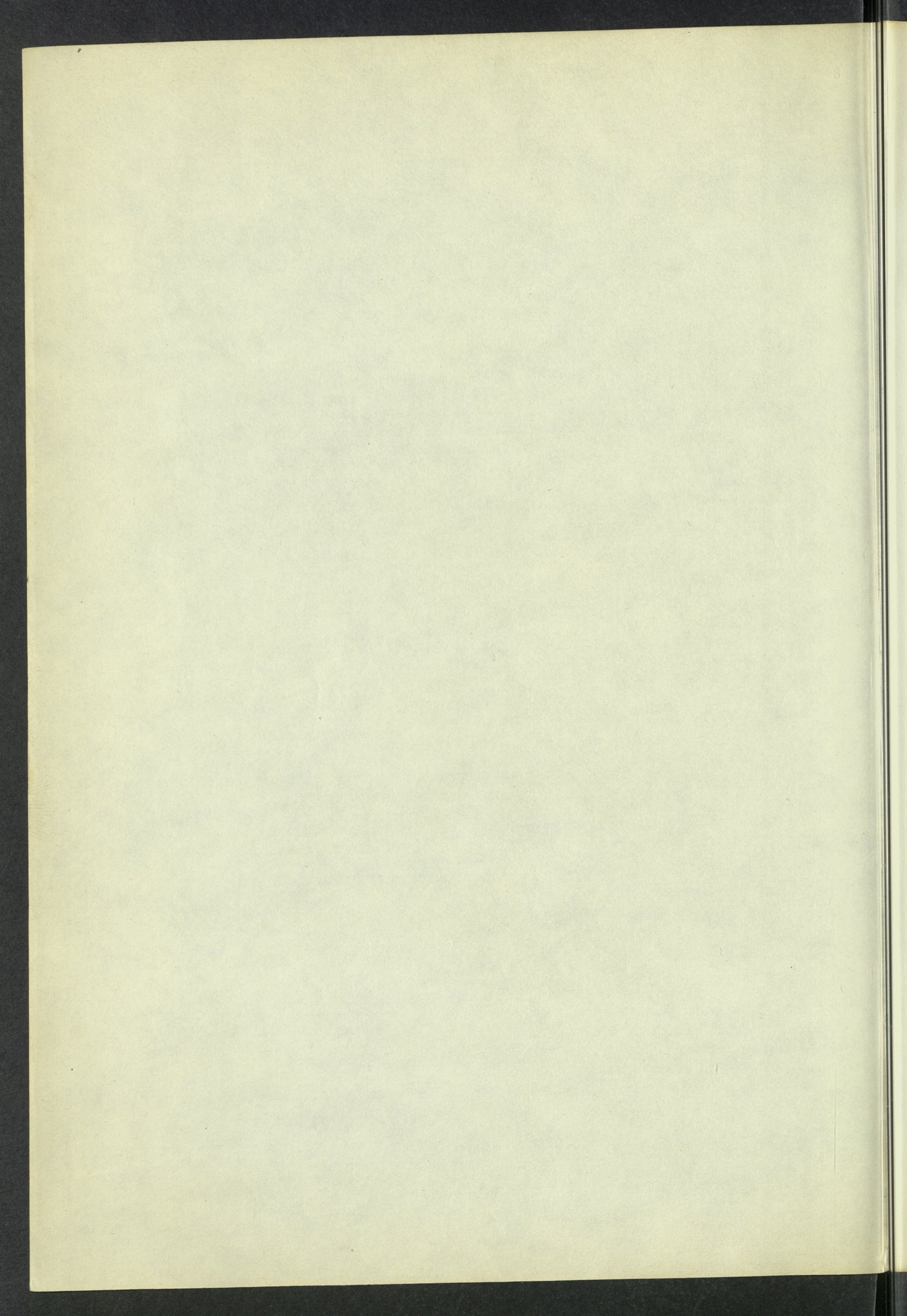
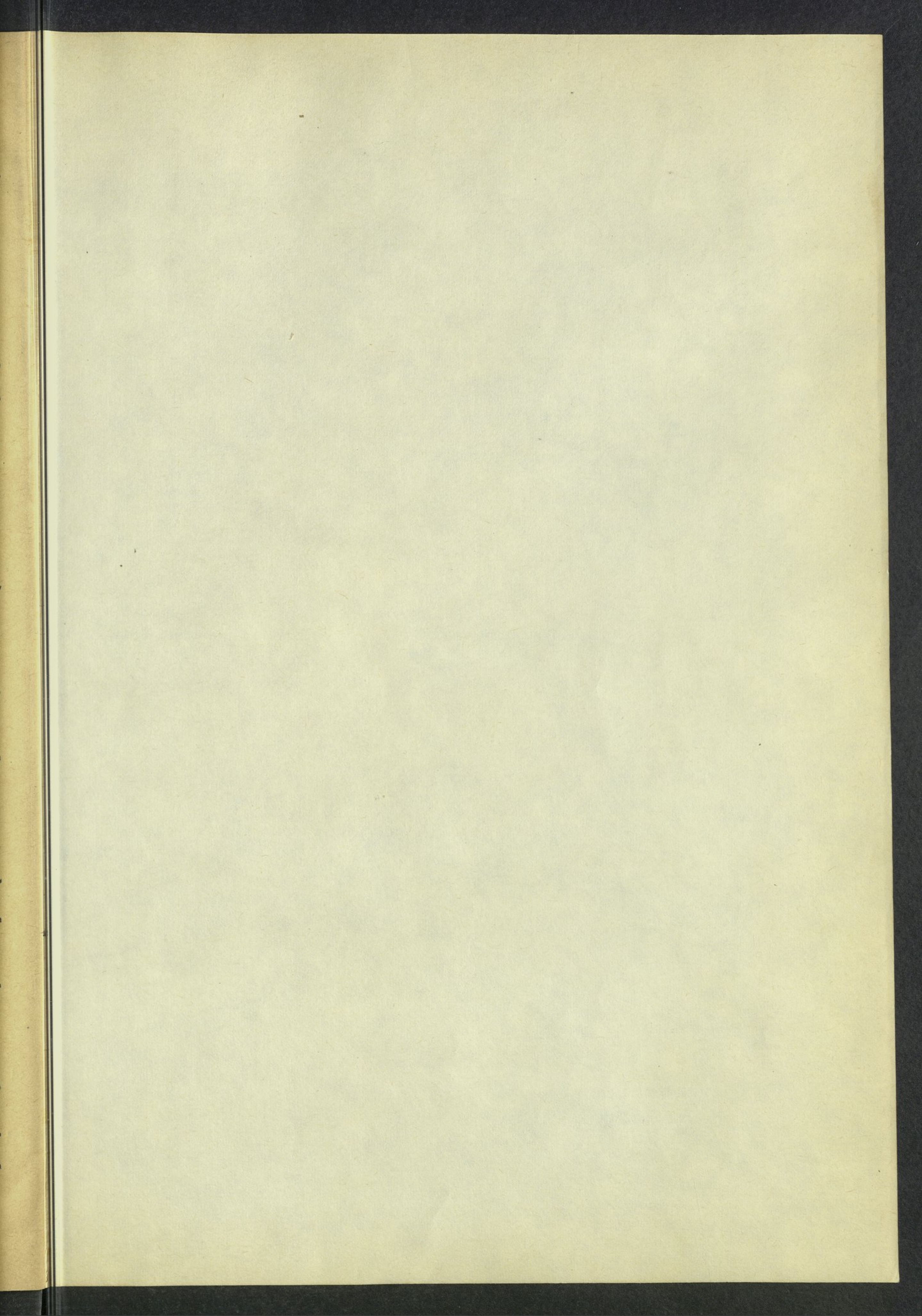










﴿ تصحيح الاغلاط المطبعية الواقعة في الجزء الثامن من تفسيرى ابن كثير والبغوى ﴾

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٣	٤	بسنة برسول	بسنة رسول
٦	٧	وءتبس	واحتبس
٦	١٩	إنا	إنما
٦	٢٥	فذهب	فاذهب
٨	٧	وأجر كريم	وأجر عظيم
٣٣	٢٨	(وماألتناكم)	(وماألتناهم)
٣٤	٢٤	بأموالهمة	بأموالهم
٣٨	٤	من بين	من بين
٤٠	١	بحيج	بهيج
٤٨	٢٥	لد)ولم يزل	لدي)ولم يقل
٧٣	٣	تنف	تنفع
٧٣	٢٥	الحن	الجن
٨٨	١٧	النخل ؟	النخل
٨٨	٢٤	به؟ريب	به ريب
٨٩	١٧	قطعةمن السماء	قطعة(من السماء
٨٩	١٩	(هذاسحاب	هذا (سحاب
٩١	٢٢	ةلحسن	الحسن
٩١	٢٣	الت	قالت
١١١	٢٦	آباؤكم الأولين	آباؤكم
١١٢	٢٢	الكفار	الكفار
١٢٠	١٧	لأوفى	الأوفي
١٥٥	٢٦	(أباالثقلان)	(أيهاالثقلان)
١٥٩	٢٨	يرم	يوم
١٦١	١	وتنغيم	وتنعيم
١٦٢	١١	فبأي آلا	فبأي آلاء
١٧٥	١٦	هباءا	هباء
١٧٦	١١	زواجا	أزواجا
١٨٦	١٨	وأنوابه	وأثوابه
٢٢١	١٠	آت الرحمن	آتي الرحمن
٢٦٠	١٠	به لله	به الله
٢٨١	٨	عروة بن لزبير	عروة بن الزبير
٢٨٣	٢٢	كمب	كعب
٢٨٦	٤	ولمرسول	والرسول
٣٣٨	٢٧	ان تقولوا(	(أن تقولوا







من تفسير الحافظ ابن كثير

هو الامام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل

ابن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤

قال الحافظ الذهبي في المعجم المختص: الامام المفتي المحدث البارع، فقيه متفنن محدث متقن، ومفسر... وله تصانيف مفيدة. وذكر الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة أنه كان من محدثي الفقهاء وقال سارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع بها بعد وفاته

طبع عن نسخة الطبعة الاميرية وصحح مقابلة على نسخة مكتبة الحرم المكي الشريف المصححة على نسخة المؤلف.

ويليه في أدنى الصحائف

معالم التنزيل

تفسير الامام البغوى المتوفى سنة ٥١٦

قال التاج السبكي في طبقات الشافعية: الحسين بن مسعود الفراء الشيخ أبو محمد البغوي صاحب التهذيب الملقب «محيي السنة» من مصنفاته شرح السنة والمصابيح والتفسير المسمى معالم التنزيل.. كان اماماً جليلا ورعا زاهداً فقيهاً محدثاً مفسراً جامعاً بين العلم والعمل، سالكا سبيل السلف

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ومحيي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

الطبعة الاولى في مطبعة المنار بمصر في سنة ١٣٤٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ المجلد الثامن من تفسير الحافظ ابن كثير ﴾

تفسير سورة الحجرات وهى مدنية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم (١)

يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم

لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون (٢) ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله

أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم (٣)

هذه آيات أدب الله تعالى بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والاعظام فقال تبارك وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ المجلد الثامن من تفسير ناصر السنة البغوي ﴾

﴿ سورة الحجرات مدنية وهي ثمان عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾ قرأ يعقوب لا تقدموا بفتح التاء والدال من التقدم أي لا تتقدموا ، وقرأ الآخرون بضم التاء وكسر الدال من التقديم وهو لازم بمعنى التقدم

ورسوله) أي لا تسرعوا في الاشياء بين يديه أي قبله بل كونوا تبعاً له في جميع الامور حتى يدخل في عموم هذه الآية الادب الشرعي

﴿ حديث معاذ رضي الله عنه ﴾ حيث قال له النبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن « بم تحكم ؟ » قال بكتاب الله تعالى ، قال ﷺ « فان لم تجد ؟ » قال بسنة برسول الله ﷺ قال ﷺ « فان لم تجد ؟ » قال رضي الله عنه أجتهد رأيي فضرب في صدره وقال « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضى رسول الله ﷺ » وقد رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه فالغرض منه أنه أخر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة ، وقال العوفي عنه نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه ، وقال مجاهد لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضي الله تعالى على لسانه ، وقال الضحاك لا تقضوا أمراً دون الله ورسوله من شرائع دينكم

مثل بين وتبين ، وقيل هو متعد على ظاهره والمفعول محذوف أي لا تقدموا القول والفعل بين يدي الله ورسوله قال أبو عبيدة تقول العرب لا تقدم بين يدي الامام وبين يدي الاب أي لا تعجل عليه بالامر والنهي دونه ، ومعنى بين اليدين الامام والقدام أي لا تقدموا بين يدي أمرهما ونهيهما واختلفوا في معناه ، روى الشعبي عن جابر انه في الذبح يوم الاضحى وهو قول الحسن أي لا تذبحوا قبل أن يذبح النبي ﷺ وذلك ان ناساً ذبحوا قبل صلاة النبي ﷺ فأمرهم أن يعيدوا الذبح

أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا سليمان بن حرب ثنا شعبة عن زبيد عن الشعبي عن البراء قال خطبنا النبي ﷺ يوم النحر قال « إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ، ومن ذبح قبل أن نصلي فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك في شيء » وروى مسروق عن عائشة أنه في النهي عن صوم يوم الشك أي لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم

اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا ابراهيم بن موسى ثنا هشام بن يوسف ان ابن جريج أخبرهم عن ابن أبي مليكة ان عبد الله بن الزبير أخبرهم انه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عمر بل أمر الاقرع بن حابس قال أبو بكر ما أردت إلا خلافي قال عمر ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت في ذلك (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) حتى انقضت ، ورواه نافع عن ابن عمر عن ابن أبي مليكة قال فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا

وقال سفيان الثوري (لاتقدموا بين يدي الله ورسوله) بقول ولا فعل ، وقال الحسن البصري (لاتقدموا بين يدي الله ورسوله) قال لاتدعوا قبل الامام ، وقال قتادة ذكر لنا أن ناسا كانوا يقولون لو أنزل في كذا كذا لو صح كذا فكره الله تعالى ذلك وتقدم فيه (واتقوا الله) أي فيما أمركم به (إن الله سميع) أي لأقوالكم (عليم) بنياتكم

وقوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) هذا أدب ثان أدب الله تعالى به المؤمنين أن لايرفعوا أصواتهم بين يدي النبي ﷺ فوق صوته ، وقد روي أنها نزلت في الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

وقال البخاري حدثنا بسرة بن صفوان اللخمي حدثنا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالاقرع بن حابس (رض) أخي بني مجاشع وأشار الآخر برجل آخر قال نافع لا أحفظ اسمه فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما ماأردت إلا خلافي قال ماأردت خلافك فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون) قال ابن الزبير (رض) فما كان عمر [رض] يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر رضي الله عنه . انفرد به دون مسلم

أصواتكم فوق صوت النبي - الى قوله - أجر عظيم) وزاد : قال ابن الزبير فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر.

وقال قتادة نزلت الآية في ناس كانوا يقولون لو أنزل في كذا أو صنع في كذا وكذا فكره الله ذلك وقال مجاهد لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضيه الله على لسانه ، وقال الضحاك يعني في القتال وشرائع الدين لا تقضوا أمراً دون الله ورسوله ﴿واتقوا الله﴾ في تضييع حقه ومخالفة أمره ﴿ إن الله سميع ﴾ لأقوالكم ﴿ عليم ﴾ بأفعالكم ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ﴾ أمرهم أن يبجلوه ويفخموه ولا يرفعوا أصواتهم عنده ولا ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا ﴿ أن تحبط أعمالكم ﴾ لئلا تحبط حسناتكم وقيل مخافة أن تحبط حسناتكم ﴿ وأنتم لاتشعرون ﴾

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا ابو بكر بن أبي شيبة ثنا الحسن بن موسى ثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك انه قال لما نزلت هذه الآية (ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) الآية جلس ثابت بن قيس في بيته وقال أنا من أهل النار واحتبس عن النبى

ثم قال البخاري حدثنا حسن بن محمد حدثنا حجاج عن ابن جريج حدثني ابن أبي مليكة ان عبد الله ابن الزبير (رض) أخبره أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر (رض) أمر القعقاع ابن معبد وقال عمر [رض] بل أمر الاقرع بن حابس فقال أبو بكر [رض] ما أردت الا خلافي فقال عمر [رض] ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت في ذلك (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله حتى انقضت الآية [ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم] الآية وهكذا رواه ههنا منفرداً به أيضا

وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا الفضل بن سهل حدثنا اسحاق بن منصور حدثنا حصين بن عمر عن مخارق عن طارق بن شهاب عن أبي بكر الصديق [رض] قال لما نزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، قلت يا رسول الله والله لا أكلمك إلا كأخي السرار. حصين بن عمر هذا وإن كان ضعيفا لكن قد رويناه من حديث عبد الرحمن بن عوف وأبي هريرة رضي الله عنهما بنحو ذلك والله أعلم

وقال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا أزهر بن سعد أخبرنا ابن عون انبأني موسى ابن أنس عن أنس بن مالك [رض] أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس [رض] فقال رجل يا رسول الله أنا أعلم لك علمه فأتاه فوجده في بيته منكسا رأسه فقال له ماشأنك؟ فقال شر كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله فهو من أهل النار فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا قال موسى فرجع اليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال اذهب اليه فقل له انك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة. تفرد به البخاري من هذا الوجه

وقال الامام أحمد حدثنا هاشم بن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بن مالك (رض) قال لما نزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي - إلى قوله - وأنتم لا تشعرون) وكان ثابت بن قيس بن الشماس رفيع الصوت فقال أنا الذي كنت ارفع صوتي على رسول الله [ص] أنا من أهل النار حبط عملي وجلس في اهله حزينا ففقده رسول الله (ص) فانطلق بعض القوم اليه فقالوا له تفقدك رسول الله (ص) مالك؟ قال أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي (ص)

صلى الله عليه وسلم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال «يا أبا عمرو وما شأن ثابت أيشتكي؟» فقال سعد انه لجاري وما علمت له شكوى قال فاتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت أنزلت هذه الآية ولقد علمتم اني من ارفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا من أهل النار فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ «بل هو من أهل الجنة»

وروي انه لما نزلت هذه الآية قعد ثابت في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال ما يبكيك يا ثابت؟ قال هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت في وأنا رفيع الصوت أخاف أن يحبط عملي وأن أكون

وأجهر له بالقول حبط عملي أنا من أهل النار فأتوا النبي (ص) فأخبروه بما قال فقال [ص] «لا بل هو من اهل الجنة» قال انس (رض) فكنا نراه يمشي بين اظهرنا ونحن نعلم انه من اهل الجنة، فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف فجاء ثابت بن قيس بن شماس وقد تحنط ولبس كفنه فقال بئسما تعودون اقرانكم فقاتلهم حتى قتل (رض)

وقال مسلم حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك (رض) قال لما نزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) إلى آخر الآية جلس ثابت (رض) في بيته قال أنا من اهل النار واحتبس عن النبي ﷺ فقال النبي (ص) لسعد بن معاذ « يا أبا عمرو ماشأن ثابت اشتكى ؟ » فقال سعد (رض) انه لجاري وماعلمت له بشكوى قال فأتاه سعد (رض) فذكر له قول رسول الله [ص] فقال ثابت (رض) أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتا على رسول الله (ص) فأنا من اهل النار فذكر ذلك سعد (رض) للنبي (ص) فقال رسول الله (ص) « بل هو من أهل الجنة » ثم رواه مسلم عن احمد بن سعيد الدارمي عن حبان بن هلال عن سليمان بن المغيرة به قال ولم يذكر سعد بن معاذ (رض) وعن قطن بن بشير عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس [رض] بنحوه وقال ليس فيه ذكر سعد ابن معاذ (رض) حدثني هدبة بن عبد الاعلى الاسدي حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبي يذكر عن انس (رض) قال لما نزلت هذه الآية فاقتص الحديث ولم يذكر سعد بن معاذ (رض) وزاد : فكنا نراه يمشي بين اظهرنا رجل من اهل الجنة . فهذه الطرق الثلاث معللة لرواية حماد بن سلمة فيما تفرد به من ذكر سعد بن معاذ [رض]

والصحيح ان حال نزول هذه الآية لم يكن سعد بن معاذ [رض] موجوداً لانه كان قد مات بعد بني قريظة بأيام قلائل سنة خمس وهذه الآية نزلت في وفد بني تميم والوفود انما تواتروا في سنة تسع من الهجرة والله اعلم

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن الحباب حدثنا ابو ثابت بن ثابت بن قيس ابن الشماس حدثني عمي اسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس عن ابيه [رض] قال لما نزلت

من أهل النار فمضى عاصم إلى رسول الله ﷺ وغلب ثابتاً البكاء فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله ابن أبي بن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرشي فشدي علي الضبة بمسمار وقال لا أخرج حتى يتوفاني الله أو يرضى عني رسول الله (ص) فأتى عاصم رسول الله (ص) فأخبره خبره فقال اذهب فادعه لي فجاء عاصم إلى المكان الذي رآه فلم يجده فجاء الى أهله فوجده في بيت الفرش، فقال له : ان رسول الله (ص) يدعوك فقال اكسر الضبة فكسرها فخرج فأتيا رسول الله (ص) فقال رسول الله (ص) «ما يبكيك يا ثابت؟» فقال أنا صيت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت في فقال له رسول الله (ص)

هذه الآية (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول) قال قعد ثابت بن قيس (رض) في الطريق يبكي قال فمر به عاصم بن عدي من بني العجلان فقال مايبكيك يا ثابت ؟ قال هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت في وأنا صيت رفيع الصوت قال فمضى عاصم بن عدي (رض) إلى رسول الله ﷺ قال وغلبه البكاء فأتى امرأته جميلة ابنة عبدالله بن أبي بن سلول فقال لها إذا دخلت بيت فرشي فشدي علي الضبة بمسمار فضربته بمسمار حتى إذا خرج عطفه وقال لا أخرج حتى يتوفاني الله تعالى أو يرضى عني رسول الله (ص) قال وأتى عاصم (رض) رسول الله ﷺ فأخبره خبره فقال « اذهب فادعه لي فجاء عاصم (رض) الى المكان فلم يجده فجاء إلى أهله فوجده في بيت الفرش فقال له ان رسول الله ﷺ يدعوك فقال اكسر الضبة قال فخرجا فأتيا النبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ « ما يبكيك يا ثابت ؟ » فقال (رض) أنا صيت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت في (لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول) فقال له النبي ﷺ « أما ترضى ان تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة ؟ » فقال رضيت بشرى الله تعالى ورسوله ﷺ ولا أرفع صوتي أبداً على صوت رسول الله ﷺ قال وأنزل الله تعالى (ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) الآية

وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين كذلك فقد نهى الله عز وجل عن رفع الاصوات بحضرة رسول الله ﷺ وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب [رض] أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي [ص] قد ارتفعت أصواتهما فجاء فقال أتدريان أين أنتما؟ ثم قال من أين أنتما؟ قالا من أهل الطائف فقال لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربا

وقال العلماء يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام لانه محترم حيا وفي قبره [ص] دائما ، ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبه ممن عداه بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم ، ولهذا قال تبارك وتعالى (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) كما قال تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا)

« أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة ؟ » فقال رضيت ببشرى الله ورسوله ولا أرفع صوتي أبداً على رسول الله (ص) فانزل الله ﴿ ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله ﴾ الآية قال أنس فكنا ننظر الى رجل من أهل الجنة يمشي بين أيدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة الكذاب رأى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهزمت طائفة منهم فقال أف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى أبي حذيفة ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله (ص) مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام وانه قال له اعلم ان فلانا رجل من المسلمين نزع درعي فذهب بها وهي في ناحية من العسكر عند فرس يستن به في طوله وقد وضع على درعي برمة فائت خالد بن الوليد وأخبره حتى يسترد درعي وائت أبا بكر خليفة رسول الله (ص)

وقوله عز وجل (أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون) أي انما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى لغضبه فيحبط عمل من أغضبه وهو لايدري كما جاء في الصحيح « ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لايلقي لها بالا يكتب له بها الجنة ، وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لايلقي لها بالا يهوي بها في النار أبعد مابين السماء والارض» ثم ندب الله تعالى إلى خفض الصوت عنده وحث علي ذلك وأرشد اليه ورغب فيه فقال (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) أي أخلصها لها وجعلها أهلا ومحلا (لهم مغفرة وأجر عظيم)

وقد قال الامام احمد في كتاب الزهد حدثنا عبدالرحمن حدثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال كتب إلى عمر ياأمير المؤمنين رجل لا يشتهي المعصية ولايعمل بها أفضل أم رجل يشتهي المعصية ولا يعمل بها ؟ فكتب عمر [رض] إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر كريم)

إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون (٤) ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم (٥)

وقل له ان علي دينا حتى يقضيه عني وفلان وفلان من رقيقي عتيق . فأخبر الرجل خالدا فوجد درعه والفرس على ما وصفه له فاسترد الدرع وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا فأجاز أبو بكر وصيته . قال مالك بن أنس لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها إلا هذه

قال أبو هريرة وابن عباس لما نزلت هذه الآية كان أبو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كاخي السرار :

وقال ابن الزبير لما نزلت هذه الآية ماحدث عمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فيسمع النبي صلى الله عليه وسلم كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته . فانزل الله تعالى (ان الذين يغضون أصواتهم) يخفضون أصواتهم [عند رسول الله] إجلالا له ﴿ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ﴾ اختبرها وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه ﴿ لهم مغفرة وأجر عظيم * إن الذين ينادونك من وراء الحجرات ﴾ قرأ العامة بضم الجيم وقرأ أبو جعفر بفتح الجيم وهما لغتان وهي جمع الحجر والحجر جمع الحجرة فهي جمع الجمع

قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى بني العنبر وأمر عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة بن حصن وقدم بهم على رسول الله (ص) فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافقوا رسول الله

ثم انه تبارك وتعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات وهي بيوت نسائه كما يصنع اجلاف الاعراب فقال (أكثرهم لايعقلون)

ثم أرشد تعالى إلى الادب في ذلك فقال عز وجل (ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم) أي لكان لهم في ذلك الخيرة والمصلحة في الدنيا والآخرة . ثم قال جل ثناؤه داعيا لهم إلى التوبة والانابة (والله غفور رحيم) وقد ذكر أنها نزلت في الاقرع بن حابس التميمي رضي الله عنه فيما أورده غير واحد

قال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا موسى بن عقبة عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن الاقرع بن حابس [رض] أنه نادى رسول الله [ص] فقال يا محمد يا محمد وفي رواية يا رسول الله فلم يجبه فقال يارسول الله إن حمدي لزين وان ذمي لشين فقال « ذاك الله عزوجل »

وقال ابن جرير حدثنا ابو عمار الحسين بن حريث المروزي حدثنا الفضل بن موسى عن الحسين ابن واقد عن أبي إسحاق عن البراء في قوله تبارك وتعالى (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات)

قال جاء رجل إلى رسول الله [ص] فقال يامحمد ان حمدي زين وذمي شين فقال [ص] « ذاك الله عز وجل » وهكذا ذكره الحسن البصري وقتادة مرسلا

وقال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة قال كان بشر بن غالب ولبيد بن عطارد أو بشر ابن عطارد ولبيد بن غالب وهما عند الحجاج جالسان فقال بشر بن غالب للبيد بن عطارد نزلت في قومك بني تميم (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال فذكرت ذلك لسعيد بن جبير فقال أما انه لوعلم بآخر الآية أجابه (يمنون عليك ان أسلموا) قالوا أسلمنا ولم نقاتلك بنو أسد

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن علي الباهلي حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت

صلى الله عليه وسلم قائلا في أهله فلما رآهم الذراري أجهشوا إلى آبائهم يبكون وكان لكل امرأة من نساء رسول الله (ص) حجرة فعجلوا قبل أن يخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يامحمد اخرج الينا ويصيحون حتى ايقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يامحمد فادنا عيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله يأمرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله (ص) أترضون أن يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم ، فقالوا نعم : فقال سبرة إني لا أحكم بينهم إلا وعمي شاهد وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال الاعور أرى ان تفادي نصفهم وتعتق نصفهم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ، ففادى نصفهم وأعتق نصفهم وأنزل الله تعالى (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) ﴿ أكثرهم لايعقلون ﴾ وصفهم بالجهل وقلة العقل ﴿ ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم ﴾ قال مقاتل لكان خيراً لهم لانك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء ﴿ والله غفور رحيم ﴾ وقال قتادة نزلت فى ناس من أعراب بني تميم جاؤا

داود الطائي يحدث عن ابي مسلم البجلي عن زيد بن أرقم (رض) قال: اجتمع أناس من العرب فقالوا انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يك نبيا فنحن أسعد الناس به وان يك ملكا نعش بجناحه قال فأتيت رسول الله (ص) فأخبرته بما قالوا فجاءوا الى حجرة النبي [ص] فجعلوا ينادونه وهو في حجرته يامحمد يامحمد فأنزل الله تعالى [ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لايعقلون] قال فأخذ رسول الله [ص] باذني فمدها فجعل يقول « لقد صدق الله تعالى قولك يازيدلقدصدق الله قولك يازيد » ورواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة عن المعتمر بن سليمان به

يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهٰلة فتصبحوا على مافعلتم نٰدمين (٦) واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن

الى النبي صلى الله عليه وسلم فنادوا على الباب . ويروى ذلك عن جابر : قال جاءت بنو تميم فنادوا على الباب اخرج الينا يامحمد فان مدحنا زين وذمنا شين فسمعها النبي صلى الله عليه وسلم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول « انما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين » فقالوا نحن ناس من بني تميم جئنا بشعرائنا وخطبائنا لنشاعرك ونفاخرك فقال النبي (ص) مابالشعر بعثت ولا بالفخار أمرت ولكن هاتوا ماعندكم فقام شاب منهم فذكر فضله وفضل قومه فقال النبي (ص) لثابت بن قيس بن شماس وكان خطيب النبي (ص) « قم فأجبه » فقام فاجابه وقام شاعرهم فذكر أبياتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت أجبه فأجابه فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمداً ليؤتى له والله ما أدري ما هذا الامر تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أحسن من خطيبنا قولا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم اشعر وأحسن قولا ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أشهد ان لاإله إلا الله وأنك رسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « ما يضرك ما كان قبل هذا » ثم أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وكساهم وكان قد تخلف في ركابهم عمرو بن الاهتم لحداثة سنه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم وازرى به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم [ياايها الذين آمنوا لاترفعوا اصواتكم] الآيات الاربع الى قوله [غفور رحيم]

وقال زيد بن ارقم جاء ناس من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن أسعد الناس به وان يكن ملكا نعش في جنابه فجاؤا فجعلوا ينادونه يا محمد يامحمد فانزل الله [ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لايعقلون* ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم]

قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ الآية نزلت في الوليد بن عتبة ابن أبي معيط بعثه رسول الله ﷺ الى بني المصطلق بعد الوقعة مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة في

الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون (٧) فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم (٨)

يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الامر كاذبا أو مخطئا فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه وقد نهى الله عز وجل عن اتباع سبيل المفسدين ومن هاهنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه في نفس الامر وقبلها آخرون لأنا انما أمرنا بالتثبت عند خبر الفاسق وهذا ليس بمحقق الفسق لانه مجهول الحال وقد قررنا هذه المسئلة في كتاب العلم من شرح البخاري ولله تعالى الحمد والمنة

وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بني المصطلق وقد روي ذلك من طرق ومن أحسنها مارواه الامام أحمد في مسنده من رواية ملك بني المصطلق وهو الحارث بن ضرار بن أبي ضرار والد ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين [رض]

قال الامام أحمد حدثنا محمد بن سابق حدثنا عيسى بن دينار حدثني أبي أنه سمع الحارث بن ضرار الخزاعي [رض] يقول: قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الاسلام فدخلت فيه وأقررت به، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت يارسول الله أرجع اليهم فأدعوهم إلى الاسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته، وترسل إلي يارسول الله رسولا ابان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الابان الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث اليه احتبس عليه الرسول ولم يأته وظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله تعالى ورسوله فدعا بسروات قومه فقال لهم إن رسول الله ﷺ كان وقت لي وقتا يرسل إلي رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة وليس من رسول الله ﷺ الخلف ولا أرى حبس رسوله الا من سخطة فانطلقوا بنا نأتي رسول الله ﷺ وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق أي خاف فرجع حتى أتى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله إن الحارث قد منعني الزكاة وأراد قتلي فغضب رسول الله ﷺ وبعث البعث إلى الحارث [رض]

الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لامر رسول الله ﷺ فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله ﷺ وقال إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب رسول الله ﷺ وهم أن يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله ﷺ وقالوا يارسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي اليه ماقبلناه من حق الله عز وجل فبدا له في الرجوع فخشينا إنه إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب

وأقبل الحارث بأصحابه حتى اذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا هذا الحارث فلما غشيهم قال لهم إلى من بعثم ؟ قالوا اليك ، قال ولم ؟ قالوا إن رسول ﷺ بعث اليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله ، قال رضي الله عنه لا والذي بعث محمداً ﷺ بالحق مارأيته بتة ولا أتاني فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال « منعت الزكاة وأردت قتل رسولي ؟ » قال لا والذي بعثك بالحق مارأيته ولا أتاني وما أقبلت إلا حين احتبس علي رسول رسول الله ﷺ خشيت أن يكون كانت سخطة من الله تعالى ورسوله قال فنزلت الحجرات (ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ — إلى قوله — حكيم) ورواه ابن أبي حاتم عن المنذر بن شاذان التمار عن محمد بن سابق به ، ورواه الطبراني من حديث محمد بن سابق به غير أنه سماه الحارث بن سرار والصواب أنه الحارث بن ضرار كما تقدم

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا جعفر بن عون عن موسى بن عبيدة عن ثابت مولى أم سلمة رضي الله عنها قالت : بعث رسول الله ﷺ رجلا في صدقات بنى المصطلق بعد الوقيعة فسمع بذلك القوم فتلقوه يعظمون أمر رسول الله ﷺ قالت فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله قالت فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال إن بني المصطلق قد منعوني صدقاتهم فغضب رسول الله ﷺ والمسلمون قالت فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله [ص] فصفوا له حين صلى الظهر فقالوا نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله بعثت الينا رجلا مصدقا فسررنا بذلك وقرت به أعيننا ثم إنه رجع من بعض الطريق فخشينا أن يكون ذلك غضبا من الله تعالى ومن رسوله [ص] فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال [رض] فأذن بصلاة العصر قالت ونزلت (ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين)

وروى ابن جرير أيضا من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق ليأخذ منهم الصدقات وأنهم لما أتاهم الخبر فرحوا وخرجوا يتلقون رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه لما حدث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه رجع الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إن بني

رسوله فاتهمهم رسول الله (ص) وبعث خالد بن الوليد اليهم خفية في عسكر وأمره أن يخفي عليهم قدوم قومه وقال له انظر فان رأيت منهم مايدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم وان لم تر ذلك فاستعمل فيهم مايستعمل في الكفار ففعل ذلك خالد ووافاهم فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم إلا الطاعة والخير فانصرف الى رسول الله (ص) وأخبره الخبر فانزل الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق) يعني الوليد بن عقبة (بنبأ) بخبر (فتبينوا) ﴿ أن تصيبوا ﴾ كي لاتصيبوا بالقتل والقتال ﴿ قوما ﴾ براء ﴿ بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين ﴾ من

المصطلق قد منعوا الصدقة فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك غضباً شديداً فبيناهو يحدث نفسه أن يغزوهم اذ أتاه الوفد فقالوا يارسول الله انا حدثنا ان رسولك رجع من نصف الطريق وانا خشينا انما رده كتاب جاء منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله ، وإن النبي [ص] استغشهم وهم بهم فأنزل الله تبارك وتعالي عذرهم في الكتاب فقال (ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) إلى آخر الآية

وقال مجاهد وقتادة أرسل رسول الله [ص] الوليد بن عقبة إلى بنى المصطلق ليصدقهم فتلقوه بالصدقة فرجع فقال إن بنى المصطلق قد جمعت لك لتقاتلك زاد قتادة وانهم قد ارتدوا عن الاسلام فبعث رسول الله [ص] خالد بن الوليد [رض] اليهم وأمره أن يتثبت ولا يعجل فانطلق حتى أتاهم ليلا فبعث عيونه فلما جاءوا أخبروا خالداً [رض] أنهم مستمسكون بالاسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم فلما أصبحوا أتاهم خالد رضي الله عنه فرأى الذي يعجبه فرجع الى رسول الله [ص] فأخبره الخبر فأنزل الله تعالى هذه الآية ، قال قتادة فكان رسول الله (ص) يقول « التبين من الله والعجلة من الشيطان » وكذا ذكر غير واحد من السلف منهم ابن أبي ليلى ويزيد بن رومان والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم في هذه الآية أنها نزلت في الوليد بن عقبة والله أعلم

وقوله تعالى (واعلموا أن فيكم رسول الله) أي اعلموا أن بين أظهركم رسول الله فعظموه ووقروه وتأدبوا معه وانقادوا لأمره فانه أعلم بمصالحكم وأشفق عليكم منكم ورأيه فيكم أتم من رأيكم لأنفسكم كما قال تبارك وتعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) ثم بين أن رأيهم سخيف بالنسبة إلى مراعاة مصالحهم فقال [لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم] أي لو أطاعكم في جميع ماتختارونه لأدى ذلك إلى عنتكم وحرجكم كما قال سبحانه وتعالى (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون) وقوله عز وجل (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم) أي حببه إلى نفوسكم وحسنه في قلوبكم

قال الامام أحمد حدثنا بهز حدثنا علي بن مسعدة حدثنا قتادة عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يقول « الاسلام علانية والايمان في القلب - قال ثم يشير بيده إلى صدره ثلاث مرات ثم يقول - التقوى ههنا ههنا » (وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) أي وبغض اليكم الكفر

اصابتكم بالخطأ ﴿ واعلموا أن فيكم رسول الله ﴾ فاتقوا الله أن تقولوا باطلا أو تكذبوه فان الله يخبره ويعرفه أحوالكم فتفتضحوا ﴿ لو يطيعكم ﴾ أي الرسول ﴿ في كثير من الأمر ﴾ مما تخبرونه به فيحكم برأيكم ﴿ لعنتم ﴾ لأثمتم وهلكتم والعنت الاثم والهلاك ﴿ ولكن الله حبب اليكم الايمان ﴾ فجعله أحب الاديان اليكم ﴿ وزينه ﴾ حسنه ﴿ في قلوبكم ﴾ حتى اخترتموه وتطيعوا رسول الله (ص) ﴿ وكره اليكم الكفر والفسوق ﴾ قال ابن عباس يريد الكذب ﴿ والعصيان ﴾ جميع معاصي الله ثم عاد من

والفسوق وهي الذنوب الكبار والعصيان وهي جميع المعاصي وهذا تدريج لكمال النعمة وقوله تعالى (أولئك هم الراشدون) أي المتصفون بهذه الصفة هم الراشدون الذين قد آتاهم الله رشدهم

قال الامام أحمد حدثنا مروان بن معاوية الفزاري حدثنا عبد الواحد بن أيمن المكي عن ابن رفاعة الزرقي عن أبيه قال لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله ﷺ « استووا حتى أثني على ربي عز وجل » فصاروا خلفه صفوفا فقال ﷺ « اللهم لك الحمد كله اللهم لاقابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرب لما باعدت ، ولا مباعد لما قربت اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لايحول ولا يزول ، اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة والامن يوم الخوف ، اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا ومن شر مامنعتنا ، اللهم حبب الينا الايمان وزينه في قلوبنا وكره الينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين ، اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين ، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك ، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق » ورواه النسائي في اليوم والليلة عن زياد بن أيوب عن مروان بن معاوية عن عبد الواحد بن أيمن عن عبيد بن رفاعة عن أبيه به

وفي الحديث المرفوع « من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن » ثم قال (فضلا من الله ونعمة) أي هذا العطاء الذي منحكموه هو فضل منه عليكم ونعمة من لدنه (والله عليم حكيم) أي عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره

وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين (٩) انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون (١٠)

يقول تعالى آمراً بالاصلاح بين الفئتين الباغيتين بعضهم على بعض (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) فسماهم مؤمنين مع الاقتتال ، وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج

الخطاب الى الخبر وقال ﴿ أولئك هم الراشدون ﴾ المهتدون ﴿ فضلا ﴾ أي كان هذا فضلا ﴿ من الله ونعمة والله عليم حكيم ﴾

قوله عز وجل ﴿ وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ الآية

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن

عن الايمان بالمعصية وان عظمت لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم ، وهكذا ثبت في صحيح البخاري من حديث الحسن عن أبي بكرة رضي الله عنه قال ان رسول الله ﷺ خطب يوما ومعه على المنبر الحسن بن علي رضي الله عنهما فجعل ينظر اليه مرة وإلى الناس أخرى ويقول « ان ابني هذا سيد ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » فكان كما قال ﷺ أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب الطويلة والواقعات المهولة

وقوله تعالى (فان بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) أي حتى ترجع إلى أمر الله ورسوله وتسمع للحق وتطيعه كما ثبت في الصحيح عن أنس (رض) أن رسول الله ﷺ قال « انصر أخاك ظالما أو مظلوما قلت يارسول الله هذا نصرته مظلوما فكيف أنصره ظالما؟ قال ﷺ « تمنعه من الظلم فذاك نصرك إياه »

وقال الامام احمد حدثنا عارم حدثنا معتمر قال سمعت أبي يحدث أن أنسا رضي الله عنه قال قيل للنبي ﷺ لو أتيت عبدالله بن أبي فانطلق اليه النبي ﷺ وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون وهي أرض سبخة فلما انطلق النبي ﷺ اليه قال « اليك عني فوالله لقد آذاني ريح حمارك » فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحا منك قال فغضب لعبدالله رجال من قومه فغضب لكل واحد منهما أصحابه قال فكان بينهم ضرب بالجريد والايدي والنعال فبلغنا انه أنزلت فيهم

اسماعيل ثنا مسدد ثنا معمر قال سمعت أبي يقول إن أنسا قال قيل للنبي (ص) لو أتيت عبدالله ابن أبي فانطلق اليه النبي (ص) وركب حماراً وانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة فلما أتاه النبي (ص) فقال اليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله (ص) أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فتشاتما فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والايدي والنعال فبلغنا أنها نزلت (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) وروى أنها لما نزلت قرأها رسول الله (ص) فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض وقال قتادة نزلت في رجلين من الانصار كانت بينهما مماراة في حق بينهما فقال أحدهما للآخر لآخذن حقي منك عنوة لكثرة عشيرته وان الآخر دعاه ليحاكمه الى نبي الله (ص) فأبى أن يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالايدي والنعال ولم يكن بينهما قتال بالسيوف وقال سفيان عن السدي كانت امرأة من الانصار يقال لها أم زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شيء فرقى بها الى علية وحبسها فبلغ ذلك قومها فجاؤا وجاء قومه واقتتلوا بالايدي والنعال فانزل الله عز وجل (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) بالدعاء الى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما ﴿ فان بغت احداهما ﴾ تعدت احداهما ﴿ على الاخرى ﴾ وأبت الاجابة الى حكم كتاب الله ﴿ فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء ﴾ ترجع ﴿ الى امر الله ﴾ في كتابه وحكمه ﴿ فان فاءت ﴾

(وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما)ورواه البخاري في الصلح عن مسدد ومسلم في المغازي عن محمد بن عبد الاعلى كلاهما عن المعتمر بن سليمان عن أبيه به نحوه

وذكر سعيد بن جبير ان الاوس والخزرج كان بينهما قتال بالسعف والنعال فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمر بالصلح بينهما

وقال السدي كان رجل من الانصار يقال له عمران كانت له امرأة تدعى أم زيد وان المرأة أرادت أن تزور أهلها فحبسها زوجها وجعلها في علية له لا يدخل عليها أحد من أهلها، وان المرأة بعثت الى أهلها فجاء قومها وأنزلوها لينطلقوا بها وان الرجل كان قد خرج فاستعان أهل الرجل فجاء بنوعمه ليحولوا بين المرأة وبين أهلها فتدافعوا واجتلدوا بالنعال فنزلت فيهم هذه الآية فبعث اليهم رسول الله ﷺ وأصلح بينهم وفاءوا إلى أمر الله تعالى

وقوله عز وجل (فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) أي اعدلوا بينهما فيما كان أصاب بعضهم لبعض بالقسط وهو العدل (إن الله يحب المقسطين)

قال ابن أبي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا عبدالاعلى عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال ان رسول الله ﷺ قال « إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدي الرحمن عز وجل بما أقسطوا في الدنيا » ورواه النسائي عن محمد بن المثنى عن عبدالاعلى به وهذا إسناد جيد قوي رجاله على شرط الصحيح

وحدثنا محمد بن عبدالله بن يزيد حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال « المقسطون عند الله تعالى يوم القيامة على منابر من نور على يمين العرش الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما ولوا » ورواه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به

وقوله تعالى (انما المؤمنون اخوة) أي الجميع اخوة في الدين كما قال رسول الله ﷺ « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » وفي الصحيح « والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه »

وفي الصحيح أيضا « اذا دعا المسلم لاخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك بمثله » والاحاديث في هذا كثيرة وفي الصحيح « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » وفي الصحيح أيضا المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه ﷺ

وقال أحمد حدثنا ابن الحجاج حدثنا عبدالله أخبرنا مصعب بن ثابت حدثني ابو حازم قال :

رجعت الى الحق ﴿ فأصلحوا بينهما بالعدل ﴾ بحملهما على الانصاف والرضا بحكم الله ﴿ وأقسطوا ﴾ اعدلوا ﴿ إن الله يحب المقسطين * إنما المؤمنون اخوة ﴾ في الدين والولاية ﴿ فأصلحوا بين أخويكم ﴾

سمعت سهل بن سعد الساعدي (رض) يحدث عن رسول الله ﷺ قال « ان المؤمن من أهل الايمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لاهل الايمان كما يألم الجسد لما في الرأس » تفرد به أحمد ولا بأس باسناده وقوله تعالى (فأصلحوا بين أخويكم) يعني الفئتين المقتتلتين (واتقوا الله) أي في جميع أموركم (لعلكم ترحمون) وهذا تحقيق منه تعالى الرحمة لمن اتقاه

اذا اختلفا واقتتلا قرأ يعقوب بين اخوتكم بالتاء على الجمع ﴿ واتقوا الله ﴾ فلا تعصوه ولا تخالفوا أمره ﴿ لعلكم ترحمون ﴾

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد الحسين بن أحمد المخلدي أنا أبو العباس محمد ابن اسحاق السراج ثنا قتيبة بن سعيد ثنا الليث عن عقيل عن الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال المسلم « أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » وفي هاتين الآيتين دليل على أن البغي لا يزيل اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مؤمنين مع كونهم باغين يدل عليه ماروي عن الحارث الاعور أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سئل وهو القدوة في قتال أهل البغي عن أهل الجمل وصفين أمشركون هم ؟ فقال لا من الشرك فروا فقيل أمنافقون هم ؟ فقال لا إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا قيل فما حالهم ؟ قال اخواننا بغوا علينا والباغي في الشرع هو الخارج على الامام العدل فاذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الامام العدل بتأويل محتمل ونصبوا إماما فالحكم فيهم أن يبعث الامام اليهم ويدعوهم الى طاعته فان اظهروا مظلمة أزالها عنهم وان لم يذكروا مظلمة وأصروا على بغيهم قاتلهم الامام حتى يفيئوا الى طاعته ثم الحكم في قتالهم أن لا يتبع مدبرهم ولا يقتل أسيرهم ولا يذفف على جريحهم . نادى منادي علي رضي الله عنه يوم الجمل ألا لا يتبع مدبر ولا يذفف على جريح وأتى علي رضي الله عنه يوم صفين بأسير فقال له لا أقتلك صبراً إني أخاف الله رب العالمين ، وما اتلفت احدى الطائفتين على الاخرى في حال القتال من نفس أو مال فلا ضمان عليها . قال ابن شهاب كانت في تلك الفتنة دماء يعرف في بعضها القاتل والمقتول واتلف فيها أموال كثيرة ثم صار الناس الى أن سكنت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم فما علمته اقتص من أحد ولا أغرم مالا أتلفه أما من لم يجتمع فيهم هذه الشرائط الثلاث بأن كانوا جماعة قليلين لا منعة لهم أو لم يكن لهم تأويل أو لم ينصبوا اماما فلا يتعرض لهم ان لم ينصبوا قتالا ولم يتعرضوا للمسلمين فان فعلوا فهم كقطاع الطريق

وروي أن عليا سمع رجلا يقول في ناحية المسجد لا حكم إلا لله فقال علي كلمة حق أريد بها باطل لكم علينا ثلاث لا نمنعكم من مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفيء مادامت ايديكم مع أيدينا ولا نبدؤكم بقتال

يا أيها الذين آمنوا لا يسخرْ قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساءٌ من نساء عسى أن يكنَّ خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب، بئس الاسمُ الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظلمون (١١)

ينهى تعالى عن السخرية بالناس وهو احتقارهم والاستهزاء بهم كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ انه قال « الكبر بطر الحق وغمص الناس – ويروى – وغمط الناس » والمراد من ذلك احتقارهم واستصغارهم وهذا حرام فانه قد يكون المحتقر أعظم قدراً عند الله تعالى وأحب اليه من الساخر منه المحتقر له ولهذا قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن) فنص على نهي الرجال وعطف بنهي النساء.

وقوله تبارك وتعالى (ولا تلمزوا أنفسكم) أي لا تلمزوا الناس ، والهماز اللماز من الرجال مذموم ملعون كما قال تعالى (ويل لكل همزة لمزة) والهمز بالفعل واللمز بالقول كما قال عز وجل (هماز مشاء بنميم) أي يحتقر الناس ويهمزهم طاغياً عليهم ويمشي بينهم بالنميمة وهي اللمز بالمقال ولهذا قال هنا

وقوله عز وجل ﴿ يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم ﴾ الآية قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك انه كان في أذنه وقر فكان اذا أتى رسول الله ﷺ وقد سبقوه بالمجلس أوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع مايقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي ﷺ من الصلاة أخذ اصحابه مجالسهم فضن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع أحد لأحد فكان الرجل اذا جاء فلم يجد مجلسا يجلس فيه قام قائما كما هو فلما فرغ ثابت من الصلاة أقبل نحو رسول الله ﷺ يتخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا تفسحوا فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى الى رسول الله ﷺ وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال له الرجل قد أصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا قال أنا فلان فقال له ثابت ابن فلانة وذكر أما له كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل رأسه واستحيا فانزل الله تعالى هذه الآية ، وقال الضحاك نزلت في وفد بني تميم الذين ذكرناهم كانوا يستهزئون بفقراء أصحاب النبي مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى أبي حذيفة لما رأوا من رثاثة حالهم فانزل الله تعالى في الذين آمنوا منهم (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم) أي رجل من رجل والقوم اسم يجمع الرجال والنساء وقد يختص بجمع الرجال ﴿ عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ﴾ روي عن أنس انها نزلت في نساء رسول الله ﷺ حين عيرن أم سلمة بالقصر ، وعن عكرمة عن ابن عباس انها نزلت في صفية بنت حيي بن اخطب قال لها النساء يهودية

(ولا تلمزوا أنفسكم) كما قال (ولا تقتلوا أنفسكم) أي لا يقتل بعضكم بعضا

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة ومقاتل بن حيان (ولا تلمزوا أنفسكم) أي لا يطعن بعضكم على بعض. وقوله تعالى (ولا تنابزوا بالألقاب) أي لا تداعوا بالالقاب وهي التي يسوء الشخص سماعها . قال الامام أحمد حدثنا اسماعيل حدثنا داود بن أبي هند عن الشعبي قال حدثني أبو جبيرة ابن الضحاك قال فينا نزلت في بني سلمة (ولا تنابزوا بالالقاب) قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة فكان إذا دعا أحدا منهم باسم من تلك الاسماء قالوا يارسول الله انه يغضب من هذا فنزلت (ولا تنابزوا بالألقاب) ورواه أبو داود عن موسى بن اسماعيل عن وهب عن داود به

وقوله جل وعلا (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) اي بئس الصفة والاسم الفسوق وهو التنابز بالالقاب كما كان أهل الجاهلية يتعاونون بعد مادخلتم في الاسلام وعقلتموه (ومن لم يتب) أي من هذا [فأولئك هم الظالمون]

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ؟ واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)

يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظن وهو التهمة والتخون للاهل والاقارب والناس في غير محله لان بعض ذلك يكون اثما محضا فليجتنب كثير منه احتياطا

بنت يهوديين ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ أي لا يعب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم على بعض ﴿ ولا تنابزوا بالالقاب ﴾ التنابز التفاعل من النبز وهو اللقب وهو أن يدعى الانسان بغير ماسمي به قال عكرمة وهو قول الرجل للرجل يافاسق يامنافق ياكافر وقال الحسن كان اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد اسلامه يايهودي يانصراني فنهوا عن ذلك ، قال عطاء هو أن تقول لاخيك ياكلب ياحمار ياخنزير وروي عن ابن عباس قال التنابز بالالقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهى أن يعير بما سلف من عمله ﴿ بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ﴾ أي بئس الاسم أن يقول له يايهودي أو يافاسق بعد ما آمن وتاب وقيل معناه أن من فعل مانهي عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق وبئس الاسم الفسوق بعد الايمان فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق

﴿ ومن لم يتب ﴾ من ذلك ﴿ فأولئك هم الظالمون * يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ﴾ قيل نزلت الآية في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك ان رسول الله ﷺ كان اذا غزا أو سافر ضم

وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً وأنت تجد لها في الخير محملا

وقال أبو عبدالله بن ماجه حدثنا أبوالقاسم بن أبي ضمرة نصر بن محمد بن سليمان الحمصي حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي قيس النضري حدثنا عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال رأيت النبي (ص) يطوف بالكعبة ويقول « ماأطيبك وأطيب ريحك ما أعظمك وأعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله تعالى حرمة منك ماله ودمه وان يظن به الا خيراً » تفرد به ابن ماجة من هذا الوجه ، وقال مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة (رض) قال قال رسول الله (ص) « إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » رواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيي بن يحيي ، وأبو داود عن العتبي ثلاثتهم عن مالك به

وقال سفيان بن عيينة عن الزهري عن انس (رض) قال قال رسول الله (ص) « لاتقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام» رواه مسلم والترمذي وصححه من حديث سفيان بن عيينة به

وقال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله القرمطي المدوي حدثنا بكر بن عبدالوهاب المدني حدثنا اسماعيل بن قيس الانصاري حدثني عبدالرحمن بن محمد بن أبي الرجال عن أبيه عن جده حارثة بن النعمان (رض) قال قال رسول الله [ص] « ثلاث لازمات لأمتي : الطيرة والحسد وسوء الظن » فقال رجل وما يذهبهن يا رسول الله ممن هن فيه ؟ قال (ص) « إذا حسدت فاستغفر الله واذا ظننت فلا تحقق ، واذا تطيرت فامض » وقال ابوداود حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبومعاوية عن الاعمش عن زيد (رض) قال أتي ابن مسعود (رض) برجل فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمراً فقال عبدالله (رض) انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شيء نأخذ به ، سماه ابن أبي حاتم في روايته الوليد بن عقبة بن أبي معيط

الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدم لهما الى المنزل فيهيء لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الفارسي الى رجلين في بعض أسفاره فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فلم يهيء لهما شيئا فلما قدما قالا له ما صنعت شيئا ؟ قال لا غلبتني عيناي ، قالا له انطلق إلى رسول الله ﷺ فاطلب لنا منه طعاما ، فجاء سلمان الى رسول الله ﷺ وسأله طعاما فقال له رسول الله ﷺ « انطلق الى اسامة بن زيد وقل له إن كان عنده فضل من طعام وإدام فليعطك » وكان اسامة خازن رسول الله ﷺ وعلى رحله فاتاه فقال ما عندي شيء فرجع سلمان اليهما وأخبرهما فقالا كان عند اسامة طعام ولكن بخل فبعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالا لو بعثناك الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله ﷺ فلما جاءا

وقال الامام أحمد حدثنا هاشم حدثنا ليث عن ابراهيم بن نشيط الخولاني عن كعب بن علقمة عن أبي الهيثم عن دجين كاتب عقبة قال قلت لعقبة ان لنا جيرانا يشربون الخمر وأنا داع لهم الشرط فيأخذونهم قال لا تفعل ولكن عظهم وتهددهم قال ففعل فلم ينتهوا ، قال فجاءه دجين فقال إني قد نهيتهم فلم ينتهوا وإني داع لهم الشرط فتأخذهم فقال له عقبة ويحك لا تفعل فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من ستر عورة مؤمن فكأنما استحيا موءودة من قبرها » ورواه أبو داود والنسائي من حديث الليث بن سعد به نحوه

وقال سفيان الثوري عن راشد بن سعد عن معاوية [رض] قال سمعت النبي ﷺ يقول « انك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم » فقال أبو الدرداء رضي الله عنه كلمة سمعها معاوية رضي الله عنه من رسول الله ﷺ نفعه الله تعالى بها ، ورواه أبو داود منفرداً به من حديث الثوري به

وقال أبو داود أيضا حدثنا سعيد بن عمرو الحضرمي حدثنا اسماعيل بن عياش حدثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن جبير بن نفير وكثير بن مرة وعمرو بن الاسود والمقدام بن معديكرب وأبي امامة رضي الله عنهم عن النبي ﷺ قال « ان الامير اذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم » (ولا تجسسوا) أي على بعضكم بعضا والتجسس غالبا يطلق في الشر ومنه الجاسوس، وأما التحسس فيكون غالبا في الخير كما قال عز وجل اخباراً عن يعقوب أنه قال (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف

الى رسول الله ﷺ قال لهما « مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما ؟ » قالا : والله يارسول الله ماتناولنا يومنا هذا لحما قال « بل ظلتم تأكلون لحم سلمان وأسامة » فأنزل الله عز وجل [يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن] وأراد أن يظن باهل الخير شرا ﴿ ان بعض الظن إثم ﴾ قال سفيان الثوري الظن ظنان ، أحدهما إثم وهو أن تظن وتتكلم به والآخر ليس بإثم وهو أن تظن ولا تتكلم ﴿ ولا تجسسوا ﴾ التجسس هو البحث عن عيوب الناس . نهى الله تعالى عن البحث عن المستور من عيوب الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن احمد أنا ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا »

أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد بن علي بن الحسن الطوسي بها أنا أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الاسفرايني أنا أبو بكر احمد بن ابراهيم الاسماعيلي أنا عبد الله بن ناجية حدثنا يحيى بن أكثم أنا الفضل بن موسى الشيباني عن الحسين بن واقد عن أبي أوفى بن دلهم عن نافع عن ابن عمر

وأخيه ولا تيأسوا من روح الله) وقد يستعمل كل منهما في الشر كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « لاتجسسوا ولاتحسسوا ولا تباغضوا ولاتدابروا وكونوا عباد الله اخوانا » وقال الاوزاعي التجسس البحث عن الشيء ، والتحسس الاستماع إلى حديث القوم وهم له كارهون أو يتسمع على أبوابهم والتدابر الصرم . رواه ابن أبي حاتم عنه

وقوله تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضا) فيه نهي عن الغيبة وقد فسرها الشارع كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود حدثنا القعنبي حدثنا عبد العزيز بن محمد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال: قيل يارسول الله ماالغيبة ؟ قال ﷺ « ذكرك أخاك بما يكره » قيل أفرأيت إن كان في أخي ماأقول قال ﷺ « إن كان فيه ماتقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ماتقول فقد بهته » ورواه الترمذي عن قتيبة عن الدراوردي به وقال حسن صحيح ، ورواه ابن جرير عن بندار عن غندر عن شعبة عن العلاء ، وهكذا قال ابن عمر رضي الله عنهما ومسروق وقتادة وأبو اسحاق ومعاوية بن قرة

وقال أبو داود حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان حدثني علي بن الاقمر عن أبي حذيفة عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت للنبي ﷺ حسبك من صفية كذا وكذا ، قال غير مسدد تعني قصيرة فقال ﷺ « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته » قالت وحكيت له انسانا فقال ﷺ « ماأحب اني حكيت انسانا وان لي كذا وكذا » ورواه الترمذي من حديث يحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي ووكيع ثلاثتهم عن سفيان الثوري عن علي بن الاقمر عن أبي حذيفة سلمة بن صهيبة الارحبي عن عائشة رضي الله عنها به وقال حسن صحيح

رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال « يامعشر من آمن بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله » قال ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك . وقال زيد بن وهب قيل لابن مسعود هل لك في الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمراً ؟ فقال انا قد نهينا عن التجسس ، فان يظهر لنا شيئا نأخذه به ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا ﴾ يقول لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه

أخبرنا ابو عبد الله محمد بن الفضل الحرقي أنا ابو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبدالله ابن عمر الجوهري ثنا احمد بن علي الكشميهني ثنا علي بن حجر ثنا اسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « أتدرون ماالغيبة ؟ـ قالوا الله ورسوله أعلم قال ـ ذكرك أخاك بما يكره » قيل أفرأيت ان كان في أخي ماأقول . قال « إن كان فيه ماتقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته »

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا ابو الطاهر الحارثي أنا محمد بن يعقوب الكسائي

وقال ابن جرير حدثني ابن أبي الشوارب حدثنا عبدالواحد بن زياد حدثنا سليمان الشيباني حدثنا حسان بن الحارق أن امرأة دخلت على عائشة رضي الله عنها فلما قامت لتخرج أشارت عائشة رضي الله عنها بيدها إلى النبي ﷺ الى انها قصيرة فقال النبي ﷺ « اغتبتيها » والغيبة محرمة بالاجماع ولا يستثنى من ذلك إلا مارجحت مصلحته كما في الجرح والتعديل والنصيحة كقوله ﷺ لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر « ائذنوا له وبئس أخو العشيرة » وكقوله ﷺ لفاطمة بنت قيس رضي الله عنها وقد خطبها معاوية وأبو الجهم « أما معاوية فصعلوك ، وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه » وكذا ماجرى مجرى ذلك ، ثم بقيتها على التحريم الشديد وقد ورد فيها الزجر الاكيد ولهذا شبهها تبارك وتعالى بأكل اللحم من الانسان الميت كما قال عز وجل (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) أي كما تكرهون هذا طبعا فاكرهوا ذاك شرعا فان عقوبته أشد من هذا ، وهذا من التنفير عنها والتحذير منها كما قال ﷺ في العائد في هبته « كالكلب يقيء ثم يرجع في قيئه » وقد قال « ليس لنا مثل السوء » وثبت في الصحاح والحسان والمسانيد من غير وجه أنه ﷺ قال في خطبة حجة الوداع « ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا »

وقال ابو داود حدثنا واصل بن عبدالاعلى حدثنا أسباط بن محمد عن هشام بن سعد عن زيد ابن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه ، حسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم » ورواه الترمذي عن عبيد بن أسباط ابن محمد عن أبيه به وقال حسن غريب

وحدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا الاسود بن عامر حدثنا ابو بكر بن عياش عن الاعمش عن سعيد بن عبد الله بن خديج عن أبي برزة الاسلمي قال : قال رسول الله ﷺ « يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لاتغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته » تفرد به أبوداود وقد روي من حديث البراء بن عازب

فقال الحافظ ابو يعلى في مسنده حدثنا ابراهيم بن دينار حدثنا مصعب بن سلام عن حمزة بن حبيب الزيات عن أبي إسحاق السبيعي عن البراء بن عازب [رض] قال خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في بيوتها أو قال في خدورها فقال « يامعشر من آمن بلسانه لاتغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته »

﴿ طريق أخرى ﴾ عن ابن عمر قال ابو بكر أحمد بن ابراهيم الاسماعيلي حدثنا عبدالله بن ناجية

أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده انهم ذكروا عند رسول الله ﷺ رجلا فقالوا لا يأكل حتى

حدثنا يحيى بن أكثم حدثنا الفضل بن موسى الشيباني عن الحسين بن واقد عن أوفى بن دلهم عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « يامعشر من آمن بلسانه ولم يفض الايمان إلى قلبه لاتغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله » قال ونظر ابن عمر يوما إلى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك

قال ابوداود حدثناحيوة بن شريح حدثنا قتيبة عن ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن وقاص ابن ربيعة عن المستورد أنه حدثه أن النبي (ص) قال « من أكل برجل مسلم أكلة فان الله يطعمه مثلها في جهنم ، ومن كسي ثوبا برجل مسلم فان الله يكسوه مثله في جهنم ، ومن قام برجل مقام سمعة ورياء فان الله تعالى يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة » تفرد به ابوداود، وحدثنا ابن مصفى حدثنا بقية وابو المغيرة حدثنا صفوان حدثني راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص) « لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم قلت من هؤلاء ياجبرائيل ؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم » تفرد به ابوداود وهكذا رواه الامام أحمد عن أبي المغيرة عبدالقدوس بن الحجاج الشامي به

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبدة أخبرنا ابو عبد الصمد بن عبد العزيز العمي أخبرنا ابو هارون العبدي عن ابي سعيد الخدري قال قلنا يارسول الله حدثنا مارأيت ليلة أسري بك قال « ثم انطلق بي الى خلق من خلق الله كثير رجال ونساء موكل بهم رجال يعمدون إلى عرض جنب أحدهم فيجذون منه الجذة مثل النعل ثم يضعونها في في أحدهم فيقال له كل كما أكلت وهو يجد من أكله الموت يامحمد لو يجد الموت وهو يكره عليه فقلت ياجبرائيل من هؤلاء قال هؤلاء الهمازون اللمازون أصحاب النميمة فيقال أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وهو يكره على أكل لحمه » هكذا أورد هذا الحديث وقد سقناه بطوله في أول تفسير سورة سبحان ولله الحمد والمنة

وقال ابو داود الطيالسي في مسنده حدثنا الربيع عن يزيد عن أنس أن رسول الله [ص] أمر الناس أن يصوموا يوما ولا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس فلما أمسوا جعل الرجل يجيء إلى رسول الله [ص] فيقول ظللت منذ اليوم صائما فائذن لي فأفطر فيأذن له ويجيء الرجل فيقول ذلك فيأذن له حتى جاء رجل فقال يارسول الله ان امرأتين من أهلك ظلتا منذ اليوم صائمتين فائذن لهما فليفطرا فأعرض عنه ثم أعاد فقال رسول الله [ص] « ماصامتا وكيف صام من ظل يأكل من لحوم

يعظم ولا يرحل حتى يرحل فقال النبي ﷺ « اغتبتموه » فقالوا انما حدثنا بما فيه قال « حسبك إذا ذكرت أخاك بما فيه »

قوله عز وجل ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ﴾ قال مجاهد لما قيل لهم أيحب

الناس اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين أن يستقيئا ففعلتا فقاءت كل واحدة منهما علقة فأتى النبي [ص] فأخبره فقال رسول الله [ص] «لو ماتتا وهما فيهما لأكلتهما النار» إسناد ضعيف ومتن غريب

وقد رواه الحافظ البيهقي من حديث يزيد بن هارون حدثنا سليمان التيمي قال سمعت رجلا يحدث في مجلس أبي عثمان النهدي عن عبيد مولى رسول الله (ص) ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله (ص) وان رجلا أتى رسول الله [ص] فقال يا رسول الله ان ههنا امرأتين صامتا وانهما كادتا تموتان من العطش أراه قال بالهاجرة فأعرض عنه أو سكت عنه فقال يانبي الله انهما والله قد ماتتا أو كادتا تموتان فقال «ادعهما» فجاءتا قال فجيء بقدح أو عس فقال لاحداهما «قيئي» فقاءت من قيح ودم وصديد حتى قاءت نصف القدح ثم قال للاخرى «قيئي» فقاءت قيحا ودما وصديدا ولحما ودما عبيطا وغيره حتى ملأت القدح ثم قال «ان هاتين صامتا عما احل الله تعالى لهما وأفطرتا على ماحرم الله عليهما جلست احداهما الى الاخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس»

وهكذا رواه الامام أحمد عن يزيد بن هارون وابن أبي عدي كلاهما عن سليمان بن صوعان التيمي بمثله أو نحوه ، ثم رواه أيضا من حديث مسدد عن يحيى القطان عن عثمان بن غياث حدثني رجل أظنه في حلقة أبي عثمان عن سعد مولى رسول الله [ص] انهم أمروا بصيام فجاء رجل في نصف النهار فقال: يارسول الله فلانة وفلانة قد بلغتا الجهد فأعرض عنه مرتين أو ثلاثا ثم قال «ادعهما» فجاء بعس أو قدح فقال لاحداهما «قيئي» فقاءت لحما ودما عبيطا وقيحا وقال للاخرى مثل ذلك ثم قال «ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ماحرم الله عليهما ، أتت احداهما الاخرى فلم تزالا تأكلان لحوم الناس حتى امتلأت أجوافهما قيحا» قال البيهقي كذا قال عن سعد والاول وهو عبيد أصح

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد حدثنا أبي ثنا أبو عاصم حدثنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير عن ابن عمر (١) لابي هريرة ان ماعزا جاء الى رسول الله [ص] فقال يارسول الله اني قد زنيت فأعرض عنه حتى قالها أربعا فلما كان في الخامسة قال «زنيت؟» قال نعم قال «وتدري ما الزنا؟» قال نعم أتيت منها حراما مايأتي الرجل من امرأته حلالا قال «ماتريد الى هذا القول؟» قال أريد أن تطهرني قال فقال رسول الله [ص] «أدخلت ذلك منك في ذلك منها كما يغيب الميل في المكحلة والرشا في البئر؟» قال نعم يارسول الله قال فأمر برجمه فرجم فسمع النبي [ص] رجلين يقول أحدهما لصاحبه ألم تر الى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب ثم سار النبي [ص] حتى مر بجيفة حمار

(١) عمر بتشديد الميم مبني للمجهول

أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا؟ قالوا لا قيل فكرهتموه أي فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا قال الزجاج تأويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحم أخيك وهو ميت لا يحس بذلك.

أخبرنا احمد بن ابراهيم الشريحي أنا ابو اسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن أبي شيبة

فقال «أين فلان وفلان؟ انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار» قالا غفر الله لك يارسول الله وهل يؤكل هذا؟ قال صلى الله عليه وسلم «فما نلتما من أخيكما آنفا أشد أكلا منه والذي نفسي بيده انه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها» اسناد صحيح

وقال الامام احمد حدثنا عبد الصمد حدثني أبي حدثنا واصل مولى ابن عيينة حدثني خالد بن عرفطة عن طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله (رض) قال كنا مع النبي (ص) فارتفعت ريح جيفة منتنة فقال رسول الله ﷺ «أتدرون ماهذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون الناس؟»

﴿طريق أخرى﴾ قال عبد بن حميد في مسنده حدثنا ابراهيم بن الاشعث حدثنا الفضيل بن عياض عن سليمان عن أبي سفيان وهو طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال كنا مع النبي [ص] في سفر فهاجت ريح منتنة فقال النبي ﷺ «ان نفرا من المنافقين اغتابوا اناسا من المسلمين فلذلك بعثت هذه الريح» وربما قال «فلذلك هاجت هذه الريح»

وقال السدي في قوله تعالى (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا؟) زعم ان سلمان الفارسي [رض] كان مع رجلين من أصحاب النبي ﷺ في سفر يخدمهما ويخف بهما وينال من طعامهما وان سلمان [رض] لما سار الناس ذات يوم وبقي سلمان [رض] نائما لم يسر معهم فجعل صاحباه يكلماه فلم يجداه فضربا الخباء فقالا مايريد سلمان أو هذا العبد شيئا غير هذا أن يجيء الى طعام مقدور وخباء مضروب فلما جاء سلمان أرسلاه الى رسول الله ﷺ يطلب لهما اداما فانطلق فأتى رسول الله ﷺ ومعه قدح له فقال يارسول الله بعثني أصحابي لتؤدمهم ان كان عندك قال [ص] «مايصنع أصحابك بالادم؟ قد ائتدموا» فرجع سلمان [رض] يخبرهما بقول رسول الله ﷺ فانطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ فقالا والذي بعثك بالحق ماأصبنا طعاما منذ نزلنا قال رسول الله ﷺ «انكما قد ائتدمتما بسلمان بقولكما» قال ونزلت [أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا؟] انه كان نائما

(1) وروى الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المختار من طريق حسان بن هلال عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كانت العرب تخدم بعضها بعضا في الاسفار وكان مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما رجل يخدمهما فناما فاستيقظا ولم يهيء لهما طعاما فقالا إن هذا النؤوم فأيقظاه فقالا له ائت رسول الله ﷺ فقل له ان أبا بكر وعمر رضي الله عنهما يقرئانك السلام ويستأدمانك فقال ﷺ «أنهما قد ائتدما فجاءا فقالا يارسول بأي شيء ائتدمنا؟ فقال ﷺ «بلحم

(1) هذا الحديث غير موجود في النسخة المكية

ثنا الفريابي ثنا محمد بن المصفى ثنا ابو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج حدثني صفوان بن عمرو ثنا راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم ولحومهم فقلت من هؤلاء ياجبريل؟ فقال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» قال ميمون بن سياه بينا أنا نائم إذا أنا

أخيكما والذي نفسي بيده اني لأرى لحمه بين ثنايا كما » فقالا رضي الله عنهما استغفر لنا يارسول الله فقال ﷺ « مراه فليستغفر لكما »

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا الحكم بن موسى حدثنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق عن عمه موسى بن يسار عن أبي هريرة [رض] قال : قال رسول الله ﷺ « من أكل من لحم أخيه في الدنيا قرب اليه لحمه في الآخرة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا - قال - فيأكله ويكلح ويصيح » غريب جداً

وقوله عز وجل (واتقوا الله) أي فيما أمركم به ونهاكم عنه فراقبوه في ذلك واخشوا منه (إن الله تواب رحيم) أي تواب على من تاب اليه رحيم لمن رجع اليه واعتمد عليه

قال الجمهور من العلماء طريق المغتاب للناس في توبته أن يقلع عن ذلك ويعزم على أن لا يعود وهل يشترط الندم على مافات ؟ فيه نزاع وأن يتحلل من الذي اغتابه

وقال آخرون لا يشترط أن يتحلله فانه اذا أعلمه بذلك ربما تأذى أشد مما إذا لم يعلم بما كان منه فطريقه اذن أن يثني عليه بما فيه في المجالس التي كان يذمه فيها وأن يرد عنه الغيبة بحسبه وطاقته لتكون تلك بتلك كما قال الامام احمد حدثنا أحمد بن الحجاج حدثنا عبدالله أخبرنا يحيى بن أيوب عن عبدالله بن سليمان أن اسماعيل بن يحيى المعافري أخبره أن سهل بن معاذ بن أنس الجهني أخبره عن أبيه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « من حمى مؤمنا من منافق يغتابه بعث الله تعالى اليه ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم ، ومن رمى مؤمنا بشيء يريد سبه حبسه الله تعالى على جسر جهنم حتى يخرج مما قال » وكذا رواه ابوداود من حديث عبدالله وهو ابن المبارك به بنحوه

وقال ابوداود أيضا حدثنا إسحاق بن الصباح حدثنا ابن أبي مريم أخبرنا الليث حدثني يحيى بن سليم أنه سمع اسماعيل بن بشير يقول سمعت جابر بن عبدالله وأباطلحة بن سهل الانصاري رضي الله عنهما يقولان قال رسول الله ﷺ « مامن امريء يخذل امرأ مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله تعالى في مواطن يحب فيها نصرته ، وما من امريء ينصر امرأ مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله عز وجل في مواطن يحب فيها نصرته » تفرد به ابو داود

يا أيها الناس إنا خلقنكم من ذكر وأنثى وجعلنكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقكم إن الله عليم خبير (١٣)

بجيفة زنجي وقائل يقول كل ، قلت ياعبد الله ولم آكل؟ قال بما اغتبت عبد فلان ، فقلت والله ماذكرت فيه خيراً ولا شراً قال لكنك استمعت ورضيت به فكان ميمون لا يغتاب أحداً ولا يدع أحدا أن يغتاب أحداً ﴿ واتقوا الله إن الله تواب رحيم * يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ الآية

يقول تعالى مخبراً للناس أنه خلقهم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وهما آدم وحواء وجعلهم شعوبا وهي أعم من القبائل ، وبعد القبائل مراتب أخر كالفصائل والعشائر والعمائر والافخاذ وغير ذلك ، وقيل المراد بالشعوب بطون العجم وبالقبائل بطون العرب كما ان الاسباط بطون بنى إسرائيل وقد لخصت هذا في مقدمة مفردة جمعتها من كتاب الانباه لابي عمر بن عبدالبر ، ومن كتاب (القصد والامم في معرفة انساب العرب والعجم) فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية الى آدم وحواء عليهما السلام سواء وانما يتفاضلون بالامور الدينية وهي طاعة الله تعالى ومتابعة رسوله ﷺ ولهذا قال تعالى بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضا منبها على تساويهم في البشرية (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) أي ليحصل التعارف بينهم كل يرجع إلى قبيلته ، وقال مجاهد في قوله عز وجل (لتعارفوا) كما يقال فلان بن فلان من كذا وكذا أي من

قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس ، وقوله للرجل الذي لم يتفسح له ابن فلانة يعيره بأمه فقال ﷺ « من الذاكر فلانة؟ » فقال ثابت أنا يارسول الله فقال « انظر في وجوه القوم » فنظر فقال « مارأيت ياثابت ؟ » قال رأيت أبيض وأحمر وأسود قال « فانك لاتفضلهم إلا في الدين والتقوى » فنزلت في ثابت هذه الآية وفي الذي لم يتفسح (يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا) وقال مقاتل لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله ﷺ بلالا حتى علا ظهر الكعبة وأذن فقال عتاب ابن أسيد بن أبي العيص الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم ير هذا اليوم ، قال الحارث بن هشام أما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا ؟ وقال سهيل بن عمرو إن يرد الله شيئا يغيره ، وقال أبو سفيان اني لاأقول شيئا أخاف أن يخبر به رب السماء فأتى جبريل فأخبر رسول الله ﷺ بما قالوا فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا فأنزل الله تعالى هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازدراء بالفقراء فقال (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) يعني آدم وحواء أي انكم متساوون في النسب ﴿ وجعلناكم شعوبا ﴾ جمع شعب بفتح الشين وهي رؤس القبائل مثل ربيعة ومضر والاوس والخزرج سموا شعوبا لتشعبهم واجتماعهم كشعب أغصان الشجر ، والشعب من الاضداد يقال شعب أي جمع وشعب أي فرق ﴿ وقبائل ﴾ وهي دون الشعوب واحدتها قبيلة وهي كبكر من ربيعة وتميم من مضر ، ودون القبائل العمائر واحدتها عمارة بفتح العين وهي كشيبان من بكر ودارم من تميم ، ودون العمائر البطون واحدتها بطن وهي كبني غالب ولؤي من قريش ، ودون البطون الافخاذ واحدتها فخذ وهم كبني هاشم وأمية من بنى لؤي ، ثم الفصائل والعشائر واحدتها فصيلة وعشيرة وليس بعد العشيرة حي يوصف به ، وقيل الشعوب من العجم ، والقبائل من العرب ، والاسباط من بنى اسرائيل ، وقال أبو روق الشعوب من الذين لايعتزون إلى أحد بل ينتسبون إلى المدائن والقرى والقبائل العرب الذين ينتسبون إلى آبائهم ﴿ لتعارفوا ﴾ ليعرف بعضكم بعضاً في قرب النسب وبعده

قبيلة كذا وكذا، وقال سفيان الثوري كانت حمير ينتسبون إلى مخاليفها، وكانت عرب الحجاز ينتسبون إلى قبائلها

وقد قال ابو عيسى الترمذي حدثنا احمد بن محمد حدثنا عبدالله بن المبارك عن عبدالملك بن عيسى الثقفي عن يزيد مولى المنبعث عن أبي هريرة [رض] عن النبي ﷺ قال «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة في الاهل مثراة في المال منسأة في الاثر» ثم قال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه

وقوله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) أي انما تتفاضلون عند الله تعالى بالتقوى لا بالاحساب وقد وردت الاحاديث بذلك عن رسول الله ﷺ

قال البخاري حدثنا محمد بن سلام حدثنا عبدة عن عبيدالله عن سعيد بن أبي سعيد رضي الله عنه عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم؟ قال «أكرمهم عند الله أتقاهم» قالوا ليس عن هذا نسألك قال «فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله» قالوا ليس عن هذا نسألك قال «فعن معادن العرب تسألوني؟ قالوا نعم قال «فخياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا» وقد رواه البخاري في غير موضع من طرق عن عبدة بن سليمان، ورواه النسائي في التفسير من حديث عبيدالله وهو ابن عمر العمري به

﴿حديث آخر﴾ قال مسلم رحمه الله حدثنا عمرو الناقد حدثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن برقان عن يزيد بن الاصم عن ابي هريرة (رض) قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» ورواه ابن ماجه عن احمد بن سنان عن كثير بن هشام به

﴿حديث آخر﴾ وقال الامام احمد حدثنا وكيع عن ابي هلال عن بكر عن ابي ذر [رض] قال ان النبي ﷺ قال له «انظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى الله» تفرد به احمد رحمه الله

﴿حديث آخر﴾ وقال الحافظ ابو القاسم الطبراني حدثنا أبو عبيدة عبدالوارث بن ابراهيم

لا يتفاخروا ثم أخبر أن أرفعهم منزلة عند الله أتقاهم فقال ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير﴾ قال قتادة في هذه الآية ان أكرم الكرم التقوى وألأم اللؤم الفجور

أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم الترابي أنا ابو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه انا ابراهيم بن خزيم الشاشي ثنا عبدالله بن حميد ثنا يونس بن محمد ثنا سلام بن أبي مطيع عن قتادة عن الحسن عن سمرة ابن جندب قال: قال رسول الله ﷺ «الحسب المال، والكرم التقوى» قال ابن عباس كرم الدنيا الغنى، وكرم الآخرة التقوى

العسكري حدثنا عبدالرحمن بن عمرو بن جبلة حدثنا عبيد بن حنين الطائي سمعت محمد بن حبيب بن خراش العصري يحدث عن أبيه رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « المسلمون اخوة لافضل لأحد على أحد إلا بالتقوى »

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابو بكر البزار في مسنده حدثنا احمد بن يحيى الكوفي حدثنا الحسن بن الحسين حدثنا قيس يعني ابن الربيع عن شبيب بن عرقدة عن المستظل بن حصين عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان » ثم قال لا نعرفه عن حذيفة إلا من هذا الوجه

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا يحيى بن زكريا القطان حدثنا موسى بن عبيدة عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال طاف رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته القصواء يستلم الاركان بمحجن في يده فما وجد لها مناخا في المسجد حتى نزل ﷺ على أيدي الرجال فخرج بها إلى بطن المسيل فأنيخت ثم ان رسول الله ﷺ خطبهم على راحلته فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال « يا أيها الناس ان الله تعالى قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعظمها بآبائها فالناس رجلان رجل بر تقي كريم على الله تعالى، ورجل فاجر شقي هين على الله تعالى ان الله عز وجل يقول (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) ثم قال ﷺ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم » هكذا رواه عبد بن حميد عن أبي عاصم الضحاك عن مخلد عن موسى بن عبيدة به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح عن عقبة بن عامر رضي الله عنهما قال ان رسول الله ﷺ قال « ان أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحد كلكم بنو آدم طف الصاع لم يملوه، ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين وتقوى

أخبرنا ابو بكر بن ابي الهيثم انا عبد الله بن أحمد بن حمويه انا ابراهيم بن خزيم ثنا عبد الله بن حميد أنا الضحاك بن مخلد عن موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر « ان النبي ﷺ طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركان بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على أيدي الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال « الحمد لله الذي أذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها بآبائها انما الناس رجلان بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم تلا يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى - ثم قال - أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم »

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا محمد هو ابن سلام ثنا عبدة عن عبيد الله عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال « سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم؟ قال « أكرمهم عند الله أتقاهم » قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال « فأكرم

وكفى بالرجل أن يكون بذيا بخيلا فاحشا » وقد رواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن ابن لهيعة به ولفظه « الناس لآدم وحواء طف الصاع لم يملوه ان الله لا يسألكم عن أحسابكم ولا عن أنسابكم يوم القيامة ان أكرمكم عند الله أتقاكم » وليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا احمد بن عبد الملك حدثنا شريك عن سماك عن عبد الله بن عميرة زوج درة بنت أبي لهب عن درة بنت أبي لهب [رض] قالت قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر فقال يارسول الله أي الناس خير ؟ قال ﷺ « خير الناس أقرأهم وأتقاهم لله عز وجل وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم »

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو الاسود عن القاسم بن محمد عن عائشة [رض] قالت ماأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من الدنيا ولا أعجبه أحد قط إلا ذو تقى . تفرد به أحمد

وقوله تعالى (إن الله عليم خبير) أي عليم بكم خبير بأموركم فيهدي من يشاء ويضل من يشاء ويرحم من يشاء ويعذب من يشاء ويفضل من يشاء على من يشاء وهو الحكيم العليم الخبير في ذلك كله

وقد استدل بهذه الآية الكريمة وهذه الاحاديث الشريفة من ذهب من العلماء إلى أن الكفاءة في النكاح لاتشترط ولا يشترط سوى الدين لقوله تعالى (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) وذهب الآخرون إلى أدلة أخرى مذكورة في كتب الفقه وقد ذكرنا طرفا من ذلك في [كتاب الاحكام] ولله الحمد والمنة

وقد روى الطبراني عن عبد الرحمن انه سمع رجلا من بني هاشم يقول أنا أولى الناس برسول الله ﷺ فقال غيره أنا أولى به منك ولي منه نسبة

قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولـٰكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمٰن في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمـٰلكم شيئا ، إن الله غفور رحيم (١٤) إنما المؤمنون

الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله » قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال « فعن معادن العرب تسألوني؟ » قالوا : نعم ، قال « فخياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا »

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا عمرو الناقد ثنا كثير بن هشام ثنا جعفر بن برقان عن يزيد بن الاصم عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم »

قوله تعالى ﴿ قالت الاعراب آمنا ﴾ الآية نزلت في نفر من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله ﷺ في سنة جدبة فأظهروا الاسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر فافسدوا طرق المدينة بالقذرات

الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم

الصدقون (١٥) قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموت وما في الارض والله بكل

شيء عليم (١٦) يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلمكم بل الله يمن عليكم أن

هدئكم للايمن إن كنتم صدقين (١٧) إن الله يعلم غيب السموت والارض والله بصير

بما تعملون (١٨)

يقول تعالى منكراً على الاعراب الذين أول ما دخلوا في الاسلام ادعوا لأنفسهم مقام الايمان ولم يتمكن الايمان في قلوبهم بعد (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم) وقد استفيد من هذه الآية الكريمة ان الايمان أخص من الاسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ويدل عليه حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حين سأل عن الاسلام ثم عن الايمان ثم عن الاحسان فترقى من الاعم إلى الاخص ثم للاخص منه

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن ابيه [رض] قال أعطى رسول الله ﷺ رجالا ولم يعط رجلا منهم شيئا فقال سعد [رض] يا رسول الله أعطيت فلانا وفلانا ولم تعط فلانا شيئا وهو مؤمن فقال النبي [ص] «أو مسلم» حتى أعادها سعد [رض] ثلاثا والنبي (ص) يقول «أو مسلم» ثم قال النبي (ص) «اني لأعطي رجالا وأدع من هو احب إلي منهم فلم أعطه شيئا مخافة أن يكبوا في النار على وجوههم» أخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري به فقد فرق النبي (ص) بين المؤمن والمسلم فدل على أن الايمان أخص من الاسلام وقد قررنا ذلك

وأغلوا اسعارها وكانوا يغدون ويروحون الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والعيال والذراري ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمنون على النبي صلى الله عليه وسلم ويريدون الصدقة ويقولون أعطنا فأنزل الله فيهم هذه الآية ، وقال السدي نزلت في الاعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح وهم أعراب من جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا يقولون آمنا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم فلما استنفروا الى الحديبية تخلفوا فأنزل الله عز وجل هذه الآية فيهم قالت الاعراب آمنا صدقنا ﴿قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ انقدنا واستسلمنا مخافة القتل والسبي ﴿ولما يدخل الايمان في قلوبكم﴾ فأخبر ان حقيقة الايمان التصديق بالقلب وان الاقرار باللسان وإظهار شرائعه بالابدان لا يكون إيمانا دون التصديق بالقلب والاخلاص

بأدلته في أول شرح كتاب الايمان من صحيح البخاري ولله الحمد والمنة . ودل ذلك على أن ذاك الرجل كان مسلما ليس منافقا لانه تركه من العطاء ووكله إلى ما هو فيه من الاسلام فدل هذا على أن هؤلاء الاعراب المذكورين في هذه الآية ليسوا بمنافقين وانما هم مسلمون لم يستحكم الايمان في قلوبهم فادعوا لأنفسهم مقاما أعلى مما وصلوا اليه فأدبوا في ذلك، وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما وابراهيم النخعي وقتادة واختاره ابن جرير ، وانما قلنا هذا لان البخاري رحمه الله ذهب إلى أن هؤلاء كانوا منافقين يظهرون الايمان وليسوا كذلك

وقد روي عن سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد انهم قالوا في قوله تبارك وتعالى [ولكن قولوا أسلمنا] اي استسلمنا خوف القتل والسبي ، قال مجاهد نزلت في بني أسد بن خزيمة ، وقال قتادة نزلت في قوم امتنوا بايمانهم على رسول الله ﷺ والصحيح الاول انهم قوم ادعوا لانفسهم مقام الايمان ولم يحصل لهم بعد فأدبوا وأعلموا ان ذلك لم يصلوا اليه بعد ، ولو كانوا منافقين لعنفوا وفضحوا كما ذكر المنافقون في سورة براءة وانما قيل لهؤلاء تأديبا [قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم] أي لم تصلوا الى حقيقة الايمان بعد

ثم قال تعالى [وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا] اي لا ينقصكم من اجوركم شيئا كقوله عزوجل [وما ألتناهم من عملهم من شيء] وقوله تعالى [ان الله غفور رحيم] أي لمن تاب اليه وأناب

اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا محمد بن غرير الزهري ثنا يعقوب بن ابراهيم عن أبيه عن صالح عن ابن شهاب أخبرني عامر ابن سعد عن أبيه قال « أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا وأنا جالس فيهم قال فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم رجلا لم يعطه وهو أعجبهم إلي فقمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساررته فقلت مالك عن فلان والله اني لأراه مؤمنا ؟ قال « أو مسلما » قال فسكت قليلا ثم غلبني ما أعلم منه فقلت يارسول الله مالك عن فلان فوالله إني لاراه مؤمنا ؟ قال « أو مسلما » فسكت قليلا ثم غلبني ما أعلم منه فقلت يارسول الله مالك عن فلان فوالله اني لأراه مؤمنا ؟ قال « أو مسلما » قال « إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكب في النار على وجهه » فالاسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة يقال أسلم الرجل اذا دخل في السلم كما يقال أشتى الرجل إذا دخل في الشتاء وأصاف إذا دخل في الصيف وأربع اذا دخل في الربيع فمن الاسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والجنان كقوله عز وجل لابراهيم عليه السلام [أسلم قال أسلمت لرب العالمين] ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله [ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم] « وان تطيعوا الله ورسوله » ظاهراً وباطنا سراً وعلانية قال ابن عباس تخلصوا الايمان « لا يلتكم » قرأ أبو عمرو يألتكم بالالف كقوله تعالى [وما ألتناكم] والآخرون بغير الف وهما لغتان معناهما لا ينقصكم يقال ألت يألت ألتا

وقوله تعالى (إنما المؤمنون) أي إنما المؤمنون الكمل (الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) أي لم يشكوا ولا تزلزلوا بل ثبتوا على حال واحدة وهي التصديق المحض (وجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله) أي وبذلوا مهجهم ونفائس أموالهم في طاعة الله ورضوانه (أولئك هم الصادقون) أي في قولهم اذا قالوا إنهم مؤمنون لا كبعض الاعراب الذين ليس لهم من الايمان إلا الكلمة الظاهرة

وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن غيلان حدثنا رشدين حدثنا عمرو بن الحارث عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال إن النبي ﷺ قال « المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاء : الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، والذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم ، والذي اذا أشرف على طمع تركه لله عز وجل »

وقوله سبحانه وتعالى (قل أتعلمون الله بدينكم) أي أتخبرونه بما في ضمائركم (والله يعلم ما في السموات وما في الارض) أي لا يخفى عليه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر (والله بكل شيء عليم)

ثم قال تعالى (يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم) يعني الاعراب الذين يمنون باسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم على الرسول ﷺ يقول الله ردا عليهم (قل لا تمنوا علي اسلامكم) فان نفع ذلك إنما يعود عليكم ولله المنة عليكم فيه (بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين) أي في دعواكم ذلك كما قال النبي ﷺ للانصار يوم حنين « يامعشر الانصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ، وكنتم عالة فاغناكم الله بي » كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله أمن

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا يحيى بن سعيد الاموي عن محمد بن قيس عن أبي عون عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاءت بنو أسد الى رسول الله ﷺ فقالوا يارسول الله أسلمنا وقاتلتك العرب ولم نقاتلك فقال رسول الله ﷺ « إن فقههم قليل وان الشيطان ينطق على ألسنتهم » ونزلت هذه الآية [يمنون عليك أن أسلموا

ولات يليت ليتا إذا نقص ﴿ من أعمالكم شيئا ﴾ أي لا ينقص من ثواب أعمالكم شيئا ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ ثم بين حقيقة الايمان فقال ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ لم يشكوا في دينهم ﴿ وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ في إيمانهم فلما نزلت هاتان الآيتان أتت الاعراب رسول الله ﷺ يحلفون بالله انهم مؤمنون صادقون وعرف الله غير ذلك منهم فأنزل الله عز وجل ﴿ قل أتعلمون الله بدينكم ﴾ والتعليم هنا بمعنى الاعلام ولذلك قال بدينكم وأدخل الباء فيه يقول أتخبرون الله بدينكم الذي أنتم عليه ﴿ والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم ﴾ أي لا يحتاج الى اخباركم ﴿ يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا

قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين] ثم قال لانعلمه يروى إلا من هذا الوجه ولا نعلم روى أبو عون محمد بن عبيد الله عن سعيد بن جبير غير هذا الحديث ثم كرر الاخبار بعلمه بجميع الكائنات وبصره باعمال المخلوقات فقال [إن الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون]

(آخر تفسير سورة الحجرات ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة)

تفسير سورة ق وهى مكية

هذه السورة هي أول الحزب المفصل على الصحيح وقيل من الحجرات، وأما مايقوله العوام إنه من (عم) فلا أصل له ولم يقله أحد من العلماء رضي الله عنهم المعتبرين فيما نعلم. والدليل على أن هذه السورة هي أول المفصل مارواه أبو داود في سننه باب تحزيب القرآن ثم قال حدثنا مسدد حدثنا قراب بن تمام ح وحدثنا عبد الله بن سعيد أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد ثنا سليمان بن حبان وهذا لفظه عن عبد الله ابن عبد الرحمن بن يعلى عن عثمان بن عبد الله بن أوس عن جده قال عبد الله بن سعيد حدثنيه أوس بن حذيفة ثم اتفقا قال قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف قال فنزلت الاحلاف على المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وأنزل رسول الله ﷺ بني مالك في قبة له قال مسدد وكان في الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من ثقيف قال كان رسول الله [ص] كل ليلة يأتينا بعد العشاء يحدثنا قال أبو سعيد قائما على رجليه حتى يراوح بين رجليه من طول القيام فأكثر مايحدثنا [ص] مالقي من قومه قريش ثم يقول [ص] « لاأساء وكنا مستضعفين مستذلين - قال مسدد بمكة - فلما خرجنا الى المدينة كانت الحرب سجالا بيننا وبينهم ندال عليهم ويدالون علينا» فلما كانت ليلة أبطأ عنا ﷺ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه فقلنا لقد ابطأت علينا الليلة قال ﷺ « إنه طرأ علي حزبي من القرآن فكرهت أن أجيء حتى أتمه »

قال أوس سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يحزبون القرآن فقالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع واحدى عشرة وثلاث عشرة ، وحزب المفصل وحده ، ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي خالد الاحمر به ورواه الامام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي عن عبد الله بن عبد الرحمن هو ابن يعلى الطائفي به ، اذا علم هذا فاذا عددت ثمانيا وأربعين سورة فالتي بعدهن سورة ق

بيانه ثلاث : البقرة ، آل عمران والنساء وخمس : المائدة والانعام والاعراف والانفال وبراءة

على اسلامكم) أي باسلامكم (بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان) وفي مصحف عبد الله (اذ هداكم للايمان) (ان كنتم صادقين) انكم مؤمنون (ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون) قرأ ابن كثير بالياء وقرأ الآخرون بالتاء.

وسبع : يونس وهود ويوسف والرعد وابراهيم والحجر والنحل ، وتسع : سبحان والكهف ومريم وطه والانبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان، وأحد عشرة : الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان والم السجدة والاحزاب وسبأ وفاطر ويس ، وثلاث عشرة : الصافات وص والزمر وغافر وحم السجدة وحم عسق والزخرف والدخان والجاثيــة والاحقاف والقتال والفتح والحجرات ثم بعد ذلك الحزب المفصل كما قاله الصحابة رضي الله عنهم فتعين أن أوله سورة ق وهو الذي قلنا ولله الحمد والمنة

قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا مالك عن ضمرة بن سعيد عن عبد الله ابن عبد الله أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي ماكان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدقال بقاف واقتربت ورواه مسلم وأهل السنن الاربعة من حديث مالك به وفي رواية لمسلم عن مالك عن ضمرة عن عبد الله عن أبي واقد قال سألني عمر رضي الله عنه فذكره

﴿ حديث آخر ﴾ وقال أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي ثنا ابن اسحاق حدثني عبد الله بن محمد ابن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن أم هشام بنت حارثة قالت لقد كان تنورنا وتنور النبي ﷺ واحدا سنتين أو سنة وبعض سنة وماأخذت (ق والقرآن المجيد) إلا على لسان رسول الله ﷺ كان يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر اذا خطب الناس رواه مسلم من حديث ابن اسحاق به ، وقال أبو داود حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن حبيب بن عبد الله بن محمد بن معن عن ابنه الحارث بن النعمان قالت ماحفظت ق إلا من في رسول الله ﷺ يخطب بها كل جمعة قالت وكان تنورنا وتنور رسول الله (ص) واحدا وكذا رواه مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث شعبة به ، والقصد أن رسول الله (ص) كان يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار كالعيد والجمع لاشتمالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور والمعاد والقيام والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب والترغيب والترهيب والله أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قٓ والقرآن المجيد (١) بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكـٰفرون هذا شيء

﴿سورة ق مكية وهي خمس واربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ ق ﴾ قال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم السورة وقيـل هو اسم من أسماء القرآن وقال

عجيب (٢) أءذا متنا وكنا ترابا؟ ذلك رجع بعيد (٣) قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتب حفيظ (٤) بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج (٥)

(ق) حرف من حروف الهجاء المذكورة في أول السور كقوله تعالى (ص - ون - والم - وحم وطس) ونحو ذلك قاله مجاهد وغيره وقد أسلفنا الكلام عليها في أول سورة البقرة بما أغنى عن اعادته وقد روي عن بعض السلف أنهم قالوا ق جبل محيط بجميع الارض يقال له جبل قاف، وكأن هذا والله أعلم من خرافات بني اسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب، وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم يلبسون به على الناس أمر دينهم كما افتري في هذه الامة مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها أحاديث عن النبي ﷺ وما بالعهد من قدم فكيف بأمة بني اسرائيل مع طول المدى وقلة الحفاظ النقاد فيهم وشربهم الخمور وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه وتبديل كتب الله وآياته، وانما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله «وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج» فيما قد يجوزه العقل فأما فيما تحيله العقول ويحكم فيه بالبطلان ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل والله أعلم

وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين وكذا طائفة كثيرة من الخلف من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد وليس بهم احتياج إلى أخبارهم ولله الحمد والمنة حتى ان الامام أبا محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي رحمة الله عليه أورد ههنا أثراً غريبا لا يصح سنده عن ابن عباس رضي الله عنهما فقال حدثنا أبي قال حدثت عن محمد بن اسماعيل المخزومي حدثنا ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خلق الله تبارك وتعالى من وراء هذه الارض بحراً محيطا بها ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلا يقال له قاف سماء الدنيا مرفوعة عليه ثم خلق الله تعالى من وراء ذلك الجبل أرضا مثل تلك الارض سبع مرات، ثم خلق من وراء ذلك بحراً محيطا بها، ثم خلق من وراء ذلك جبلا يقال له قاف السماء الثانية مرفوعة عليه حتى عد سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة أجبل وسبع سموات قال وذلك قوله تعالى (والبحر يمده من سبعة أبحر) فاسناد هذا الاثر فيه انقطاع. والذي رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل (ق) هو اسم من أسماء الله عز وجل، والذي ثبت عن مجاهد أنه حرف من حروف الهجاء كقوله تعالى [ص - ن - حم - طس - الم] ونحو ذلك فهذه تبعد ما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل

القرطبي هو مفتاح اسمه القدير والقادر والقاهر والقريب والقابض وقال عكرمة والضحاك هو جبل محيط بالارض من زمردة خضراء منه خضرة السماء والسماء مقبية عليه وعليه كنفاها ويقال هو وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة، وقيل معناه قضي الامر أو قضي ما هو كائن كما

المراد قضي الامر والله وأن قوله جل ثناؤه ق دلت على المحذوف من بقية الكلمة كقول الشاعر :

* قلت لهـا قفي فقالت ق * وفي هذا التفسير نظر لان الحذف في الكلام انما يكون اذا دل دليل عليه ومن أين يفهم هذا من ذكر هذا الحرف.

وقوله تعالى (والقرآن المجيد) أي الكريم العظيم الذي [لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد] واختلفوا في جواب القسم ماهو فحكى ابن جرير عن بعض النحاة أنه قوله تعالى [قد علمنا ماتنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ] وفي هـذا نظر بل الجواب هو مضمون الكلام بعد القسم وهو اثبات النبوة واثبات المعاد وتقريره وتحقيقه وإن لم يكن القسم يتلقى لفظا وهذا كثير في أقسام القرآن كما تقدم في قوله [ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق] وهكذا قال ههنا (ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هـذا شيء عجيب) أي تعجبوا من ارسال رسول اليهم من البشر كقوله جل جلاله [أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس] أي وليس هذا بعجيب فان الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس . ثم قال عز وجل مخبراً عنهم في تعجبهم أيضاً من المعاد واستبعادهم لوقوعه [أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد] أي يقولون أئذا متنا وبلينا وتقطعت الاوصال منا وصرنا ترابا كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلى هذه البنية والتركيب (ذلك رجع بعيد) أي بعيد الوقوع ، والمعنى أنهم يعتقدون استحالته وعدم امكانه قال الله تعالى راداً عليهم (قد علمنا ماتنقص الارض منهـم) أي ماتأكل من أجسادهم في البلى نعلم ذلك ولا يخفى علينا أين تفرقت الابدان وأين ذهبت وإلى أين صارت (وعندنا كتاب حفيظ) أى حافظ لذلك فالعلم شامل والكتاب أيضاً فيه كل الاشياء مضبوطة

قالوا في حم ﴿ والقرآن المجيد ﴾ الشريف الكريم على الله الكثير الخير ، واختلفوا في جواب هذا القسم فقال أهل الكوفة جوابه بل عجبوا وقيل جوابه محذوف مجازه والقرآن المجيد لتبعثن وقيل جوابه قوله ما يلفظ من قول وقيل قد علمنا وجوابات القسم سبعة ان الشديدة كقوله [والفجر وليال عشر ـ ان ربك لبالمرصاد] وما النفي كقوله [والضحى ـ ماودعك ربك] واللام المفتوحة كقوله [فوربك لنسألنهم أجمعين] وان الخفيفة كقوله تعالى [تالله ان كنا لفي ضلال مبين] ولا كقوله [وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت] وقد كقوله تعالى [والشمس وضحاها ـ قد أفلح من زكاها] وبل كقوله والقرآن المجيد ﴿ بل عجبوا أن جاءهم منذر ﴾ مخوف ﴿ منهم ﴾ يعرفون نسبه وصدقه وأمانته ﴿ فقال الكافرون هذا شيء عجيب ﴾ غريب ﴿ أئذا متنا وكنا ترابا ﴾ نبعث ترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه ﴿ ذلك رجع ﴾ أي رد الى الحياة ﴿ بعيد ﴾ غير كائن اي يبعد أن نبعث بعد الموت

قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (قد علمنا ماتنقص الارض منهم) أي ماتأكل من لحومهم وأبشارهم، وعظامهم وأشعارهم ، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغيرهم ثم بين تبارك وتعالى سبب كفرهم وعنادهم واستبعادهم ماليس ببعيد فقال (بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج) أي وهذا حال كل من خرج عن الحق مهما قال بعد ذلك فهو باطل والمريج المختلف المضطرب الملتبس المنكر حلاله كقوله تعالى انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك)

أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنينٰها وزينٰها وما لها من فروج (٦) والارض مددنٰها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج (٧) تبصرةً وذكرى لكل عبد منيب (٨) ونزّلنا من السماء ماء مبٰركا فأنبتنا به جنٰت وحب الحصيد (٩) والنخلَ باسقٰت لها طلع نضيد (١٠) رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج (١١)

يقول تعالى منبها للعباد على قدرته العظيمة التي أظهر بها ماهو أعظم مما تعجبوا مستبعدين لوقوعه (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها) أي بالمصابيح (وما لها من فروج) قال مجاهد يعني من شقوق ، وقال غيره فتوق ، وقال غيره صدوع والمعنى متقارب كقوله تبارك وتعالى [الذي خلق سبع سموات طباقا ماترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير] أي كليل عن أن يرى عيبا أو نقصا

وقوله تبارك وتعالى (والارض مددناها) أي وسعناها وفرشناها (وألقينا فيها رواسي) وهي الجبال لئلا تميد بأهلها وتضطرب فانها مقرة على تيار الماء المحيط بها من جميع جوانبها (وأنبتنا فيها من

قال الله عز وجل { قد علمنا ما تنقص الارض منهم } أي ماتأكل من لحومهم ودمائهم وعظامهم لايعزب عن علمه شيء قال السدي هو الموت يقول قد علمنا من يموت منهم ومن يبقى { وعندنا كتاب حفيظ } محفوظ من الشياطين ومن أن يدرس ويتغير وهو اللوح المحفوظ وقيل حفيظ أي حافظ لعدتهم وأسمائهم { بل كذبوا بالحق } بالقرآن { لما جاءهم فهم في أمر مريج } مختلط قال سعيد ابن جبير ومجاهد ملتبس قال قتادة في هذه الآية من ترك الحق مرج عليه أمره والتبس عليه دينه وقال الحسن ما ترك قوم الحق الا مرج أمرهم وذكر الزجاج معنى اختلاط أمرهم فقال هو انهم يقولون للنبي ﷺ مرة شاعر ومرة ساحر ومرة معلم ويقولون للقرآن مرة سحر ومرة رجز ومرة مفترى فكان أمرهم مختلطا ملتبسا عليهم ثم دلهم على قدرته فقال { أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها } بغير عمد { وزيناها } بالكواكب { وما لها من فروج } شقوق وفتوق وصدوع واحدها فرج { والارض مددناها } بسطناها على وجه الماء { وألقينا فيها رواسي } جبالا ثوابت { وأنبتنا فيها من كل زوج

كل زوج بهيج) أي من جميع الزروع والثمار والنبات والانواع ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ، وقوله بهيج أي حسن المنظر [تبصرة وذكرى لكل عبد منيب] أي ومشاهدة خلق السموات والارض وماجعل الله فيهما من الآيات العظيمة تبصرة ودلالة وذكرى لكل عبد منيب أي خاضع خائف وجل رجاع إلى الله عز وجل

وقوله تعالى (ونزلنا من السماء ماء مباركا) أي نافعا ' فأنبتنا به جنات) أي حدائق من بساتين ونحوها (وحب الحصيد) وهو الزرع الذي يراد لحبه وادخاره (والنخل باسقات) أي طوال شاهقات قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والسدي وغيرهم الباسقات الطوال (لها طلع نضيد) أي منضود (رزقا للعباد) أي للخلق (وأحيينا به بلدة ميتا) وهي الارض التي كانت هامدة فلما نزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج من أزاهير وغير ذلك مما يحار الطرف في حسنها وذلك بعد ماكانت لانبات بها فأصبحت تهتز خضراء فهذا مثال للبعث بعد الموت والهلاك كذلك يحيي الله الموتى وهذا المشاهد من عظيم قدرته بالحس أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث كقوله عز وجل [لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس]

وقوله تعالى [أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى ؟ بلى انه على كل شيء قدير] وقال سبحانه وتعالى [ومن آياته أنك ترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي أحياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير]

كذبت قبلهم قومُ نوح وأصحٰبُ الرس وثمودُ (١٢) وعاد وفرعون وإخوان لوط (١٣)

بهيج ﴾ حسن كريم يبهج به أي يسر بنظره ﴿ تبصرة ﴾ أي جعلنا ذلك تبصرة ﴿ وذكرى ﴾ أي تبصيراً وتذكيراً ﴿ لكل عبد منيب ﴾ أي ليبصر ويذكر به ﴿ ونزلنا من السماء ماء مباركا ﴾ كثير الخير وفيه حياة كل شيء وهو المطر ﴿ فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ﴾ يعني البر والشعير وسائر الحبوب التي تحصد فأضاف الحب الي الحصيد وهما واحد لاختلاف اللفظين كما يقال مسجد الجامع وربيع الاول وقيل حب الحصيد أي وحب النبت الحصيد ﴿ والنخل باسقات ﴾ قال مجاهد وعكرمة وقتادة طوالا يقال بسقت النخلة بسوقا اذا طالت وقال سعيد بن جبير مستويات ﴿ لها طلع ﴾ ثمر وحمل سمي بذلك لانه يطلع والطلع أول ما يظهر قبل أن ينشق ﴿ نضيد ﴾ متراكب متراكم منضود بعضه على بعض في أكمامه فاذا خرج من أكمامه ليس بنضيد ﴿ رزقا للعباد ﴾ أي جعلناها رزقا للعباد ﴿ وأحيينا به ﴾ أي بالمطر ﴿ بلدة ميتا ﴾ أنبتنا فيها الكلأ ﴿ كذلك الخروج ﴾ من القبور

قوله عز وجل ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع ﴾ وهو تبع الحميري واسمه أسعد أبو كرب

وأصحٰب الأيكة وقوم تُبّع كل كذبَ الرسلَ فحق وعيد (١٤) أفعيينا بالخلق الاول ؟ بل هم في لبس من خلق جديد (١٥)

يقول تعالى متهدداً لكفار قريش بما احله بأشباههم ونظرائهم وأمثالهم من المكذبين قبلهم من النقمات والعذاب الاليم في الدنيا كقوم نوح وما عذبهم الله تعالى به من الغرق العام لجميع اهل الارض وأصحاب الرس وقد تقدمت قصتهم في سورة الفرقان (وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط) وهم امته الذين بعث اليهم من اهل سدوم ومعاملتها من الغور وكيف خسف الله تعالى بهم الارض وأحال ارضهم بحيرة منتنة خبيثة بكفرهم وطغيانهم ومخالفتهم الحق (وأصحاب الايكة) وهم قوم شعيب عليه الصلاة والسلام (وقوم تبع) وهو اليماني وقد ذكرنا من شأنه في سورة الدخان ما أغنى عن اعادته ههنا ولله الحمد والشكر (كل كذب الرسل) اي كل من هذه الامم وهؤلاء القرون كذب رسولهم ومن كذب رسولا فكأنما كذب جميع الرسل كقوله جل وعلا (كذبت قوم نوح المرسلين) وانما جاءهم رسول واحد فهم في نفس الامر لو جاءهم جميع الرسل كذبوهم (فحق وعيد) اي فحق عليهم ماأوعدهم الله تعالى على التكذيب من العذاب والنكال ،فليحذر المخاطبون أن يصيبهم ماأصابهم فانهم قد كذبوا رسولهم كما كذب اولئك

وقوله تعالى (أفعيينا بالخلق الاول؟) اي أفأعجزنا ابتداء الخلق حتى هم في شك من الاعادة ؟ (بل هم في لبس من خلق جديد) والمعنى ان ابتداء الخلق لم يعجزنا والاعادة اسهل منه كما قال عز وجل [وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه] وقال الله جل جلاله [وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم] وقد تقدم في الصحيح « يقول الله تعالى يؤذيني ابن آدم يقول لن يعيدني كما بدأني وليس اول الخلق بأهون علي من اعادته »

ولقد خلقنا الانسٰن ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد (١٦)

إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد (١٧) مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (١٨)

قال قتادة ذم الله قومه ولم يذمه ذكرنا قصته في سورة الدخان ﴿ كل كذب الرسل ﴾ أي كل من هؤلاء المذكورين كذب الرسل ﴿ فحق وعيد ﴾ وجب لهم عذابي ثم أنزل جوابا لقولهم ذلك رجع بعيد ﴿ أفعيينا بالخلق الاول؟ ﴾ يعني أعجزنا حين خلقناهم أولا فنعيا بالاعادة ؟ وهذا تقرير لهم لانهم اعترفوا بالخلق الأول وأنكروا البعث ويقال لكل من عجز عن شيء عيي به ﴿ بل هم في لبس ﴾ أي في شك ﴿ من خلق جديد ﴾ وهو البعث ﴿ ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به

وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد (١٩) ونفخ في الصور ذلك يوم

الوعيد (٢٠) وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد (٢١) لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا

عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (٢٢)

يخبر تعالى عن قدرته على الانسان بأنه خالقه وعلمه محيط بجميع اموره حتى انه تعالى يعلم ما توسوس به نفوس بني آدم من الخير والشر وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله [ص] انه قال «ان الله تعالى تجاوز لامتي ماحدثت به انفسها مالم تقل او تعمل»

وقوله عز وجل [ونحن اقرب اليه من حبل الوريد] يعنى ملائكته تعالى اقرب الى الانسان من حبل وريده اليه، ومن تأوله على العلم فانما فر لئلا يلزم حلول أو اتحاد وهما منفيان بالاجماع تعالى الله وتقدس ولكن اللفظ لا يقتضيه فانه لم يقل وأنا أقرب اليه من حبل الوريد وانما قال (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) كما قال في المحتضر (ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون) يعني ملائكته وكما قال تبارك وتعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فالملائكة نزلت بالذكر وهو القرآن باذن الله عز وجل وكذلك الملائكة أقرب إلى الانسان من حبل وريده اليه باقدار الله جل وعلا لهم على ذلك، فللملك لمة من الانسان كما أن للشيطان لمة وكذلك الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم كما أخبر بذلك الصادق المصدوق، ولهذا قال تعالى ههنا (إذ يتلقى المتلقيان) يعني الملكين اللذين يكتبان عمل الانسان (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أي مرصد [ما يلفظ] أي ابن آدم [من قول]

نفسه ﴿ يحدث به قلبه فلا يخفى علينا سرائره وضمائره ﴿ ونحن أقرب اليه ﴾ أعلم به ﴿ من حبل الوريد ﴾ لان أبعاضه وأجزاءه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب علم الله شيء، وحبل الوريد عرق العنق وهو عرق بين الحلقوم والعلباوين يتفرق في سائر البدن والحبل هو الوريد فأضيف الى نفسه لاختلاف اللفظين ﴿ إذ يتلقى المتلقيان ﴾ إذ يتلقى ويأخذ الملكان الموكلان بالانسان عمله ومنطقه يحفظانه ويكتبانه ﴿ عن اليمين وعن الشمال ﴾ أي أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فالذي عن اليمين يكتب الحسنات والذي عن الشمال يكتب السيئات

﴿ قعيد ﴾ أي قاعد ولم يقل قعيدان لانه أراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فاكتفى بأحدهما عن الآخر هذا قول أهل البصرة وقال أهل الكوفة أراد قعوداً كالرسول يجعل للاثنين والجمع كما قال الله تعالى في الاثنين فقولا انا رسول رب العالمين، قيل أراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح لا القاعد الذي هو ضد القائم قال مجاهد القعيد الرصد ﴿ ما يلفظ من قول ﴾ ما يتكلم من كلام فيلفظه أي يرميه

أي مايتكلم بكلمة [إلا لديه رقيب عتيد] أي إلا ولها من يرقبها معد لذلك يكتبها لايترك كلمة ولا حركة كما قال تعالى (وإن عليكم لحافظين * كراما كاتبين * يعلمون ماتفعلون)

وقد اختلف العلماء هل يكتب الملك كل شيء من الكلام ؟ وهو قول الحسن وقتادة ، أو انما يكتب مافيه ثواب وعقاب كما هو قول ابن عباس رضي الله عنهما على قولين وظاهر الآية الاول لعموم قوله تبارك وتعالى [مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد]

وقد قال الامام أحمد حدثنا ابو معاوية حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة الليثي عن ابيه عن جده علقمة عن بلال بن الحارث المزني [رض] قال قال رسول الله [ص] « ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى مايظن أن تبلغ مابلغت يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه » فكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث ، ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث محمد بن عمرو به وقال الترمذي حسن صحيح وله شاهد في الصحيح

وقال الاحنف بن قيس : صاحب اليمين يكتب الخير وهو أمين على صاحب الشمال فان أصاب العبد خطيئة قال له امسك فان استغفر الله تعالى نهاه أن يكتبها وان أبى كتبها ، رواه ابن أبي حاتم

وقال الحسن البصري وتلا هذه الآية [عن اليمين وعن الشمال قعيد] يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك فاعمل ماشئت اقلل أو اكثر حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة فعند ذلك يقول تعالى (وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشوراً * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) ثم يقول عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) قال يكتب كل ماتكلم به من خير أو شر حتى انه ليكتب قوله أكلت شربت ذهبت جئت رأيت حتى

من فيه ﴿ إلا لديه رقيب ﴾ حافظ ﴿ عتيد ﴾ حاضر أينما كان

قال الحسن ان الملائكة يجتنبون الانسان على حالين عند غائطه وعند جماعه ، وقال مجاهد يكتبان عليه حتى أنينه في مرضه ، وقال عكرمة لا يكتبان الا ما يؤجر عليه أو يؤزر فيه ، وقال الضحاك مجلسهما تحت الشعر على الحنك ومثله عن الحسن وكان الحسن يعجبه أن ينظف عنفقته

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا الحسين بن محمد بن الحسين الدينوري ثنا اسمعيل بن جعفر بن حمدان ثنا الفضل بن عباس بن مهران ثنا طالوت ثنا حماد بن سلمة أنا جعفر ابن الزبير عن القاسم بن محمد عن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ كاتب الحسنات على يمين الرجل

اذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فاقر منه ماكان فيه من خير أو شر وألقي سائره وذلك قوله تعالى (يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) وذكر عن الامام أحمد انه كان يئن في مرضه فبلغه عن طاوس انه قال يكتب الملك كل شيء حتى الانين فلم يئن أحمد حتى مات رحمه الله

وقوله تبارك وتعالى (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) يقول عز وجل وجاءت أيها الانسان سكرة الموت بالحق أي كشفت لك عن اليقين الذي كنت تمتري فيه (ذلك ما كنت منه تحيد) أي هذا هو الذي كنت تفر منه قد جاءك فلا محيد ولا مناص ولا فكاك ولا خلاص . وقد اختلف المفسرون في المخاطب بقوله [وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد] فالصحيح ان المخاطب بذلك الانسان من حيث هو وقيل الكافر وقيل غير ذلك

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا ابراهيم بن زياد سبلان أخبرنا عباد بن عباد عن محمد بن عمرو ابن علقمة عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال ان عائشة رضي الله عنها قالت حضرت أبي (رض) وهو يموت وأنا جالسة عند رأسه فأخذته غشية فتمثلت ببيت من الشعر

من لا يزال دمعه مقنعا فانه لابد من مدفوق

قالت فرفع رضي الله عنه رأسه فقال يابنية ليس كذلك ولكن كما قال تعالى (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) وحدثنا خلف بن هشام حدثنا أبو شهاب الخياط عن اسماعيل بن أبي خالد عن البهي قال لما ان ثقل أبو بكر [رض] جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال رضي الله عنه ليس كذلك ولكن قولي (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد)

وقد أوردت لهذا الأثر طرقا كثيرة في سيرة الصديق رضي الله عنه عند ذكر وفاته ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق عن وجهه ويقول « سبحان الله ان للموت لسكرات »[1] وفي قوله (ذلك ما كنت منه تحيد) قولان أحدهما ان ما ههنا موصولة أي الذي كنت

(١) هذه العبارة مع حديث الطبراني غير موجودة في النسخة المكية

وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشراً وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر ﴿ وجاءت سكرة الموت ﴾ غمرته وشدته التي تغشي الانسان وتغلب على عقله ﴿ بالحق ﴾ أي بحقيقة الموت وقيل بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الانسان ويراه بالعيان وقيل بما يؤول اليه أمر الانسان من السعادة والشقاوة ويقال لمن جاءته سكرة الموت ﴿ ذلك ما كنت منه تحيد ﴾ تميل قال الحسن تهرب ، قال ابن عباس تكره وأصل الحيد الميل يقال حدت عن الشيء أحيد

منه تحيد بمعنى تبتعد وتتناءى وتفر قد حل بك ونزل بساحتك ، والقول الثاني ان ما نافية بمعنى ذلك ما كنت تقدر على الفراق منه ولا الحيد عنه

وقد قال الطبراني في المعجم الكبير حدثنا مؤمل بن علي الصائغ المكي حدثنا حفص عن ابن عمر الحدي حدثنا معاذ بن محمد الهذلي عن يونس بن عبيد عن الحسن عن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ « مثل الذي يفر من الموت مثل الثعلب تطلبه الارض بدين فجاء يسعى حتى اذا أعيى وأسهر دخل جحره وقالت له الارض ياثعلب ديني فخرج وله حصاص فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه ومات » ومضمون هذا المثل كما لا انفكاك له ولا محيد عن الارض كذلك الانسان لا محيد له عن الموت

وقوله تبارك وتعالى (ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد) قد تقدم الكلام على حديث النفخ في الصور والفزع والصعق والبعث وذلك يوم القيامة

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له » قالوا يارسول الله كيف نقول ؟ قال ﷺ « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل » فقال القوم حسبنا الله ونعم الوكيل (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) أي ملك يسوقه إلى المحشر وملك يشهد عليه بأعماله هذا هو الظاهر من الآية الكريمة وهو اختيار ابن جرير

ثم روى من حديث اسماعيل بن أبي خالد عن يحيى بن رافع مولى لثقيف قال سمعت عثمان بن عفان (رض) يخطب فقرأ هذه الآية (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) فقال سائق يسوقها إلى الله تعالى وشاهد يشهد عليها بما عملت وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد ، وقال مطرف عن أبي جعفر مولى أشجع عن ابي هريرة رضي الله عنه قال السائق الملك والشهيد العمل وكذا قال الضحاك والسدي

وقال العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما السائق من الملائكة والشهيد الانسان نفسه يشهد على نفسه ، وبه قال الضحاك بن مزاحم أيضا ، وحكى ابن جرير ثلاثة أقوال في المراد بهذا الخطاب في قوله تعالى (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) أحدها أن المراد بذلك الكافر رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما وبه يقول الضحاك بن مزاحم

حيداً ومحيداً إذ ملت عنه ﴿ ونفخ في الصور ﴾ يعني نفخة البعث ﴿ ذلك يوم الوعيد ﴾ أي ذلك اليوم يوم الوعيد الذي وعده الله للكفار أن يعذبهم فيه

قال مقاتل يعني بالوعيد العذاب أي يوم وقوع الوعيد ﴿ وجاءت ﴾ ذلك اليوم ﴿ كل نفس معها سائق ﴾ يسوقها إلى المحشر ﴿ وشهيد ﴾ يشهد عليها بما عملت وهو عمله قال الضحاك السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم الايدى والارجل وهي رواية العوفي عن ابن عباس وقال الآخرون هما جميعاً من الملائكة فيقول الله لها ﴿ لقد كنت في غفلة من هذا ﴾ اليوم في الدنيا ﴿ فكشفنا عنك غطاءك ﴾

وصالح بن كيسان ، والثاني أن المراد بذلك كل أحد من بر وفاجر لان الآخرة بالنسبة إلى الدنيا كاليقظة والدنيا كالمنام وهذا اختيار ابن جرير ونقله عن حسين بن عبدالله بن عبيد الله عن عبدالله ابن عباس رضي الله عنهما ، والثالث أن المخاطب بذلك النبي ﷺ وبه يقول زيد بن أسلم وابنه والمعنى على قولهما لقد كنت في غفلة عن هذا القرآن قبل أن يوحى اليك فكشفنا عنك غطاءك بانزاله اليك فبصرك اليوم حديد ، والظاهر من السياق خلاف هذا بل الخطاب مع الانسان من حيث هو والمراد بقوله تعالى (لقد كنت في غفلة من هذا) يعني من هذا اليوم (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) أي قوي لان كل أحد يوم القيامة يكون مستبصراً حتى الكفار في الدنيا يكونون يوم القيامة على الاستقامة لكن لا ينفعهم ذلك

قال الله تعالى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) وقال عز وجل (ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون)

وقال قرينه هذا ما لديّ عتيد (٢٣) ألقيا في جهنم كلّ كفار عنيد (٢٤) منّاع للخير معتد مُريب (٢٥) الذي جعل مع الله إلهاً آخر فألقياه في العذاب الشديد (٢٦) قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلل بعيد (٢٧) قال لا تختصموا لديّ وقد قدّمت اليكم بالوعيد (٢٨) ما يبدل القول لديّ وما أنا بظلّم للعبيد (٢٩)

يقول تعالى مخبراً عن الملك الموكل بعمل ابن آدم انه يشهد عليه يوم القيامة بما فعل ويقول (هذا مالدي عتيد) أي معد محضر بلا زيادة ولا نقصان

وقال مجاهد هذا كلام الملك السائق يقول هذا ابن آدم الذي وكلتني به قد أحضرته ، وقد اختار ابن جرير انه يعم السائق والشهيد وله اتجاه وقوة فعند ذلك يحكم الله تعالى في الخليقة بالعدل فيقول (ألقيا في جهنم كل كفار عنيد)

الذي كان في الدنيا على قلبك وسمعك وبصرك ﴿ فبصرك اليوم حديد ﴾ نافذ تبصر ما كنت تنكر في الدنيا ، وروي عن مجاهد قال يعني نظرك الى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك ﴿ وقال قرينه ﴾ الملك الموكل به ﴿ هذا ما لدي عتيد ﴾ معد محضر وقيل ما بمعنى من وقال مجاهد يقول هذا الذي وكلتني به من ابن آدم حاضر عندي وقد أحضرته وأحضرت ديوان أعماله فيقول الله عزوجل لقرينه ﴿ ألقيا في جهنم ﴾ هذا خطاب للواحد بلفظ التثنية على عادة العرب يقولون ويلك أرحلاها وازجراها وخذاها واطلقاها للواحد

قال الفراء وأصل ذلك ان أدنى أعوان الرجل في إبله وغنمه وسفره اثنان فجرى كلام الواحد

وقد اختلف النحاة في قوله (ألقيا) فقال بعضهم هي لغة لبعض العرب يخاطبون المفرد بالتثنية كما روي عن الحجاج أنه كان يقول ياحرسي اضربا عنقه ومما أنشد ابن جرير على هذه قول الشاعر

فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تتركاني أحم عرضا ممنعا

وقيل بل هي نون التأكيد سهلت إلى الالف وهذا بعيد لان هذا انما يكون في الوقف والظاهر أنها مخاطبة مع السائق والشهيد فالسائق أحضره الى عرصة الحساب فلما أدى الشهيد عليه أمرهما الله تعالى بالقائه في نار جهنم وبئس المصير (ألقيا في جهنم كل كفار عنيد) أي كثير الكفر والتكذيب بالحق عنيد معاند للحق معارض له بالباطل مع علمه بذلك (مناع للخير) أي لايؤدي ما عليه من الحقوق ولا بر فيه ولا صلة ولا صدقة (معتد) أي فيما ينفقه ويصرفه يتجاوز فيه الحد

وقال قتادة معتد في منطقه وسيره وأمره (مريب) أي شاك في أمره مريب لمن نظر في أمره (الذي جعل مع الله إلها آخر) أي أشرك بالله فعبد معه غيره (فالقياه في العذاب الشديد) وقد تقدم في الحديث أن عنقا من النار يبرز للخلائق فينادي بصوت يسمع الخلائق اني وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد ، ومن جعل مع الله إلها آخر وبالمصورين ثم تنطوي عليهم

قال الامام احمد حدثنا شيبان هو ابن هشام عن فراس عن عطية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « يخرج عنق من النار يتكلم يقول وكلت اليوم بثلاثة بكل جبار عنيد ومن جعل مع الله إلها آخر ومن قتل نفسا بغير نفس فتنطوي عليهم فتقذفهم في غمرات جهنم » (قال قرينه) قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة وغيرهم هو الشيطان الذي وكل به (ربنا ما أطغيته) أي يقول عن الانسان الذي قد وافى القيامة كافراً يتبرأ منه شيطانه فيقول (ربنا ما أطغيته) أي ما أضللته (ولكن كان في ضلال بعيد) أي بل كان هو في نفسه ضالا قابلا للباطل معانداً للحق كما أخبر سبحانه وتعالى في الآية الاخرى في قوله (وقال الشيطان لما قضي الامر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي اني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم)

على صاحبه ومنه قولهم في الشعر للواحد خليلي وقال الزجاج هذا أمر للسائق والشهيد وقيل للمتلقيين ﴿ كل كفار عنيد ﴾ عاص معرض عن الحق قال عكرمة ومجاهد مجانب للحق معاند لله ﴿ مناع للخير ﴾ أي للزكاة المفروضة وكل حق وجب في ماله ﴿ معتد ﴾ ظالم لا يقر بتوحيد الله ﴿ مريب ﴾ شاك في التوحيد ومعناه داخل في الريب ﴿ الذي جعل مع الله إلها آخر فألقياه في العذاب الشديد ﴾ وهو النار ﴿ قال قرينه ﴾ يعني الشيطان الذي قيض لهذا الكافر ﴿ ربنا ما أطغيته ﴾ ما أضللته وما أغويته ﴿ ولكن كان في ضلال بعيد ﴾ عن الحق فيبرأ عنه شيطانه

وقوله تبارك وتعالى (قال لا تختصموا لدي) يقول الرب عز وجل للانسى وقرينه من الجن وذلك أنهما يختصمان بين يدي الحق تعالى فيقول الانسى يارب هذا أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ويقول الشيطان (ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد) أي عن منهج الحق فيقول الرب عز وجل لهما (لا تختصموا لدي) أي عندي (وقد قدمت اليكم بالوعيد) أي قد أعذرت اليكم على ألسنة الرسل وأنزلت الكتب وقامت عليكم الحجج والبينات والبراهين (ما يبدل القول لدي) قال مجاهد يعني قد قضيت ما أنا قاض (وما أنا بظلام للعبيد) أي لست أعذب أحداً بذنب أحد ولكن لا أعذب أحداً إلا بذنبه بعد قيام الحجة عليه

يوم نقول لجهنم هل امتلأتِ ؟ وتقول هل من مزيد ؟ (٣٠) وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد (٣١) هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ (٣٢) من خشيَ الرحمٰن بالغيب وجاء بقلب منيب (٣٣) ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود (٣٤) لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد (٣٥)

يخبر تعالى أنه يقول لجهنم يوم القيامة هل امتلأت؟ وذلك لانه تبارك وتعالى وعدها أن سيملؤها من الجنة والناس أجمعين فهو سبحانه وتعالى يأمر بمن يأمر به اليها ويلقى وهي تقول هل من مزيد ، أي هل بقي شيء تزيدوني؟ هذا هو الظاهر من سياق الآية وعليه تدل الاحاديث

قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا عبد الله بن أبي الاسود حدثنا حرمي بن عمارة حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « يلقى في النار وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع قدمه فيها فتقول قط قط »

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تزال جهنم يلقي فيها وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة قدمه فيها فينزوي

قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل قال قرينه يعني الملك قال سعيد بن جبير يقول الكافر يا رب ان الملك زاد علي في الكتابة فيقول الملك ربنا ما أطغيته يعني ما زدت عليه وما كتبت الا ما قال وعمل ولكن كان في ضلال بعيد طويل لا يرجع عنه الى الحق ﴿قال﴾ يعني يقول الله ﴿لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد﴾ في القرآن وأنذرتكم وحذرتكم على لسان الرسل وقضيت عليكم ما أنا قاض ﴿ما يبدل القول لديّ﴾ لا تبديل لقولي وهو قوله (لأملأنّ جهنم من الجنة والناس أجمعين وقال قوم معنى قوله (ما يبدل القول لدى) أى لا يكذب القول عندى ولا يغير القول عن وجهه لاني أعلم الغيب وهذا قول الكلبي واختيار الفراء لانه قال (ما يبدل القول لدى) ولم يقل ما يبدل قولي ﴿وما أنا بظلام للعبيد﴾ فأعاقبهم بغير جرم ﴿يوم نقول لجهنم﴾

بعضها الى بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك ، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشيء الله لها خلقا آخر فيسكنهم الله تعالى في فضول الجنة » ثم رواه مسلم من حديث قتادة بنحوه ، ورواه أبان العطار وسليمان التيمي عن قتادة بنحوه

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا محمد بن موسى القطان حدثنا أبو سفيان الحميري سعيد بن يحيى بن مهدي حدثنا عوف عن محمد عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه وأكثر ما كان يوقفه أبو سفيان « يقال لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول قط قط » ورواه أبو أيوب وهشام بن حسان عن محمد بن سيرين به

﴿ طريق أخرى ﴾ قال البخاري وحدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم قال الله عز وجل للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي ، وقال للنار انما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها ، فأما النار فلا تمتليء حتى يضع رجله فيها فتقول قط قط فهنالك تمتليء وينزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحداً ، وأما الجنة فان الله عز وجل ينشيء لها خلقا آخر »

﴿ حديث آخر ﴾ قال مسلم في صحيحه حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « احتجت الجنة والنار فقالت النار في الجبارون والمتكبرون ، وقالت الجنة في ضعفاء الناس ومساكينهم ، فقضى بينهما فقال للجنة انما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادى ، وقال للنار انما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادى ولكل واحدة منكما ملؤها » انفرد به مسلم دون البخارى من هذا الوجه والله سبحانه وتعالى أعلم

وقد رواه الامام أحمد من طريق أخرى عن أبي سعيد رضي الله عنه بأبسط من هذا السياق فقال حدثنا حسن وروح قالا حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « افتخرت الجنة والنار فقالت النار يارب يدخلني الجبابرة والمتكبرون والملوك والاشراف ، وقالت الجنة أي رب يدخلني الضعفاء والفقراء والمساكين فيقول الله تبارك وتعالى للنار أنت عذابي أصيب بك من أشاء ، وقال للجنة أنت رحمتي وسعت كل شيء ولكل واحدة منكما ملؤها فيلقى في النار أهلها فتقول هل من مزيد ، قال ويلقى فيها وتقول هل من مزيد ويلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يأتيها عز وجل فيضع قدمه عليها فتنزوي وتقول قدني قدني ، وأما الجنة فيبقى فيها ماشاء الله تعالى ان يبقى فينشيء الله سبحانه وتعالى لها خلقا مايشاء »

قرأ نافع وأبو بكر بالياء أى يقول الله لقوله قال لا تختصموا لدى وقرأ الآخرون بالنون ﴿ هل

﴿ حديث آخر ﴾ وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا يونس حدثنا عبد الغفار ابن القاسم عن عدي بن ثابت عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال « يعرفني الله تعالى نفسه يوم القيامة فاسجد سجدة يرضى بها عني ثم أمدحه مدحة يرضى بها عني ثم يؤذن لي في الكلام ثم تمر أمتي على الصراط مضروب بين ظهراني جهنم فيمرون أسرع من الطرف والسهم وأسرع من أجود الخيل حتى يخرج الرجل منها يحبو وهي الاعمال وجهنم تسأل المزيد حتى يضع فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط وأنا على الحوض » قيل وما الحوض يارسول الله ؟ قال ﷺ « والذي نفسي بيده ان شرابه أبيض من اللبن وأحلى من العسل ، وأبرد من الثلج ، وأطيب ريحا من المسك ، وآنيته أكثر من عدد النجوم لايشرب منه انسان فيظمأ أبداً ولا يصرف فيروى أبداً » وهذا القول هو اختيار ابن جرير

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو يحيى الحماني عن نصر الخزار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) قال ماامتلأت قال تقول وهل في من مكان يزاد في ، وكذا رواه الحكم بن أبان عن عكرمة (وتقول هل من مزيد) وهل في مدخل واحد قد امتلأت ، قال الوليد بن مسلم عن يزيد بن أبي مريم أنه سمع مجاهداً يقول لايزال يقذف فيها حتى تقول قد امتلأت فتقول هل في من مزيد ، وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نحو هذا فعند هؤلاء أن قوله تعالى (هل امتلأت) انما هو بعد مايضع عليها قدمه فتنزوي وتقول حينئذ هل بقي في مزيد يسع شيئا ، قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وذلك حين لايبقى فيها موضع يسع ابرة والله أعلم

امتلأت ﴾ وذلك لما سبق لها من وعده اياها انه يملؤها من الجنة والناس وهذا السؤال من الله عزوجل لتصديق خبره وتحقيق وعده ﴿ وتقول ﴾ جهنم ﴿ هل من مزيد ؟ ﴾ قيل معناه قد امتلأت فلم يبق في موضع لم يمتلىء فهو استفهام انكار هذا قول عطاء ومجاهد ومقاتل بن سليمان وقيل هذا استفهام بمعنى الاستزادة وهو قول ابن عباس في رواية أبي صالح وعلى هذا يكون السؤال بقوله هل امتلأت قبل دخول جميع أهلها فيها ، وروى عن ابن عباس ان الله تعالى سبقت كلمته لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فلما سيق أعداء الله اليها لا يلقى فيها فوج الا ذهب فيها ولا يملؤها شيء فتقول ألست قد أقسمت لتملأني فيضع قدمه عليها تعالى عما يقول الظالمون ثم يقول هل امتلأت فتقول قط قط قد امتلأت فليس في مزيد

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ ثنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن أيوب الطوسى أنا أبو حاتم محمد ابن ادريس الرازي ثنا آدم بن أبي اياس العسقلاني ثنا شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة عن انس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ

وقوله تعالى (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) قال قتادة وأبو مالك والسدي (وأزلفت) أدنيت وقربت من المتقين (غير بعيد) وذلك يوم القيامة وليس ببعيد لانه واقع لامحالة وكل ماهو آت قريب (هذا ماتوعدون لكل أواب) أي رجاع تائب مقلع (حفيظ) أي يحفظ العهد فلا ينقضه ولا ينكثه ، وقال عبيد بن عمير الاواب الحفيظ الذي لايجلس مجلساً فيقوم حتى يستغفر الله عز وجل (من خشي الرحمن بالغيب) أى من خاف الله في سره حيث لايراه أحد إلا الله عز وجل كقوله ﷺ « ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه » (وجاء بقلب منيب) أي ولقي الله عز وجل يوم القيامة بقلب منيب سليم اليه خاضع لديه (ادخلوها) أي الجنة (بسلام) قال قتادة سلموا من عذاب الله عز وجل وسلم عليهم ملائكة الله

وقوله سبحانه وتعالى (ذلك يوم الخلود) أي يخلدون في الجنة فلا يموتون أبداً ولا يظعنون أبداً ولا يبغون عنها حولا ، وقوله جلت عظمته (لهم مايشاءون فيها) أي مهما اختاروا وجدوا من أي أصناف الملاذ طلبوا أحضر لهم

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عمر بن عثمان حدثنا بقية عن يحيى بن سعيد عن خالد ابن معدان عن كثير ابن مرة قال من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ماذا تريدون فامطره

« لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط وعزتك وينزوي بعضها إلى بعض ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشيء الله خلقا آخر فيسكنه فضول الجنة ﴿ وأزلفت الجنة ﴾ قربت وأدنيت ﴿ للمتقين ﴾ الشرك ﴿ غير بعيد ﴾ ينظرون اليها قبل أن يدخلوها ﴿ هذا ماتوعدون ﴾ قرأ ابن كثير بالياء والآخرون بالتاء يقال لهم هذا الذي ترونه ما توعدون على ألسنة الانبياء عليهم السلام ﴿ لكل أواب ﴾ رجاع الى الطاعة عن المعاصي

قال سعيد بن المسيب هو الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الشعبي ومجاهد الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها وقال الضحاك هو التواب وقال ابن عباس وعطاء هو المسبح من قوله ياجبال أوبي معه وقال قتادة هو المصلي ﴿ حفيظ ﴾ قال ابن عباس الحافظ لامر الله وعنه أيضاً هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها قال قتادة حفيظ لما استودعه الله من حقه قال الضحاك الحافظ على نفسه المتعهد لها قال الشعبي المراقب وقال سهل بن عبد الله هو الحافظ على الطاعات والاوامر ﴿ من خشي الرحمن بالغيب ﴾ محل من جر على نعت الاواب وقيل رفع على الاستئناف ومعنى الآية من خاف الرحمن وأطاعه بالغيب ولم يره وقال الضحاك والسدي يعني في الخلوة حيث لا يراه أحد قال الحسن اذا أرخى الستر وأغلق الباب ﴿ وجاء بقلب منيب ﴾ مخلص مقبل الى طاعة الله ﴿ ادخلوها ﴾ أي يقال لاهل هذه الصفة ادخلوها أي ادخلوا الجنة ﴿ بسلام ﴾ بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم وقيل بسلامة من زوال النعم ﴿ ذلك يوم الخلود ﴾ لهم

لـكم ؟ فلايدعون بشيء إلا امطرتهم قال كثير لئن أشهدني الله تعالى ذلك لأقولن امطرينا جوارى مزينات . وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنـه قال إن رسول الله (ص) قال له « إنك لتشتهي الطير في الجنة فيخر بين يديك مشويا »

وقال الامام أحمد حدثنا علي بن عبد الله حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن عامر الاحول عن أبي بكر الصديق (رض) عن أبي سعيد الخدري [رض] قال ان رسول الله ﷺ قال « اذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة » ورواه الترمذي وابن ماجه عن بندار عن معاذ بن هشام به وقال الترمذي حسن غريب وزاد: كما اشتهى

وقوله تعالى (ولدينا مزيد) كقوله عز وجل (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقد تقدم في صحيح مسلم عن صهيب بن سنان الرومي انها النظر الى وجه الله الكريم

وقد روى البزار وابن أبي حاتم من حديث شريك القاضي عن عثمان بن عمير أبي اليقظان عن أنس ابن مالك [رض] في قوله عز وجل [ولدينا مزيد] قال يظهر لهم الرب عز وجل في كل جمعة ، وقد رواه الامام أبو عبدالله الشافعي مرفوعا فقال في مسنده اخبرنا ابراهيم بن محمد حدثني موسى بن عبيدة حدثني ابو الازهر معاوية بن اسحاق بن طلحة عن عبيد الله بن عمير انه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول أتى جبرائيل عليه الصلاة والسلام بمرآة بيضاء فيها نكتة الى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « ما هذه ؟ » فقال هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير ولكم فيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله تعالى فيها بخير إلا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد قال النبي [ص] « يا جبريل وما يوم المزيد ؟ » قال عليه السلام ان ربك تبارك وتعالى اتخذ في الفردوس واديا أفيح فيه كثب المسك فاذا كان يوم الجمعة أنزل الله تعالى ماشاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحفت تلك المنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله عز وجل أنا ربكم قد صدقتكم وعدي فسلوني أعطكم فيقولون ربنا نسألك رضوانك فيقول قد رضيت عنكم ولكم علي ما تمنيتم ولدي مزيد ، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم تبارك وتعالى من الخير وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة . هكذا أورده الامام الشافعي رحمه الله في كتاب الجمعة من الام وله طرق عن أنس بن مالك (رض) وقد أورد ابن جرير هذا الحديث من رواية عثمان بن عمير عن أنس رضي الله عنه بأبسط من هذا وذكر ههنا أثراً مطولا عن أنس بن مالك رضي الله عنه موقوفا وفيه غرائب كثيرة

ما يشاؤن فيها ﴾ وذلك انهم يسألون الله تعالى حتى تنتهي مسألتهم فيعطون ما شاؤا ثم يزيدهم الله من عنده ما لم يسألوه وهو قوله ﴿ ولدينا مزيد ﴾ يعني الزيادة لهم في النعيم مما لم يخطر ببالهم . وقال جابر

وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « ان الرجل في الجنة ليتكيء في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول ثم تأتيه امرأة تضرب على منكبه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة وان ادنى لؤلؤة عليها تضيء مابين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيرد السلام فيسألها من انت ؟ فتقول انا من المزيد وانه ليكون عليها سبعون حلة أدناها مثل النعمان من طوبى فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك ، وان عليها من التيجان ان ادنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب » وهكذا رواه عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به

وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشدُّ منهم بطشا فنقّبوا في البلٰد هل من محيص (٣٦)

إن في ذلك لذكرٰى لمن كان له قلب أو ألقى السّمعَ وهو شهيد (٣٧) ولقد خلقنا السموٰتِ

والارضَ وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لُغوب (٣٨) فاصبر على مايقولون وسبّح

بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب (٣٩) ومن الليل فسبحه وأدبٰرَ السجود (٤٠)

يقول تعالى وكم أهلكنا قبل هؤلاء المكذبين (من قرن هم أشد منهم بطشا) أي كانوا أكثر منهم وأشد قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها ولهذا قال تعالى ههنا (فنقبوا في البلاد هل من محيص) قال ابن عباس رضي الله عنهما أثروا فيها وقال مجاهد (فنقبوا في البلاد) ضربوا في الارض وقال قتادة فساروا في البلاد أي ساروا فيها يبتغون الارزاق والمتاجر والمكاسب أكثر مما طفتم أنتم بها ويقال لمن طوف في البلاد نقب فيها ، قال امرؤ القيس

لقد نقبت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب

وقوله تعالى (هل من محيص ؟) أي هل من مفر كان لهم من قضاء الله وقدره وهل نفعهم ماجمعوه ورد عنهم عذاب الله إذ جاءهم لما كذبوا الرسل فأنتم أيضا لا مفر لكم ولا محيد ولا مناص ولا محيص . وقوله عز وجل (ان في ذلك لذكرى) اي لعبرة (لمن كان له قلب) اي لب يعي به ،

وأنس هو النظر الى وجه الله الكريم

قوله عز وجل ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد ﴾ ضربوا وساروا وتقلبوا وطافوا وأصله من النقب وهو الطريق كأنهم سلكوا كل طريق ﴿ هل من محيص ﴾ فلم يجدوا محيصاً من أمر الله وقيل هل من محيص مفر من الموت فلم يجدوا ، فيه انذار لأهل مكة انهم على مثل سبيلهم لا يجدون مفرا من الموت يموتون فيصيرون إلى عذاب الله ﴿ ان في ذلك ﴾ فيما ذكرت من العبر والعذاب وإهلاك القرى ﴿ لذكرى ﴾ تذكرة وعظة ﴿ لمن كان له قلب ﴾ قال ابن عباس أي

وقال مجاهد عقل (أو ألقى السمع وهو شهيد) أي استمع الكلام فوعاه وتعقله بعقله وتفهمه بلبه ، وقال مجاهد (أو ألقى السمع) يعني لايحدث نفسه في هذا بقلب ، وقال الضحاك العرب تقول ألقى فلان سمعه اذا استمع بأذنيه وهو شاهد بقلب غير غائب وهكذا قال الثوري وغير واحد

وقوله سبحانه وتعالى (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) فيه تقرير المعاد لان من قدر على خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن قادر على أن يحيي الموتى بطريق الاولى والاحرى ، وقال قتادة قالت اليهود عليهم لعائن الله خلق الله السموات والارض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت وهم يسمونه يوم الراحة فأنزل الله تعالى تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه (وما مسنا من لغوب) أي من اعياء ولا تعب ولا نصب كما قال تبارك وتعالى في الآية الاخرى (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير) وكما قال عز وجل [لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس] وقال تعالى (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها)

وقوله عز وجل (فاصبر على مايقولون) يعني المكذبين اصبر عليهم واهجرهم هجراً جميلا (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) وكانت الصلاة المفروضة قبل الاسراء ثنتان قبل طلوع الشمس في وقت الفجر وقبل الغروب في وقت العصر وقيام الليل كان واجبا على النبي ﷺ وعلى أمته حولا ثم نسخ في حق الامة وجوبه ، ثم بعد ذلك نسخ الله تعالى ذلك كله ليلة الاسراء بخمس صلوات ولكن منهن صلاة الصبح والعصر فهما قبل طلوع الشمس وقبل الغروب

وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير ابن عبد الله رضي الله عنهما قال : كنا جلوسا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال « أما انكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر لاتضامون فيه فان استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة

عقل قال الفراء هذا جائز في العربية تقول مالك قلب وما قلبك معك أي ما عقلك معك ، وقيل له قلب حاضر مع الله ﴿ أو ألقى السمع ﴾ استمع القرآن واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره تقول العرب الق إلي سمعك يعني استمع ﴿ وهو شهيد ﴾ يعني حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه

قوله عز وجل ﴿ ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ أعياء وتعب نزلت في اليهود حيث قالوا يا محمد أخبرنا بما خلق الله من الخلق في هذه الايام الستة فقال « خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين والجبال يوم الثلاثاء والمدائن والانهار والاقوات يوم الاربعاء والسموات والملائكة يوم الخميس الى ثلاث ساعات من يوم الجمعة وخلق في أول الثلاث الساعات الآجال وفي الثانية الآفة وفي الثالثة آدم» قالوا صدقت ان أتممت قال «وما ذاك؟» قالوا ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فأنزل الله تعالى هذه الآية ردا عليهم

قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا » ثم قرأ (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) ورواه البخاري ومسلم وبقية الجماعة من حديث اسماعيل به

وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه) أي فصل له كقوله [ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً) [وادبار السجود] قال ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما هو التسبيح بعد الصلاة

ويؤيد هذا ماثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنـه أنه قال : جاء فقراء المهاجرين فقالوا يارسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم ، فقال النبي ﷺ « وما ذاك ؟ » قالوا يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصـدق ، ويعتقون ولا نعتق ، قال ﷺ « أفلا أعلمكم شيئا اذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من فعل مثل مافعلتم؟ تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين » قال فقالوا يارسول الله سمع اخواننا أهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله ، فقال ﷺ « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » والقول الثاني أن المراد بقوله تعالى (وادبار السجود) هما الركعتان بعد المغرب وروي ذلك عن عمر وعلي وابنـه الحسن وابن عباس وأبي هريرة وأبي امامة رضي الله عنهـم ، وبه يقول مجاهد وعكرمة والشعبي والنخعي والحسن وقتادة وغيرهم

قال الامام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن عن سفيان عن أبي اسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يصلي أثر كل صلاة مكتوبة ركعتين إلا الفجر والعصر وقال عبد الرحمن دبر كل صلاة ، ورواه أبو داود والنسائي من حديث سفيان الثوري به زاد النسائي ومطرف عن أبي اسحاق به

﴿ فاصبر على مايقولون ﴾ من كذبهم فان الله لهم بالمرصاد وهـذا قبل الامر بقتالهم ﴿ وسبح بحمد ربك ﴾ أي صل حمدا لله ﴿ قبل طلوع الشمس ﴾ يعني صلاة الصبح ﴿ وقبل الغروب ﴾ يعني صلاة العصر وروي عن ابن عباس قال قبل الغروب الظهر والعصر ﴿ ومن الليل فسبحه ﴾ يعني صـلاة المغرب والعشاء وقال مجاهد ومن الليل أي صلاة الليل أي وقت صلى ﴿ وادبار السـجود ﴾ قرأ أهل الحجاز وحمزة وإدبار السجود بكسر الهمز مصدر أدبر ادباراً وقرأ الاخرون بفتحها على جمع الدبر قال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب والحسن والشعبي والنخعي والاوزاعي (ادبار السجود) الركعتان بعد صلاة المغرب (وادبار النجوم) الركعتان قبل صلاة الفجر وهي رواية العوفي عن ابن عباس وروي عنه مرفوعا هذا قول أكثر المفسرين

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا ابو جعفر محمد بن احمد ابن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا ابو أيوب الدمشقي ثنا الوليد بن مسـلم ثنا ابن جريج

وقال ابن أبي حاتم حدثنا هارون بن اسحاق الهمداني حدثنا ابن فضيل عن رشدين بن كريب عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بت ليلة عند رسول الله ﷺ فصلى ركعتين خفيفتين اللتين قبل الفجر ثم خرج إلى الصلاة فقال ياابن عباس «ركعتين قبل صلاة الفجر ادبار النجوم، وركعتين بعد المغرب ادبار السجود»

ورواه الترمذي عن هشام الرفاعي عن محمد بن فضيل به وقال غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه وحديث ابن عباس رضي الله عنهما وأنه بات في بيت خالته ميمونة رضي الله عنها وصلى تلك الليلة مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة ركعة ثابت في الصحيحين وغيرهما. فأما هذه الزيادة فغريبة لانعرف إلا من هذا الوجه ورشدين بن كريب ضعيف ولعله من كلام ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا عليه والله أعلم

عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة رضي الله عنها قالت ما كان رسول الله ﷺ على شيء من النوافل أشده معاهدة منه على الركعتين أمام الصبح

أخبرنا ابو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي انا ابو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي ثنا ابوالعباس محمدبن احمدالمحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا صالح بن عبدالله ثنا أبو عوانة عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعيد بن هشام عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها»

أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي أنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا محمد بن المثنى ثنا بذل بن المحبر ثنا عبد الملك بن معدان عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبدالله ابن مسعود انه قال ما أحصي ما سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في الركعتين بعدالمغرب وفي الركعتين قبل صلاة الفجر بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وقال مجاهد قوله أدبار السجود هوالتسبيح باللسان في أدبار الصلوات المكتوبات

أخبرنا أبو الحسين طاهر بن الحسين الدروقي الطومي بها أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب أنامحمد ابن يوسف ثنا محمد بن أيوب أنا مسدد ثنا خالد هو ابن عبد الله ثنا سهيل عن أبي عبيد عن عطاء بن يزيد عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر»

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا اسحاق أنا يزيد أنا ورقاء عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قالوا يارسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم «قال كيف ذا؟» قال صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا

واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب (٤١) يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج (٤٢) انا نحن نحيي ونميت والينا المصير (٤٣) يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير (٤٤) نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد (٤٥)

يقول تعالى (واستمع) يامحمد (يوم يناد المناد من مكان قريب) قال قتادة قال كعب الاحبار يأمر الله تعالى ملكا أن ينادي على صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة إن الله تعالى يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء (يوم يسمعون الصيحة بالحق) يعني النفخة في الصور التي تأتي بالحق الذي كان أكثرهم فيه يمترون (ذلك يوم الخروج) أى من الاجداث (انا نحن نحيي ونميت والينا المصير) أى هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه واليه مصير الخلائق كلهم فيجازي كلا بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر

وقوله تعالى (يوم تشقق الارض عنهم سراعا) وذلك أن الله عز وجل ينزل مطراً من السماء ينبت به أجساد الخلائق كلها في قبورها كما ينبت الحب في الثرى بالماء فاذا تكاملت الاجساد أمر الله تعالى اسرافيل فينفخ في الصور وقد أودعت الارواح في ثقب في الصور فاذا نفخ اسرافيل فيه خرجت الارواح تتوهج بين السماء والارض فيقول الله عز وجل وعزتي وجلالي لترجعن كل روح إلى الجسد الذى كانت تعمره فترجع كل روح إلى جسدها فتدب فيه كما يدب السم في اللديغ وتنشق الارض عنهم فيقومون إلى موقف الحساب سراعا مبادرين إلى أمر الله عز وجل [مهطعين إلى الداع

وأنفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال قال « أفلا أخبركم بأمر تدركون به من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به الا من جاء بمثله؟ تسبحون في دبر كل صلاة عشراً وتحمدون عشراً وتكبرون عشراً »

قوله عز وجل ﴿ واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب ﴾ أي واستمع يا محمد صيحة القيامة والنشور يوم ينادي المنادي قال مقاتل يعني اسرافيل ينادي بالحشر: يا أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهي وسط الارض قال الكلبي هي أقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا ﴿ يوم يسمعون الصيحة بالحق ﴾ وهي الصيحة الاخيرة ﴿ ذلك يوم الخروج ﴾ من القبور ﴿ انا نحن نحيي ونميت والينا المصير * يوم تشقق الارض عنهم سراعا ﴾ جمع سريع أي يخرجون سراعا

يقول الكافرون هذا يوم عسر] وقال الله تعالى (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا) وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أول من تنشق عنه الارض »

وقوله عز وجل (ذلك حشر علينا يسير) أى تلك اعادة سهلة علينا يسيرة لدينا كما قال جل جلاله [وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر] وقال سبحانه وتعالى [ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير]

وقوله جل وعلا (نحن أعلم بما يقولون) أى نحن علمنا محيط بما يقولك المشركون من التكذيب فلا يهولنك ذلك كقوله [ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين]

وقوله تبارك وتعالى (وما أنت عليهم بجبار) أى ولست بالذى تجبر هؤلاء على الهدى وليس ذلك مما كلفت به ، وقال مجاهد والضحاك (وما أنت عليهم بجبار) أى لا تتجبر عليهم والقول الاول أولى ولو أراد ماقالوه لقال ولا تكن جباراً عليهم وانما قال (وما أنت عليهم بجبار) بمعنى وما أنت بمجبرهم على الايمان انما أنت مبلغ ، قال الفراء سمعت العرب تقول جبر فلان فلانا على كذا بمعنى أجبره ثم قال عز وجل (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) أى بلغ أنت رسالة ربك فانما يتذكر من يخاف الله ووعيده ويرجو وعده كقوله تعالى [فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب] وقوله جل جلاله (فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر - ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء - انك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) ولهذا قال تعالى ههنا (وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) كان قتادة يقول اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعودك يابار يارحيم .

﴿ آخر تفسير سورة ق والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل ﴾

﴿ ذلك حشر علينا ﴾ جمع علينا ﴿ يسير * نحن أعلم بما يقولون ﴾ يعني كفار مكة في تكذيبك ﴿ وما أنت عليهم بجبار ﴾ بمسلط تجبرهم على الاسلام انما بعثت مذكراً ﴿ فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾ أي ما أوعدت من عصاني من العذاب قال ابن عباس قالوا يارسول الله لو خوفتنا فنزلت (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد)



تفسير سورة الذاريات وهى مكية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

والذاريت ذروا (١) فالحملت وقرا (٢) فالجريت يسرا (٣) فالمقسمت أمرا (٤) انما توعدون لصادق (٥) وان الدين لواقع (٦) والسماء ذات الحبك (٧) انكم لفي قول مختلف (٨) يؤفك عنه من أفك (٩) قتل الخراصون (١٠) الذين هم في غمرة ساهون (١١) يسئلون أيان يوم الدين (١٢) يوم هم على النار يفتنون (١٣) ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون (١٤)

قال شعبة بن الحجاج عن سماك بن خالد بن عرعرة أنه سمع عليا رضي الله عنه وشعبة أيضا عن القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل أنه سمع عليا رضي الله عنه ، وثبت أيضا من غير وجه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه صعد منبر الكوفة فقال : لا تسألوني عن آية في كتاب الله تعالى ولا عن سنة عن رسول الله ﷺ إلا أنبأتكم بذلك فقام اليه ابن الكواء فقال يا أمير المؤمنين ما معنى قوله تعالى (والذاريات ذروا) قال علي رضي الله عنه الريح ، قال (فالحاملات وقرا) قال رضي الله عنه السحاب ، قال (فالجاريات يسرا) قال رضي الله عنه السفن ، قال (فالمقسمات أمرا) قال رضي الله عنه الملائكة

وقد روي في ذلك حديث مرفوع فقال الحافظ ابو بكر البزار حدثنا ابراهيم بن هانيء حدثنا سعيد بن سلام العطار حدثنا ابو بكر بن أبي سبرة عن يحيي بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال جاء صبيغ التميمي إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن الذاريات ذروا فقال رضي الله عنه هي الرياح ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ماقلته قال فاخبرني عن المقسمات

﴿ سورة الذاريات مكية وهي ست وستون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والذاريات ذروا ﴾ يعني الرياح التي تذرو التراب ذروا يقال ذرت الريح التراب وأذرت ﴿ فالحاملات وقرا ﴾ يعني السحاب التي تحمل ثقلا من الماء ﴿ فالجاريات يسرا ﴾ هي السفن تجري في الماء جريا سهلا ﴿ فالمقسمات أمرا ﴾ هي الملائكة يقسمون الامور بين الخلق على ما أمروا به أقسم

امرا قال رضي الله عنه هي الملائكة ولولا اني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ماقلته، قال فاخبرني عن الجاريات يسرا قال رضي الله عنه هي السفن ولولا اني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ماقلته ثم أمر بضربه فضرب مائة وجعل في بيت فلما برد دعا به فضربه مائة أخرى وحمله على قتب وكتب إلى ابي موسى الاشعري رضي الله عنه امنع الناس من مجالسته فلم يزل كذلك حتى أتى ابا موسى رضي الله عنه فحلف بالايمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان يجد شيئا فكتب في ذلك إلى عمر رضي الله عنه فكتب عمر ما اخاله إلا قد صدق فخل بينه وبين مجالسة الناس

قال ابو بكر البزار فأبو بكر بن أبي سبرة لين وسعيد بن سلام ليس من أصحاب الحديث قلت فهذا الحديث ضعيف رفعه وأقرب مافيه انه موقوف على عمر رضي الله عنه فان قصة صبيغ بن عسل مشهورة مع عمر [رض] ، وانما ضربه لانه ظهر له من أمره فيما يسأل تعنتا وعنادا والله أعلم

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر هذه القصة في ترجمة صبيغ مطولة وهكذا فسرها ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدي وغير واحد ، ولم يحك ابن جرير وابن أبي حاتم غير ذلك ، وقد قيل إن المراد بالذاريات الريح كما تقدم وبالحاملات وقرا السحاب كما تقدم لأنها تحمل الماء كما قال زيد بن عمرو بن نفيل

وأسلمت نفسي لمن أسلمت   له المزن تحمل عذبا زلالا

فاما الجاريات يسراً فالمشهور عن الجمهور كما تقدم أنها السفن تجرى ميسرة في الماء جريا سهلا وقال بعضهم هي النجوم تجرى يسراً في أفلاكها ليكون ذلك ترقيا من الأدنى إلى الاعلى الى ماهو أعلى منه فالرياح فوقها السحاب والنجوم فوق ذلك والمقسمات أمرا الملائكة فوق ذلك تنزل بأوامر الله الشرعية والكونية وهذا قسم من الله عز وجل على وقوع المعاد ولهذا قال تعالى (انما توعدون لصادق) أي لخبر صدق (وان الدين) وهو الحساب (لواقع) أى لكائن لا محالة

ثم قال تعالى (والسماء ذات الحبك) قال ابن عباس رضي الله عنهما ذات الجمال والبهاء والحسن والاستواء وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وابومالك وابوصالح والسدي وقتادة وعطية العوفي والربيع بن أنس وغيرهم ، وقال الضحاك والمنهال بن عمرو وغيرهما مثل تجعد الماء والرمل والزرع اذا ضربته الريح فينسج بعضه بعضا طرائق طرائق فذلك الحبك

بهذه الاشياء لما فيها من الدلالة على صنعه وقدرته ثم ذكر المقسم عليه فقال ﴿ ان ماتوعدون ﴾ من الثواب والعقاب ﴿ لصادق وان الدين ﴾ الحساب والجزاء ﴿ لواقع ﴾ لكائن ثم ابتدأ قسما آخر فقال ﴿ والسماء ذات الحبك ﴾ قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق الحسن المستوى يقال للنساج اذا نسج الثوب فأجاد ما أحسن حبكه قال سعيد بن جبير ذات الزينة قال الحسن حبكت بالنجوم قال مجاهد هي المتقنة البنيان وقال مقاتل والكلبي والضحاك ذات الطرائق كحبك الماء اذا ضربته الريح

قال ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال « ان من ورائكم الكذاب المضل وان رأسه من ورائه حبكا حبكا يعني بالحبك الجعودة وعن أبي صالح ذات الحبك الشدة وقال خصيف ذات الحبك ذات الصفاقة ، وقال الحسن بن أبي الحسن البصري ذات الحبك حبكت بالنجوم

وقال قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن عمرو البكالي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما [والسماء ذات الحبك] يعني السماء السابعة وكأنه والله أعلم أراد بذلك السماء التي فيها الكواكب الثابتة وهي عند كثير من علماء الهيئة في الفلك الثامن الذي فوق السابع والله أعلم ، وكل هذه الاقوال ترجع إلى شيء واحد وهو الحسن والبهاء كما قال ابن عباس رضي الله عنهما فانها من حسنها مرتفعة شفافة صفيقة شديدة البناء متسعة الارجاء أنيقة البهاء مكللة بالنجوم الثوابت والسيارات موشحة بالشمس والقمر والكواكب الزاهرات

وقوله تعالى [انكم لفي قول مختلف] أي انكم أيها المشركون المكذبون للرسل لفي قول مختلف مضطرب لا يلتئم ولا يجتمع وقال قتادة انكم لفي قول مختلف مابين مصدق بالقرآن ومكذب به

[يؤفك عنه من أفك] أي انما يروج على من هو ضال في نفسه لانه قول باطل انما ينقاد له ويضل بسببه ويؤفك عنه من هو مأفوك ضال غمر لافهم له كما قال تعالى [فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الامن هو صال الجحيم] قال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي [يؤفك عنه من أفك] يضل عنه من ضل وقال مجاهد [يؤفك عنه من أفك] يؤفن عنه من أفن ، وقال الحسن البصري يصرف عن هذا القرآن من كذب به

وقوله تعالى [قتل الخراصون] قال مجاهد الكذابون قال وهي مثل التي في عبس [قتل الانسان ما أكفره] والخراصون الذين يقولون لا نبعث ولا يوقنون

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (قتل الخراصون) أي لعن المرتابون

وحبك الرمل والشعر الجعد ولكنها لا ترى لبعدها من الناس وهي جمع حباك وحبيكة وجواب القسم قوله ﴿ انكم ﴾ يا أهل مكة ﴿ لفي قول مختلف ﴾ في القرآن وفي محمد ﷺ تقولون في القرآن سحر وكهانة وأساطير الاولين وفي محمد ﷺ ساحر وشاعر ومجنون وقيل لفي قول مختلف أي مصدق ومكذب ﴿ يؤفك عنه من أفك ﴾ يصرف عن الايمان به من صرف حتى يكذبه يعني من حرمه الله الايمان بمحمد ﷺ وبالقرآن وقيل عن بمعنى من أجل أي يصرف من أجل هذا القول المختلف أو بسببه عن الايمان من يصرف وذلك أنهم كانوا يتلقون الرجل اذا أراد الايمان فيقولون انه ساحر وكاهن ومجنون فيصرفونه عن الايمان وهذا معنى قول مجاهد ﴿ قتل الخراصون ﴾ لعن الكذابون

وهكذا كان معاذ [رض] يقول في خطبته هلك المرتابون ،وقال قتادة الخراصون أهل الغرة والظنون

وقوله تبارك وتعالى (الذين هم في غمرة ساهون) قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد في الكفر والشك غافلون لاهون (يسألون أيان يوم الدين) وانما يقولون هذا تكذيبا وعناداً وشكا واستبعاداً قال الله تعالى (يوم هم على النار يفتنون)

قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد يفتنون يعذبون قال مجاهد كما يفتن الذهب على النار ، وقال جماعة آخرون كمجاهد أيضاً وعكرمة وابراهيم النخعي وزيد بن أسلم وسفيان الثوري يفتنون يحرقون (ذوقوا فتنتكم) قال مجاهد حريقكم وقال غيره عذابكم (هذا الذي كنتم به تستعجلون) أي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا وتحقيراً وتصغيراً والله أعلم

إن المتقين في جنت وعيون (١٥) آخذين ما آتهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين (١٦) كانوا قليلا من الليل مايهجعون (١٧) وبالاسحٰرهم يستغفرون (١٨) وفي أموالهم حق للسائل والمحروم (١٩) وفي الارض آيٰت للموقنين (٢٠) وفي أنفسكم أفلا تبصرون؟ (٢١) وفي السماء رزقكم وماتوعدون (٢٢) فورب السماء والارض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون (٢٣)

يقول تعالى مخبراعن المتقين لله عز وجل أنهم يوم معادهم يكونون في جنات وعيون بخلاف ماأولئك الاشقياء فيه من العذاب والنكال والحريق والاغلال

وقوله تعالى (آخذين ماآتاهم ربهم) قال ابن جرير اي عاملين بما آتاهم الله من الفرائض انهم كانوا قبل ذلك محسنين أي قبل أن يفرض عليهم الفرائض كانوا محسنين في الاعمال أيضاً ثم روى عن ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن أبي عمر عن مسلم البطين عن ابن عباس [رض] في قوله

يقال تخرص على فلان الباطل وهم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا القول في النبي ﷺ ليصرفوا الناس عن دين الاسلام وقال مجاهد هم الكهنة ﴿ الذين هم في غمرة ﴾ غفلة وعمى وجهالة ﴿ ساهون ﴾ لاهون غافلون عن أمر الآخرة والسهو الغفلة عن الشيء،وهو ذهاب القلب عنه ﴿ يسألون أيان يوم الدين؟ ﴾ يقولون يامحمد متى يوم الجزاء يعني يوم القيامة تكذيبا واستهزاء،قال الله عزوجل﴿يوم هم﴾ أي يكون يوم الجزاء في يوم هم ﴿ على النار يفتنون ﴾ أي يعذبون ويحرقون بها كما يفتن الذهب بالنار وقيل على بمعنى الباء، أي بالنار وتقول لهم خزنة النار ﴿ ذوقوا فتنتكم ﴾ عذابكم ﴿ هذا الذي كنتم به تستعجلون ﴾ في الدنيا تكذيباً به ﴿ ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ﴾اعطاهم ﴿ربهم﴾

تعالى (آخذين ما آتاهم ربهم) قال من الفرائض (انهم كانوا قبل ذلك محسنين) قبل الفرائض يعملون ، وهذا الاسناد ضعيف ولا يصح عن ابن عباس رضي الله عنهما

وقد رواه عثمان بن أبي شيبة عن معاوية بن هشام عن سفيان عن أبي عمر البزار عن أبي مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره ، والذي فسر به ابن جرير فيه نظر لان قوله تبارك وتعالى آخذين حال من قوله في جنات وعيون فالمتقون في حال كونهم في الجنات والعيون آخذين ما آتاهم ربهم أي من النعيم والسرور والغبطة

وقوله عز وجل (إنهم كانوا قبل ذلك) أي في الدار الدنيا (محسنين) كقوله جل جلاله (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية) ثم انه تعالى بين احسانهم في العمل فقال جل وعلا [كانوا قليلا من الليل مايهجعون] اختلف المفسرون في ذلك على قولين أحدهما ان ما نافية تقديره كانوا قليلا من الليل لا يهجعونه

قال ابن عباس رضي الله عنهما لم تكن تمضي عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئا ، وقال قتادة عن مطرف بن عبدالله قل ليلة تأتي عليهم إلا يصلون فيها لله عز وجل اما من أولها واما من أوسطها وقال مجاهد قل مايرقدون ليلة حتى الصباح لايتهجدون وكذا قال قتادة وقال أنس بن مالك [رض] وأبو العالية كانوا يصلون بين المغرب والعشاء

وقال ابو جعفر الباقر كانوا لاينامون حتى يصلوا العتمة ، والقول الثاني ان ما مصدرية تقديره كانوا قليلا من الليل هجوعهم ونومهم واختاره ابن جرير ، وقال الحسن البصري (كانوا قليلا من الليل مايهجعون) كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل الا أقله ونشطوا فمدوا إلى السحر حتى كان الاستغفار بسحر ، وقال قتادة قال الاحنف بن قيس (كانوا قليلا من الليل مايهجعون) كانوا لاينامون الا قليلا ثم يقول لست من أهل هذه الآية

وقال الحسن البصري كان الاحنف بن قيس يقول عرضت عملي على عمل أهل الجنة فاذا قوم قد باينونا بونا بعيدا اذا قوم لانبلغ أعمالهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وعرضت عملي على عمل أهل النار فاذا قوم لاخير فيهم مكذبون بكتاب الله وبرسل الله مكذبون بالبعث بعد الموت فقد وجدت من خيرنا منزلة قوما خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم قال رجل من بني تميم لابي : يا أبا أسامة صفة لا أجدها فينا

من الخير والكرامة ﴿ إنهم كانوا قبل ذلك ﴾ قبل دخولهم الجنة ﴿ محسنين ﴾ في الدنيا ﴿ كانوا قليلا من الليل مايهجعون ﴾ والهجوع النوم بالليل دون النهار وما صلة ، والمعنى كانوا يهجعون قليلا من الليل أى يصلون أكثر الليل وقيل معناه كان الليل الذى ينامون فيه كله قليلا وهذا معنى قول سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني كانوا قل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيئا اما من أولها او من أوسطها قال أنس

ذكر الله تعالى قوما فقال (كانوا قليلا من الليل مايهجعون) ونحن والله قليلا من الليل مانقوم فقال له أبي رضي الله عنه طوبى لمن رقد اذا نعس واتقى الله اذ استيقظ

وقال عبدالله بن سلام رضي الله عنه لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس اليه فكنت فيمن انجفل فلما رايت وجهه ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه رجل كذاب فكان أول ماسمعته ﷺ يقول « ياأيها الناس أطعموا الطعام ، وصلوا الارحام ، وأفشوا السلام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام »

وقال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثني يحيى بن عبدالله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : إن رسول الله ﷺ قال « إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها » فقال أبو موسى الاشعري رضي الله عنه لمن هي يارسول الله ؟ قال ﷺ « لمن ألان الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات لله قائما والناس نيام » وقال معمر في قوله تعالى (كانوا قليلا من الليل مايهجعون) كان الزهري والحسن يقولان كانوا كثيراً من الليل مايصلون وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابراهيم النخعي (كانوا قليلا من الليل مايهجعون) ما ينامون وقال الضحاك (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا) ثم ابتدأ فقال (من الليل مايهجعون وبالاسحار هم يستغفرون) وهذا القول فيه بعد وتعسف

ابن مالك كانوا يصلون ما بين المغرب والعشاء وقال محمد بن علي كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة قال مطرف بن عبد الله بن الشخير قل ليلة أتت عليهم هجعوها كلها قال مجاهد كانوا لاينامون كل الليل ، ووقف بعضهم على قوله قليلا أي كانوا من الناس قليلا ثم ابتدأ من الليل مايهجعون وجعله جحداً أي لا ينامون بالليل البتة بل يقومون للصلاة والعبادة وهو قول الضحاك ومقاتل ﴿ وبالاسحار هم يستغفرون ﴾ قال الحسن لا ينامون من الليل الا أقله وربما نشطوا فمدوا الى السحر ثم أخذوا في الاسحار بالاستغفار وقال الكلبي ومجاهد ومقاتل وبالاسحار يصلون وذلك ان صلاتهم بالاسحار لطلب المغفرة

اخبرنا عبد الواحد المليحي أنا ابو محمد الحسن بن احمد بن محمد الخلدي انا أبو العباس محمد بن اسحاق السراج ثنا قتيبة ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « ينزل الله الى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل فيقول أنا الملك أنا الملك من الذي يدعوني فأستجيب له؟ من الذى يسألني فاعطيه ؟ من الذى يستغفرني فأغفر له ؟ »

أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان ثنا سليمان بن أبي مسلم عن طاوس سمع ابن عباس قال « كان النبي ﷺ اذا قام من الليل يتهجد قال « اللهم لك الحمد أنت قيوم السموات والارض ومن فيهن ، ولك الحمد

وقوله عز وجل (وبالاسحار هم يستغفرون) قال مجاهد وغير واحد يصلون وقال آخرون قاموا الليل وأخروا الاستغفار الى الاسحار كما قال تبارك وتعالى (والمستغفرين بالاسحار) فان كان الاستغفار في صلاة فهو أحسن

وقد ثبت في الصحاح وغيرها عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الله تعالى ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فاغفر له ، هل من سائل فيعطى سؤله؟ حتى يطلع الفجر » وقال كثير من المفسرين في قوله تعالى اخباراً عن يعقوب أنه قال لبنيه (سوف استغفر لكم ربي) قالوا أخرهم وقت السحر . وقوله تعالى (وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) لما وصفهم بالصلاة ثنى بوصفهم بالزكاة والبر والصلة فقال (وفي أموالهم حق) اي جزء مقسوم قد افرزوه للسائل والمحروم أما السائل فمعروف وهو الذي يبتدىء بالسؤال وله حق كما قال الامام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا حدثنا سفيان عن مصعب بن محمد عن يعلى بن أبي يحيى عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين بن علي رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « للسائل حق وان جاء على فرس » ورواه أبو داود من حديث سفيان الثوري به . ثم اسنده من وجه آخر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وروي من حديث الهرماس بن زياد مرفوعا ، وأما المحروم فقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد هو المحارف الذي ليس له في الاسلام سهم يعني لاسهم له في بيت المال ولا كسب له ولا حرفة يتقوت

أنت نور السموات والارض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت ملك السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما اسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وانت المؤخر لا إله إلا انت ولا إله غيرك » قال سفيان وزاد عبد الكريم ابو امية ولا حول ولا قوة إلا بالله

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا صدقة أنا الوليد انا الاوزاعي حدثني عمير بن هاني ، حدثني جنادة بن أبي أمية حدثني عبادة عن النبي ﷺ قال « من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وسبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال رب اغفر لي - أو قال - دعا استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته »

قوله عز وجل ﴿ وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ﴾ السائل الذي يسأل الناس والمحروم الذي ليس له في الغنيمة سهم ولا يجري عليه من الفيء شيء هذا قول ابن عباس وسعيد بن المسيب قال

منها وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هو المحارف الذي لايكاد يتيسر له مكسبه وقال الضحاك هو الذي لايكون له مال إلا ذهب قضى الله له تعالى ذلك وقال أبو قلابة جاء سيل باليمامة فذهب بمال رجل فقال رجل من الصحابة رضي الله عنهم هذا المحروم وقال ابن عباس رضي الله عنهما أيضا وسعيد بن المسيب وابراهيم النخعي ونافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما وعطاء بن أبي رباح المحروم المحارف وقال قتادة والزهري المحروم الذي لايسأل الناس شيئا قال الزهري وقد قال رسول الله ﷺ « ليس المسكين بالطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لايجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه » وهذا الحديث قد أسنده الشيخان في صحيحهما من وجه آخر وقال سعيد بن جبير هو الذي يجيء وقد قسم المغنم فيرضخ له

وقال محمد بن اسحاق حدثني بعض أصحابنا قال كنا مع عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه في طريق مكة فجاء كلب فانتزع عمر رضي الله عنه كتف شاة فرمى بها اليه وقال يقولون انه المحروم، وقال الشعبي أعياني أن أعلم ما المحروم، واختار ابن جرير أن المحروم الذي لامال له بأي سبب كان وقد ذهب ماله سواء كان لايقدر على الكسب أو قد هلك ماله أو نحوه بآفة أو نحوها

وقال الثورى عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد رضي الله عنه قال إن رسول الله ﷺ بعث سرية فغنموا فجاء قوم لم يشهدوا الغنيمة فنزلت هذه الآية (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) وهذا يقتضي أن هذه مدنية وليس كذلك بل هي مكية شاملة لما بعدها

وقوله عز وجل (وفي الارض آيات للموقنين) أى فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات والمهاد والجبال والقفار والانهار والبحار واختلاف ألسنة الناس وألوانهم وما جبلوا عليه من الارادات والقوى وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوة وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من اعضائهم في المحل الذى هو محتاج اليه فيه ولهذا قال عز وجل (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) قال قتادة من تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة

المحروم الذى ليس له في الاسلام سهم ومعناه في اللغة الذي منع الخير والعطاء. وقال قتادة والزهري المحروم المتعفف الذي لا يسأل وقال زيد بن أسلم هو المصاب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته وهو قول محمد بن كعب القرظي قال المحروم صاحب الحاجة ثم قرأ (إنا لمغرمون بل نحن محرومون) ﴿ وفي الارض آيات ﴾ عبر ﴿ للموقنين ﴾ إذا ساروا فيها من الجبال والبحار والاشجار والثمار وأنواع النبات ﴿وفي أنفسكم ﴾ آيات إذ كانت نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما إلى أن نفخ فيها الروح وقال عطاء عن ابن عباس يريد اختلاف الالسنة والصور والالوان والطبائع وقال ابن الزبير يريد سبيل احتباس الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من السبيلين ﴿ أفلا تبصرون ﴾ قال مقاتل أفلا تبصرون

ثم قال تعالى (وفي السماء رزقكم) يعنى المطر (وماتوعدون) يعنى الجنة قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وغير واحد وقال سفيان الثورى قرأ واصل الاحدب هذه الآية [وفي السماء رزقكم وما توعدون] فقال ألا أرى رزقي في السماء وأنا أطلبه في الارض فدخل خربة فمكث ثلاثا لايصيب شيئا فلما أن كان في اليوم الثالث اذا هو بدوخلة من رطب وكان له أخ أحسن نية منه فدخل معه فصارتا دوخلتين فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرق بينهما الموت

وقوله تعالى [فورب السماء والارض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون] يقسم تعالى بنفسه الكريمة أن ماوعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء كائن لامحالة وهو حق لامرية فيه فلا تشكوا فيه كما لا تشكوا في نطقكم حين تنطقون، وكان معاذ رضي الله عنه اذا حدث بالشيء يقول لصاحبه إن هذا الحق كما أنك ههنا قال مسدد عن ابن أبي عدى عن عوف عن الحسن البصرى قال بلغنى أن رسول الله ﷺ قال « قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا » ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن أبي عدى عن عوف عن الحسن فذكره مرسلا

هل أتيك حديثُ ضيف ابراهيم المكرَمين (٢٤) إذ دخلوا عليه فقالوا سلٰما قال سلٰم قوم منكَرون (٢٥) فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين (٢٦) فقربه اليهم قال ألا تأكلون؟ (٢٧) فأوجس منهم خيفةً قالوا لاتخف وبشروه بغلٰم عليم (٢٨) فأقبلت امرأته في صَرَّة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم (٢٩) قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم (٣٠)

هذه القصة قد تقدمت في سورة هود والحجر أيضا فقوله (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم

كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث (وفي السماء رزقكم قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل يعني المطر الذي هو سبب الارزاق ﴿ وما توعدون ﴾ قال عطاء من الثواب والعقاب وقال مجاهد من الخير والشر وقال الضحاك وما توعدون من الجنة والنار ثم أقسم بنفسه فقال ﴿ فورب السماء والارض انه لحق ﴾ أي ماذكرت من أمر الرزق لحق ﴿ مثل ﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم مثل برفع اللام بدلا من الحق وقرأ الآخرون بالنصب أي كمثل ﴿ ما أنكم تنطقون ﴾ فتقولون لا إله إلا الله وقيل شبه تحقيق ما أخبر عنه بتحقيق نطق الآدمي كما تقول انه لحق كما أنت ههنا وانه لحق كما انك تتكلم والمعنى انه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة وقال بعض الحكماء يعني كما ان كل انسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل انسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له ولا يقدر أن يأكل رزق غيره

قوله عز وجل ﴿ هل أتاك حديث ضيف ابراهيم ﴾ ذكرنا عددهم في سورة هود ﴿ المكرمين ﴾ قيل سماهم

المكرمين) أي الذين أرصد لهم الكرامة ، وقد ذهب الامام أحمد وطائفة من العلماء إلى وجوب الضيافة للنزيل وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل

وقوله تعالى (قالوا سلاما قال سلام) الرفع أقوى وأثبت من النصب فرده أفضل من التسليم ولهذا قال تعالى [واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) فالخليل اختار الافضل ، وقوله تعالى (قوم منكرون) وذلك أن الملائكة وهم جبريل وميكائيل واسرافيل قدموا عليه في صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة ولهذا قال (قوم منكرون)

وقوله عز وجل (فراغ إلى أهله) أي انسل خفية في سرعة (فجاء بعجل سمين) أي من خيار ماله ، وفي الاية الاخرى (فما لبث أن جاء بعجل حنيذ) أي مشوي على الرضف (فقربه اليهم) أي أدناه منهم (قال ألا تأكلون ؟) تلطف في العبارة وعرض حسن، وهذه الآية انتظمت أداب الضيافة فانه جاء بطعام من حيث لايشعرون بسرعة ولم يمتن عليهم أولا فقال نأتيكم بطعام بل جاء به بسرعة وخفاء وأتى بأفضل ماوجد من ماله وهو عجل فتي سمين مشوي فقربه اليهم لم يضعه وقال اقتربوا بل وضعه بين أيديهم ولم يأمرهم أمراً يشق على سامعه بصيغة الجزم بل قال (ألا تأكلون) على سبيل العرض والتلطف كما يقول القائل اليوم إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل

وقوله تعالى (فأوجس منهم خيفة هذا محال على ماتقدم في القصة في السورة الاخرى وهي قوله تعالى [فلما رأى أيديهم لاتصل اليهم نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف انا أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت) أي استبشرت بهلاكهم لتمردهم وعتوهم على الله تعالى فعند ذلك بشرتها الملائكة باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب [قالت ياويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب * قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد] ولهذا قال الله سبحانه وتعالى ههنا (وبشروه بغلام عليم) فالبشارة له هي بشارة لها لان الولد منهما فكل منهما بشر به

مكرمين لانهم كانوا ملائكة كراما عند الله وقد قال الله تعالى في وصفهم (بل عباد مكرمون) وقيل لانهم كانوا ضيف ابراهيم وكان ابراهيم أكرم الخليقة وضيف الكرام مكرمون وقيل لان ابراهيم عليه السلام أكرمهم بتعجيل قراهم والقيام بنفسه عليهم بطلاقة الوجه وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد خدمته بنفسه إياهم وروي عن ابن عباس سماهم مكرمين لانهم جاؤا غير مدعوين وروينا عن النبي ﷺ أنه قال « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » ﴿ إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما * قال ﴾ ابراهيم ﴿ سلام قوم منكرون ﴾ أي غرباء لا نعرفكم قال ابن عباس قال في نفسه هؤلاء قوم لانعرفهم وقيل إنما أنكر أمرهم لانهم دخلوا عليه من غير استئذان وقال أبو العالية أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الارض ﴿ فراغ ﴾ فعدل ومال ﴿ إلى أهله فجاء بعجل سمين ﴾ مشوي ﴿ فقربه اليهم ﴾ ليأكلوا فلم يأكلوا ﴿ قال ألا تأكلون * فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم * فأقبلت امرأته

وقوله تعالى (فأقبلت امرأته في صرة) أي في صرخة عظيمة ورنة قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وأبو صالح والضحاك وزيد بن أسلم والثوري والسدي وهي قولها (ياويلتا ـ فصكت وجهها) أي ضربت بيدها على جبينها قاله مجاهد وابن سابط ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما لطمت أي تعجبا كما تتعجب النساء من الامر الغريب (وقالت عجوز عقيم) أي كيف ألد وأنا عجوز وقد كنت في حال الصبا عقيما لا أحبل (قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم) أي عليم بما تستحقون من الكرامة حكيم في أقواله وأفعاله

قال فما خطبكم أيها المرسلون (٣١) قالوا انا أرسلنا إلى قوم مجرمين (٣٢) لنرسل عليهم حجارة من طين (٣٣) مسومةً عند ربك للمسرفين (٣٤) فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين (٣٥) فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (٣٦) وتركنا فيها آيةً للذين يخافون العذاب الاليم (٣٧).

قال الله تعالى مخبراً عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام (فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط إن ابراهيم لحليم أواه منيب * ياابراهيم أعرض عن هذا انه قدجاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود) وقال ههنا (قال فما خطبكم أيها المرسلون ؟) أي ماشأنكم وفيم جئتم (قالوا انا أرسلنا إلى قوم مجرمين) يعنون قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة) أي معلمة (عند ربك للمسرفين) أي مكتتبة عنده بأسمائهم كل حجر عليه اسم صاحبه فقال في سورة العنكبوت [قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين] وقال تعالى ههنا (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين) وهم لوط وأهل بيته إلا امرأته (فما

في صرة ﴾ أي صيحة قيل لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان وانما هو كقول القائل أقبل يشتمني بمعنى أخذ في شتمي أي أخذت تولول كما قال الله تعالى [قالت ياويلتا] ﴿ فصكت وجهها ﴾ قال ابن عباس لطمت وجهها وقال الآخرون جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجبا كعادة النساء اذا أنكرن شيئا وأصل الصك ضرب الشيء بالشيء العريض ﴿ وقالت عجوز عقيم ﴾ مجازه أتلد عجوز عقيم وكانت سارة لم تلد قبل ذلك ﴿ قالوا كذلك قال ربك ﴾ أي كما قلنا لك قال ربك انك ستلدين غلاما ﴿ انه هو الحكيم العليم * قال ﴾ ابراهيم ﴿ فما خطبكم أيها المرسلون * قالوا انا أرسلنا إلى قوم مجرمين ﴾ يعني قوم لوط ﴿ لنرسل عليهم حجارة من طين * مسومة ﴾ معلمة ﴿ عند ربك المسرفين ﴾ قال ابن عباس للمشركين والشرك أسرف الذنوب وأعظمها ﴿ فأخرجنا من كان فيها ﴾ أي في قرى قوم لوط ﴿ من المؤمنين ﴾ وذلك قوله (فأسر بأهلك بقطع من الليل) ﴿ فما وجدنا فيها غير بيت ﴾

وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) احتج بهذه من ذهب إلى رأي المعتزلة ممن لا يفرق بين مسمى الايمان والاسلام لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين وهذا الاستدلال ضعيف لان هؤلاء كانوا قوما مؤمنين، وعندنا أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس فاتفق الاسمان هنا لخصوصية الحال ولا يلزم ذلك في كل حال وقوله تعالى (وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم) أي جعلناها عبرة بما أنزلنا بهم من العذاب والنكال ، وحجارة السجيل ، وجعلنا محلتهم بحيرة منتنة خبيثة في ذلك عبرة للمؤمنين (الذين يخافون العذاب الاليم)

وفي موسى إذ أرسلنٰه الى فرعون بسلطٰن مبين (٣٨) فتولّٰى بركنه وقال سٰحر أو مجنون (٣٩) فأخذنٰه وجنوده فنبذنٰهم في اليمّ وهو مُليم (٤٠) وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم (٤١) ماتذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرّميم (٤٢) وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتّىٰ حين (٤٣) فعتوْا عن أمر ربهم فأخذتهم الصعقة وهم ينظرون (٤٤) فما استطٰعوا من قيام وما كانوا منتصرين (٤٥) وقومَ نوح من قبل انهم كانوا قوما فٰسقين (٤٦)

يقول تعالى (وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين) أي بدليل باهر وحجة قاطعة (فتولى بركنه) أي فأعرض فرعون عما جاءه به موسى من الحق المبين استكباراً وعناداً ، وقال مجاهد تعزز بأصحابه ، وقال قتادة غلب عدو الله على قومه ، وقال ابن زيد (فتولى بركنه) أي بجموعه التي معه ثم قرأ [لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد] والمعنى الاول قوي كقوله تعالى [ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله] اي معرض عن الحق مستكبر (وقال ساحر أو مجنون) أي لايخلو أمرك فيما جئتني به من أن تكون ساحراً أو مجنونا قال الله تعالى (فأخذناه وجنوده فنبذناهم) أي ألقيناهم (في اليم) وهو البحر (وهو مليم) أي وهو ملوم كافر جاحد فاجر معاند

أي غير أهل بيت ﴿ من المسلمين ﴾ يعني لوطا وابنتيه وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا لانه ما من مؤمن الا وهو مسلم ﴿ وتركنا فيها ﴾ أي في مدينة قوم لوط ﴿ آية ﴾ عبرة ﴿ للذين يخافون العذاب الاليم ﴾ أى علامة للخائفين تدلهم على أن الله تعالى أهلكهم فيخافون مثل عذابهم ﴿ وفي موسى ﴾ أى وتركنا في إرسال موسى آية وعبرة وقيل هو معطوف على قوله (وفي الارض آيات للموقنين وفي موسى) ﴿ إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين ﴾ بحجة ظاهرة ﴿ فتولى ﴾ أى فأعرض وأدبر عن الايمان ﴿ بركنه ﴾ أى بجمعه وجنوده الذين كانوا يتقوى بهم كالركن الذى يقوى به البنيان نظيره قوله (أو آوى الى ركن شديد) ﴿ وقال ساحر أو مجنون ﴾ قال أبو عبيدة أو بمعنى الواو ﴿ فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم ﴾ أغرقناهم فيه ﴿ وهو مليم ﴾ أى آت بما يلام عليه من دعوى الربوبية

ثم قال عز وجل (وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) أي المفسدة التي لاتنتج شيئاً . قاله الضحاك وقتادة وغيرهما ولهذا قال تعالى (ماتذر من شيء أتت عليه) أي مما تفسده الريح (إلا جعلته كالرميم) أي كالشيء الهالك البالي

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب حدثنا عمي عبدالله بن وهب حدثني عبد الله يعني ابن عياش القساني حدثني عبد الله بن سليمان عن دراج عن عيسى بن هلال الصدفي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « الريح مسخرة من الثانية يعني من الارض الثانية ، فلما أراد الله تعالى أن يهلك عاداً أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحاً تهلك عاداً قال أي رب أرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور ؟ قال له الجبار تبارك وتعالى لا اذا تكفأ الارض ومن عليها ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم فهي التي قال الله عز وجل في كتابه (ماتذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم) »

هذا الحديث رفعه منكر والاقرب أن يكون موقوفاً على عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما من زاملتيه اللتين أصابهما يوم اليرموك والله أعلم

قال سعيد بن المسيب وغيره في قوله تعالى (إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) قالوا هي الجنوب . وقد ثبت في الصحيح من رواية شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور » (وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) قال ابن جرير يعني إلى وقت فناء آجالكم ، والظاهر ان هذه كقوله تعالى (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) وهكذا قال ههنا (وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون) وذلك انهم انتظروا العذاب ثلاثة أيام فجاءهم في صبيحة اليوم الرابع بكرة النهار (فما استطاعوا من قيام) أي من هرب ولا نهوض (وماكانوا

وتكذيب الرسل ﴿ وفي عاد ﴾ أي وفي إهلاك عاد أيضاً آية ﴿ إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ﴾ وهي التي لا خير فيها ولا بركة ولا تلقح شجراً ولا تحمل مطراً ﴿ ماتذر من شيء أتت عليه ﴾ من أنفسهم وأنعامهم ومواشيهم واموالهم ﴿ إلا جعلته كالرميم ﴾ كالشيء الهالك البالي وهو نبات الارض اذا يبس وديس قال مجاهد كالتبن اليابس قال قتادة كرميم الشجر قال أبو العالية كالتراب المدقوق وقيل اصله من العظم البالي ﴿ وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ﴾ يعني وقت فناء آجالهم وذلك انهم لما عقروا الناقة قيل لهم تمتعوا ثلاثة أيام ﴿ فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة ﴾ يعني بعد مضي الايام الثلاثة وهي الموت في قول ابن عباس قال مقاتل يعني العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك وقرأ الكسائي الصعقة وهي الصوت الذي يكون من الصاعقة ﴿ وهم ينظرون ﴾ يرون ذلك عياناً ﴿ فما استطاعوا من قيام ﴾ فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض قال قتادة لم ينهضوا من تلك الصرعة

منتصرين) أي لايقدرون على أن ينتصروا مماهم فيه

وقوله عز وجل (وقوم نوح من قبل) أي وأهلكنا قوم نوح من قبل هؤلاء (انهم كانوا قوما فاسقين) وكل هذه القصص قد تقدمت مبسوطة في أماكن كثيرة من سور متعددة والله تعالى أعلم

والسماء بنينها بأيد وإنا لموسعون (٤٧) والارض فرشنها فنعم المهدون (٤٨) ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون (٤٩) ففروا الى الله إني لكم منه نذير مبين (٥٠) ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه نذير مبين (٥١)

يقول تعالى منبها على خلق العالم العلوي والسفلي (والسماء بنيناها) أي جعلناها سقفا محفوظا رفيعا [بأيد] أي بقوة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والثوري وغير واحد (وإنا لموسعون) أي قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هي (والارض فرشناها) أي جعلناها فراشا للمخلوقات (فنعم الماهدون) أي وجعلناها مهداً لأهلها (ومن كل شيء خلقنا زوجين) أي جميع المخلوقات أزواج سماء وأرض وليل ونهار وشمس وقمر وبر وبحر وضياء وظلام وايمان وكفر وموت وحياة وشقاء وسعادة وجنة ونار حتى الحيوانات والنباتات ولهذا قال تعالى (لعلكم تذكرون) أي لتعلموا أن الخالق واحد لاشريك له (ففروا إلى الله) أي الجأوا اليه واعتمدوا في أموركم عليه (اني لكم منه

﴿ وما كانوا منتصرين ﴾ منتقمين منا قال قتادة ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من الله ﴿ وقوم نوح ﴾ قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وقوم بجر الميم أي وفي قوم نوح ، وقرأ الآخرون بنصبها بالحمل على المعنى وهو ان قوله (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) معناه أغرقناهم كأنه قال أغرقناهم وأغرقنا قوم نوح ﴿ من قبل ﴾ أى من قبل هؤلاء وهم عاد وثمود وقوم فرعون ﴿ انهم كانوا قوما فاسقين ﴾ * والسماء بنيناها بأيد ﴾ بقوة وقدرة ﴿ وإنا لموسعون ﴾ قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لقادرون وعنه ايضا لموسعون الرزق على خلقنا وقيل ذوو سعة وقال الضحاك اغنياء دليله قوله عز وجل (وعلى الموسع قدره) قال الحسن المطيقون ﴿ والارض فرشناها ﴾ بسطناها ومهدناها لكم ﴿ فنعم الماهدون ﴾ الباسطون نحن قال ابن عباس نعم ماوطأت لعبادى ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين ﴾ صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والشتاء والصيف والجن والانس والذكر والانثى والنور والظلمة والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والجنة والنار والحق والباطل والحلو والمر ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ فتعلمون ان خالق الازواج فرد ﴿ ففروا الى الله ﴾ فاهربوا من عذاب الله الي ثوابه بالايمان والطاعة قال ابن عباس فروا منه اليه واعملوا بطاعته

نذير مبين * ولا تجعلوا مع الله إلها آخر) أي لا تشركوا به شيئا (اني لكم منه نذير مبين)

كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون (٥٢) أتواصوا به ؟

بل هم قوم طاغون (٥٣) فتول عنهم فما أنت بملوم (٥٤) وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين (٥٥)

وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (٥٦) ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون (٥٧)

ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين (٥٨) فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا

يستعجلون (٥٩) فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون (٦٠)

يقول تعالى مسليا لنبيه ﷺ وكما قال لك هؤلاء المشركون قال المكذبون الاولون لرسلهم (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أومجنون) قال الله عز وجل (أتواصوا به ؟) أي أوصى بعضهم بعضا بهذه المقالة (بل هم قوم طاغون) أي لكن هم قوم طغاة تشابهت قلوبهم فقال متأخرهم كما قال متقدمهم قال الله تعالى (فتول عنهم) أي فأعرض عنهم يامحمد [فما أنت بملوم] يعني فما نلومك على ذلك [وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين] أي انما تنتفع بها القلوب المؤمنة

ثم قال جل جلاله (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) أي انما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لا لاحتياجي اليهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الا ليعبدون أي إلا ليقروا بعبادتي طوعا أو كرها وهذا اختيار ابن جرير ، وقال ابن جريج الا ليعرفون ، وقال الربيع بن أنس [وما خلقت الجن

وقال سهل بن عبد الله فروا مما سوى الله الى الله ﴿ اني لكم منه نذير مبين * ولا تجعلوا مع الله الها آخر إني لكم منه نذير مبين * كذلك ﴾ أى كما كذبك قومك يامحمد وقالوا ساحر أو مجنون كذلك ﴿ ما أتى الذين من قبلهم ﴾ من قبل كفار مكة ﴿ من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون ﴾

قال الله تعالى ﴿ أتواصوا به ؟ ﴾ أى أوصى أولهم آخرهم وبعضهم بعضا بالتكذيب وتواطؤا عليه والالف فيه للتوبيخ ﴿ بل هم قوم طاغون ﴾ قال ابن عباس حملهم الطغيان فيما أعطيتهم ووسعت عليهم على تكذيبك ﴿ فتول عنهم ﴾ فأعرض عنهم ﴿ فما أنت بملوم ﴾ لا لوم عليك فقد أديت الرسالة وما قصرت فيما أمرت به ، قال المفسرون لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله ﷺ واشتد ذلك على أصحابه وظنوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد حضر إذ أمر النبي ﷺ ان يتولى عنهم فأنزل الله تعالى ﴿ وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ فطابت أنفسهم قال مقاتل معناه عظ بالقرآن كفار مكة فان الذكرى تنفع من في علم الله أن يؤمن منهم وقال الكلبي عظ بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ قال الكلبي والضحاك وسفيان هذا خاص

والانس الا ليعبدون] أي الا للعبادة طوعا وكرها وهذا اختيار ابن جرير وقال ابن أنس: وقال السدي من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع [ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله] هذا منهم عبادة وليس ينفعهم مع الشرك . وقال الضحاك: المراد بذلك المؤمنون

وقوله تعالى [ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين] قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم وأبو سعيد قالا حدثنا إسرائيل عن أبي اسحاق عن عبد الرحمن بن زيد عن عبدالله بن مسعود [رض] قال أقرأني رسول الله ﷺ [إني أنا الرزاق ذو القوة المتين]ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث اسرائيل وقال الترمذي حسن صحيح

ومعنى الآية انه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ، ومن عصاه عذبه أشد العذاب ، وأخبر أنه غير محتاج اليهم بل هم الفقراء اليه في جميع أحوالهم ، فهو خالقهم ورازقهم

قال الامام احمد حدثنا محمد بن عبدالله حدثنا عمران - يعني ابن زائدة بن نشيط عن نشيط أبيه عن أبي خالد - هو الوالبي - عن أبي هريرة [رض] قال قال رسول الله ﷺ - يعني قال الله تعالى - «يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك » ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمران بن زائدة وقال الترمذي حسن غريب

وقد روى الامام أحمد عن وكيع وأبي معاوية عن الاعمش عن سلام بن شرحبيل سمعت حبة

لاهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن عباس (وما خلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون) ثم قال في آية أخرى (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس) وقال بعضهم وماخلقت السعداء من الجن والانس إلا لعبادتي والاشقياء منهم إلا لمعصيتي وهذا معنى قول زيد بن أسلم قال هم على ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة ، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلا ليعبدون أي إلا لآمرهم أن يعبدوني وادعوهم لعبادتي يؤيده قوله عز وجل (وما أمروا الا ليعبدوا إلها واحدا) وقال مجاهد الا ليعرفوني وهذا احسن لانه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده دليله قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) وقيل معناه إلا ليخضعوا لي ويتذللوا ، ومعنى العبادة في اللغة التذلل والانقياد فكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله ومتذلل لمشيئته لا يملك احد لنفسه خروجا عما خلق عليه قدر ذرة من نفع ولا ضر ، وقيل إلا ليعبدون إلا ليوحدون فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء بيانه ، قوله عز وجل (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) ﴿ ما أريد منهم من رزق ﴾ أي أن يرزقوا أحدا من خلقي ولا أن يرزقوا أنفسهم ﴿ وما أريد ان يطعمون ﴾ اي ان يطعموا احدا من خلقي ، وانما اسند الاطعام الى نفسه لان الخلق عيال الله ومن اطعم عيال احد فقد اطعمه كما جاء في الحديث « يقول الله يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني » اى فلم تطعم عبدى ثم بين ان الرزاق هو لا غيره فقال ﴿ ان الله هو الرزاق ﴾ يعني لجميع

وسواء ابني خالد يقولان : أتينا رسول الله ﷺ وهو يعمل عملا أو يبني بناء - وقال أبو معاوية يصلح شيئا فأعناه عليه فلما فرغ دعا لنا وقال « لا تيأسا من الرزق ما تهززت ر.وسكما فان الانسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة ثم يعطيه الله ويرزقه »

وقد ورد في بعض الكتب الالهية : يقول الله تعالى ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب ، وتكفلت برزقك فلا تتعب ، فاطلبني تجدني فان وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فتك فاتك كل شيء ، وأنا أحب اليك من كل شيء

وقوله تعالى [فان للذين ظلموا ذنوبا] أي نصيبا من العذاب [مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون] أي فلا يستعجلون ذلك فانه واقع لامحالة [فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون] يعني يوم القيامة

(آخر تفسير سورة الذاريات ولله الحمد والمنة)

تفسير سورة الطور وهي مكية

قال مالك عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فما سمعت أحداً أحسن صوتا او قراءة منه أخرجاه من طريق مالك

وقال البخاري حدثنا عبدالله بن يوسف أخبرنا مالك عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة قالت شكوت الى رسول الله ﷺ اني اشتكي فقال « طوفي من وراء الناس وأنت راكبة » فطفت ورسول الله ﷺ يصلي الى جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور

بسم الله الرحمن الرحيم

والطور (١) وكتٰب مسطور (٢) في رَقّ منشور (٣) والبيت المعمور (٤) والسقف

خلقه ﴿ ذو القوة المتين ﴾ وهو القوي المقتدر البالغ في القوة والقدرة ﴿ فان للذين ظلموا ﴾ كفروا من اهل مكة ﴿ ذنوبا ﴾ نصيبا من العذاب ﴿ مثل ذنوب اصحابهم ﴾ مثل نصيب اصحابهم الذين اهلكوا من قوم نوح وعاد وثمود ، وأصل الذنوب في اللغة الدلو العظيمة المملوءة ماء ثم استعمل في الحظ والنصيب ﴿ فلا يستعجلون ﴾ بالعذاب يعني انهم أخروا إلى يوم القيامة يدل عليه قوله عز وجل ﴿ فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون ﴾ يعني يوم القيامة وقيل يوم بدر

﴿ سورة الطور مكية وهي تسع واربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والطور ﴾ أراد به الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام بالارض المقدسة أقسم الله تعالى

المرفوع (٥) والبحر المسجور (٦) ان عذاب ربك لواقع (٧) ماله من دافع (٨) يوم تمور السماء موراً (٩) وتسير الجبال سيراً (١٠) فويل يومئذ للمكذبين (١١) الذين هم في خوض يلعبون (١٢) يوم يُدَعُّونَ الى نار جهنم دَعًّا (١٣) هذه النار التي كنتم بها تكذبون (١٤) أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون؟ (١٥) اصلوها فاصبروا أولا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون (١٦)

يقسم تعالى بمخلوقاته الدالة على قدرته العظيمة أن عذابه واقع بأعدائه وانه لا رافع له عنهم فالطور هو الجبل الذي يكون فيه أشجار مثل الذي كلم الله عليه موسى وأرسل منه عيسى وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طوراً انما يقال له جبل (وكتاب مسطور) قيل هو اللوح المحفوظ ، وقيل الكتب المنزلة المكتوبة التي تقرأ على الناس جهاراً ولهذا قال (في رق منشور * والبيت المعمور)

ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال في حديث الاسراء بعد مجاوزته إلى السماء السابعة « ثم رفع بي إلى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفا لا يعودون اليه آخر ما عليهم » يعني يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الارض بكعبتهم كذلك ذاك البيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة ولهذا وجد ابراهيم الخليل عليه السلام مسندا ظهره إلى البيت المعمور لأنه باني الكعبة الارضية والجزاء من جنس العمل وهو بحيال الكعبة وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها ويصلون اليه والذى في السماء الدنيا يقال له بيت العزة والله أعلم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا روح بن جناح عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « في السماء السابعة بيت يقال له المعمور بحيال الكعبة ، وفي السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخر عنه سبعون ألف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلون فيه فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون اليه أبداً ويولى عليهم أحدهم يؤمر أن يقف بهم من السماء موقفا يسبحون الله فيه إلى أن تقوم الساعة » هذا حديث غريب جداً تفرد به روح بن

به ﴿ وكتاب مسطور ﴾ مكتوب ﴿ في رق منشور ﴾ الرق ما يكتب فيه وهو أديم المصحف والمنشور المبسوط واختلفوا في هذا الكتاب قال الكلبي هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة وموسى يسمع صرير القلم وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو دواوين الحفظة تخرج اليهم يوم القيامة منشورة فآخذ بيمينه وآخذ بشماله دليله قوله عز وجل [ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشوراً] ﴿ والبيت المعمور ﴾

جناح هذا وهو القرشي الاموي مولاهم أبو سعيد الدمشقي وقد أنكر عليه هذا الحديث جماعة من الحفاظ منهم الجوزجاني والعقيلي والحاكم أبو عبد الله النيسابوري وغيرهم قال الحاكم لا أصل له من حديث أبي هريرة ولا سعيد ولا الزهري

وقال ابن جرير حدثنا هناد بن السرى حدثنا أبو الاحوص عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة أن رجلا قال لعلي ما البيت المعمور ؟ قال بيت في السماء يقال له الصراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته في السماء كحرمة البيت في الارض يصلي فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبداً ، وكذا رواه شعبة وسفيان الثورى عن سماك ، وعندهما أن ابن الكواء هو السائل عن ذلك

ثم رواه ابن جرير عن أبي كريب عن طلق بن غنام عن زائدة عن علي بن ربيعة قال سأل ابن الكواء عليا عن البيت المعمور قال مسجد في السماء يقال له الصراح يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبداً . ورواه من حديث أبي الطفيل عن علي بمثله ، وقال العوفي عن ابن عباس هو بيت حذاء العرش تعمره الملائكة يصلي فيه كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ثم لا يعودون اليه ، وكذا قال عكرمة ومجاهد وغير واحد من السلف

وقال قتادة والربيع بن أنس والسدي ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال يوما لأصحابه « هل تدرون ما البيت المعمور ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « فانه مسجد في السماء بحيال الكعبة لو خر لخر عليها يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك اذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم » وزعم الضحاك أنه يعمره طائفة من الملائكة يقال لهم الجن من قبيلة ابليس فالله أعلم

وقوله تعالى (والسقف المرفوع) قال سفيان الثوري وشعبة وأبو الاحوص عن سماك عن خالد ابن عرعرة عن علي (والسقف المرفوع) يعني السماء قال سفيان ثم تلا [وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون) وكذا قال مجاهد وقتادة والسدي وابن جريج وابن زيد واختاره ابن جرير ، وقال الربيع بن أنس هو العرش يعني أنه سقف لجميع المخلوقات وله اتجاه وهو مراد مع غيره كما قاله الجمهور

وقوله تعالى (والبحر المسجور) قال الربيع بن أنس هو الماء الذي تحت العرش الذي ينزل الله منه المطر الذي تحيا به الاجساد في قبورها يوم معادها ، وقال الجمهور هو هذا البحر، واختلف في معنى قوله المسجور فقال بعضهم المراد أنه يوقد يوم القيامة ناراً كقوله [واذا البحار سجرت] أي أضرمت فتصير ناراً تتأجج محيطة بأهل الموقف

بكثرة الغاشية والاهل وهو بيت في السماء السابعة حذاء العرش بحيال الكعبة يقال له الصراح حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الارض يدخله كل يوم سبعون الفا من الملائكة يطوفون به ويصلون فيه ثم لا يعودون اليه أبداً ﴿ والسقف المرفوع ﴾ يعني السماء نظيره قوله عز وجل [وجعلنا السماء سقفا محفوظا] ﴿ والبحر المسجور ﴾ قال محمد بن كعب القرظي والضحاك يعني الموقد المحمي بمنزلة التنور

ورواه سعيد بن المسيب عن علي بن أبي طالب وروي عن ابن عباس وبه يقول سعيد بن جبير ومجاهد وعبيد الله بن عمير وغيرهم ، وقال العلاء بن بدر انما سمي البحر المسجور لأنه لا يشرب منه ماء ولا يسقى به زرع وكذلك البحار يوم القيامة ، كذا رواه عنه ابن أبي حاتم ، وعن سعيد بن جبير (والبحر المسجور) يعني المرسل ، وقال قتادة المسجور المملوء واختاره ابن جرير ووجهه بأنه ليس موقداً اليوم فهو مملوء ، وقيل المراد به الفارغ

قال الاصمعي عن أبي عمرو بن العلاء عن ذي الرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (والبحر المسجور) قال الفارغ خرجت أمة تستسقي فرجعت فقالت إن الحوض مسجور يعني فارغا . رواه ابن مردويه في مسانيد الشعراء ، وقيل المراد بالمسجور الممنوع المكفوف عن الارض لئلا يغمرها فيغرق أهلها . قاله علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وبه يقول السدي وغيره . وعليه يدل الحديث الذي رواه الامام أحمد رحمه الله في مسنده فانه قال حدثنا يزيد بن العوام حدثني شيخ كان مرابطا بالساحل قال لقيت أبا صالح مولى عمر بن الخطاب فقال حدثنا عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات يستأذن الله تعالى أن ينفضح عليهم فيكفه الله عز وجل

وقال الحافظ أبو بكر الاسماعيلي حدثنا الحسن بن سفيان عن اسحاق بن راهويه عن يزيد وهو ابن هارون عن العوام بن حوشب حدثني شيخ مرابط قال خرجت ليلة لمحرمي لم يخرج أحد من الحرس غيري فأتيت الميناء فصعدت فجعل يخيل لي أن البحر يشرف يحاذي رءوس الجبال فعل ذلك مراراً وأنا مستيقظ فلقيت أبا صالح فقال : حدثنا عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مامن ليلة إلا والبحر يشرف ثلاث مرات يستأذن الله تعالى أن ينفضح عليهم فيكفه الله عز وجل » فيه رجل مبهم لم يسم

المسجور وهو قول ابن عباس وذلك ما روي ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة ناراً فيزاد بها في نار جهنم كما قال الله تعالى [واذا البحار سجرت]

وجاء في الحديث عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ « لا يركبن رجل بحراً إلا غازيا أو معتمراً أو حاجاً فان تحت البحر نارا وتحت النار بحراً » وقال مجاهد والكلبي المسجور المملوء يقال سجرت الاناء إذا ملأته وقال الحسن وقتادة وأبو العالية هو اليابس الذي قد ذهب ماؤه ونضب وقال الربيع بن أنس هو المختلط العذب بالملح وروى الضحاك عن النزال بن سبرة عن علي انه قال في البحر المسجور هو بحر تحت العرش سعته كما بين سبع سموات إلى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الاولى منه أربعين صباحا فينبتون في قبورهم هذا قول مقاتل أقسم

وقوله تعالى (إن عذاب ربك لواقع) هذا هو المقسم عليه أي لواقع بالكافرين كما قال في الآية الاخرى (ماله من دافع) أي ليس له دافع يدفعه عنهم اذا أراد الله بهم ذلك

قال الحافظ أبو بكر ابن أبي الدنيا حدثنا أبي موسى بن داود عن صالح المري عن جعفر بن زيد العبدي قال خرج عمر يعس المدينة ذات ليلة فمر بدار رجل من المسلمين فوافقه قائما يصلي فوقف يستمع قراءته فقرأ (والطور — حتى بلغ — إن عذاب ربك لواقع * ماله من دافع) قال قسم ورب الكعبة حق فنزل عن حماره واستند الى حائط فمكث مليا ثم رجع الى منزله فمكث شهراً يعوده الناس لا يدرون مامرضه رضي الله عنه

وقال الامام أبو عبيد في فضائل القرآن حدثنا محمد بن صالح حدثنا هشام بن حسان عن الحسن ان عمر قرأ (ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع) فربا لها ربوة عيد منها عشرين يوما

وقوله تعالى (يوم تمور السماء موراً) قال ابن عباس وقتادة: تتحرك تحريكا، وعن ابن عباس هو تشققها، وقال مجاهد: تدور دوراً، وقال الضحاك: استدارتها وتحركها لأمر الله وموج بعضها في بعض، وهذا اختيار ابن جرير انه التحرك في استدارة، قال وأنشد أبو عبيدة معمر ابن المثنى بيت الاعشى فقال

كأن مشيتها من بيت جارتها مور السحابة لا ريث ولا عجل

(وتسير الجبال سيراً) أي تذهب فتصير هباء منبثا وتنسف نسفا (فويل يومئذ للمكذبين) أى ويل لهم ذلك اليوم من عذاب الله ونكاله بهم وعقابه لهم (الذين هم في خوض يلعبون) أي هم في الدنيا يخوضون في الباطل ويتخذون دينهم هزوا ولعبا (يوم يدعون) أي يدفعون ويساقون (إلى نار جهنم دعا) وقال مجاهد والشعبي ومحمد بن كعب والضحاك والسدي والثوري يدفعون فيها دفعاً (هذه

الله بهذه الاشياء ﴿ان عذاب ربك لواقع﴾ نازل كائن ﴿ماله من دافع﴾ مانع قال جبير بن مطعم قدمت المدينة لأكلم رسول الله ﷺ في أسارى بدر فدفعت اليه وهو يصلي بأصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرأ (والطور — إلى قوله — إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع) فكأنما صدع قلبي حين سمعته ولم يكن أسلم يومئذ قال فأسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت أظن أني أقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب ثم بين انه متى يقع فقال ﴿يوم تمور السماء مورا﴾ أي تدور كدوران الرحى وتتكفأ باهلها تكفؤ السفينة قال قتادة تتحرك وقال عطاء الخراساني تختلف أجزاؤها بعضها في بعض وقيل تضطرب، والمور يجمع هذه المعاني فهو في اللغة الذهاب والمجيء والتردد والدوران والاضطراب ﴿وتسير الجبال سيرا﴾ فتزول عن أماكنها وتصير هباء منثورا ﴿فويل﴾ فشدة عذاب ﴿يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون﴾ يخوضون في الباطل يلعبون غافلين لاهين ﴿يوم يدعون﴾ يدفعون ﴿إلى نار جهنم دعا﴾ دفعا بعنف وجفوة وذلك أن خزنة جهنم يغلون أيديهم إلى أعناقهم

النار التي كنتم بها تكذبون) أي تقول لهم الزبانية ذلك تقريعا وتوبيخا [أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون؟ * اصلوها] أي ادخلوها دخول من تغمره من جميع جهاته (فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم)أي سواء صبرتم على عذابها ونكالها أم لم تصبروا لا محيد لكم عنها ولا خلاص لكم منها(انما تجزون ما كنتم تعملون)أي ولا يظلم الله أحدا بل يجازي كلا بعمله

ان المتقين في جنات ونعيم (١٧) فـكهين بما آتهم ربهم ووقهم ربهم عذاب الجحيم (١٨)

كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون(١٩)متكئين على سرر مصفوفة وزوجنهم بحور عين (٢٠)

أخبر الله تعالى عن حال السعداء فقال (ان المتقين في جنات ونعيم) وذلك بضد ما أولئك فيه من العذاب والنكال (فاكهين بما آتاهم ربهم) أي يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم من أصناف الملاذ من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومراكب وغير ذلك (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) أي وقد نجاهم من عذاب ا النار وتلك نعمة مستقلة بذاتها على حدتها مع ما أضيف اليها من دخول الجنة التي فيها من السرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

وقوله تعالى (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) كقوله تعالى(كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية) أي هذا بذاك تفضلا منه وإحسانا

وقوله تعالى (متكئين على سرر مصفوفة) قال الثورى عن حصين عن مجاهد عن ابن عباس السرر في الحجال ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو اليمان حدثنا صفوان بن عمرو انه سمع الهيثم بن مالك الطائي يقول ان رسول الله ﷺ قال « ان الرجل ليتكىء المتكأ مقدار أربعين سنة ما يتحول عنه ولا يمله يأتيه ما اشتهت نفسه ولذت عينه»

وحدثنا أبي أخبرنا هدبة بن خالد عن سليمان بن المغيرة عن ثابت قال بلغنا أن الرجل ليتكيء في الجنة سبعين سنة عنده من أزواجه وخدمه وما أعطاه الله من الكرامة والنعيم فاذا حانت منه نظرة فاذا أزواج له لم يكن رآهن قبل ذلك فيقلن قد أنى لك أن تجعل لنا منك نصيبا

ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم ثم يدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزجا في أقفيتهم حتى يردوا النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها ﴿ هذه النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ في الدنيا ﴿ أفسحر هذا ؟ ﴾ وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا ﷺ الى السحر وإلى أنه يغطي على الابصار بالسحر فوبخوا به وقيل لهم أفسحر هذا ؟ ﴿ أم أنتم لا تبصرون * اصلوها ﴾ قاسوا شدتها ﴿ فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم ﴾ الصبر والجزع ﴿ انما تجزون ما كنتم تعملون * ان المتقين في جنات ونعيم * فاكهين ﴾ معجبين بذلك ناعمين ﴿ بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ﴾ ويقال لهم ﴿ كلوا واشربوا هنيئا ﴾ مأمون العاقبة من التخمة والسقم ﴿ بما كنتم تعملون * متكئين على سرر مصفوفة ﴾ موضوعة بعضها إلى جنب بعض

ومعنى (مصفوفة) اي وجوه بعضهم إلى بعض كقوله (على سرر متقابلين) [وزوجناهم بحور عين] أي وجعلنا لهم قرينات صالحات وزوجات حسان من الحور العين ، وقال مجاهد [وزوجناهم] أنكحناهم بحور عين وقد تقدم وصفهن في غير موضع بما أغنى عن إعادته ههنا

والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمن ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتنهم من عملهم من شيء ، كل امرىء بما كسب رهين (٢١) وأمددنهم بفكهة ولحم مما يشتهون (٢٢) يتنزعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم (٢٣) ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون (٢٤) وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (٢٥) قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين (٢٦) فمن الله علينا ووقنا عذاب السموم (٢٧) إنا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم (٢٨)

يخبر تعالى عن فضله وكرمه وامتنانه ولطفه بخلقه واحسانه ان المؤمنين اذا اتبعتهم ذرياتهم في الايمان يلحقهم بآبائهم في المنزلة وان لم يبلغوا عملهم لتقر أعين الآباء بالابناء عندهم في منازلهم فيجمع بينهم على احسن الوجوه بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل ولا ينقص ذلك من عمله ومنزلته للتساوى بينه وبين ذاك ولهذا قال (ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) قال الثوري عن

﴿ وزوجناهم بحور عين * والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ﴾ قرأ أبو عمرو وأتبعناهم بقطع الالف على التعظيم ذرياتهم بالالف وكسر التاء فيهما لقوله ألحقنا بهم وما ألتناهم ليكون الكلام على نسق واحد ، وقرأ الآخرون واتبعتهم بوصل الالف وتشديد التاء بعدها وسكون التاء الاخيرة ، ثم اختلفوا في ذريتهم قرأ أهل المدينة الاولى بغير الف وضم التاء والثانية بالالف وكسر التاء ، وقرأ أهل الشام ويعقوب كلاهما بالالف وكسر التاء في الثانية وقرأ الآخرون بغير ألف فيهما ورفع التاء في الاولى ونصبها في الثانية ، واختلفوا في معنى الآية فقال قوم معناها والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان يعني أولادهم الصغار والكبار فالكبار بايمانهم بانفسهم والصغار بايمان آبائهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا لاحد الابوين ﴿ ألحقنا بهم ذريتهم ﴾ المؤمنين في الجنة بدرجاتهم وان لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم تكرمة لآبائهم لتقر بذلك أعينهم وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم وقال آخرون معناه والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم البالغون بايمان ألحقنا بهم ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا الايمان بايمان آبائهم . وهو قول الضحاك ورواية العوفي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أخبر الله عز وجل انه يجمع لعبده المؤمن ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا

عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : قال ان الله ليرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سفيان الثوري به ، وكذا رواه ابن جرير من حديث شعبة عن عمرو بن مرة به ، ورواه البزار عن سهل بن بحر عن الحسن بن حماد الوراق عن قيس بن الربيع عن عمرو بن مرة عن سعيد عن ابن عباس مرفوعا فذكره ثم قال وقد رواه الثوري عن عمرو بن مرة عن سعيد عن ابن عباس موقوفا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا العباس بن الوليد بن يزيد البيروتي أخبرني محمد بن شعبة أخبرني شيبان أخبرني ليث عن حبيب بن أبي ثابت الاسدي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قول الله تعالى (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم) قال هم ذرية المؤمن يموتون على الايمان فان كانت منازل آبائهم أرفع من منازلهم ألحقوا بآبائهم ولم ينقصوا من أعمالهم التي عملوها شيئا

وقال الحافظ الطبراني حدثنا الحسين بن اسحاق التستري حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن غزوان حدثنا شريك عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أظنه عن النبي ﷺ قال « إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال انهم لم يبلغوا درجتك فيقول يارب قد عملت لي ولهم فيؤمر بالحاقهم به وقرأ ابن عباس (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان) الآية

وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية يقول والذين أدرك ذريتهم الايمان فعملوا بطاعتي ألحقتهم بايمانهم الى الجنة وأولادهم الصغار تلحق بهم وهذا راجع الى التفسير الاول فان ذلك مفسر أصرح من هذا ، وهكذا يقول الشعبي وسعيد بن جبير وابراهيم وقتادة وأبو صالح والربيع بن أنس والضحاك وابن زيد ، وهو اختيار ابن جرير

أن يجتمعوا اليه يدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل أبيه من غير أن ينقص الآباء من أعمالهم شيئا فذلك قوله ﴿ وما ألتناهم ﴾ قرأ ابن كثير بكسر اللام والباقون بفتحها أي ما نقصناهم يعني الآباء ﴿ من عملهم من شيء ﴾

أخبرنا أبو سعيد احمد بن ابراهيم الشريحي انا ابو اسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن عبد الله الحديثي ثنا سعيد بن محمد بن اسحاق الصيرفي ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ثنا جنادة بن المغلس ثنا قيس بن الربيع ثنا عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ، ثم قرأ (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم) الى آخر الآية

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا ابو إسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله بن فنجويه الدينوري ثنا أبو بكر

وقد قال عبد الله بن الامام أحمد حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن محمد بن عثمان عن زاذان عن علي قال سألت خديجة النبي ﷺ عن ولدين ماتا لها في الجاهلية فقال رسول الله ﷺ « هما في النار » فلما رأى الكراهة في وجهها قال « لو رأيت مكانهما لابغضتهما » قالت يارسول الله فولدي منك قال « في الجنة » قال ثم قال رسول الله ﷺ « إن المؤمنين وأولادهم في الجنة ، وإن المشركين وأولادهم في النار » ثم قرأ رسول الله ﷺ [والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان] الآية هذا فضله تعالى على الابناء ببركة عمل الآباء ، وأما فضله على الآباء ببركة دعاء الابناء فقد قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يارب أنى لي هذه ؟ فيقول باستغفار ولدك لك » اسناده صحيح ولم يخرجره من هذا الوجه ولكن له شاهد في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ « اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »

وقوله تعالى [كل امرىء بما كسب رهين] لما أخبر عن مقام الفضل وهو رفع درجة الذرية الى منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك اخبر عن مقام العدل وهو أنه لايؤاخذ أحداً بذنب أحد فقال تعالى [كل امرىء بما كسب رهين] أى مرتهن بعمله لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس سواء كان أبا أو ابنا كما قال تعالى [كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين] وقوله [وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون] أى والحقناهم بفواكه ولحوم من أنواع شتى مما يستطاب ويشتهى

وقوله [يتنازعون فيها كأسا] أى يتعاطون فيها كأسا أى من الخمر قاله الضحاك [لا لغو فيها

ابن مالك القطيعي ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل حدثني عثمان بن أبي شيبة ثنا محمد بن فضل عن محمد ابن عثمان عن زاذان عن علي رضي الله عنه قال : سألت خديجة رضي الله تعالى عنها النبي ﷺ عن ولدين ماتا لها في الجاهلية فقال رسول الله ﷺ « هما في النار » فلما رأى الكراهية في وجهها قال « لو رأيت مكانهما لابغضتهما » قالت يارسول الله فولدي منك قال « في الجنة » ثم قال رسول الله ﷺ « إن المؤمنين وأولادهم في الجنة ، وان المشركين وأولادهم في النار » ثم قرأ رسول الله ﷺ (والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم) ﴿ كل امرىء بما كسب رهين ﴾ قال مقاتل كل امرىء كافر بما عمل من الشرك مرتهن في النار ، والمؤمن لايكون مرتهنا لقوله عز وجل (كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين) ثم ذكر ما يزيدهم من الخير والنعمة فقال ﴿ وأمددناهم بفاكهة ﴾ زيادة على ما كان لهم ﴿ ولحم مما يشتهون ﴾ من أنواع اللحمان ﴿ يتنازعون ﴾ يتعاطون ويتناولون ﴿ فيها كأسا لا لغو فيها ﴾ وهو الباطل وروي ذلك عن قتادة

ولا تأثيم] أى لا يتكلمون فيها بكلام لاغ أى هذيان ولا اثم أى فحش كما يتكلم به الشربة من أهل الدنيا ، قال ابن عباس اللغو الباطل والتأثيم الكذب وقال مجاهد لا يستبون ولا يؤثمون وقال قتادة كان ذلك في الدنيا مع الشيطان فنزه الله خمر الآخرة عن قاذورات خمر الدنيا وأذاها كما تقدم فنفى عنها صداع الرأس ووجع البطن وإزالة العقل بالكلية وأخبر انها لا تحملهم على الكلام السيء الفارغ عن الفائدة المتضمن هذيانا وفحشا وأخبر بحسن منظرها وطيب طعمها ومخبرها فقال (بيضاء لذة للشاربين * لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون) وقال (لا يصدعون عنها ولا ينزفون) وقال ههنا (يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم)

وقوله تعالى (ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون) إخبار عن خدمهم وحشمهم في الجنة كأنهم اللؤلؤ الرطب المكنون في حسنهم وبهائهم ونظافتهم وحسن ملابسهم كما قال تعالى (ويطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين)

وقوله تعالى [وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون] أي أقبلوا يتحادثون ويتساءلون عن اعمالهم واحوالهم في الدنيا وهذا كما يتحدث أهل الشراب على شرابهم اذا أخذ فيهم الشراب بما كان من أمرهم [قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين] أي كنا في الدار الدنيا ونحن بين أهلينا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه وعقابه [فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم] أي فتصدق علينا وأجارنا مما نخاف [إنا كنا من قبل ندعوه] أي نتضرع اليه فاستجاب لنا واعطانا سؤالنا [إنه هو البر الرحيم]

وقال مقاتل بن حيان لا فضول فيها ، وقال سعيد بن المسيب لا رفث فيها ، وقال ابن زيد لا سباب ولا تخاصم فيها ، وقال القتيبي لا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا ﴿ ولا تأثيم ﴾ أي لا يكون منهم ما يؤثمهم قال الزجاج لا يجري بينهم ما يلغى ولا ما فيه اثم كما يجري في الدنيا لشربة الخمر وقيل لا يأثمون في شربها ﴿ ويطوف عليهم ﴾ بالخدمة ﴿ غلمان لهم كأنهم ﴾ في الحسن والبياض والصفاء ﴿ لؤلؤ مكنون ﴾ مخزون مصون لم تمسه الايدي

قال سعيد بن جبير مكنون يعني في الصدف قال عبدالله بن عمرو ما من أحد من أهل الجنة إلا يسعى عليه الف غلام وكل غلام على عمل ما عليه صاحبه ، وروي عن الحسن أنه لما تلا هذه الآية قال قالوا يارسول الله الخادم كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدوم ؟ وعن قتادة قال ذكر لنا أن رجلا قال يانبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم ؟ قال « فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ يسأل بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا ﴿ قالوا انا كنا قبل في أهلنا ﴾ في الدنيا ﴿ مشفقين ﴾ خائفين من العذاب ﴿ فمن الله علينا ﴾ بالمغفرة ﴿ ووقانا عذاب السموم ﴾ قال الكلبي عذاب النار ، وقال الحسن السموم اسم من أسماء جهنم ﴿ انا كنا من قبل ﴾ في الدنيا ﴿ ندعوه ﴾ نخلص

وقد ورد في هذا المقام حديث رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده فقال حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن دينار حدثنا الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس قال قال رسول الله ﷺ «إذا دخل أهل الجنة الجنة اشتاقوا الى الاخوان فيجيء سرير هذا حتى يحاذي سرير هذا فيتحدثان فيتكي، هذا ويتكي، هذا فيتحدثان بما كان في الدنيا فيقول أحدهما لصاحبه يافلان تدرى أى يوم غفر الله لنا؟ يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله عز وجل فغفر لنا» ثم قال البزار لا نعرفه يروى إلا بهذا الاسناد قلت وسعيد بن دينار الدمشقي قال أبو حاتم هو مجهول وشيخه الربيع بن صبيح وقد تكلم فيه غير واحد من جهة حفظه وهو رجل صالح ثقة في نفسه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن عبدالله الاودي حدثنا وكيع عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة أنها قرأت هذه الآية [فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم * إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم] فقالت اللهم من علينا وقنا عذاب السموم إنك أنت البر الرحيم قيل للاعمش في الصلاة؟ قال نعم

فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون (٢٩) أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون؟ (٣٠) قل تربصوا فاني معكم من المتربصين (٣١) أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون؟ (٣٢) أم يقولون تقوّله؟ بل لايؤمنون (٣٣) فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صدقين (٣٤) أم خلقوا من غير شيء أم هم الخلقون؟ (٣٥)

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ بأن يبلغ رسالته الى عباده وأن يذكرهم بما انزل الله عليه ثم نفى عنه مايرميه به أهل البهتان والفجور فقال [فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون] أى لست بحمد الله بكاهن كما تقوله الجهلة من كفار قريش والكاهن الذى يأتيه الرئي من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء [ولا مجنون] وهو الذى يتخبطه الشيطان من المس

ثم قال تعالى منكراً عليهم في قولهم في الرسول ﷺ (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون؟)

له العبادة ﴿ انه ﴾ قرأ أهل المدينة والكسائي أنه بفتح الالف أى لأنه أو بأنه، وقرأ الآخرون بالكسر على الاستئناف ﴿ هو البر ﴾ قال ابن عباس اللطيف، وقال الضحاك الصادق فيما وعد ﴿ الرحيم * فذكر ﴾ يامحمد بالقرآن أهل مكة ﴿ فما أنت بنعمت ربك ﴾ برحمته وعصمته ﴿ بكاهن ﴾ تبتدع القول وتخبر بما في غد من غير وحي ﴿ ولا مجنون ﴾ نزلت في الذين اقتسموا عقبات مكة يرمون رسول الله ﷺ بالكهانة والسحر والجنون والشعر ﴿ أم يقولون ﴾ بل يقولون يعني هؤلاء المقتسمين الخراصين ﴿ شاعر ﴾ أي هو شاعر ﴿ نتربص به ريب المنون ﴾ حوادث الدهر وصروفه

أى قوارع الدهر والمنون الموت يقولون ننتظره ونصبر عليه حتى يأتيه الموت فنستريح منه ومن شأنه قال الله تعالى (قل تربصوا فاني معكم من المتربصين) إى انتظروا فاني منتظر معكم وستعلمون لمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة

قال محمد بن اسحاق عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس إن قريشا لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي ﷺ قال قائل منهم احتبسوه في وثاق وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير والنابغة إنما هو كأحدهم فانزل الله تعالى ذلك من قولهم [أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون؟]

ثم قال تعالى [أم تأمرهم احلامهم بهذا] أى عقولهم تأمرهم بهذا الذى يقولونه فيك من الاقاويل الباطلة التي يعلمون في أنفسهم أنها كذب وزور [أم هم قوم طاغون] أى ولكن هم قوم طاغون ضلال معاندون فهذا هو الذى يحملهم على ماقالوه فيك

وقوله تعالى [أم يقولون تقوله؟] أي اختلقه وافتراه من عند نفسه يعنون القرآن قال الله تعالى [بل لايؤمنون] أي كفرهم هو الذي يحملهم على هذه المقالة [فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين] أي إن كانوا صادقين في قولهم تقوله وافتراه فليأتوا بمثل ماجاء به محمد ﷺ من هذا القرآن فانهم لو اجتمعوا هم وجميع أهل الارض من الجن والانس ماجاءوا بمثله ولا بعشر سور من مثله ولا بسورة من مثله

فيموت ويهلك كما هلك من قبله من الشعراء ويتفرق أصحابه وإن أباه مات شابا ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه ، والمنون يكون بمعنى الدهر ويكون بمعنى الموت سميا بذلك لأنهما يقطعان الاجل ﴿ قل تربصوا ﴾ انتظروا بي الموت ﴿ فاني معكم من المتربصين ﴾ من المنتظرين حتى يأتي أمر الله فيكم فتعذبوا يوم بدر بالسيف ﴿ أم تأمرهم أحلامهم ﴾ عقولهم ﴿ بهذا ﴾ وذلك أن عظماء قريش كانوا يوصفون بالاحلام والعقول فأزرى الله بعقولهم حين لم تتميز لهم معرفة الحق من الباطل ﴿ أم هم ﴾ بل هم ﴿ قوم طاغون * أم يقولون تقوله ؟ ﴾ أي تخلق القرآن من تلقاء نفسه والتقول تكلف القول ولا يستعمل ذلك إلا في الكذب وليس الامر كما زعموا ﴿ بل لايؤمنون ﴾ بالقرآن استكبارا ثم ألزمهم الحجة فقال ﴿ فليأتوا بحديث مثله ﴾ أي مثل القرآن في نظمه وحسن بيانه ﴿ إن كانوا صادقين ﴾ أن محمداً تقوله من تلقاء نفسه .

قوله ﴿ أم خلقوا من غير شيء؟ ﴾ قال ابن عباس من غير رب ومعناه أخلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق؟ وذلك مما لايجوز أن يكون لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فلا بد له من خالق فان أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق ﴿ أم هم الخالقون ﴾ لأنفسهم وذلك في البطلان أشد لان مالا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا فليؤمنوا

أم خلقوا السموٰت والارض بل لا يوقنون (٣٦) أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون؟ (٣٧) أم لهم سلم يستمعون فيه؟ فليأت مستمعهم بسلطٰن مبين (٣٨) أم له البنٰت ولكم البنون؟ (٣٩) أم تسئلهم أجراً فهم من مغرم مثقلون؟ (٤٠) أم عندهم الغيب فهم يكتبون؟ (٤١) أم يريدون كيداً؟ فالذين كفروا هم المكيدون (٤٢) أم لهم إله غير الله؟ سبحٰن الله عما يشركون (٤٣)

هذا المقام في اثبات الربوبية وتوحيد الالوهية فقال تعالى (أم خلقوا من غير شيء؟ أم هم الخالقون؟) أى اوجدوا من غير موجد؟ أم هم أوجدوا أنفسهم؟ أى لا هذا ولا هذا بل الله هو الذى خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا

قال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان قال حدثني عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون؟ * أم خلقوا السموات والارض؟ بل لا يوقنون * أم عندهم خزائن ربك؟ أم هم المسيطرون؟) كاد قلبي أن يطير، وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من طرق عن الزهري به وجبير بن مطعم كان قد قدم على النبي ﷺ بعد وقعة بدر في فداء الاسارى وكان اذذاك مشركا فكان سماعه هذه الآية من هذه السورة من جملة ما حمله على الدخول في الاسلام بعد ذلك

ثم قال تعالى (أم خلقوا السموات والارض؟ بل لا يوقنون) أي أهم خلقوا السموات والارض؟ وهذا انكار عليهم في شركهم بالله وهم يعلمون أنه الخالق وحده لا شريك له ولكن عدم ايقانهم هو الذي يحملهم على ذلك (أم عندهم خزائن ربك؟ أم هم المسيطرون؟) أي أهم يتصرفون في الملك وبيدهم مفاتيح الخزائن؟ (أم هم المسيطرون؟) أي المحاسبون للخلائق ليس الامر كذلك بل الله عز وجل هو المالك المتصرف الفعال لما يريد

به ذكر هذا المعنى أبو سليمان الخطابي، قال الزجاج معناه أخلقوا باطلا لا يحاسبون ولا يؤمرون؟ وقال ابن كيسان أخلقوا عبثا وتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون فهو كقول القائل فعلت كذا وكذا من غير شيء أي لغير شيء أم هم الخالقون لأنفسهم فلا يجب عليهم لله أمر ﴿أم خلقوا السموات والارض؟﴾ فيكونوا هم الخالقين ليس الامر كذلك ﴿بل لا يوقنون * أم عندهم خزائن ربك؟﴾ قال عكرمة يعني النبوة، قال مقاتل أبأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونها حيث شاؤا، قال الكلبي خزائن المطر والرزق ﴿أم هم المسيطرون؟﴾ المسلطون الجبارون، قال عطاء أرباب قاهرون فلا يكونون تحت أمر

وقوله تعالى (أم لهم سلم يستمعون فيه؟) أي مرقاة إلى الملأ الاعلى (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) أي فليأت الذى يستمع لهم بحجة ظاهرة على صحة ماهم فيه من الفعال والمقال أي وليس لهم سبيل إلى ذلك فليسوا على شيء ولا لهم دليل

ثم قال منكراً عليهم فيما نسبوه اليه من البنات وجعلهم الملائكة اناثا واختيارهم لانفسهم الذكور على الاناث بحيث اذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، هذا وقد جعلوا الملائكة بنات الله وعبدوهم مع الله فقال (أم له البنات ولكم البنون ؟) وهذا تهديد شديد ووعيداً كيد (أم تسألهم أجراً) أى أجرة؟ على ابلاغك اياهم رسالة الله أى لست تسألهم على ذلك شيئا (فهم من مغرم مثقلون) أى فهم من أدنى شيء يتبرمون منه ويثقلهم ويشق عليهم (أم عندهم الغيب فهم يكتبون ؟) أى ليس الامر كذلك فانه لا يعلم أحد من أهل السموات والارض الغيب إلا الله (أم يريدون كيداً ؟ فالذين كفروا هم المكيدون) يقول تعالى أم يريد هؤلاء بقولهم هذا في الرسول وفي الدين غرور الناس وكيد الرسول وأصحابه فكيدهم إنما يرجع وباله على أنفسهم فالذين كفروا هم المكيدون (أم لهم إله غير الله؟ سبحان الله عما يشركون) وهذا إنكار شديد على المشركين في عبادتهم الاصنام والانداد مع الله ثم نزه نفسه الكريمة عما يقولون ويفترون ويشركون فقال (سبحان الله عما يشركون)

ونهي ويفعلون ماشاؤا ويجوز بالسين والصاد جميعا قرأ ابن عامر بالسين ههنا وفي قوله (بمسيطر) وقرأ حمزة باشمام الزاي فيهما ، وقرأ ابن كثير ههنا بالسين وبمصيطر بالصاد ، وقرأ الآخرون بالصاد فيهما ﴿ أم لهم سلم ﴾ مرقى ومصعد إلى السماء ﴿ يستمعون فيه ﴾ أي يستمعون عليه الوحي كقوله (ولأصلبنكم في جذوع النخل ؟) أي عليها أي ألهم سلم يرتقون به إلى السماء فيستمعون الوحي ويعلمون أن ماهم عليه حق بالوحي فهم مستمسكون به كذلك ﴿ فليأت مستمعهم ﴾ إن ادعوا ذلك ﴿ بسلطان مبين ﴾ بحجة بينة ﴿ أم له البنات ولكم البنون ﴾ هذا انكار عليهم حين جعلوا لله مايكرهون كقوله (فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون ؟)

قوله تعالى ﴿ أم تسألهم أجرا؟ ﴾ جعلا على ماجئتهم به ودعوتهم اليه من الدين ﴿ فهم من مغرم مثقلون ﴾ أثقلهم ذلك الغرم الذي تسألهم فمنعهم ذلك عن الاسلام ﴿ أم عندهم الغيب؟ ﴾ أي علم ماغاب عنهم حتى علموا أن ما يخبرهم الرسول من أمر القيامة والبعث باطل وقال قتادة هذا جواب لقولهم نتربص به؟ ريب المنون يقول أعندهم علم الغيب حتى علموا أن محمدا ﷺ يموت قبلهم ﴿ فهم يكتبون ﴾ قال القتيبي فهم يكتبون أي يحكمون والكتاب الحكم قال النبي ﷺ للرجلين اللذين تخاصما اليه أقضي بينكما بكتاب الله أي بحكم الله ، وقال ابن عباس معناه أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به ﴿ أم يريدون كيدا ﴾ مكرا بك ليهلكوك ﴿فالذين كفروا هم المكيدن﴾ أي هم المجزيون بكيدهم يريد ان ضرر ذلك يعود عليهم ويحيق مكرهم بهم وذلك انهم مكروا به في دار الندوة فقتلوا ببدر ﴿ أم لهم إله غير الله ﴾ يرزقهم وينصرهم ﴿ سبحان الله عما يشركون ﴾ قال

وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم (٤٤) فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يُصعقون (٤٥) يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون (٤٦) وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون (٤٧) واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم (٤٨) ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم (٤٩)

يقول تعالى مخبرا عن المشركين بالعناد والمكابرة للمحسوس (وان يروا كسفا من السماء ساقطا) أي عليهم يعذبون به لما صدقوا ولما أيقنوا بل يقولون هذا سحاب مركوم أي متراكم وهذا كقوله تعالى (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون * لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون)

وقال الله تعالى (فذرهم) أي دعهم يا محمد (حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون) وذلك يوم القيامة (يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا) أي لا ينفعهم كيدهم ولا مكرهم الذي استعملوه في الدنيا لا يجزى عنهم يوم القيامة شيئا (ولا هم ينصرون)

ثم قال تعالى (وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك) أي قبل ذلك في الدار الدنيا كقوله تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون) ولهذا قال تعالى (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي نعذبهم في الدنيا ونبتليهم فيها بالمصائب لعلهم يرجعون وينيبون فلا يفهمون ما يراد بهم بل اذا جلي عنهم مما كانوا فيه عادوا إلى أسوأ مما كانوا عليه كما جاء في بعض الاحاديث «ان المنافق إذا مرض وعوفي مثله في ذلك كمثل البعير لا يدرى فيما عقلوه ولا فيما أرسلوه» وفي الاثر الالهي كم أعصيك ولا تعاقبني ؟ قال الله تعالى يا عبدي كم أعافيك وأنت لا تدرى ؟

الخليل ما في هذه السورة من ذكر أم كلمة استفهام وليس بعطف ﴿ وان يروا كسفا ﴾ قطعة من السماء ساقطا ﴾ هذا جواب لقولهم فأسقط علينا كسفا من السماء يقول لو عذبناهم بسقوط بعض من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم ﴿ يقولوا ﴾ لمعاندتهم ﴿ هذا سحاب مركوم ﴾ بعضه على بعض يسقينا ﴿ فذرهم حتى يلاقوا ﴾ يعاينوا ﴿ يومهم الذي فيه يصعقون ﴾ يموتون أي حتى يعاينوا الموت ، قرأ ابن عامر وعاصم يصعقون بضم الياء أي يهلكون ﴿ يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون ﴾ أي لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع ﴿ وان للذين ظلموا ﴾ كفروا ﴿ عذابا دون ذلك ﴾ أي عذابا في الدنيا قبل عذاب الآخرة

قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر ، وقال مجاهد هو الجوع والقحط سبع سنين ، وقال البراء ابن عازب هذا هو عذاب القبر ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ أن العذاب نازل بهم ﴿ واصبر لحكم

وقوله تعالى (واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) أى اصبر على أذاهم ولا تبالهم فانك بمرأى منا وتحت كلاءتنا والله يعصمك من الناس

وقوله تعالى (وسبح بحمد ربك حين تقوم) قال الضحاك أى إلى الصلاة : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك

وقد روى مثله عن الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما ، وروى مسلم في صحيحه عن عمر أنه كان يقول هذا في ابتداء الصلاة ، ورواه أحمد وأهل السنن عن أبي سعيد وغيره عن النبي ﷺ أنه كان يقول ذلك

وقال ابو الجوزاء (وسبح بحمد ربك حين تقوم) أى من نومك من فراشك ، واختاره ابن جرير ويتأيد هذا القول بما رواه الامام احمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي حدثني عمير بن هاني، حدثني جنادة بن أبي أمية حدثنا عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ قال « من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال رب اغفرلي - أو قال - ثم اذا دعا استجيب له فان عزم فتوضأ ثم صلى قبلت صلاته » وأخرجه البخاري في صحيحه وأهل السنن من حديث الوليد بن مسلم به

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (وسبح بحمد ربك حين تقوم) قال من كل مجلس ، وقال الثوري عن أبي إسحاق عن أبي الاحوص وسبح بحمد ربك حين تقوم قال اذا أراد الرجل أن يقوم من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك

ربك ﴾ إلى أن يقع بهم العذاب الذى حكمنا عليهم ﴿ فانك بأعيننا ﴾ أى بمرأى منا ، قال ابن عباس نرى ما يعمل بك وقال الزجاج معناه انك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون الى مكروهك ﴿ وسبح بحمد ربك حين تقوم ﴾ قال سعيد بن جبير وعطاء أى قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيراً ازددت إحسانا وإن كان غير ذلك كان كفارة له

أخبرنا ابو عبد الله عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد القفال انا ابو منصور احمد بن الفضل البروجردى انا ابو احمد بكر بن محمد الصيرفي ثنا احمد بن عبد الله الترمي ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج عن موسى بن عقبة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ « من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما ، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما معناه صل لله حين تقوم من مقامك ، وقال الضحاك والربيع اذا قمت إلى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك

وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي حدثنا أبو النضر إسحاق بن ابراهيم الدمشقي حدثنا محمد بن شعيب أخبرني طلحة بن عمرو الحضرمي عن عطاء بن أبي رباح أنه حدثه عن قول الله تعالى (وسبح بحمد ربك حين تقوم) يقول حين تقوم من كل مجلس ان كنت أحسنت ازددت خيرا وان كنت غير ذلك كان هذا كفارة له ، وقد قال عبد الرزاق في جامعه أخبرنا معمر عن عبد الكريم الجزري عن أبي عثمان الفقير أن جبريل علم النبي ﷺ إذا قام من مجلسه أن يقول : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك . قال معمر وسمعت غيره يقول هذا القول كفارة المجالس وهذا مرسل وقد وردت أحاديث مسندة من طرق يقوي بعضها بعضا بذلك فمن ذلك حديث ابن جريج عن سهيل عن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله الا أنت أستغفرك واتوب اليك الا غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك » رواه الترمذي وهذا لفظه والنسائي في اليوم والليلة من حديث ابن جريج ، وقال الترمذي حسن صحيح وأخرجه الحاكم في مستدركه وقال إسناده على شرط مسلم إلا أن البخاري علله قلت علله الامام أحمد والبخاري ومسلم وأبو حاتم وأبو زرعة والدارقطني وغيرهم ، ونسبوا الوهم فيه الى ابن جريج على أن أبا داود قد رواه في سننه من طريق غير ابن جريج الى أبي هريرة (رض) عن النبي ﷺ بنحوه ، ورواه أبو داود واللفظ له والنسائي والحاكم في المستدرك من طريق الحجاج بن دينار عن هاشم عن أبي العالية عن أبي برزة الاسلمي قال كان رسول الله ﷺ يقول بآخر عمره إذا أراد أن يقوم من المجلس « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله الا انت استغفرك وأتوب اليك » فقال رجل يارسول الله انك لتقول قولا ماكنت تقوله فيما مضى قال « كفارة لما يكون في المجلس » وقد روى مرسلا عن أبي العالية فالله اعلم ، وهكذا رواه النسائي والحاكم من حديث الربيع بن انس عن ابي العالية عن رافع بن خديج عن النبي ﷺ مثله سواء وروى مرسلا ايضا فالله اعلم

أخبرنا أبو عثمان الضبي انا أبو محمد الجراحي ثنا ابو العباس المحبوبي ثنا ابو عيسى الترمذى ثنا الحسن بن عرفة ويحيى بن موسى قالا ثنا ابو معاوية عن حارثة بن أبي الرجال عن عمرة عن عائشة قالت كان النبي ﷺ اذا افتتح الصلاة قال « سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك وقال الكلبي هو ذكر الله باللسان حين يقوم من الفراش إلى أن يدخل في الصلاة

أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني انا ابو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي أنا ابو علي محمد بن احمد بن عمر اللؤلؤى ثنا ابو داود سليمان بن الاشعث ثنا محمد بن نافع ثنا زيد ابن حباب أخبرني معاوية بن صالح انا زاهر بن سعيد الحرازى عن عاصم بن حميد قال سألت عائشة رضي الله تعالى عنها بأى شيء كان يفتتح رسول الله ﷺ قيام الليل ؟ فقالت كان اذا قام كبر

وكذا رواه أبو داود عن عبدالله بن عمرو انه قال «كلمات لايتكلم بهن احد في مجلسه عند قيامه ثلاث مرات الا كفر بهن عنه ولا يقولهن في مجلس خير ومجلس ذكر الا ختم له بهن كما يختم بالخاتم : سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت استغفرك وأتوب اليك» وأخرجه الحاكم من حديث ام المؤمنين عائشة وصححه ومن رواية جبير بن مطعم ورواه ابو بكر الاسماعيلي عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب كلهم عن النبي ﷺ وقد افردت لذلك جزءا على حدة بذكر طرقه وألفاظه وعلله ومايتعلق بها ولله الحمد والمنة

وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه) أي اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة في الليل كما قال تعالى [ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً]

وقوله تعالى [وإدبار النجوم] قد تقدم في حديث ابن عباس أنهما الركعتان اللتان قبل صلاة الفجر فانهما مشروعتان عند إدبار النجوم أي عند جنوحها للغيبوبة

وقد روى ابن سيلان عن أبي هريرة مرفوعا «لا تدعوهما وإن طردتكم الخيل» يعني ركعتي الفجر رواه أبو داود، ومن هذا الحديث حكي عن بعض أصحاب أحمد القول بوجوبهما وهو ضعيف لحديث «خمس صلوات في اليوم والليلة» قال هل علي غيرها؟ قال «لا إلا أن تطوع»

وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة (رض) قالت لم يكن رسول الله ﷺ على شيء من النوافل أشد تعاهداً منه على ركعتي الفجر، وفي لفظ لمسلم «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها»

(آخر تفسير سورة الطور ولله الحمد والمنة)

الله عشرا وحمد الله عشرا وسبح الله عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال «اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني» ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة ﴿ ومن الليل فسبحه ﴾ أي صل له قال مقاتل يعني صلاة المغرب والعشاء ﴿ وادبار النجوم ﴾ يعني ركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم أي تغيب بضوء الصبح هذا قول أكثر المفسرين وقال الضحاك هو فريضة صلاة الصبح

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في المغرب بالطور



تفسير سورة النجم وهى مكية

قال البخارى حدثنا نصر بن علي أخبرني أبو احمد - يعني الزبيدي - حدثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن الاسود بن يزيد عن عبدالله قال أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم قال فسجد النبي ﷺ وسجد من خلفه إلا رجلا رأيته اخذ كفا من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافراً وهو امية بن خلف، وقد رواه البخاري أيضا في مواضع ومسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن أبي اسحاق به، وقوله في الممتنع انه أمية بن خلف في هذه الرواية مشكل فانه قد جاء من غير هذه الطريق انه عتبة بن ربيعة

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم اذا هوى (١) ماضل صاحبكم وما غوى (٢) وما ينطق عن الهوى (٣) ان هو الا وحي يوحى (٤)

قال الشعبي وغيره : الخالق يقسم بما شاء من خلقه ، والمخلوق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق ، رواه ابن أبي حاتم . واختلف المفسرون في معنى قوله [والنجم إذا هوى] فقال ابن أبي نجيح عن مجاهد يعني بالنجم الثريا إذا سقطت مع الفجر وكذا روي عن ابن عباس وسفيان الثوري واختاره ابن جرير وزعم السدي أنها الزهرة، وقال الضحاك [والنجم إذا هوى] إذا رمي به الشياطين وهذا القول له اتجاه وروى الأعمش عن مجاهد في قوله تعالى [والنجم إذا هوى] يعنى القرآن إذا نزل ، وهذه الآية

﴿ سورة النجم مكية وهي اثنتان وستون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والنجم اذا هوى ﴾ قال ابن عباس في رواية الوالبي والعوفي يعني الثريا إذا سقطت وغابت وهويه مغيبه والعرب تسمي الثريا نجما وجاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا « ما طلع النجم قط وفي الارض من العاهة شيء إلا رفع » وأراد بالنجم الثريا ، وقال مجاهد هي نجوم السماء كلها حين تغرب ، لفظه واحد ومعناه الجمع سمي الكوكب نجما لطلوعه وكل طالع نجم قال نجم السن والقرن والنبت إذا طلع ، وروى عكرمة عن ابن عباس انه الرجوم من النجوم يعني ما ترمى بها الشياطين عند استراقهم السمع ، وقال أبو حمزة الثمالي هي النجوم إذا انتثرت يوم القيامة وقيل المراد بالنجم القرآن سمي نجما لانه نزل نجوما متفرقة في عشرين سنة وسمي التفريق تنجيما والمفرق منجما، هذا قول ابن عباس في رواية عطاء وقول الكلبي والهوي النزول من أعلى إلى أسفل، وقال الاخفش

كقوله تعالى(فلا أقسم بمواقع النجوم*وانه لقسم لو تعلمون عظيم*انه لقرآن كريم*في كتاب مكنون* لا يمسه إلا المطهرون* تنزيل من رب العالمين)

وقوله تعالى (ماضل صاحبكم وما غوى) هذا هو المقسم عليه وهو الشهادة للرسول ﷺ بأنه راشد تابع للحق ليس بضال وهو الجاهل الذي يسلك على غير طريق بغير علم ، والغاوي هو العالم بالحق العادل عنه قصدا إلى غيره ، فنزه الله رسوله وشرعه عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطرائق اليهود ، وهي علم الشيء وكتمانه والعمل بخلافه ، بل هو صلاة الله وسلامه عليه وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد ولهذا قال تعالى [وما ينطق عن الهوى] أي مايقول قولا عن هوى وغرض (إن هو إلا وحي يوحى) أي انما يقول ما أمر به يبلغه إلى الناس كاملا موفوراً من غير زيادة ولا نقصان كما رواه الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا جرير بن عثمان عن عبدالرحمن بن ميسرة عن أبي امامة انه سمع رسول الله ﷺ يقول « ليدخل الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحيين أو مثل أحد الحيين ربيعة ومضر » فقال رجل يا رسول الله أوما ربيعة من مضر ؟ قال « انما أقول ما أقول »

وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن عبيدالله بن الاخنس أخبرنا الوليد بن عبدالله عن يوسف بن ماهك عن عبدالله بن عمرو قال كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش فقالوا انك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال « اكتب فوالذي نفسي بيده ماخرج مني إلا الحق » ورواه أبو داود عن مسدد وأبي بكر بن أبي شيبة كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان به

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد بن منصور حدثنا عبدالله بن صالح حدثنا الليث عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « ما أخبرتكم انه من عند الله فهو الذي لاشك فيه » ثم قال لا نعلمه يروى الا بهذا الاسناد

وقال الامام احمد حدثنا يونس حدثنا ليث عن محمد بن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « لا أقول إلا حقا » قال بعض أصحابه فانك تداعبنا يا رسول الله ؟ قال « اني لا أقول الا حقا »

النجم هو النبت الذي لا ساق له ومنه قوله عز وجل [والنجم والشجر يسجدان وهويه سقوطه على الارض ، وقال جعفر الصادق يعني محمداً ﷺ إذا نزل من السماء إلى الارض ليلة المعراج والهوي النزول يقال هوى يهوي هويا إذا نزل مضى يمضي مضيا وجواب القسم قوله ﴿ماضل صاحبكم﴾ يعني محمداً ﷺ ماضل عن طريق الهدى ﴿وما غوى * وما ينطق عن الهوى﴾ يعني بالهوى يريد لا يتكلم بالباطل وذلك أنهم قالوا إن محمدا ﷺ يقول القرآن من تلقاء نفسه ﴿ ان هو ﴾ مانطقه في الدين

علمه شديد القوى (٥) ذو مِرّةٍ فاستوى (٦) وهو بالأفق الأعلى (٧) ثم دنا فتدلى (٨) فكان قابَ قوسين أو أدنى (٩) فأوحى إلى عبده ما أوحى (١٠) ما كذب الفؤاد ما رأى (١١) أفتمرونه على ما يرى (١٢) ولقد رآه نزلة أخرى (١٣) عند سدرة المنتهى (١٤) عندها جنة المأوى (١٥) إذ يغشى السِّدرة ما يغشى (١٦) ما زاغ البصر وما طغى (١٧) لقد رأى من آيات ربه الكبرى (١٨)

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله محمد ﷺ انه علمه الذي جاء به إلى الناس [شديد القوى] وهو جبريل عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى (إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين) وقال ههنا (ذو مرة) أي ذو قوة قاله مجاهد والحسن وابن زيد . وقال ابن عباس: ذو منظر حسن وقال قتادة ذو خلق طويل حسن ولا منافاة بين القولين فانه عليه السلام ذو منظر حسن وقوة شديدة، وقد ورد في الحديث الصحيح من رواية ابن عمر وأبي هريرة ان النبي ﷺ قال «لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي» وقوله تعالى (فاستوى) يعني جبريل عليه السلام. قاله الحسن ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس [وهو بالافق الاعلى] يعني جبريل استوى في الافق الأعلى . قاله عكرمة وغير واحد . قال عكرمة : والافق الاعلى الذى يأتي منه الصبح ، وقال مجاهد هو مطلع الشمس وقال قتادة هو الذي يأتي منه النهار وكذا قال ابن زيد وغيرهم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا مصرف بن عمرو اليامي أبو القاسم حدثنا عبد الرحمن ابن محمد بن طلحة بن مصرف حدثني أبي عن الوليد هو ابن قيس عن اسحاق بن أبي الكهتلة أظنه ذكره عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ لم ير جبريل في صورته الا مرتين أما واحدة فانه سأله أن يراه في صورته فسد الافق ، وأما الثانية فانه كان معه حيث صعد فذلك قوله (وهو بالافق الاعلى) وقد قال ابن جرير ههنا قولا لم أره لغيره ولا حكاه هو عن أحد وحاصله أنه ذهب إلى أن المعنى فاستوى أي هذا الشديد القوى ذو المرة هو ومحمد ﷺ بالافق الاعلى أي استويا جميعا بالافق الاعلى وذلك ليلة الاسراء. كذا قال ولم يوافقه أحد على ذلك ، ثم شرع يوجه ما قاله من حيث العربية

وقيل القرآن ﴿ إلا وحي يوحى ﴾ يعني وحي من الله يوحى اليه ﴿ علمه شديد القوى ﴾ وهو جبريل والقوى جمع القوة ﴿ ذو مرة ﴾ قوة وشدة في خلقه يعني جبريل قال ابن عباس ذو مرة يعني ذو منظر حسن وقال قتادة ذو خلق طويل حسن ﴿ فاستوى ﴾ يعني جبريل ﴿ وهو ﴾ يعني محمداً ﷺ وا كثر كلام العرب اذا أرادوا العطف في مثل هذا أن يظهروا كناية المعطوف عليه فيقولون استوى هو وفلان وقلما يقولون استوى وفلان ونظير هذا قوله (أئذا كنا ترابا وآباؤنا) عطف الآباء على المكني في كنا من غير اظهار نحن ، ومعنى الآية استوى جبريل ومحمد عليهما السلام ليلة المعراج

فقال وهو كقوله [أئذا كنا ترابا وآباؤنا] فعطف بالآباء على المكني في كنا من غير اظهار نحن فكذلك قوله فاستوى وهو قال وذكر الفراء عن بعض العرب أنه أنشده :

ألم تر أن النبع يصلب عوده ولا يستوي والخروع المتقصف

وهذا الذي قاله من جهة العربية متجه ولكن لا يساعده المعنى على ذلك فان هذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الاسراء بل قبلها ورسول الله ﷺ في الارض فهبط عليه جبريل عليه السلام وتدلى اليه فاقترب منه وهو على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدرة المنتهى يعني ليلة الاسراء وكانت هذه الرؤية الاولى في أوائل البعثة بعد ما جاءه جبريل عليه السلام أول مرة فأوحى الله اليه صدر سورة اقرأ ، ثم فتر الوحي فترة ذهب النبي ﷺ فيها مرارا ليتردى من رءوس الجبال فكلما هم بذلك ناداه جبريل من الهواء يا محمد أنت رسول الله حقا وأنا جبريل فيسكن لذلك جاشه وتقر عينه وكلما طال عليه الامر عاد لمثلها حتى تبدى له جبريل ورسول الله ﷺ بالأبطح في صورته التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح قد سد عظم خلقه الافق فاقترب منه وأوحى اليه عن الله عز وجل ما أمره به فعرف عند ذلك عظمة الملك الذي جاءه بالرسالة ، وجلالة قدره وعلو مكانته عند خالقه الذي بعثه اليه

فأما الحديث الذي رواه الحافظ ابو بكر البزار في مسنده حيث قال حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن منصور حدثنا الحارث بن عبيد عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « بينا أنا قاعد إذ جاء جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي فقمت إلى شجرة فيها كوكري الطير فقعد في أحدهما وقعدت في الآخر ، فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين وأنا أقلب طرفي ولو شئت أن أمس السماء لمسست فالتفت إلي جبريل كأنه حلس لاطئ فعرفت فضل علمه بالله علي ، وفتح لي باب من ابواب السماء ورأيت النور الاعظم واذا دون الحجاب رفرفة الدر والياقوت ، وأوحى إلي ما شاء الله أن يوحي » ثم قال البزار لا يرويه الا الحارث بن عبيد وكان رجلا مشهورا من أهل البصرة قلت الحارث بن عبيد هذا هو أبو قدامة الايادي أخرج له مسلم في صحيحه إلا أن ابن معين ضعفه وقال ليس هو بشيء . وقال الامام أحمد مضطرب الحديث ، وقال أبو حاتم الرازي يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال ابن حبان كثر وهمه فلا يجوز الاحتجاج به اذا انفرد فهذا الحديث من غرائب رواياته فان فيه نكارة وغرابة ألفاظ وسياقا عجيبا ولعله منام والله أعلم

بالافق الاعلى وهو أقصى الدنيا عند مطلع الشمس وقيل فاستوى يعني جبريل وهو كناية عن جبريل أيضا أي قام في صورته التي خلقه الله وهو بالافق الاعلى ، وذلك أن جبريل كان يأتي رسول الله ﷺ في صورة الآدميين كما كان يأتي النبيين فسأله رسول الله ﷺ أن يريه نفسه على صورته التي جبل عليها فأراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السماء فأما في الارض ففي الافق الاعلى والمراد بالاعلى جانب المشرق وذلك أن محمدا ﷺ

وقال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شريك عن عاصم عن أبي وائل عن عبدالله أنه قال : رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ماالله به عليم . انفرد به أحمد

وقال أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا أبو بكر بن عياش عن ادريس بن منبه عن وهب بن منبه عن ابن عباس قال : سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته فقال ادع ربك فدعا ربه عز وجل فطلع عليه سواد من قبل المشرق فجعل يرتفع وينتشر فلما رآه النبي ﷺ صعق فأتاه فنعشه ومسح البزاق عن شدقه . تفرد به أحمد

(١) وقد رواه ابن عساكر في ترجمة عتبة بن أبي لهب من طريق محمد بن اسحاق عن عثمان بن عروة ابن الزبير عن أبيه عن هناد بن الاسود قال : كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلى الشام فتجهزت معهما فقال ابنه عتبة والله لأنطلقن إلى محمد ولأوذينه في ربه سبحانه وتعالى فانطلق حتى أتى النبي ﷺ فقال يامحمد هو يكفر بالذي دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فقال النبي ﷺ « اللهم سلط عليه كلبا من كلابك » ثم انصرف عنه فرجع إلى أبيه فقال يابني ماقلت له ؟ فذكر له ماقاله فقال فما قال لك ؟ قال قال « اللهم سلط عليه كلبا من كلابك » قال يابني والله ما آمن عليك دعاءه فسرنا حتى نزلنا أبراه وهي في سدة ونزلنا إلى صومعة راهب فقال الراهب يامعشر العرب ماأنزلكم هذه البلاد فانها يسرح الاسد فيها كما تسرح الغنم فقال لنا أبو لهب : انكم قد عرفتم كبر سني وحقي وإن هذا الرجل قد دعا على ابني دعوة والله ما آمنها عليه فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة وافرشوا لابني عليها ثم افرشوا حولها، ففعلنا فجاء الاسد فشم وجوهنا فلما لم يجد مايريد تقبض فوثب وثبة فاذا هو فوق المتاع فشم وجهه ثم هزمه هزمة ففسخ رأسه ، فقال أبو لهب قد عرفت أنه لا ينفلت عن دعوة محمد

(١) هذا غير موجود في النسخة المكية

وقوله تعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى) أي فاقترب جبريل إلى محمد لما هبط عليه إلى

كان بحراء فطلع له جبريل من المشرق فسد الافق الى المغرب فخر رسول الله ﷺ مغشيا عليه فنزل جبريل في صورة الآدميين وضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله (ثم دنا فتدلى] وأما في السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره أحد من الانبياء على تلك الصورة إلا نبينا محمد ﷺ قوله عز وجل ﴿ ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ اختلفوا في معناه

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا أبو أسامة ثنا زكريا بن أبي زائدة عن أبي الاشوع عن الشعبي عن مسروق قال قلت لعائشة فاين قوله [ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى] قالت ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل وانه أتاه في هذه المرة في صورته التى هي صورته فسد الافق

الارض حتى كان بينه وبين محمد ﷺ قاب قوسين أي بقدرهما اذا مدا قاله مجاهد وقتادة ، وقد قيل إن المراد بذلك بعد مابين وتر القوس إلى كبدها

وقوله تعالى (أو أدنى) قد تقدم أن هذه الصيغة تستعمل في اللغة لاثبات المخبر عنه ونفي مازاد عليه كقوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) أي ماهي بألين من الحجارة بل هي مثلها أو تزيد عليها في الشدة والقسوة وكذا قوله (يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) وقوله (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) أي ليسوا أقل منها بل هم مائة ألف حقيقة أو يزيدون عليها فهذا تحقيق للمخبر به لاشك ولا تردد فان هذا ممتنع ههنا وهكذا هذه الآية (فكان قاب قوسين أو أدنى) وهذا الذي قلناه من أن هذا المقترب الداني الذي صار بينه وبين محمد ﷺ انما هو جبريل عليه السلام هو قول أم المؤمنين عائشة وابن مسعود وأبي ذر وأبي هريرة كما سنورد أحاديثهم قريبا إن شاء الله تعالى

وروى مسلم في صحيحه عن ابن عباس أنه قال : رأى محمد ربه بفؤاده مرتين فجعل هذه احداهما وجاء في حديث شريك بن أبي نمر عن أنس في حديث الاسراء ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى ولهذا قد تكلم كثير من الناس في متن هذه الرواية وذكروا أشياء فيها من الغرابة فان صح فهو محمول على وقت آخر وقصة أخرى لا انها تفسير لهذه الآية فان هذه كانت ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الارض لا ليلة الاسراء ولهذا قال بعده (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) فهذه هي ليلة الاسراء والاولى كانت في الارض

وقد قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا سليمان الشيباني حدثنا زر بن حبيش قال : قال عبد الله بن مسعود في هذه الآية (فكان قاب قوسين أو أدنى) قال : قال رسول الله ﷺ « رأيت جبريل له ستمائة جناح »

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا طلق بن غنام ثنا زائدة عن الشيباني قال سألت زرا عن قوله [فكان قاب قوسين أو أدنى] قال أخبرنا عبد الله يعنى ابن مسعود أن محمدا ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح ، فمعنى الآية ثم دنا جبريل بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى فنزل الى محمد ﷺ فكان منه قاب قوسين أو أدنى بل أدنى وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة وقيل في الكلام تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى فدنا لان التدلي سبب الدنو وقال آخرون ثم دنا الرب عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى

وروينا في قصة المعراج عن شريك بن عبد الله عن أنس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى وهذا رواية أبي سلمة عن ابن عباس، والتدلي هو النزول إلى الشيء حتى

وقال ابن وهب حدثنا ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت كان أول شأن رسول الله ﷺ أنه رأى في منامه جبريل باجياد ثم انه خرج ليقضي حاجته فصرخ به جبريل يا محمد يا محمد فنظر رسول الله ﷺ يمينا وشمالا فلم ير أحداً ثلاثا ثم رفع بصره فاذا هو ثاني احدى رجليه مع الاخرى على أفق السماء فقال يا محمد جبريل جبريل يسكنه فهرب النبي ﷺ حتى دخل في الناس فنظر فلم ير شيئا ثم خرج من الناس ثم نظر فرآه فدخل في الناس فلم ير شيئا ثم خرج فنظر فرآه فذلك قول الله عز وجل (والنجم اذا هوى — الى قوله — ثم دنا فتدلى) يعني جبريل الى محمد عليهما الصلاة والسلام فكان قاب قوسين أو أدنى ويقولون القاب نصف أصبع وقال بعضهم ذراعين كان بينهما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث ابن وهب به وفي حديث الزهري عن أبي سلمة عن جابر شاهد لهذا

وروى البخاري عن طلق بن غنام عن زائدة عن الشيباني قال سألت زراً عن قوله (فكان قاب قوسين أو أدنى * فاوحى الى عبده ما أوحى) قال حدثنا عبد الله أن محمداً ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح . وقال ابن جرير حدثني ابن بزيع البغدادي حدثنا اسحاق بن منصور حدثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله (ما كذب الفؤاد ما رأى) قال رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه حلتا رفرف قد ملأ ما بين السماء والارض ، فعلى ماذكرناه يكون قوله (فاوحى الى عبده ما اوحى) معناه فاوحى جبريل الى عبد الله محمد ما أوحى، أو فاوحى الله الى عبده محمد ما أوحى بواسطة جبريل وكلا المعنيين صحيح

وقد ذكر عن سعيد بن جبير في قوله تعالى (فاوحى الى عبده ما أوحى) قال أوحى الله اليه (ألم أجدك يتيما — ورفعنا لك ذكرك) وقال غيره أوحى الله اليه أن الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها أمتك

يقرب منه ، وقال مجاهد دنا جبريل من ربه . وقال الضحاك دنا محمد ﷺ من ربه فتدلى فأهوى إلى السجود فكان منه قاب قوسين أو أدنى ومعنى قوله قاب قوسين أي قدر قوسين، والقاب والقيب والقاد والقيد عبارة عن المقدار، والقوس ما يرمى به في قول مجاهد وعكرمة وعطاء عن ابن عباس فأخبر انه كان بين جبريل وبين محمد ﷺ مقدار قوسين ، قال مجاهد معناه حيث الوتر من القوس وهذا إشارة الى تأكيد القرب، وأصله ان الحليفين من العرب كانا إذا أرادا عقد الصفاء والعهد خرجا بقوسيهما فألصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه، وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين أي قدر ذراعين وهو قول سعيد بن جبير وشقيق بن مسلمة، والقوس الذراع يقاس بها كل شيء. أو دنى بل أقرب ﴿فأوحى﴾ أي أوحى الله ﴿الى عبده ما أوحى﴾ محمد ﷺ قال ابن عباس في رواية عطاء والكلبي والحسن والربيع وابن زيد معناه أوحي جبريل الى رسول الله ﷺ

وقوله تعالى (ما كذب الفؤاد مارأى * أفتمارونه على مايرى) قال مسلم حدثنا أبو سعيد الاشج

ما أوحى اليه ربه عز وجل قال سعيد بن جبير أوحى اليه (ألم يجدك يتيما فآوى) الى قوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) وقيل أوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها أنت وعلى الامم حتى تدخلها أمتك (ما كذب الفؤاد مارأى) قرأ أبو جعفر ما كذب بتشديد الذال أي ما كذب قلب محمد ﷺ ما رأى بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه ، وقرأ الآخرون بالتخفيف أي ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم الذي رأى بل صدقه يقال كذبه اذا قال له الكذب وصدقه اذا قال له الصدق مجازه ما كذب الفؤاد فيما رأى. واختلفوا في الذي رآه فقال قوم رأى جبريل وهو قول ابن مسعود وعائشة

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا حفص هو ابن غياث عن الشيباني عن زر عن عبد الله قال ما كذب الفؤاد ما رأى قال رأى جبريل وله ستمائة جناح . وقال آخرون هو الله عز وجل ثم اختلفوا في معنى الرؤية فقال بعضهم جعل بصره في فؤاده فرآه بفؤاده وهو قول ابن عباس

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا ابو سعيد الاشج ثنا وكيع ثنا الاعمش عن زياد بن الحصين عن أبي العالية عن ابن عباس [ما كذب الفؤاد مارأى ولقد رآه نزلة أخرى] قال رآه بفؤاده مرتين وذهب جماعة الى أنه ر ه بعينه وهو قول أنس والحسن وعكرمة قالوا رأى محمد ربه

وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا ﷺ بالرؤية ، وكانت عائشة رضي الله عنها تقول لم ير رسول الله ﷺ ربه وتحمل الآية على رؤيته جبريل عليه السلام

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يحيى ثنا وكيع عن اسماعيل بن أبي خالد عن عامر عن مسروق قال قلت لعائشة ياأماه هل رأى محمد ﷺ ربه ؟ فقالت لقد تكلمت بشيء قف له شعري مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب ثم قرأت (لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير - وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب) ومن حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت (وما تدري نفس ما ذا تكسب غدا) ومن حدثك انه كتم شيئا فقد كذب ثم قرأت [يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك] الآية ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم

حدثنا وكيع حدثنا الاعمش عن زياد بن حصين عن أبي العالية عن ابن عباس (ما كذب الفؤاد ما رأى) ولقد رآه نزلة أخرى قال رآه بفؤاده مرتين وكذا رواه سماك عن عكرمة عن ابن عباس مثله وكذا قال أبو صالح والسدي وغيرهما إنه رآه بفؤاد مرتين أو مرة، وقد خالفه ابن مسعود وغيره وفي رواية عنه انه اطلق الرؤية وهي محمولة على المقيدة بالفؤاد، ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب فانه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة رضي الله عنهم وقول البغوي في تفسيره وذهب جماعة الى انه رآه بعينه وهو قول أنس والحسن وعكرمة فيه نظر والله أعلم

وقال الترمذي حدثنا محمد بن عمرو بن منهال بن صفوان حدثنا يحيى بن كثير العنبري عن سلمة بن جعفر عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال رأى محمد ربه قلت أليس الله يقول (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) قال ويحك ذاك اذا تجلى بنوره الذي هو نوره وقد رأى ربه مرتين. ثم قال حسن غريب

وقال أيضا حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن مجالد عن الشعبي قال لقي ابن عباس كعبا بعرفة فسأله عن شيء فكبر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس إنا بنو هاشم فقال كعب إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين وقال مسروق دخلت على عائشة فقلت هل رأى محمد ربه فقالت لقد تكلمت بشيء قف له شعري فقلت رويدا ثم قرأت (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) فقالت أين يذهب بك إنما هو جبريل من أخبرك أن محمدا رأى ربه أو كتم شيئا مما أمر به أو يعلم الخمس التي قال الله تعالى (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث فقد أعظم على الله الفرية ولكنه رأى جبريل لم يره في صورته إلا مرتين مرة عند سدرة المنتهى ومرة في اجياد وله ستمائة جناح قد سد الافق

وقال النسائي حدثنا اسحاق بن ابراهيم حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال أتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد عليهم السلام

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك؟ فقال «نوراني أراه» وفي رواية «رأيت نورا»

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو خالد عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب قال قالوا يارسول الله رأيت ربك؟ قال «رأيته بفؤادي مرتين» ثم قرأ (ما كذب الفؤاد ما رأى) ورواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب عن

بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا ابو بكر بن أبي شيبة ثنا وكيع عن يزيد بن ابراهيم عن قتادة عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر قال سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك «قال نوراني أراه»

(أفتمارونه على ما يرى) قرأ حمزة والكسائي ويعقوب أفتمرونه بفتح التاء بلا ألف أي أفتجحدونه

بعض اصحاب النبي ﷺ قال قلنا يارسول الله هل رأيت ربك ؟ قال « لم اره بعيني ورأيته بفؤادي مرتين » ثم تلا (ثم دنا فتدلى)

ثم قال ابن أبي حاتم وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري أخبرني عباد بن منصور قال سألت عكرمة عن قوله (ما كذب الفؤاد ما رأى) فقال عكرمة تريد أن أخبرك انه قد رآه ؟ قلت نعم قال قد رآه ، ثم قد رآه قال فسألت عنه الحسن فقال قد رأى جلاله وعظمته ورداءه . وحدثنا أبي حدثنا محمد بن مجاهد حدثنا أبو عامر العقدي أخبرنا أبو خلدة عن ابي العالية قال سئل رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ؟ قال « رأيت نهرا ورأيت وراء النهر حجابا ورأيت وراء الحجاب نورا لم أر غيره » ذلك غريب جدا

فأما الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا اسود بن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « رأيت ربي عز وجل » فانه حديث اسناده على شرط الصحيح لكنه مختصر من حديث المنام كما رواه الامام احمد أيضا حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « أتاني ربي الليلة في أحسن صورة - أحسبه يعني في النوم - فقال يامحمد أتدري فيم يختصم الملأ الاعلى ؟ قال قلت لا فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي - أو قال نحري - فعلمت مافي السموات ومافي الارض ثم قال يامحمد هل تدري فيم يختصم الملأ الاعلى ؟ قال قلت نعم يختصمون في الكفارات والدرجات قال وما الكفارات ؟ قال قلت المكث في المساجد بعد الصلوات ، والمشي على الاقدام الى الجماعات ، وابلاغ الوضوء في المكاره من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه وقال قل يامحمد اذا صليت اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين ، واذا أردت بعبادك فتنة أن تقبضني اليك غير مفتون ، قال والدرجات بذل الطعام ، وافشاء السلام ، والصلاة بالليل والناس نيام » وقد تقدم في آخر سورة ص عن معاذ نحوه

وقد رواه ابن جرير من وجه آخر عن ابن عباس وفيه سياق آخر وزيادة غريبة فقال حدثني أحمد بن عيسى التيمي حدثني سليمان بن عمر بن سيار حدثني أبي عن سعيد بن زربي عن عمر بن سليمان عن عطاء عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « رأيت ربي في أحسن صورة فقال لي يامحمد هل تدري فيم يختصم الملأ الاعلى ؟ فقلت لا يارب فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت مافي السموات والارض فقلت يارب في الدرجات والكفارات ، ونقل الاقدام إلى

تقول العرب مريت الرجل حقه إذا جحدته وقرأ الآخرون أفتمارونه بالالف وضم التاء على معنى أفتجادلونه على ما يرى ، وذلك انهم جادلوه حين أسري به فقالوا صف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن

الجمعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فقلت يارب انك اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما وفعلت وفعلت فقال ألم أشرح لك صدرك ؟ ألم أضع عنك وزرك؟ ألم أفعل بك ألم أفعل بك قال فافضى إلي باشياء لم يؤذن لي أن أحدثكموها قال فذاك قوله في كتابه (ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى) فجعل نور بصري في فؤادي فنظرت اليه بفؤادي » إسناده ضعيف

(١) وقد ذكر الحافظ ابن عساكر بسنده إلى هبار بن الاسود رضي الله عنه أن عتبة بن أبي لهب لما خرج في تجارة إلى الشام قال لاهل مكة اعلموا أني كافر بالذي دنا فتدلى فبلغ قوله رسول الله ﷺ فقال سيرسل الله عليه كلبا من كلابه قال هبار فكنت معهم فنزلت بأرض كثيرة الاسد قال فلقد رأيت الاسد جاء فجعل يشم رءوس القوم واحداً واحداً حتى تخطى الي عتبة فاقتطع رأسه من بينهم

(١) هذا غير موجود في النسخة المكية

وذكر ابن إسحاق وغيره في السيرة أن ذلك كان بأرض الزرقاء وقيل بالسراة وانه خاف ليلتئذ وانهم جعلوه بينهم وناموا من حوله فجاء الاسد فجعل يزأر ثم تخطاهم اليه فضغم رأسه لعنه الله

وقوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى) هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها وكانت ليلة الاسراء وقد قدمنا الاحاديث الواردة في الاسراء بطرقها وألفاظها في أول سورة سبحان بما أغنى عن اعادته ههنا، وتقدم أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يثبت الرؤية ليلة الاسراء ويستشهد بهذه الآية وتابعه جماعة من السلف والخلف وقد خالفه جماعات من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وغيرهم

وقال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود في هذه الآية (ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى) قال : قال رسول الله ﷺ « رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينتثر من ريشه التهاويل من الدر والياقوت وهذا إسناد جيد قوي

عيرنا في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به ، والمعنى أفتجادلونه جدالا ترومون به دفعه عما رآه وعلمه ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ يعني رأى جبريل في صورته التي خلق عليها نازلا من السماء نزلة أخرى وذلك انه رآه في صورته مرتين مرة في الارض ومرة في السماء ﴿ عند سدرة المنتهى ﴾ وعلى قول ابن عباس معنى نزلة أخرى هو انه كانت للنبي ﷺ عرجات في تلك الليلة لمسئلته التخفيف من أعداد الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فرأى ربه في بعضها وروينا عنه انه رأى ربه بفؤاده مرتين وعنه انه رآه بعينه ، وقوله ﴿ عند سدرة المنتهى ﴾ روينا عن عبد الله ابن مسعود قال انه لما أسري برسول الله ﷺ الى سدرة المنتهى وهي في السماء السابعة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال (اذ يغشى السدرة ما يغشى) قال فراش من ذهب

وقال أحمد أيضا حدثنا يحيى بن آدم حدثنا شريك عن جامع بن أبي راشد عن أبي وائل عن عبدالله قال : رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق يسقط من جناحه من التهاويل من الدر والياقوت ما الله به عليم . إسناده حسن أيضا

وقال الامام احمد أيضا حدثنا زيد بن الحباب حدثني حسين حدثني عاصم بن بهدلة قال : سمعت شقيق بن سلمة يقول سمعت ابن مسعود يقول قال رسول الله ﷺ رأيت جبريل على سدرة المنتهى وله ستمائة جناح سألت عاصما عن الاجنحة فأبى أن يخبرني قال فأخبرني بعض أصحابه أن الجناح ما بين المشرق والمغرب وهذا أيضا إسناد جيد

وقال احمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنا حسين حدثني عاصم بن بهدلة حدثني شقيق بن سلمة قال سمعت ابن مسعود يقول قال رسول الله ﷺ « أتاني جبريل عليه السلام في خضر (١) معلق به الدر » اسناد جيد أيضا

(١) هو كما في النهاية ثوب مزخرف منقوش إذا نشر اخذ القلوب بحسن صنعته

وقال الامام أحمد حدثنا يحيى عن اسماعيل حدثنا عامر قال أتى مسروق عائشة فقال يا أم المؤمنين هل رأى محمد ﷺ ربه عز وجل ؟ قالت سبحان الله لقد قف شعري لما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ـ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا او من وراء حجاب) ومن أخبرك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام) الآية ، ومن أخبرك أن محمداً قد كتم فقد كذب ثم قرأت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين

وقال الامام احمد أيضا حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود عن الشعبي عن مسروق قال كنت عند عائشة فقلت أليس الله يقول (ولقد رآه بالافق المبين ـ ولقد رآه نزلة أخرى) فقالت أنا أول هذه الامة سألت رسول الله ﷺ عنها فقال « انما ذاك جبريل » لم يره في صورته التي خلق عليها إلا

وروينا في حديث المعراج ثم صعد بي الى السماء السابعة فاذا أنا بابراهيم عليه السلام فسلمت عليه ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة، والسدرة شجرة النبق وقيل لها سدرة المنتهى لانه اليها ينتهي علم الخلق ، قال هلال بن يسار سأل ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وانا حاضر فقال كعب انها سدرة في أصل العرش على رؤس حملة العرش واليها ينتهي علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه إلا الله

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا ابو اسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن شيبة ثنا المسوحي ثنا عبد الله بن يعيش ثنا يونس بن بكير أنا محمد بن اسحاق عن يحيي بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبي بكر قالت سمعت النبي ﷺ يذكر سدرة المنتهى قال يسير الراكب في ظل الغصن منها مائة عام ويستظل في الغصن منها مائة الف راكب فيها فراش من ذهب

مرتين رآه منهبطاً من السماء الى الارض ساداً عظم خلقه مابين السماء والارض أخرجاه في الصحيحين من حديث الشعبي به

﴿ رواية ابي ذر ﴾ قال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا قتادة عن عبدالله بن شقيق قال قلت لابي ذر لو رأيت رسول الله ﷺ اسألته قال وما كنت تسأله ؟ قال كنت أسأله هل رأى ربه عز وجل فقال اني قد سألته فقال « قد رأيته نوراً أنى أراه » هكذا وقع في رواية الامام احمد وقد أخرجه مسلم من طريقين بلفظين فقال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع عن يزيد بن ابراهيم عن قتادة عن عبدالله بن شقيق عن ابي ذر قال : سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ؟ فقال « نوراني أراه »

وقال حدثنا محمد بن بشار حدثنا معاذ بن هشام حدثنا ابي عن قتادة عن عبدالله بن شقيق قال قلت لابي ذر لو رأيت رسول الله ﷺ اسألته فقال عن أي شيء كنت تسأله ؟ قال كنت أسأله هل رأيت ربك قال ابو ذر قد سألته فقال « رأيت نوراً » وقد حكى الخلال في علله ان الامام احمد سئل عن هذا الحديث فقال مازلت منكرا له وما أدري ما وجهه ؟

وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا عمرو بن عون الواسطي أخبرنا هشيم عن منصور عن الحكم عن ابراهيم عن أبيه عن ابي ذر قال : رآه بقلبه ولم يره بعينه ، وحاول ابن خزيمة أن يدعي انقطاعه بين عبدالله بن شقيق وبين أبي ذر ، وأما ابن الجوزي فتأوله على أن أبا ذر لعله سأل رسول الله ﷺ قبل الاسراء فأجابه بما أجابه به ولو سأله بعد الاسراء لاجابه بالاثبات وهذا ضعيف جداً فان عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قد سألت عن ذلك بعد الاسراء ولم يثبت لها الرؤية ، ومن قال انه خاطبها على قدر عقلها او حاول تخطئتها فيما ذهبت اليه كابن خزيمة في كتاب التوحيد فانه هو المخطيء والله أعلم . وقال النسائي حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا هشيم عن منصور عن الحكم عن يزيد ابن شريك عن ابي ذر قال : رأى رسول الله ﷺ ربه بقلبه ولم يره ببصره

وقد ثبت في صحيح مسلم عن ابي بكر بن ابي شيبة عن علي بن مسهر عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن ابي رباح عن ابي هريرة رضى الله عنه أنه قال في قوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى) قال رأى جبريل عليه السلام

كأن ثمرها القلال ، وقال مقاتل هي شجرة تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الالوان لو أن ورقة منها وضعت في الارض لأضاءت لاهل الارض وهي طوبى التي ذكرها الله في سورة الرعد ﴿ عندها جنة المأوى ﴾ قال عطاء عن ابن عباس جنة المأوى جنة يأوى اليها جبريل والملائكة ، وقال مقاتل

وقال مجاهد في قوله (ولقد رآه نزلة أخرى) قال رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته مرتين وكذا قال قتادة والربيع بن أنس وغيرهم

وقوله تعالى (إذ يغشى السدرة مايغشى) قد تقدم في أحاديث الاسراء انه غشيتها الملائكة مثل الغربان وغشيها نور الرب وغشيها ألوان ما أدري ماهي ؟

وقال الامام احمد حدثنا مالك بن مغول حدثنا الزبير بن عدي عن طلحة عن مرة بن عبدالله هو ابن مسعود قال لما أسري برسول الله ﷺ انتهي به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السابعة اليها ينتهي مايعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها (إذ يغشى السدرة مايغشى) قال فراش من ذهب قال وأعطى رسول الله ﷺ ثلاثا أعطي الصلوات الخمس وأعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من أمته المقحمات » انفرد به مسلم

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية عن ابي هريرة أو غيره شك أبو جعفر قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهى إلى السدرة فقيل له ان هذه السدرة فغشيها نور الخلاق وغشيتها الملائكة مثل الغربان حين يقعن على الشجر قال فكلمه عند ذلك فقال له سل

وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد (إذ يغشى السدرة مايغشى) قال كان أغصان السدرة لؤلؤاً وياقوتا وزبرجداً فرآها محمد ﷺ ورأى ربه بقلبه ، وقال ابن زيد قيل يارسول الله أي شيء رأيت يغشى تلك السدرة ؟ قال « رأيت يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله عز وجل

وقوله تعالى (مازاغ البصر وما طغى) قال ابن عباس ماذهب يمينا ولا شمالا وما طغى ماجاوز ماأمر به وهذه صفة عظيمة في الثبات والطاعة فانه مافعل إلا ماأمر به ولا سأل فوق ماأعطي وما وما أحسن ماقال الناظم:

والكلبي يأوي اليها أرواح الشهداء ﴿ إذ يغشى السدرة ما يغشى ﴾ قال ابن مسعود فراش من ذهب وروينا في حديث المعراج عن أنس عن رسول الله ﷺ « ثم عرج بي الى سدرة المنتهى فاذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها وأوحى الي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة » وقال مقاتل يغشاها الملائكة أمثال الغربان ، وقال السدي من الطيور

وروي عن أبي العالية عن أبي هريرة رضي الله عنه أو غيره قال غشيها نور الخلاق وغشيتها الملائكة من حب الله أمثال الغربان حتى يقعن على الشجر قال فكلمه عند ذلك فقال له سل ، وعن الحسن قال غشيها نور رب العزة فاستنارت ، ويروى في الحديث [رأيت على كل ورقة منها ملكا قائما يسبح الله تعالى ﴿ مازاغ البصر وما طغى ﴾ أي ما مال بصر النبي ﷺ يمينا ولا شمالا وما

رأى جنة المأوى وما فوقها ولو   رأى غيره ماقد رآه لتاها

وقوله تعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) كقوله [لنريه من آياتنا] أي الدالة على قدرتنا وعظمتنا وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة ان الرؤية تلك الليلة لم تقع لأنه قال (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك للناس وقد تقدم تقرير ذلك في سورة سبحان

وقد قال الامام احمد حدثنا ابو النضر حدثنا محمد بن طلحة عن الوليد بن قيس عن اسحاق بن أبي الكهلة قال محمد أظنه عن ابن مسعود انه قال إن محمداً لم ير جبريل في صورته الا مرتين اما مرة فانه سأله أن يريه نفسه في صورته فأراه صورته فسد الافق ، واما الاخرى فانه صعد معه حين صعد به ، وقوله (وهو بالافق الاعلى * ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى) فلما أحس جبريل ربه عز وجل عاد في صورته وسجد فقوله (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى * إذ يغشى السدرة مايغشى * مازاغ البصر وما طغى * لقد رأى من آيات ربه الكبري) قال خلق جبريل عليه السلام . هكذا رواه الامام احمد وهو غريب

أفرأيتم اللات والعزّى (١٩) ومنوة الثالثة الاخرى (٢٠) ألكم الذكر وله الانثى (٢١)

تلك اذاً قسمة ضيزى (٢٢) ان هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من

سلطن ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى (٢٣) أم للانسن

ماتمنّى (٢٤) فلله الآخرة والاولى (٢٥) وكم من ملك في السموات لاتغني شفعتهم شيئا الا

طغى أي ما جاوز مارأى ، وقيل ما جاوز ما أمر به وهذا وصف أدبه في ذلك المقام إذ لم يلتفت جانبا ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ يعني الآيات العظام ، وقيل أراد ما رأى تلك الليلة في مسيره وعوده دليله قوله (لنريه من آياتنا) وقيل معناه لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبدالغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا عبدالله بن معاذ العنبري ثنا أبي ثنا شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال [لقد رأى من آيات ربه الكبرى] قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح ، وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن اسماعيل ثنا حفص بن عمرو ثنا شعبة عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله [لقد رأى من آيات ربه الكبرى] قال رأى رفرفا أخضر سد أفق السماء

قوله ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ﴾ هذه أسماء أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها اشتقوا لها أسماء من

من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى (٢٦)

يقول تعالى مقرعا للمشركين في عبادتهم الاصنام والانداد والاوثان واتخاذهم لها البيوت مضاهاة للكعبة التي بناها خليل الرحمن عليه السلام (أفرأيتم اللات؟) وكانت اللات صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف له استار وسدنة وحوله فناء عظم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تابعها يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش، قال ابن جرير وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله فقالوا اللات يعنون مؤنثة منه تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، وحكي عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس انهم قرءوا اللات بتشديد التاء وفسروه بأنه كان رجلا يلت للحجيج في الجاهلية السويق فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه

وقال البخاري حدثنا مسلم هو ابن ابراهيم حدثنا ابو الاشهب حدثنا ابو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (اللات والعزى) قال كان اللات رجلا يلت السويق سويق الحاج. قال ابن جرير وكذا العزى من العزيز وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة وهي بين مكة والطائف كانت قريش يعظمونها كما قال ابو سفيان يوم أحد لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم»

وروى البخاري من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن ابي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله الا الله، ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق» فهذا محمول على من سبق لسانه في ذلك كما كانت ألسنتهم قد اعتادته من زمن الجاهلية، كما قال النسائي أخبرنا أحمد بن بكار وعبد الحميد بن محمد قالا حدثنا مخلد حدثنا يونس عن أبيه حدثني مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال حلفت باللات والعزى فقال لي أصحابي بئس ماقلت قلت هجراً فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال «قل لا إله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وانفث عن شمالك ثلاثا وتعوذ بالله من الشيطان

أسماء الله تعالى فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى، وقيل العزى تأنيث الأعز، أما اللات قال قتادة كانت بالطائف فقال ابن زيد بيت نخلة كانت قريش تعبده. وقرأ ابن عباس ومجاهد وأبو صالح اللات بتشديد التاء وقالوا كان رجلا يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقال مجاهد كان في رأس جبل له غنيمة يسلأ منها السمن ويأخذ منها الاقط ويجمع رسلها ثم يتخذ منها حيسا فيطعم منه الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات

وقال الكلبي: كان رجلا من ثقيف يقال له صرمة بن غنم وكان يسلأ السمن فيضعها على صخرة ثم تأتيه العرب فيلت به أسوقتهم فلما مات الرجل حولتها ثقيف الى منازلها فعبدتها فعمدت الطائف

الرجيم ثم لانعد » وأما مناة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والاوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها ويهلون منها للحج إلى الكعبة وروى البخاري عن عائشة نحوه وقد كانت بجزيرة العرب وغيرها طواغيت أخر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة غير هذه الثلاثة التي نص عليها في كتابه العزيز وانما أفرد هذه بالذكر لأنها أشهر من غيرها. قال ابن اسحاق في السيرة وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب وتهدي لها كما تهدي للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها وهي تعرف فضل الكعبة عليها لانها كانت قد عرفت بيت ابراهيم عليه السلام ومسجده فكانت لقريش ولبني كنانة العزى بنخلة وكان سدنتها وحجابها بني شيبان من سليم حلفاء بنى هاشم قلت بعث اليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فهدمها وجعل يقول :

ياعزى كفرانك لاسبحانك   اني رأيت الله قد أهانك

وقال النسائي أخبرنا علي بن المنذر اخبرنا ابن فضيل حدثنا الوليد بن جميع عن ابي الطفيل قال لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى فأتاها خالد وكانت على ثلاث شمرات فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال « ارجع فانك لم تصنع شيئا » فرجع فلما أبصرته السدنة وهم حجبتها أمعنوا في الحيل وهم يقولون ياعزى ياعزى فأتاها خالد فاذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحثو التراب على رأسها فغمسها بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال « تلك العزى »

قال ابن اسحاق وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان سدنتها وحجابها بني مغيث قلت وقد بعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة وأبا سفيان صخر بن حرب فهدماها وجعلا مكانها مسجداً بالطائف

قال ابن اسحاق وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد فبعث رسول الله ﷺ أبا سفيان صخر بن حرب فهدمها ، ويقال علي

على موضع اللات . وأما العزى قال مجاهد هي شجرة بغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها فجعل خالد بن الوليد يضربها بالفأس ويقول

ياعزى كفرانك لاسبحانك   اني رأيت الله قد أهانك

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية بويلها واضعة يدها على رأسها . ويقال ان خالدا رجع الى النبي ﷺ فقال قد قلعتها فقال «مارأيت؟» قال ما رأيت شيئا فقال النبي ﷺ « ماقلعت » فعاودها ومعه المعول فقلعها واجتث أصلها فخرجت منها امرأة عريانة فقتلها ثم رجع الى النبي ﷺ وأخبره بذلك فقال « تلك العزى ولن تعبد أبدا » وقال الضحاك هي صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن

ابن أبي طالب ، قال وكانت ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة قلت وكان يقال لها الكعبة اليمانية وللكعبة التي بمكة الكعبة الشامية فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير بن عبد الله البجلي فهدمه ، قال وكانت فلس لطي ومن يليها بجبل طي بين سلمى وأجا . قال ابن هشام فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ بعث اليه علي بن أبي طالب فهدمه واصطفى منه سيفين الرسوب والمخزم فنفله إياهما رسول الله ﷺ فهما سيفا علي

قال ابن اسحاق وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له ريام وذكر انه كان به كلب اسود وان الحبرين اللذين ذهبا مع تبع استخرجاه وقتلاه وهدما البيت ، وقال ابن اسحاق وكانت رضاء بيتا لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ولها يقول المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها في الاسلام

ولقد شددت على رضاء شدة   فتركتها قفرا بقاع اسحما

قال ابن هشام يقال انه عاش ثلاثمائة وثلاثين سنة وهو القائل

ولقد سئمت من الحياة وطولها   وعمرت من عدد السنين مئينا

مائة حدتها بعدها مائتان لي   وعمرت من عدد الشهور سنينا

هل مابقي إلا كما قد فاتنا   يوم يمر وليلة تحدونا

قال ابن اسحاق وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابني وائل وإياد بسنداد وله يقول أعشى بني قيس بن ثعلبة

بين الخورنق والسدير وبارق   والبيت ذي الكعبات من سنداد

ظالم الغطفاني وذلك انه قدم مكة فرأى الصفا والمروة ورأى أهل مكة يطوفون بينهما فعاد الى بطن نخلة وقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم إله يعبدونه وليس لكم . قالوا فما تأمرنا ؟ قال أنا أصنع لكم كذلك فأخذ حجراً من الصفا وحجراً من المروة ونقلهما الى نخلة فوضع الذي أخذ من الصفا فقال هذا الصفا ، ثم وضع الذي أخذه من المروة فقال هذه المروة ، ثم أخذ ثلاثة احجار فأسندها الى شجرة فقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة حتى افتتح رسول الله ﷺ مكة فأمر برفع الحجارة وبعث خالد بن الوليد الى العزى فقطعها

وقال ابن زيد : هي بيت بالطائف كانت تعبده ثقيف ﴿ ومناة ﴾ قرأ ابن كثير بالمد والهمزة ، وقرأ العامة بالقصر غير مهموز لان العرب سمت زيد مناة وعبد مناة ولم يسمع فيها بالمد . قال قتادة : هي لخزاعة كانت بقديد قالت عائشة رضى الله عنها في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت حذو قديد قال ابن زيد بيت كان بالمشلل يعبده بنو كعب قال الضحاك مناة صنم لهذيل وخزاعة يعبدها أهل مكة وقال بعضهم اللات والعزى ومناة أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها ، واختلف القراء

ولهذا قال تعالى (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ؟) ثم قال تعالى (ألكم الذكر وله الانثى ؟) أي أتجعلون له ولدا وتجعلون ولده انثى وتختارون لانفسكم الذكور فلو اقتسمتم أنتم ومخلوق مثلكم هذه القسمة لكانت (قسمة ضيزى) أي جورا باطلة فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين كانت جوراً أو سفها

ثم قال تعالى منكرا عليهم فيما ابتدعوه واحدثوه من الكذب والافتراء والكفر من عبادة الاصنام وتسميتها آلهة (ان هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) أي من تلقاء أنفسكم (ما انزل الله بها من سلطان) أي من حجة [ان يتبعون إلا الظن وما تهوى الانفس] أي ليس لهم مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم والاحظ نفوسهم في رياستهم وتعظيم آبائهم الاقدمين [ولقد جاءهم من ربهم الهدى] أي ولقد ارسل الله اليهم الرسل بالحق المنير والحجة القاطعة ومع هذا ما اتبعوا ما جاؤهم به ولا انقادوا له

في الوقف على اللات ومناة فوقف بعضهم عليهما بالهاء وبعضهم بالتاء ، وقال بعضهم ما كتب في المصحف بالتاء يوقف عليه بالتاء وما كتب بالهاء فيوقف عليه بالهاء وأما قوله ﴿ الثالثة الاخرى ﴾ فالثالثة نعت لمناة أي الثالثة للصنمين في الذكر وأما الاخرى فان العرب لاتقول للثالثة الاخرى انما الاخرى ههنا نعت للثالثة قال الخليل فالياء لوفاق رءوس الآي كقوله مآرب أخرى ولم يقل أخر، وقيل في الآية تقديم وتأخير مجازها أفرأيت اللات والعزى الاخرى ومناة الثالثة، ومعنى الآية أفرأيتم؟ أخبرونا أيها الزاعمون ان اللات والعزى ومنات بناة الله تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً وقال الكلبي كان المشركون بمكة يقولون الاصنام والملائكة بنات الله وكان الرجل منهم اذ ابشر بالانثى كره ذلك فقال الله تعالى منكراً عليهم ﴿ ألكم الذكر وله الانثى؟ تلك إذاً قسمة ضيزى ﴾ قال ابن عباس وقتادة أي قسمة جائرة حيث جعلتم لربكم ماتكرهون لانفسكم قال مجاهد ومقاتل قسمة عوجاء، وقال الحسن غير معتدلة ، قرأ ابن كثير ضئزى بالهمزة ، وقرأ الآخرون بغير همز قال الكسائي يقال منه ضاز يضيز ضيزاً وضاز يضوز ضوزاً وضاز يضاز ضازاً اذا ظلم ونقص وتقدير ضيزى من الكلام فعلى بضم الفاء لانها صفة والصفات لاتكون الا على فعلى بضم الفاء نحو حبلى وانثى وبشرى أو فعلى بفتح الفاء نحو غضبى وسكرى وعطشى، وليس في كلام العرب فعلى بكسر الفاء في النعوت انما يكون في الاسماء مثل ذكرى وشعرى، وكسروا الضاد ههنا لئلا تنقلب الياء واواً وهي من بنات الياء كما قالوا في جمع أبيض بيض والاصل بوض مثل حمر وصفر، فأما من قال ضاز يضوز فالاسم منه ضوزى مثل شورى ﴿ إن هي ﴾ ماهذه الاصنام ﴿ الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم الاوابن ما أنزل الله بها من سلطان ﴾ حجة وبرهان بماتقولون أنها آلهة ، ثم رجع إلى الخبر بعد المخاطبة فقال ﴿ إن يتبعون إلا الظن ﴾ في قولهم انها آلهة ﴿ وما تهوى الانفس ﴾ وهو مازين لهم الشيطان ﴿ ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾

ثم قال تعالى [أم للانسان ماتمنى ؟] أي ليس كل من تمنى خيرا حصل له (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب) ماكل من زعم أنه مهتد يكون كما قال ولا كل من ود شيئا يحصل له

قال الامام أحمد حدثنا اسحاق حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا تمنى أحدكم فلينظر مايتمنى فانه لا يدري مايكتب له من امنيته » تفرد به احمد

وقوله (فلله الآخرة والاولى) أي انما الامر كله لله مالك الدنيا والآخرة والمتصرف في الدنيا والاخرة فهو الذي ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن

وقوله تعالى (وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) كقوله (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه - ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) فاذا كان هذا في حق الملائكة المقربين فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الاصنام والانداد عند الله وهو تعالى لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها بل قد نهى عنها على ألسنة جميع رسله وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه ؟

ان الذين لايؤمنون بالآخرة ليُسمون الملئكة تسمية الانثى (٢٧) وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وان الظن لايغني من الحق شيئا (٢٨) فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يُرد إلا الحيوٰة الدنيا (٢٩) ذلك مبلغهُم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى (٣٠)

يقول تعالى منكرا على المشركين في تسميتهم الملائكة تسمية الانثى وجعلهم لها أنها بنات الله تعالى الله عن ذلك كما قال تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستكتب

البيان بالكتاب والرسول انها ليست بآلهة وان العبادة لاتصلح إلا لله الواحد القهار ﴿ أم للانسان ماتمنى ؟ ﴾ أيظن الكافر ان له مايتمنى ويشتهي من شفاعة الاصنام ؟ ﴿ فلله الآخرة والاولى ﴾ ليس كما ظن الكافر وتمنى بل لله الآخرة والاولى لايملك أحد فيهما شيئا إلا باذنه ﴿ وكم من ملك في السموات ﴾ ممن يعبدهم هؤلاء ﴿ الكفار ويرجون شفاعتهم عند الله ﴿ لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله ﴾ في الشفاعة ﴿ لمن يشاء ويرضى ﴾ أى من أهل التوحيد قال ابن عباس يريد لاتشفع الملائكة إلا لمن رضي الله عنه وجمع الكناية في قوله شفاعتهم والملك واحد لان المراد من قوله وكم من ملك الكثرة فهو كقوله (فما منكم من أحد عنه حاجزين) ﴿ إن الذين لايؤمنون بالآخرة ليسمون

شهادتهم ويسئلون) ولهذا قال تعالى (وما لهم به من علم) أي ليس لهم علم صحيح يصدق ماقالوه بل هو كذب وزور وافتراء وكفر شنيع (إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا) اي لا يجدي شيئا ولا يقوم أبدا مقام الحق

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث » وقوله تعالى (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا) أي اعرض عن الذي اعرض عن الحق واهجره

وقوله (ولم يرد إلا الحياة الدنيا) أي وانما أكثر همه ومبلغ علمه الدنيا فذاك هو غاية مالا خير فيه ولهذا قال تعالى [ذلك مبلغهم من العلم] أي طلب الدنيا والسعي لها هو غاية ماوصلوا اليه

وقد روى الامام احمد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له » وفي الدعاء المأثور « اللهم لا تجعل الدنيا اكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا»

وقوله تعالى [ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى] أي هو الخالق لجميع المخلوقات والعالم بمصالح عباده وهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته وهو العادل الذي لا يجور أبداً لا في شرعه ولا في قدره

ولله مافي السموٰت وما في الارض ليجزيَ الذين أسئوا بما عملوا ويجزيَ الذين أحسنوا بالحسنى (٣١) الذين يجتنبون كبٰئر الاثم والفواحش إلا اللَّمم إن ربك واسعُ المغفرة هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الارض واذ أنتم أجنَّة في بطون امهتكم فلا تُزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى (٣٢)

الملائكة تسمية الانثى ﴾ أي بتسمية الانثى حين قالوا انهم بنات الله ﴿ وما لهم به من علم ﴾ قال مقاتل معناه مايستيقنون انهم اناث ﴿ ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا ﴾ والحق بمعنى العلم أي لا يقوم الظن مقام العلم وقيل الحق بمعنى العذاب أي إن ظنهم لا ينقذهم من العذاب ﴿ فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ﴾ يعني القرآن وقيل الايمان ﴿ ولم يرد الا الحياة الدنيا ﴾ ثم صغر رأيهم فقال ﴿ ذلك مبلغهم من العلم ﴾ أي ذلك نهاية علمهم وقدر عقولهم أن آثروا الدنيا على الآخرة وقيل لم يبلغوا من العلم إلا ظنهم ان الملائكة بنات الله وانها تشفع لهم فاعتمدوا على ذلك وأعرضوا عن القرآن ﴿ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ﴾ أي هو عالم بالفريقين فيجازيهم ﴿ ولله ما في السموات وما في الارض ﴾ وهذا معترض بين الآية الأولى وبين قوله ﴿ ليجزي الذين

يخبر تعالى انه مالك السموات والارض وانه الغني عما سواه الحاكم في خلقه بالعدل وخلق الخلق بالحق [ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى] أي يجازي كلا بعمله ان خيرا فخير ، وان شرا فشرا

ثم فسر المحسنين بأنهم الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش أي لايتعاطون المحرمات الكبائر وان وقع منهم بعض الصغائر فانه يغفر لهم ويستر عليهم كما قال في الآية الاخرى [ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما] وقال ههنا [الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم] وهذا استثناء منقطع لان اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الاعمال

قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر بن أرطاه عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال مارأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ قال « ان الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنا ادرك ذلك لامحالة فزنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، والنفس تمني وتشتهي ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » اخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق به

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الاعلى اخبرنا ابن ثور حدثنا معمر عن الاعمش عن أبي الضحى أن ابن مسعود قال : زنا العينين النظر ، وزنا الشفتين التقبيل ، وزنا اليدين البطش ، وزنا الرجلين المشي ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه فان تقدم بفرجه كان زانيا والا فهو اللمم وكذا قال مسروق والشعبي . وقال عبد الرحمن بن نافع الذي يقال له ابن لبابة الطائفي قال سألت أبا هريرة عن قول الله [الا اللمم] قال القبلة والغمزة والنظرة والمباشرة فاذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل وهو الزنا وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الا اللمم الا ماسلف وكذا قال زيد بن أسلم

وقال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور عن مجاهد انه قال في هذه الآية (الا اللمم) قال الذي يلم بالذنب ثم يدعه قال الشاعر

أساؤا بما عملوا ﴾ فاللام في قوله ليجزي متعلق بمعنى الآية الاولى لانه إذا كان أعلم بهم جازى كلا بما يستحقه الذين أساؤا أي أشركوا بما عملوا من الشرك ﴿ ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ﴾ وحدوا ربهم بالحسنى بالجنة وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء إذا كان كبير الملك ولذلك قال [ولله ما في السموات وما في الارض] ثم وصفهم فقال ﴿ الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ﴾ اختلفوا في معنى الاية فقال قوم هذا استثناء صحيح واللمم من الكبائر والفواحش، ومعنى الآية الا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب ويقع الوقعة ثم ينتهي وهو قول أبي هريرة ومجاهد والحسن ورواية عطاء عن ابن عباس، قال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم مادون الشرك وقال السدي قال أبو صالح سئلت عن قول الله تعالى الا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده فذكرت ذلك لابن عباس فقال لقد أعانك عليها ملك كريم وروينا عن عطاء عن ابن عباس في قوله الا اللمم قال قال رسول الله ﷺ

إن تغفر اللهم تغفر جما   وأي عبد لك ما ألما ؟

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد في قول الله تعالى (الا اللمم) قال الرجل يلم بالذنب ثم ينزع عنه قال وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون

إن تغفر اللهم تغفر جما   وأي عبد لك ما ألما ؟

وقد رواه ابن جرير وغيره مرفوعا قال ابن جرير حدثني سليمان بن عبد الجبار حدثنا أبو عاصم حدثنا زكريا بن إسحاق عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم) قال هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب وقال قال رسول الله ﷺ

ان تغفر اللهم تغفر جما   وأي عبد لك ما ألما ؟

وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن عثمان أبي عثمان البصري عن أبي عاصم النبيل ثم قال هذا حديث صحيح حسن غريب لا نعرفه الا من حديث زكريا بن اسحاق وكذا قال البزار لا نعلمه يروى متصلا الا من هذا الوجه وساقه ابن أبي حاتم والبغوي من حديث أبي عاصم النبيل وانما ذكره البغوي في تفسير سورة تنزيل وفي صحته مرفوعا نظر

ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا يزيد بن زريع حدثنا يونس عن الحسن عن أبي هريرة اراه رفعه في (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم) قال اللمة من الزنا ثم يتوب ولا يعود . واللمة من السرقة ثم يتوب ولا يعود واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود قال فذلك الالمام

وحدثنا ابن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن في قول الله تعالى (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم) قال اللمم من الزنا او السرقة اوشرب الخمر ثم لا يعود

وحدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قول الله (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم) قال كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون هو الرجل يصيب اللمة من الزنا واللمة من شرب الخمر فيجتنبها ويتوب منها

وقال ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس (الا اللمم) يلم بها في الحين قلت الزنا قال الزنا ثم يتوب

إن تغفر اللهم تغفر جما   وأي عبد لك لا ألما ؟

وأصل اللمم والالمام ما يعمله الانسان الحين بعد الحين ولا يكون له عادة ولا إقامة عليه ، وقال آخرون هذا استثناء منقطع مجازه لكن اللمم ولم يجعلوا اللمم من الكبائر والفواحش ثم اختلفوا في معناه فقال بعضهم هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم الله به وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انهم كانوا بالامس يعملون معنا فأنزل الله هذه الاية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن أسلم وقال بعضهم هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة وما كان دون الزنا وهذا قول ابن مسعود وأبي هريرة ومسروق والشعبي ورواية طاوس عن ابن عباس

وقال ابن جرير أيضاً حدثنا ابو كريب حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس قال اللمم الذي يلم المرة . وقال السدي قال ابو صالح سئلت عن اللمم فقلت هو الرجل يصيب الذنب ثم يتوب وأخبرت بذلك ابن عباس فقال لقد اعانك عليها ملك كريم .حكاه البغوي

وروى ابن جرير من طريق المثنى بن الصباح وهو ضعيف عن عمرو بن شعيب ان عبدالله بن عمرو قال اللمم مادون الشرك ، وقال سفيان الثوري عن جابر الجعفي عن عطاء عن ابن الزبير (الا اللمم) قال مابين الحدين حد الزنا وعذاب الآخرة ، وكذا رواه شعبة عن الحكم عن ابن عباس مثله سواء . وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (إلا اللمم) كل شيء بين الحدين حد الدنيا وحد الآخرة تكفره الصلوات فهو اللمم وهو دون كل موجب فأما حد الدنيا فكل حد فرض الله عقوبته في الدنيا، وأما حد الآخرة فكل شيء ختمه الله بالنار وأخر عقوبته إلى الآخرة . وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك

وقوله تعالى (ان ربك واسع المغفرة) أي رحمته وسعت كل شيء ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب منها كقوله تعالى (قل ياعباد الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم)

وقوله تعالى (هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الارض) أي هو بصير بكم عليم بأحوالكم وأفعالكم وأقوالكم التي ستصدر عنكم وتقع منكم حين أنشأ أباكم آدم من الارض واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذر ثم قسمهم فريقين فريقا للجنة وفريقا للسعير وكذا قوله (وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم) قد كتب الملك الذي يوكل به رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد؟

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل أنا محمود بن غيلان انا عبد الرزاق انا معمر عن ابن طاوس عن ابيه عن ابن عباس قال ما رأيت أشبه باللمم مما قاله أبو هريرة عن النبي ﷺ « ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لامحالة فزنا العين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك ويكذبه » ورواه سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وزاد « والعينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطى »

وقال الكلبي اللمم على وجهين كل ذنب لم يذكر الله عليه حداً في الدنيا ولا عذابا في الآخرة فذلك الذي تكفره الصلوات ما لم يبلغ الكبائر والفواحش والوجه الآخر هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه ، وقال سعيد بن المسيب هو ما لم على القلب أي خطر ، وقال الحسين بن الفضل اللمم النظرة من غير تعمد فهو مغفور فان أعاد النظرة فليس بلمم وهو ذنب ﴿ إن ربك واسع المغفرة ﴾ قال ابن عباس لمن فعل ذلك وتاب تم الكلام ههنا ثم قال ﴿ هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الارض ﴾ أي خلق أباكم آدم من التراب ﴿ وإذ أنتم أجنة ﴾ جمع جنين سمي جنيناً لاجتنانه في البطن ﴿ في بطون

قال مكحول كنا أجنة في بطون أمهاتنا فسقط منا من سقط وكنا فيمن بقي ثم كنا مراضيع فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي ثم صرنا يفعة فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي ثم صرنا شبانا فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي ثم صرنا شيوخا لا أبالك فماذا بعد هذا ينتظر؟ رواه ابن أبي حاتم عنه

وقوله تعالى (فلا تزكوا أنفسكم) أي تمدحوها وتشكروها وتمنوا بأعمالكم (هو أعلم بمن اتقى) كما قال تعالى (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا)

وقال مسلم في صحيحه حدثنا عمرو الناقد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن محمد بن عمرو بن عطاء قال سميت ابنتي برة فقالت لي زينب بنت أبي سلمة ان رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم وسميت برة فقال رسول الله ﷺ «لا تزكوا أنفسكم ان الله أعلم بأهل البر منكم» فقالوا بم نسميها؟ قال «سموها زينب»

وقد ثبت أيضاً في الحديث الذي رواه الامام أحمد حيث قال حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا خالد الحذاء عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال مدح رجل رجلا عند النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ «ويلك قطعت عنق صاحبك - مراراً - إذا كان أحدكم مادحا صاحبه لا محالة فليقل أحسب فلانا والله حسيبه ولا أزكي على الله أحدا أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك» ثم رواه عن غندر عن شعبة عن خالد الحذاء به وكذا رواه البخاري ومسلم وأبوداود وابن ماجه من طرق عن خالد الحذاء به.

وقال الامام احمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا أخبرنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن همام ابن الحارث قال جاء رجل إلى عثمان فأثنى عليه في وجهه قال فجعل المقداد بن الاسود يحثو في وجهه التراب ويقول أمرنا رسول الله ﷺ اذا لقينا المداحين أن نحثوا في وجوههم التراب. ورواه مسلم وأبوداود من حديث الثوري عن منصور به

أفرأيت الذي تولى (٣٣) وأعطى قليلا وأكدى؟ (٣٤) أعنده علم الغيب فهو يرى؟ (٣٥)

أم لم ينبأ بما في صحف موسى (٣٦) وإبراهيم الذي وفى (٣٧) ألا تزر وازرة وزر أخرى (٣٨)

وأن ليس للانسان إلا ما سعى (٣٩) وأن سعيه سوف يرى (٤٠) ثم يجزيه الجزاء الأوفى (٤١)

أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم﴾ قال ابن عباس لا تمدحوها، قال الحسن علم الله من كل نفس ما هي صانعة وإلى ما هي صائرة [فلا تزكوا أنفسكم] فلا تبرئوها عن الآثام ولا تمدحوها بحسن أعمالها قال الكلبي ومقاتل كان الناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا وجهادنا فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿هو أعلم بمن اتقى﴾ أي بر وأطاع وأخلص العمل لله تعالى

قوله عز وجل ﴿أفرأيت الذي تولى؟﴾ نزلت في الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبي ﷺ

يقول تعالى ذاما لمن تولى عن طاعة الله فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى (وأعطى قليلا وأكدى)قال ابن عباس أطاع قليلا ثم قطعه وكذا قال مجاهد وسعيد ابن جبير وعكرمة وقتادة وغير واحد قال عكرمة وسعيد كمثل القوم اذا كانوا يحفرون بئراً فيجدون في أثناء الحفر صخرة تمنعهم من تمام العمل فيقولون أكدينا ويتركون العمل

وقوله تعالى(أعنده علم الغيب فهو يرى؟) أي أعند هذا الذي قد أمسك يده خشية الانفاق وقطع معروفه أعنده علم الغيب انه سينفد ما في يده حتى قد امسك عن معروفه فهو يرى ذلك عيانا ؟ أي ليس الامر كذلك ، وانما أمسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة بخلا وشحا وهلعا ، ولهذا جاء في الحديث « أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا » وقد قال الله تعالى (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين)

وقوله تعالى [ام لم ينبأ بما في صحف موسى *وابراهيم الذي وفى؟] قال سعيد بن جبير والثوري أي بلغ جميع ما أمر به . وقال ابن عباس (وفى) لله بالبلاغ

وقال سعيد بن جبير وفى ما أمر به ، وقال قتادة وفي طاعة الله وأدى رسالته إلى خلقه وهذا القول هو اختيار ابن جرير وهو يشمل الذي قبله ويشهد له قوله تعالى (وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما) فقام بجميع الاوامر وترك جميع النواهي وبلغ الرسالة على التمام والكمال فاستحق بهذا أن يكون للناس إماما يقتدى به في جميع أحواله وأقواله وأفعاله قال الله تعالى (ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين)

وقال ابن ابي حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا آدم ابن ابي اياس العسقلاني حدثنا

على دينه فعيره بعض المشركين وقال له أتركت دين الاشياخ وضللتهم ؟ قال إني خشيت عذاب الله فضمن الذي عاتبه ان هو أعطاه كذا من ماله ورجع الى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد الى الشرك وأعطى الذي عيره بعض ذلك المال الذي ضمن ومنعه تمامه ، فأنزل الله عز وجل [أفرأيت الذي تولى؟] أدبر عن الايمان ﴿ وأعطى ﴾ صاحبه ﴿ قليلا وأكدى ﴾ بخل بالباقي ، وقال مقاتل أعطى يعني الوليد قليلا من الخير بلسانه وأكدى ثم أكدى يعني قطعه وأمسك ولم يقم على العطية ، وقال السدي نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك انه كان ربما يوافق النبي ﷺ في بعض الامور، وقال محمد بن كعب القرظي نزلت في أبي جهل وذلك انه قال والله ما يأمرنا محمد إلا بمكارم الاخلاق . فذلك قوله (وأعطى قليلا وأكدى) لم يؤمن به ومعنى أكدى يعني قطع وأصله من الكدية وهي حجر يظهر في البئر يمنع من الحفر تقول العرب أكدى الحافر وأجبل إذا بلغ في الحفر الكدية والجبل ﴿ أعنده علم الغيب فهو يرى؟ ﴾ ما غاب عنه ويعلم ان صاحبه يتحمل عنه عذابه ﴿ أم لم ينبأ ﴾ لم يخبر ﴿ بما في صحف موسى ﴾ يعني أسفار التوراة ﴿ وابراهيم ﴾ وفي صحف ابراهيم

حماد بن سلمة حدثنا جعفر بن الزبير عن القاسم عن ابي امامة قال : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية (وابراهيم الذي وفى) قال « أتدري ما وفى ؟ » قلت الله ورسوله أعلم قال « وفى عمل يومه بأربع ركعات من اول النهار » ورواه ابن جرير من حديث جعفر بن الزبير وهو ضعيف

وقال الترمذي في جامعه حدثنا ابو جعفر السمناني حدثنا ابو مسهر حدثنا اسماعيل بن عياش عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن ابي الدرداء وابي ذر عن رسول الله ﷺ عن الله عز وجل أنه قال « ابن آدم اركع لي أربع ركعات من اول النهار أكفك آخره »

قال ابن ابي حاتم رحمه الله وحدثنا ابي حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان بن فايد عن سهل بن معاذ بن انس عن ابيه عن رسول الله ﷺ انه قال « الا اخبركم لم سمى الله تعالى ابراهيم خليله الذي وفى؟ انه كان يقول كل ما اصبح وامسى (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) حتى ختم الآية

ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن رشدين بن سعيد عن زبان به، ثم شرع تعالى يبين ما كان أوحاه في صحف ابراهيم وموسى فقال (أن لا تزر وازرة وزر أخرى) أي كل نفس ظلمت نفسها

عليه السلام ﴿ الذي وفى ﴾ تمم وأكمل ما أمر به ، قال الحسن وسعيد بن جبير وقتادة عمل بما أمر به وبلغ رسالات ربه إلى خلقه ، قال مجاهد وفى بما فرض عليه ، قال الربيع وفى رؤياه وقام بذبح ابنه وقال عطاء الخراساني استكمل الطاعة ، وقال أبو العالية وفى سهام الاسلام وهو قوله (وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن) والتوفية الاتمام ، وقال الضحاك وفى ميثاق المناسك

أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحي انا ابو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا ابو جعفر محمد بن علي ابن دحيم الشيباني ثنا ابراهيم بن اسحاق الزهري ثنا اسحاق بن منصور عن اسرائيل عن جعفر ابن الزبير عن القاسم عن أبي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ابراهيم الذي وفى صلى أربع ركعات أول النهار »

أخبرنا ابو عثمان الضبي أنا ابو محمد الجراحي ثنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا ابو جعفر الشيباني ثنا أبو مسهر ثنا اسماعيل بن عياش عن بحير بن سعيد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء وأبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى أنه قال « ابن آدم اركع لي أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره » ثم بين ما في صحفهما فقال ﴿ ألا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ أي لا تحمل نفس حاملة حمل أخرى ومعناه لا تؤخذ نفس بإثم غيرها وفي هذا ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة بانه يحمل عنه الاثم وروى عكرمة عن ابن عباس قال كانوا قبل ابراهيم عليه السلام يأخذون الرجل بذنب غيره كان الرجل يقتل بذنب أبيه وابنه وأخيه وامرأته وعبده حتى كان ابراهيم فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله ﴿ ألا تزر وازرة وزر أخرى ﴾

بكفر او شيء من الذنوب فانما عليها وزرها لايحمله عنها أحد كما قال (وان تدع مثقلة الى حملها لايحمل منه شيء ولوكان ذا قربى) (وان ليس للانسان الا ماسعى) أي كما لايحمل عليه وزرغيره كذلك لايحصل من الاجر الا ما كسب هو لنفسه، ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي رحمه الله ومن اتبعه ان القراءة لايصل اهداء ثوابها إلى الموتى لانه ليس من عملهم ولا كسبهم ولهذا لم يندب اليه رسول الله ﷺ أمته ولا حثهم عليه ولا أرشدهم اليه بنص ولا إيماء، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم ولو كان خيراً ماسبقوا اليه، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ولايتصرف فيه بانواع الاقيسة والآراء، فاما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولها ومنصوص من الشارع عليهما

وأما الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن ابي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إذامات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاث من ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية من بعده او علم ينتفع به» فهذه الثلاثة في الحقيقة هي من سعيه وكده وعمله كما جاء في الحديث ان أطيب ما أكل الرجل من من كسبه وان ولده من كسبه والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هي من آثار عمله ووقفه وقد قال تعالى (إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم) الآية والعلم الذى نشره في الناس فاقتدى به الناس بعده هو أيضا من سعيه وعمله، وثبت في الصحيح من «دعا إلى هدى كان له من الاجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئا»

وقوله تعالى (وأن سعيه سوف يرى) أي يوم القيامة كقوله تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) أي فيخبركم به ويجزيكم عليه أتم الجزاء ان خيراً فخير وإن شراً فشر وهكذا قال ههنا (ثم يجزاه الجزاء الاوفى) أي الاوفر

﴿وأن ليس للانسان إلا ما سعى﴾ أي عمل كقوله [ان سعيكم لشتى] وهذا أيضا في صحف ابراهيم وموسى قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله [ألحقنا بهم ذرياتهم] فادخل الابناء الجنة بصلاح الآباء، وقال عكرمة كان ذلك لقوم ابراهيم وموسى، فأما هذه الامة فلهم ماسعوا وما سعى لهم غيرهم لما روي ان امرأة رفعت صبيا لها فقالت يارسول الله ألهذا حج؟ «قال نعم ولك أجر» وقال رجل للنبي ﷺ ان أمي افتلتت نفسها فهل لها اجر إن تصدقت عنها؟ قال «نعم» وقال الربيع بن أنس (وأن ليس للانسان الا ما سعى) يعني الكافر فأما المؤمن فله ماسعى وماسعي له وقيل ليس للكافر من الخير إلا ما عمل هو فيثاب عليه في الدنيا حتى لا يبقى له في الآخرة خير، ويروى ان عبد الله بن أبي كان أعطى العباس قميصا ألبسه إياه فلما مات ارسل رسول الله ﷺ قميصه ليكفنه فيه فلم يبق له حسنة في الآخرة يثاب عليها ﴿وان سعيه سوف يرى﴾ في ميزانه يوم القيامة من أريته الشيء ﴿ثم يجزاه الجزاء الاوفى﴾ الاكمل والاتم اي يجزي الانسان بسعيه يقال جزيت فلانا سعيه وبسعيه قال الشاعر

وأن الى ربك المنتهى (٤٢) وأنه هو أضحك وأبكى (٤٣) وأنه هو أمات وأحيا (٤٤) وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى (٤٥) من نطفة اذا تمنى (٤٦) وأن عليه النشأة الاخرى (٤٧) وأنه هو أغنى وأقنى (٤٨) وأنه هو رب الشعري (٤٩) وأنه أهلك عاداً الاولى (٥٠) وثمود فما أبقى (٥١) وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى (٥٢) والمؤتفكة أهوى (٥٣) فغشاها ماغشى (٥٤) فبأي آلاء ربك تتمارى؟ (٥٥)

يقول تعالى (وأن إلى ربك المنتهى) أي المعاد يوم القيامة قال ابن أبي حاتم حدثنا ابي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مسلم بن خالد عن عبدالرحمن بن سابط عن عمرو بن ميمون الاودي قال قام فينا معاذ بن جبل فقال يابني أود أني رسول رسول الله ﷺ اليكم تعلمون ان المعاد إلى الله إلى الجنة او الى النار وذكر البغوي من رواية ابي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن ابي العالية عن ابي بن كعب عن النبي ﷺ في قوله (وأن إلى ربك المنتهى) قال لافكرة في الرب قال البغوي وهذا مثل ماروي عن ابي هريرة مرفوعا «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانه لاتحيط به الفكرة» وكذا أورده وليس بمحفوظ بهذا اللفظ، وانما الذي في الصحيح «يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول من خلق ربك؟ فاذا بلغ أحدكم ذلك فليستعذ بالله ولينته»

وفي الحديث الآخر الذي في السنن «تفكروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في ذات الله فان الله تعالى خلق ملكا مابين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة ثلاثمائة سنة» أو كما قال

وقوله تعالى (وأنه هو أضحك وأبكى) أي خلق في عباده الضحك والبكاء وسببهما وهما مختلفان

ان اجز علقمة بن سعد سعيه لم اجزه ببلاء يوم واحد

لجمع بين اللغتين ﴿وأن الى ربك المنتهى﴾ أي منتهى الخلق ومصيرهم اليه وهو يجازيهم أعمالهم وقيل منه ابتداء المنة واليه انتهاء الآمال

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني الحسن بن محمد الشيباني أنا محمد بن سليمان بن الفتح الحنبلي ثنا علي بن محمد المصري أنا ابو اسحاق بن منصور الصعدي أنا العباس ابن زفر عن أبي جعفر الرازي عن أبيه عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ في قوله [وأن الى ربك المنتهى] قال لافكرة في الرب وهذا مثل ما روي عن ابي هريرة مرفوعا «تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فانه لا يحيط به الفكرة» ﴿وانه هو أضحك وأبكى﴾ فهذا

(وأنه هو أمات وأحيا) كقوله (الذي خلق الموت والحياة] [وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى) كقوله (أيحسب الانسان أن يترك سدى ؟* ألم يك نطفة من مني يمنى ؟* ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والانثى * أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟)

وقوله تعالى (وأن عليه النشأة الاخرى) أي كما خلق البداءة هو قادر على الاعادة وهي النشأة الآخرة يوم القيامة (وأنه هو أغنى وأقنى) أي ملك عباده المال وجعله لهم قنية مقيما عندهم لا يحتاجون الى بيعه فهذا تمام النعمة عليهم ، وعلى هـذا يدور كلام كثير من المفسرين منهم ابو صالح وابن جرير وغيرهما ، وعن مجاهد أغنى مول وأقنى اخدم وكذا قال قتادة وقال ابن عباس ومجاهد أيضا أغنى أعطى وأقنى رضي ، وقيل معناه أغنى نفسه وأفقر الخلائق اليه قاله الحضرمي بن لاحق وقيل اغنى من شاء من خلقه واقنى أي افقر من شاء منهم قاله ابن زيد حكاهما ابن جرير وهما بعيدان من حيث اللفظ

وقوله (وانه هو رب الشعرى) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد وغيرهم هو هذا النجم

يدل على أن كل ما يعمله الانسان فبقضائه وخلقه حتى الضحك والبكاء قال مجاهد والكلبي أضحك أهل الجنة في الجنة وأبكى أهل النار في النار ، وقال الضحاك أضحك الارض بالنبات وأبكى السماء بالمطر قال عطاء بن أبي مسلم يعني أفرح وأحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء

أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي ثنا علي ابن الجعد أنا قيس هو ابن الربيع الاسدي ثنا سماك بن حرب قال قلت لجابر بن سمرة أكنت تجالس النبي ﷺ؟ قال نعم وكان اصحابه يجلسون فيتناشدون الشعر ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم معهم اذا ضحكوا يعني النبي ﷺ وقال معمر عن قتادة سئل ابن عمر هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟ قال نعم والايمان في قلوبهم أعظم من الجبل ﴿ وأنه هو أمات وأحيى ﴾ أي أمات في الدنيا وأحيا للبعث وقيل أمات الآباء وأحيا الابناء وقيل أمات الكافر بالنكرة وأحيا المؤمن بالمعرفة ﴿ وانه خلق الزوجين الذكر والانثى ﴾ من كل حيوان ﴿ من نطفة اذا تمنى ﴾ أي تصب في الرحم يقال منى الرجل وأمنى ، قاله الضحاك وعطاء بن أبي رباح وقال آخرون تقدر يقال منيت الشيء اذا قدرته ﴿ وان عليه النشأة الاخرى ﴾ أي الخلق الثاني للبعث يوم القيامة ﴿ وأنه هو اغنى واقنى ﴾ قال ابو صالح اغنى الناس بالاموال واقنى أي أعطى القنية واصول الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية قال الضحاك اغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال وأقنى بالابل والبقر والغنم ، وقال قتادة والحسن اقنى اخدم ، وقال ابن عباس اغنى واقنى اعطى فارضى ، قال مجاهد ومقاتل اقنى ارضى بما اعطى وقنع وقال ابن زيد اغنى اكثر واقنى اقل ، وقرأ (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) وقال الاخفش اقنى افقر وقال ابن كيسان ﴿ وأنه هو رب الشعرى ﴾ وهو كوكب خلف الجوزاء وهما شعريان يقال لاحدهما العبور وللاخرى الغميصاء سميت بذلك لانها اخفى من الاخرى

الوقاد الذي يقال له مرزم الجوزاء كانت طائفة من العرب يعبدونه (وأنه أهلك عادا الاولى) وهم قوم هود ويقال لهم عاد بن ارم بن سام بن نوح كما قال تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ؟) فكانوا من أشد الناس وأقواهم وأعتاهم على الله تعالى وعلى رسوله فأهلكهم الله بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما) أي متتابعة

وقوله تعالى (وثمود فما أبقى) أي دمرهم فلم يبق منهم أحداً (وقوم نوح من قبل)أي من قبل هؤلاء (انهم كانوا هم أظلم وأطغى) أي أشد تمرداً من الذين من بعدهم (والمؤتفكة أهوى) يعني مدائن لوط قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود ولهذا قال فغشاها ماغشي يعني من الحجارة التي أرسلها عليهم(وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين) قال قتادة كان في مدائن لوط أربعة آلاف ألف انسان فانضرم عليهم الوادي شيئا من نار ونفط وقطران كفم الاتون . ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن محمد بن وهب بن عطية عن الوليد بن مسلم عن خليد عنه به وهو غريب جداً (فبأي آلاء ربك تتمارى؟) أي ففي أي نعم الله عليك أيها الانسان تمتري؟ قاله قتادة وقال ابن جريج (فبأي آلاء ربك تتمارى؟) يا محمد والاول أولى وهو اختيار ابن جرير

هذا نذيرٌ من النُّذر الاولى (٥٦) أزفت الآزفة (٥٧) ليس لها من دون الله كاشفة (٥٨)

والمجرة بينهما واراد ههنا الشعرى العبور وكانت خزاعة تعبدها واول من سن لهم ذلك رجل من اشرافهم يقال له ابو كبشة عبدها وقال لان النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى تقطعها طولا فهي مخالفة لها فعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله ﷺ على خلاف العرب في الدين سموه ابن ابي كبشة لخلافه اياهم كخلاف ابى كبشه في عبادة الشعرى

قوله عز وجل ﴿ وأنه أهلك عاداً الاولى ﴾ قرأ أهل المدينة والبصرة بلام مشددة بعد الدال ويهمز واوه قالون عن نافع والعرب تفعل ذلك فتقول قم لان عنا تريد قم الان عنا ويكون الوقف عندهم عادا والابتداء ألولى بهمزة واحدة مفتوحة بعدها لام مضمومة ويجوز الابتداء لولى بحذف الهمزة المفتوحة وقرأ الاخرون عادا الأولى وهم قوم هود أهلكوا بريح صرصر فكان لهم عقب فكانوا عادا الاخرى ﴿ وثمود ﴾ وهم قوم صالح أهلكهم الله بالصيحة ﴿ فما أبقى ﴾ منهم أحدا ﴿ وقوم نوح من قبل ﴾ أي أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود ﴿ انهم كانوا هم أظلم وأطغى ﴾ لطول دعوة نوح إياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب ﴿ والمؤتفكة ﴾ يعني قرى قوم لوط ﴿ أهوى ﴾ أسقط أي أهواها جبريل بعد ما رفعها الى السماء ﴿ فغشاها ﴾ ألبسها الله ﴿ ماغشى ﴾ يعني الحجارة المنضودة المسومة ﴿ فبأي آلاء ربك ﴾ نعم ربك أيها الانسان وقيل أراد الوليد بن المغيرة ﴿ تتمارى؟ ﴾ تشك وتجادل وقال ابن عباس تكذب ﴿ هذا نذير ﴾ يعني محمداً ﴿ من النذر الاولى ﴾ أي رسول من

أفمن هذا الحديث تعجبون (٥٩) وتضحكون ولا تبكون (٦٠) وأنتم سامدون؟ (٦١)

فاسجدوا لله واعبدوا (٦٢)

(هذا نذير) يعني محمداً ﷺ (من النذر الاولى) أي من جنسهم أرسل كما أرسلوا كما قال تعالى [قل ما كنت بدعا من الرسل] [أزفت الآزفة] أي اقتربت القريبة وهي القيامة (ليس لها من دون الله كاشفة) أي لا يدفعها اذا من دون الله أحد ولا يطلع على علمها سواه[1] والنذير الحذر لما يعاين من الشر الذي يخشى وقوعه فيمن أنذرهم كما قال [إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد] وفي الحديث «أنا النذير العريان» أي الذي أعجله شدة ما عاين من الشر عن أن يلبس عليه شيئا بل بادر إلى انذار قومه قبل ذلك فجاءهم عريانا مسرعا وهو مناسب لقوله (أزفت الآزفة) أي اقتربت القريبة يعني يوم القيامة كما قال في أول السورة التي بعدها [اقتربت الساعة]

وقال الامام أحمد حدثنا أنس بن عياض حدثني ابو حازم لا أعلم الا عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ «إياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا ببطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبزتهم وان محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه

وقال أبو حازم: قال رسول الله ﷺ قال أبو نضرة لا أعلم الا عن سهل بن سعد قال «مثلي ومثل الساعة كهاتين» وفرق بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الابهام، ثم قال «مثلي ومثل الساعة كمثل فرسي رهان» ثم قال «مثلي ومثل الساعة رجل بعثه قومه إلى طليعة فلما خشي أن يسبق ألاح بثوبه أتيتم أتيتم» ثم يقول رسول الله ﷺ «أنا ذلك» وله شواهد من وجوه أخر من صحاح وحسان

[1] من هنا إلى قوله ثم قال تعالى منكراً على المشركين غير موجود في المكية

الرسل أرسل اليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم وقال قتادة يقول أنذر محمد كما أنذر الرسل من قبله (أزفت الآزفة) دنت القيامة واقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) أي مظهرة مقيمة كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو والهاء فيه للمبالغة أو على تقدير نفس كاشفة ويجوز أن تكون الكاشفة مصدراً كالخالية والعافية والمعنى ليس لها من دون الله كاشف أي لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره وقيل معناه ليس لها راد يعني اذا غشيت الخلق أهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردها عنهم أحد وهذا قول عطاء وقتادة والضحاك (أفمن هذا الحديث) يعني القرآن (تعجبون وتضحكون؟) استهزاء (ولا تبكون) لما فيه من الوعد والوعيد (وأنتم سامدون) لاهون غافلون والسمود الغفلة عن الشيء واللهو يقال دع عنا سمودك أي لهوك

هذا رواية الوالبي والعوفي عن ابن عباس وقال عكرمة عنه هو الغناء بلغة أهل اليمن وكانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا وقال الضحاك أشرون بطرون وقال مجاهد غضاب مبرطمون فقيل له ما البرطمة قال الاعراض (فاسجدوا لله واعبدوا) أي واعبدوه

ثم قال تعالى منكراً على المشركين في استماعهم القرآن واعراضهم عنه وتلهيهم (تعجبون) من أن يكون صحيحا (وتضحكون) منه استهزاء وسخرية (ولا تبكون) أي كما يفعل الموقنون به كما أخبر عنهم [ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا]

وقوله تعالى (وأنتم سامدون) قال سفيان الثوري عن أبيه عن ابن عباس قال: الغناء هي يمانية اسمد لنا غن لنا وكذا قال عكرمة، وفي رواية عن ابن عباس (سامدون) معرضون، وكذا قال مجاهد وعكرمة وقال الحسن غافلون وهو رواية عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وفي رواية عن ابن عباس تستكبرون وبه يقول السدي، ثم قال تعالى آمراً لعباده بالسجود له والعبادة المتابعة لرسوله ﷺ والتوحيد والاخلاص (فاسجدوا لله واعبدوا) أي فاخضعوا له وأخلصوا ووحدوه

قال البخاري حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال: سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس. انفرد به دون مسلم

وقال الامام احمد حدثنا ابراهيم بن خالد حدثنا رباح عن معمر عن ابن طاوس عن عكرمة بن خالد عن جعفر بن المطلب بن أبي وداعة عن أبيه قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة سورة النجم فسجد وسجد من عنده فرفعت رأسي وأبيت أن أسجد ولم يكن أسلم يومئذ المطلب فكان بعد ذلك لا يسمع أحداً يقرؤها إلا سجد معه. وقد رواه النسائي في الصلاة عن عبد الملك بن عبد الحميد عن احمد بن حنبل به

﴿آخر تفسير سورة النجم ولله الحمد والمنة﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا مسدد ثنا عبد الوارث ثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف انا محمد بن اسمعيل ثنا نصر بن علي أخبرني أبو أحمد ثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن الاسود بن يزيد عن عبد الله قال أول سورة أنزلت فيها سجدة النجم قال فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه الا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافراً وهو أمية بن خلف

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل أنا آدم بن أبي اياس أنا ابن أبي ذئب أنا يزيد بن عبد الله بن قسيط عن عطاء بن يسار عن زيد بن ثابت قال قرأ على النبي ﷺ والنجم فلم يسجد فيها فقلت هذا دليل على ان سجود التلاوة غير واجب قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الله لم يكتبها علينا الا أن نشاء. وهو قول الشافعي وأحمد وذهب قوم الى أن وجوب سجود التلاوة على القارئ والمستمع جميعا وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي

تفسير سورة اقتربت الساعة وهى مكية

قد تقدم في حديث أبي واقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بقاف واقتربت الساعة في الاضحى والفطر وكان يقرأ بهما في المحافل الكبار لاشتمالها على ذكر الوعد والوعيد وبدء الخلق واعادته والتوحيد واثبات النبوات وغير ذلك من المقاصد العظيمة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

اقتربت الساعة وانشق القمر (١) وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر (٢)

وكذّبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر (٣) ولقد جاءهم من الانباء مافيه مزدجر (٤)

حكمة بالغة فما تغني النذر (٥)

يخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها كما قال تعالى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) وقال [اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون] وقد وردت الاحاديث بذلك

قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن المثنى وعمرو بن علي قالا حدثنا خلف بن موسى حدثني أبي عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب أصحابه ذات يوم وقد كادت الشمس أن تغرب فلم يبق منها إلا سف يسير فقال « والذي نفسي بيده مابقي من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه وما نرى من الشمس إلا يسيراً » قلت هذا حديث مداره على خلف بن موسى بن خلف العمي عن أبيه وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال ربما أخطأ

﴿ حديث آخر يعضد الذي قبله ويفسره ﴾ قال الامام احمد حدثنا الفضل بن دكين حدثنا شريك حدثنا سلمة بن كهيل عن مجاهد عن ابن عمر قال : كنا جلوسا عند النبي ﷺ والشمس على قعيقعان بعد العصر فقال « ماأعماركم في أعمار من مضى إلا كما بقي من النهار فيما مضى »

وقال الامام احمد حدثنا حسين حدثنا مطرف عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « بعثت أنا والساعة هكذا » وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى . أخرجاه من حديث أبي حازم سلمة بن دينار

وقال الامام احمد حدثنا محمد بن عبيد أخبرنا الاعمش عن أبي خالد عن وهب السوائي قال :

﴿ سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقتربت الساعة ﴾ دنت القيامة ﴿ وانشق القمر ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعثت أنا والساعة كهذه من هذه إن كادت لتسبقني » وجمع الاعمش بين السبابة والوسطى

وقال الامام احمد حدثنا ابو المغيرة حدثنا الاوزاعي حدثني اسماعيل بن عبيد الله قال قدم أنس ابن مالك على الوليد بن عبد الملك فسأله ماذا سمعت من رسول الله ﷺ يذكر به الساعة ؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « أنتم والساعة كهاتين » تفرد به احمد رحمه الله وشاهد ذلك ايضا في الصحيح في اسماء رسول الله ﷺ انه الحاشر الذي يحشر الناس على قدميه

وقال الامام احمد حدثنا بهز بن أسد حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد بن هلال عن خالد بن عمير قال خطب عتبة بن غزوان قال بهز وقال قبل هذه المرة خطبنا رسول الله ﷺ قال فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال « اما بعد فان الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء يتصابها صاحبها وانكم منتقلون منها الى دار لا زوال لها فانتقلوا منها بخير مابحضرتكم فانه قد ذكر لنا ان الحجر يلقى من شفير جهنم فيهوي فيها سبعين عاما ما يدرك لها قعرا » والله لتملؤنه أفعجبتم والله لقد ذكر لنا أن مابين مصراعي الجنة مسيرة أربعين عاما وليأتين عليه يوم وهو كظيظ الزحام وذكر تمام الحديث انفرد به مسلم

وقال أبو جعفر ابن جرير حدثني يعقوب حدثني ابن علية أخبرنا عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي قال نزلنا المدائن فكنا منها على فرسخ فجاءت الجمعة فحضر أبي وحضرت معه فخطبنا حذيفة فقال ألا ان الله يقول (اقتربت الساعة وانشق القمر) الا وان الساعة قد اقتربت الا وان القمر قد انشق الا وان الدنيا قد آذنت بفراق الا وان اليوم المضمار وغداً السباق فقلت لا بي ايستبق الناس غداً ؟ فقال يا بني انك لجاهل انما هو السباق بالاعمال ، ثم جاءت الجمعة الاخرى فحضرنا فخطب حذيفة فقال الا ان الله عز وجل يقول [اقتربت الساعة وانشق القمر] الا وان الدنيا قد اذنت بفراق الا وان اليوم المضمار وغداً السباق ألا وان الغاية النار والسابق من سبق إلى الجنة

وقوله تعالى (وانشق القمر) قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ كما ورد ذلك في الاحاديث المتواترة بالاسانيد الصحيحة. وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود انه قال « خمس قد مضين الروم والدخان واللزام والبطشة والقمر » وهذا أمر متفق عليه بين العلماء ان انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ وانه كان إحدى المعجزات الباهرات

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله بن عبد الوهاب أنا بشر بن المفضل ثنا سعيد بن أبي عروبه عن قتادة عن أنس بن مالك ان أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى راوا حراء بينهما وقال شيبان عن قتادة فأراهم انشقاق القمر مرتين

﴿ ذكر الاحاديث الواردة في ذلك ﴾

﴿ رواية أنس بن مالك ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس ابن مالك قال سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر بمكة مرتين فقال (اقتربت الساعة وانشق القمر) ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق

وقال البخاري حدثني عبدالله بن عبد الوهاب حدثنا بشر بن المفضل حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك ان أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما . وأخرجاه أيضا من حديث يونس بن محمد المؤدب عن شيبان عن قتادة ورواه مسلم أيضا من حديث أبي داود الطيالسي ويحيى القطان وغيرهما عن شعبة عن قتادة به

﴿ رواية جبير بن مطعم رضي الله عنه ﴾ قال الامام أحمد حدثنا محمد بن كثير ثنا سليمان بن كثير عن حصين بن عبد الرحمن عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا سحرنا محمد فقالوا ان كان سحرنا فانه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم . تفرد به الامام احمد من هذا الوجه وأسنده البيهقي في الدلائل من طريق محمد بن كثير عن أخيه سليمان بن كثير عن حصين بن عبد الرحمن

وهكذا رواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل وغيره عن حصين به . ورواه البيهقي أيضا من طريق ابراهيم بن طهمان وهشيم كلاهما عن حصين عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده فذكره

﴿ رواية عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ﴾ قال البخاري حدثنا يحيى بن كثير حدثنا بكر عن جعفر عن عراك بن مالك عن عبيدالله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : انشق القمر في زمان النبي ﷺ . ورواه البخاري أيضا ومسلم من حديث بكر بن نصر عن جعفر بن ربيعة عن عراك به مثله

وقال ابن جرير : حدثنا ابن مثنى حدثنا عبد الاعلى حدثنا داود بن أبي هند عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) قال قد مضى ذلك كان قبل الهجرة انشق القمر حتى رأوا شقيه ، وروى العوفي عن ابن عباس نحو هذا

وقال الطبراني حدثنا أحمد بن عمرو البزار حدثنا محمد بن يحيى القطعي حدثنا محمد بن شكر حدثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال كسف القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا سحر القمر فنزلت (اقتربت الساعة وانشق القمر - الى قوله - مستمر)

اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا مسدد ثنا يحيي عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن ابي معمر عن ابن مسعود قال انشق

﴿ رواية عبد الله بن عمر ﴾ قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا حدثنا أبو العباس الاصم حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا وهب ابن جرير عن شعبة عن الاعمش عن مجاهد عن عبدالله بن عمر في قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) قال وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ انشق فلقتين فلقة من دون الجبل وفلقة من خلف الجبل فقال النبي ﷺ « اللهم اشهد » وهكذا رواه مسلم والترمذي من طرق عن شعبة عن الاعمش عن مجاهد به . قال مسلم كرواية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود وقال الترمذي حسن صحيح

﴿ رواية عبدالله بن مسعود ﴾ قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين حتى نظروا اليه فقال رسول الله ﷺ « اشهدوا » وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث سفيان بن عيينة به وأخرجاه من حديث الاعمش عن ابراهيم عن أبي معمر عبدالله بن سخبرة عن ابن مسعود به

وقال ابن جرير حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي حدثنا عمي ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش عن ابراهيم عن رجل عن عبد الله قال : كنا مع رسول الله ﷺ بمنى فانشق القمر فأخذت فرقة خلف الجبل فقال رسول الله ﷺ « اشهدوا اشهدوا » قال البخاري : وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله بمكة

وقال أبو داود الطيالسي حدثنا أبو عوانة عن المغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عبدالله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش هذا سحر ابن أبي كبشة قال فقالوا انظروا ما يأتيكم به السفار فان محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم قال فجاء السفار فقالوا ذلك

وقال البيهقي أخبرنا ابو عبدالله الحافظ أخبرنا ابو العباس محمد بن يعقوب حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا هشام حدثنا مغيرة عن ابي الضحى عن مسروق عن عبد الله قال انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين فقال كفار قريش أهل مكة هذا سحر سحركم به ابن ابي كبشة انظروا السفار فان كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم فهو سحر سحركم به قال فسئل السفار قال وقدموا من كل وجهة فقالوا رأينا ، ورواه ابن جرير من حديث المغيرة به وزاد فأنزل الله عز وجل (اقتربت الساعة وانشق القمر)

ثم قال ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا ايوب عن محمد هو ابن سيرين قال نبئت ان ابن مسعود رضي الله عنه كان يقول لقد انشق القمر

القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله ﷺ « اشهدوا » وقال ابو الضحى عن مسروق عن عبد الله قال انشق القمر بمكة وقال مقاتل انشق القمر ثم التأم بعد

وقال ابن جرير أيضا حدثني محمد بن عمارة حدثنا عمرو بن حماد حدثنا اسباط عن سماك عن ابراهيم عن الاسود عن عبدالله قال لقد رأيت الجبل من فرج القمر حين انشق

ورواه الامام احمد عن مؤمل عن اسرائيل عن سماك عن ابراهيم عن الاسود عن عبدالله قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى رأيت الجبل من بين فرجتي القمر

وقال ليث عن مجاهد انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين فقال النبي ﷺ لابي بكر اشهد يا أبا بكر فقال المشركون سحر القمر حتى انشق

وقوله تعالى (وان يروا آية) اي دليلا وحجة وبرهانا (يعرضوا) أي لا ينقادوا له بل يعرضون عنه ويتركونه وراء ظهورهم (ويقولوا سحر مستمر) أي ويقولون هذا الذي شاهدناه من الحجج سحر سحرنا به ومعنى (مستمر) أى ذاهب قاله مجاهد وقتادة وغيرهما أي باطل مضمحل لا دوام له (وكذبوا واتبعوا أهواءهم) أي كذبوا بالحق اذ جاءهم واتبعوا ما أمرتهم به آراؤهم وأهواؤهم من جهلهم وسخافة عقلهم

وقوله (وكل أمر مستقر) قال قتادة معناه ان الخير واقع بأهل الخير والشر واقع بأهل الشر ، وقال ابن جريج مستقر بأهله وقال مجاهد (وكل امر مستقر) أي يوم القيامة وقال السدي مستقر اي واقع

وقوله تعالى (ولقد جاءهم من الانباء) أي من الاخبار عن قصص الامم المكذبين بالرسل وما حل بهم من العقاب والنكال والعذاب مما يتلى عليهم في هذا القرآن (مافيه مزدجر) أي مافيه واعظ لهم عن الشرك والتمادي على التكذيب

ذلك وروى ابو الضحى عن مسروق عن عبد الله قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش سحركم ابن ابي كبشة فاسألوا السفار فسألوهم فقالوا نعم قد رايناه فأنزل الله عز وجل (اقتربت الساعة وانشق القمر) ﴿ وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ اي ذاهب سوف يذهب ويبطل من قولهم مر الشيء واستمر اذا ذهب مثل قولهم قر واستقر هـذا قول مجاهد وقتادة وقال ابو العاليه والضحاك مستمر أي قوي شديد يعلو كل سحر من قولهم مر الحبل اذا صلب واشتد وامررته انا اذا احكمت فتله واستمر الشيء اذا قوي واستحكم ﴿ وكذبوا واتبعوا اهواءهم ﴾ اي كذبوا النبي ﷺ وما عاينوا من قدرة الله عز وجل واتبعوا ما زين لهم الشيطان من الباطل ﴿ وكل امر مستقر ﴾

قال الكلبي لكل امر حقيقة ما كان منه في الدنيا فسيظهروا ما كان منه في الآخرة فسيعرف وقال قتادة كل امر مستقر فالخير مستقر باهل الخير والشر مستقر بأهل الشر وقيل كل امر من خير او شر مستقر قراره فالخير مستقر بأهله في الجنة والشر مستقر بأهله في النار وقيل مستقر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب وقال مقاتل لكل حديث منتهى وقيل كل ما قدر كائن واقع لا محالة وقرأ ابو جعفر مستقر بجر الراء ولا وجه له ﴿ ولقد جاءهم ﴾ يعني اهل مكة ﴿ من الانباء ﴾ من اخبار الامم المكذبة في القرآن ﴿ ما فيه مزدجر ﴾ منتهى مصدر بمعنى الازدجار

وقوله تعالى [حكمة بالغة] أي في هدايته تعالى لمن هداه واضلاله لمن أضله [فما تغني النذر] يعني أي شيء تغني النذر عمن كتب الله عليه الشقاوة وختم على قلبه فمن الذي يهديه من بعد الله وهذه الآية كقوله تعالى [قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين] وكذا قوله تعالى [فما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون]

فتولَّ عنهم يوم يدعُ الداع الى شيء نُكُر (٦) خُشَّعًا أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر (٧) مهطعين الي الداع يقول الكافرون هذا يوم عسِر (٨)

يقول تعالى فتول يامحمد عن هؤلاء الذين اذا رأوا آية يعرضوا ويقولوا هذا سحر مستمر أعرض عنهم وانتظرهم [يوم يدع الداع إلى شيء نكر] أي الى شيء منكر فظيع وهو موقف الحساب ومافيه من البلاء بل والزلازل والاهوال [خشعا أبصارهم] أي ذليلة أبصارهم [يخرجون من الاجداث] وهي القبور كأنهم جراد منتشر أي كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم الى موقف الحساب اجابة الداعي جراد منتشر في الآفاق ، ولهذا قال [مهطعين] أى مسرعين الى الداعي لا يخالفون ولا يتأخرون [يقول الكافرون هذا يوم عسر] أي يوم شديد الهول عبوس قمطرير [فذلك يوم عسير على الكافرون غير يسير]

أي نهي وعظة يقال زجرته وازدجرته إذا نهيته عن السوء وأصله مزتجر قلبت التاء دالا ﴿ حكمة بالغة ﴾ يعني القرآن حكمة تامة وقد بلغت الغاية في الزجر ﴿ فما تغني النذر ﴾ يجوز أن تكون ما نفيا على معنى فليست تغني النذر ويجوز أن يكون استفهاما والمعنى فأي شيء تغني النذر إذا خالفوهم وكذبوهم كقوله وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون والنذر جمع نذير ﴿ فتول عنهم ﴾ أي أعرض عنهم نسختها آية القتال قيل ههنا وقف تام وقيل فتول عنهم ﴿ يوم يدع الداع ﴾ أي الى يوم يدع الداعي قال مقاتل هو اسرافيل ينفخ قائما على صخرة بيت المقدس ﴿ إلى شيء نكر ﴾ منكر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما قرأ ابن كثير نكر بسكون الكاف والاخرون بضمها ﴿ خشعا أبصارهم ﴾ قرأ أبو عمرو ويعقوب والكسائي خاشعا على الواحد وقرأ الآخرون خشعا بضم الخاء وتشديد الشين على الجمع ويجوز في أسماء الفاعلين اذا تقدمت على الجماعة التوحيد والجمع والتذكير والتأنيث تقول مررت برجال حسن أوجههم وحسنة أوجههم وحسان أوجههم قال الشاعر

ورجال حسن أوجههم   من اياد بن نزار بن معد

وفي قراءة عبد الله خاشعة أبصارهم أي ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب ﴿ يخرجون من الاجداث ﴾ من القبور ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ منبث حيارى وذكر المنتشر على لفظ الجراد نظيرها [كالفراش المبثوث] وأراد انهم يخرجون فزعين لا جهة لاحد منهم يقصدها كالجراد لا جهة لها تكون مختلطة بعضها في بعض ﴿ مهطعين ﴾ مسرعين مقبلين ﴿ إلى الداع ﴾ الى صوت اسرافيل ﴿ يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾

كذّبت قبلهم قوم نوح فكذّبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدُجر (٩) فدعا ربه أني مغلوب فانتصر (١٠) ففتحنا أبوٰب السماء بماء منهمر (١١) وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قُدِر (١٢) وحملنٰه على ذات ألواح ودُسُر (١٣) تجري بأعيننا جزاء لمن كان كُفِر (١٤) ولقد تركنٰها آية فهل من مُدّكر (١٥) فكيف كان عذابي ونذر (١٦) ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر (١٧)

يقول تعالى كذبت قبل قومك يامحمد قوم نوح (فكذبوا عبدنا) اي صرحوا له بالتكذيب واتهموه بالجنون (وقالوا مجنون وازدجر) قال مجاهد وازدجر أي استطير جنونا، وقيل وازدجر أي انتهروه وزجروه وتواعدوه لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين قاله ابن زيد وهذا متوجه حسن (فدعا ربه اني مغلوب فانتصر) اي اني ضعيف عن هؤلاء وعن مقاومتهم فانتصر أنت لدينك

قال الله تعالى [ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر] قال السدي وهو الكثير [وفجرنا الارض عيونا] أي نبعت جميع أرجاء الارض حتى التنانير التي هي محال النيران نبعت عيونا (فالتقى الماء) أي من السماء والارض [على أمر قد قدر] أي أمر مقدر

قال ابن جريج عن ابن عباس ففتحنا أبواب السماء بما منهمر كثير لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلا من السحاب فتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم فالتقى الماآن على أمر قد قدر، وروى ابن أبي حاتم ان ابن الكواء سأل عليا عن المجرة فقال هي شرج السماء ومنها فتحت السماء بماء منهمر (وحملناه على ذات الواح ودسر) قال ابن عباس وسعيد بن جبير والقرظي وقتادة وابن زيد هي المسامير واختاره ابن جرير قال

صعب شديد، قوله عز وجل ﴿ كذبت قبلهم ﴾ أي قبل أهل مكة ﴿ قوم نوح فكذبوا عبدنا ﴾ نوحا ﴿ وقالوا مجنون وازدجر ﴾ أي زجروه عن دعوته ومقالته بالشتم والوعيد و قالوا لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين وقال مجاهد معنى ازدجر أي استطير جنونا ﴿ فدعا ﴾ نوح ﴿ ربه ﴾ وقال ﴿ أني مغلوب ﴾ مقهور ﴿ فانتصر ﴾ فانتقم لي منهم ﴿ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ﴾ منصب انصبابا شديداً لم ينقطع أربعين يوما وقال يمان قد طبق ما بين السماء والارض ﴿ وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء ﴾ يعني ماء السماء وماء الارض وإنما قال فالتقى الماء والالتقاء لا يكون من واحد إنما يكون بين اثنين فصاعدا لان الماء يكون جمعا وواحدا وقرأ عاصم الجحدري فالتقى الماآن ﴿ على أمر قد قدر ﴾ أي قضي عليهم في أم الكتاب وقال مقاتل قدر الله أن يكون الماآن سواء فكان

وواحدها دسار ويقال دسير كما يقال حبيك وحباك والجمع حبك ، وقال مجاهد الدسر أضلاع السفينة وقال عكرمة والحسن هو صدرها الذي يضرب به الموج ، وقال الضحاك الدسر طرفاها وأصلها وقال العوفي عن ابن عباس هو كلكلها أي صدرها

وقوله (تجري بأعيننا) أي بأمرنا بمرأى منا وتحت حفظنا وكلاءتنا (جزاء لمن كان كفر) أي جزاء لهم على كفرهم بالله وانتصارا لنوح عليه السلام

وقوله تعالى (ولقد تركناها آية) قال قتادة أبقى الله سفينة نوح حتى أدركها أول هذه الامة والظاهر أن المراد من ذلك جنس السفن كقوله تعالى (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) وقال تعالى (إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية * لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية) ولهذا قال ههنا (فهل من مدكر) أي فهل من يتذكر ويتعظ

قال الامام احمد حدثنا حجاج حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الاسود عن ابن مسعود قال أقرأني رسول الله ﷺ فهل من مدكر وهكذا رواه البخاري حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن الاسود بن يزيد عن عبدالله قال قرأت على النبي ﷺ (فهل من مذكر) وقال النبي ﷺ [فهل من مدكر]

على ما قدر ﴿ وحملناه ﴾ يعني نوحا ﴿ على ذات ألواح ودسر ﴾ أي سفينة ذات ألواح ذكر النعت وترك الاسم أراد بالالواح خشب السفينة العريضة ودسر أي المسامير التي تشد بها الالواح واحدها دسار ودسير يقال دسرت السفينة إذا شددتها بالمسامير وقال الحسن الدسر صدر السفينة سميت بذلك لانها تدسر الماء بجؤجؤها أي تدفع وقال مجاهد هي عوارض السفينة وقيل اضلاعها وقال الضحاك الالواح جانباها والدسر أصلها وطرفاها ﴿ تجرى بأعيننا ﴾ أي بمرأى منا وقال مقاتل ابن حيان بحفظنا ومنه قولهم للمودع عين الله عليك وقال سفيان بأمرنا ﴿ جزاء لمن كان كفر ﴾ يعني فعلنا به وبهم من انجاء نوح وإغراق قومه ثوابا لمن كان كفر به وجحد أمره وهو نوح عليه السلام وقيل من بمعنى ما أي جزاء لما كان كفر من أيادي الله ونعمه عند الذين أغرقهم أو جزاء لما صنع بنوح وأصحابه وقرأ مجاهد جزاء لمن كان كفر بفتح الكاف والفاء يعني كان الغرق جزاء لمن كان كفر بالله وكذب رسوله ﴿ ولقد تركناها ﴾ يعني الفعلة التي فعلنا ﴿ آية ﴾ يعتبر بها وقيل أراد السفينة قال قتادة أبقاها الله بباقردي من أرض الجزيرة عبرة وآية حتى نظرت اليها أوائل هذه الامة ﴿ فهل من مدكر ﴾ أي متذكر متعظ معتبر خائف مثل عقوبتهم

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا أبو نعيم ثنا زهير عن أبي اسحاق انه سمع رجلا سأل الاسود عن قوله فهل من مدكر أو مذكر

وروى البخاري أيضا من حديث شعبة عن ابي إسحاق عن الاسود عن عبدالله قال : كان رسول الله ﷺ يقرأ [فهل من مدكر]

وقال حدثنا ابو نعيم حدثنا زهير عن ابي إسحاق أنه سمع رجلا سأل الاسود فهل من مذكر او مدكر قال سمعت عبدالله يقرأ فهل من مدكر ، وقال سمعت رسول الله ﷺ يقرؤها فهل من مدكر دالا ، وقد أخرج مسلم هذا الحديث وأهل السنن الا ابن ماجه من حديث ابي إسحاق

وقوله تعالى [فكيف كان عذابي ونذر] أي كيف كان عذابي لمن كفر بي وكذب رسلي ولم يتعظ بما جاءت به نذري وكيف انتصرت لهم وأخذت لهم بالثار [ولقد يسرنا القرآن للذكر] أى سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمن أراده ليتذكر الناس كما قال [كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب] وقال تعالى فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا] قال مجاهد [ولقد يسرنا القرآن للذكر] يعني هونا قراءته وقال السدي يسرنا قراءته على الالسن وقال الضحاك عن ابن عباس لولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله عز وجل ، قلت ومن تيسيره تعالى على الناس تلاوة القرآن ماتقدم عن النبي ﷺ انه قال « ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف » وأوردنا الحديث بطرقه والفاظه بما اغنى عن اعادته ههنا ولله الحمد والمنة ، وقوله [فهل من مدكر] أى فهل من متذكر بهذا القرآن الذى قد يسر الله حفظه ومعناه وقال محمد بن كعب القرظي فهل من منزجر عن المعاصي

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسن بن رافع حدثنا ضمرة عن ابن شوذب عن مطر هو الوراق في قوله تعالى (فهل من مدكر) هل من طالب علم فيعان عليه وكذا علقه البخاري بصيغة الجزم عن مطر الوراق ورواه ابن جرير وروي عن قتادة مثله

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ؟ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ؟ (٢١)

قال سمعت عبدالله يقرؤها فهل من مدكر وقال سمعت النبي ﷺ يقرؤها فهل من مدكر دالا ﴿ فكيف كان عذابي ونذر ﴾ أى انذارى قال الفراء الانذار والنذر مصدران تقول العرب أنذرت انذارا ونذرا كقولهم أنفقت انفاقا ونفقة وأيقنت ايقانا ويقينا اقيم الاسم مقام المصدر ﴿ ولقد يسرنا ﴾ سهلنا ﴿ القرآن للذكر ﴾ ليتذكر ويعتبر به وقال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شيء من كتب الله يقرأ كله ظاهر إلا القرآن قوله عز وجل ﴿ فهل من مدكر ﴾ متعظ بمواعظه ﴿ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر * انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا ﴾ شديد الهبوب ﴿ في يوم

ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر ؟ (٢٢)

يقول تعالى مخبراً عن عاد قوم هود إنهم كذبوا رسولهم أيضاً كما صنع قوم نوح وإنه تعالى أرسل (عليهم ريحاً صرصراً) وهي الباردة الشديدة البرد (في يوم نحس) أي عليهم قاله الضحاك وقتادة والسدي (مستمر) عليهم نحسة ودماره لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوي بالاخروى

وقوله تعالى (تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر) وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتى تغيبه عن الابصار ثم تنكسه على أم رأسه فيسقط الارض فتثلغ رأسه فيبقى جثة بلا رأس ولهذا قال (كأنهم أعجاز نخل منقعر * فكيف كان عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)

كذّبت ثمودُ بالنذر (٢٣) فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذاً لفي ضلالٍ وسُعُر (٢٤) أءلقيَ الذكر عليه من بيننا بل هو كذّاب أشِر (٢٥) سيعلمون غداً من الكذّاب الأشِر (٢٦) إنا مرسلو الناقة فتنةً لهم فارتقبهم واصطبر (٢٧) ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كلُّ شِربٍ محتضَر (٢٨) فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر (٢٩) فكيف كان عذابي ونذر ؟ (٣٠) إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظِر (٣١) ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر (٣٢)

وهذا اخبار عن ثمود انهم كذبوا رسولهم صالحا [فقالوا أبشراً منا واحدا نتبعه انا اذاً لفي ضلال وسعر] يقولون لقد خبنا وخسرنا ان سلمنا كلنا قيادنا لواحد منا ثم تعجبوا من القاء الوحي

نحس مستمر ﴾ شديد دائم الشؤم استمر عليهم بنحوسته فلم يبق منهم أحد الا أهلكه قيل كان ذلك يوم الاربعاء في آخر الشهر ﴿ تنزع الناس ﴾ تقلعهم ثم ترمي بهم على رؤسهم فتدق رقابهم وروي انها كانت تنزع الناس من قبورهم ﴿ كأنهم أعجاز نخل ﴾ قال ابن عباس اصولها وقال الضحاك اوراك نخل ﴿ منقعر ﴾ منقلع من مكانه ساقط على الارض وواحد الاعجاز عجز مثل عضد وأعضاد وانما قال أعجاز نخل وهي اصولها التي قطعت فروعها لان الريح كانت تبين رؤسهم من اجسادهم فتبقى اجسادهم بلا رؤس ﴿ فكيف كان عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن الذكر فهل من مدكر * كذبت ثمود بالنذر ﴾ بالانذار الذي جاءهم به صالح ﴿ فقالوا ابشراً ﴾ آدميا ﴿ منا واحداً نتبعه ﴾ ونحن جماعة كثيرة وهو واحد ﴿ انا اذا لفي ضلال ﴾ خطأ وذهاب عن الصواب ﴿ وسعر ﴾ قال ابن عباس عذاب وقال الحسن شدة عذاب وقال قتادة عناء يقولون إنا اذاً لفي عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته قال سفيان بن عيينة

عليه خاصة من دونهم ثم رموه بالكذب فقالوا (بل هو كذاب أشر) أي متجاوز في حد الكذب قال الله تعالى (سيعلمون غداً من الكذاب الأشر) وهذا تهديد لهم شديد ووعيد أكيد

ثم قال تعالى (إنا مرسلو الناقة فتنة لهم) أي اختباراً لهم اخرج الله تعالى لهم ناقة عظيمة عشراء من صخرة صماء طبق ما سألوا لتكون حجة الله عليهم في تصديق صالح عليه السلام فيما جاءهم به ثم قال تعالى آمراً لعبده ورسوله صالح (فارتقبهم واصطبر) أي انتظر مايؤول اليه أمرهم واصبر عليهم فان العاقبة لك والنصر في الدنيا والآخرة (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) أي يوم لهم ويوم للناقة كقوله (قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) وقوله تعالى (كل شرب محتضر) قال مجاهد اذا غابت حضروا الماء واذا جاءت حضروا اللبن

ثم قال تعالى (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر) قال المفسرون هو عاقر الناقة واسمه قدار بن سالف وكان أشقى قومه كقوله (اذ انبعث أشقاها) (فتعاطى) أي جسر (فعقر * فكيف كان عذابي ونذر) أي فعاقبتهم فكيف كان عقابي لهم على كفرهم بي وتكذيبهم رسولي (إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر) أي فبادوا عن آخرهم لم تبق منهم باقية وخمدوا وهمدوا كما يهمد يبيس الزرع والنبات قاله غير واحد من المفسرين، والمحتظر قال السدي هو المرعى بالصحراء

هو جمع سعير ، وقال الفراء جنون يقال ناقة مسعورة اذا كانت خفيفة الرأس هائمة على وجهها ، وقال وهب وسعر اي بعد عن الحق ﴿ أألقي الذكر ﴾ أأنزل الذكر الوحي ﴿ عليه من بيننا بل هو كذاب اشر ﴾ بطر متكبر يريد ان يتعظم علينا بادعائه النبوة والاشر المرح والتجبر ﴿ سيعلمون ﴾ قرأ ابن عامر وحمزة ستعلمون بالتاء على معنى قال صالح لهم وقرأ الاخرون بالياء يقول الله تعالى سيعلمون ﴿ غدا ﴾ حين ينزل بهم العذاب وقال الكلبي يعني يوم القيامة وذكر الغد للتقريب على عادة الناس يقولون ان مع اليوم غدا ﴿ من الكذاب الاشر * انا مرسلو الناقة ﴾ اى باعثوها ومخرجوها من الهضبة التي سألوا ان يخرجها منها وذلك انهم تعنتوا على صالح فسألوه ان يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء فقال الله تعالى (انا مرسلو الناقة) ﴿ فتنة لهم ﴾ محنة واختبارا لهم ﴿ فارتقبهم ﴾ فانتظر ما هم صانعون ﴿ واصطبر ﴾ على ارتقابهم وقيل على ما يصيبك من الاذى ﴿ ونبئهم ان الماء قسمة بينهم ﴾ وبين الناقة يوم لها ويوم لهم وإنما قال بينهم لان العرب إذا أخبرت عن بني آدم وعن البهائم غلبت بني آدم على البهائم ﴿ كل شرب ﴾ نصيب من الماء ﴿ محتضر ﴾ يحضره من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة حضرت شربها واذا كان يومهم حضروا شربهم واحتضر وحضر بمعنى واحد، قال مجاهد يعني يحضرون الماء إذا غابت الناقة فاذا جاءت الناقة حضروا اللبن ﴿ فنادوا صاحبهم ﴾ وهو قدار بن سالف ﴿ فتعاطى ﴾ فتناول الناقة بسيفه ﴿ فعقر ﴾ أي فعقرها ﴿ فكيف كان عذابي ونذر ﴾ ثم بين عذابهم فقال ﴿ انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة ﴾ قال عطاء يريد صيحة جبريل عليه السلام ﴿ فكانوا كهشيم

حين ييبس ويحترق وتسفيه الريح وقال ابن زيد كانت العرب يجعلون حظاراً على الابل والمواشي من يبيس الشوك فهو المراد من قوله (كهشيم المحتظر) وقال سعيد بن جبير هشيم المحتظر هو التراب المتناثر من الحائط وهذا قول غريب والاول أقوى والله أعلم

كذّبت قوم لوط بالنُّذُر (٣٣) انا أرسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط نجينٰهم بسَحَر (٣٤) نعمةً من عندنا كذلك نجزي من شكر (٣٥) ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر (٣٦) ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابي ونذر (٣٧) ولقد صبحهم بُكرةً عذاب مستقر (٣٨) فذوقوا عذابي ونذر (٣٩) ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر (٤٠)

يقول تعالى مخبراً عن قوم لوط كيف كذبوا رسولهم وخالفوه وارتكبوا المكروه من اتيان الذكور وهي الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين ولهذا أهلكهم الله هلاكا لم يهلكه أمة من الامم فانه تعالى أمر جبريل عليه السلام فحمل مدائنهم حتى وصل بها الى عنان السماء ثم قلبها عليهم وأرسلها واتبعت بحجارة من سجيل منضود ولهذا قال ههنا (إنا أرسلنا عليهم حاصبا)وهي الحجارة (إلا آل لوط نجيناهم بسحر) أي خرجوا من آخر الليل فنجوا مما أصاب قومهم ولم يؤمن بلوط من قومه أحد ولا رجل واحد حتى ولا امرأته اصابها ما أصاب قومها وخرج نبي الله لوط وبنات له من بين أظهرهم سالما لم يمسسه سوء ولهذا قال تعالى (كذلك نجزي من شكر * ولقد أنذرهم بطشتنا)أي ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه فما التفتوا الى ذلك ولا أصغوا اليه بل

المحتظر ﴾ قال ابن عباس هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم ، وقال ابن زيد هو الشجر البالي الذي تهشم حتى ذرته الريح، والمعنى أنهم صاروا كيبس الشجر إذا تحطم والعرب تسمي كل شيء كان رطبا فيبس هشيما ، وقال قتادة كالعظام النخرة المحترقة ، وقال سعيد بن جبير هو التراب الذي يتناثر من الحائط ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر * كذبت قوم لوط بالنذر ٥ إنا أرسلنا عليهم حاصبا ﴾ ريحا ترميهم بالحصباء وهي الحصى قال الضحاك يعني صغار الحصى وقيل الحصباء هي الحجر الذي دون ملء الكف يكون الحاصب الرامي فيكون المعنى على هذا أرسلنا عليهم عذابا يحصبهم يعني يرميهم بالحجارة ثم استثنى فقال ﴿ إلا آل لوط ﴾ يعني لوطا وابنتيه ﴿ نجيناهم ﴾ من العذاب ﴿ بسحر * نعمة من عندنا ﴾ يعني جعلناه نعمة منا عليهم حيث أنجيناهم ﴿ كذلك ﴾ يعني كما أنعمنا على آل لوط ﴿ نجزي من شكر ﴾ قال مقاتل من وحد الله لم يعذبه مع المشركين ﴿ ولقد أنذرهم ﴾ لوط ﴿ بطشتنا ﴾ أخذنا إياهم بالعقوبة

شكوا فيه وتماروا به (ولقد راودوه عن ضيفه) وذلك ليلة ورد عليه الملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل في صور شباب مرد حسان محنة من الله بهم فأضافهم لوط عليه السلام وبعثت امرأته العجوز السوء الى قومها فأعلمتهم بأضياف لوط فاقبلوا يهرعون اليه من كل مكان فاغلق لوط دونهم الباب فجعلوا يحاولون كسر الباب وذلك عشية ولوط عليه السلام يدافعهم ويمانعهم دون أضيافه ويقول لهم (هؤلاء بناتي) يعني نساءهم (ان كنتم فاعلين * قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق) أي ليس لنا فيهن أرب (وإنك لتعلم مانريد) فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول خرج عليهم جبريل عليه السلام فضرب أعينهم بطرف جناحه فانطمست أعينهم يقال إنها غارت من وجوههم وقيل إنه لم تبق لهم عيون بالكلية فرجعوا على أدبارهم يتحسسون بالحيطان ويتوعدون لوطا عليه السلام الى الصباح قال الله تعالى (ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر) أي لامحيد لهم عنه ولا انفكاك لهم منه (فذوقوا عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)

ولقد جاء آلَ فرعونَ النذرُ (٤١) كذّبوا بآيـٰتنا كلها فأخذنٰهم أخذ عزيز مقتدر (٤٢)

أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر (٤٣) أم يقولون نحن جميع منتصر (٤٤)

سيُهزَم الجمع ويولون الدبر (٤٥) بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرُّ (٤٦)

يقول تعالى مخبراً عن فرعون وقومه انهم جاءهم رسول الله موسى وأخوه هارون بالبشارة إن آمنوا والنذارة إن كفروا وأيدهما بمعجزات عظيمة وآيات متعددة فكذبوا بها كلها فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر أي فأبادهم الله ولم يبق منهم مخبر ولا عين ولا أثر

﴿ فتماروا بالنذر ﴾ شكوا بالانذار وكذبوا ولم يصدقوا ﴿ ولقد راودوه عن ضيفه ﴾ طلبوا أن يسلم اليهم أضيافه ﴿ فطمسنا أعينهم ﴾ وذلك انهم لما قصدوا دار لوط وعالجوا الباب ليدخلوا قالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فانا رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفعهم جبريل عليه السلام بجناحيه باذن الله فتركهم عميا يترددون متحيرين لا يهتدون إلى الباب فأخرجهم لوط عميا لا يبصرون قوله (فطمسنا أعينهم) يعني صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق هذا قول أكثر المفسرين . وقال الضحاك طمس الله أبصارهم فلم يروا الرسل ، فقالوا قد رأيناهم حين دخلوا البيت فأين ذهبوا فلم يروهم فرجعوا ﴿ فذوقوا عذابي ونذر ﴾ أي ما أنذركم به لوط من العذاب ﴿ ولقد صبحهم بكرة ﴾ جاءهم وقت الصبح ﴿ عذاب مستقر ﴾ دائم استقر فيهم حتى أفضى بهم الى عذاب الآخرة وقيل عذاب حق ﴿ فذوقوا عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر * ولقد جاء آل فرعون النذر ﴾ يعني موسى وهارون عليهما السلام، وقيل هي الآيات التي أنذرهم بها موسى ﴿ كذبوا بآياتنا كلها ﴾ وهي الآيات التسع ﴿ فأخذناهم ﴾ بالعذاب ﴿ أخذ عزيز ﴾ غالب ﴿ مقتدر ﴾ قادر على

ثم قال تعالى (أكفاركم) اي أيها المشركون من كفار قريش (خير من أولئكم) يعني من الذين تقدم ذكرهم ممن أهلكوا بسبب تكذيبهم الرسل وكفرهم بالكتب أأنتم خير أم أولئك (أم لكم براءة في الزبر) اي ام معكم من الله براءة أن لا ينالكم عذاب ولا نكال ثم قال تعالى مخبرا عنهم [أم يقولون نحن جميع منتصر] اي يعتقدون انهم يتناصرون بعضهم بعضا وان جمعهم يغني عنهم من أرادهم بسوء قال الله تعالى (سيهزم الجمع ويولون الدبر) اي سيتفرق شملهم ويغلبون

قال البخاري حدثنا اسحاق حدثنا خالد عن خلد ، وقال أيضا حدثنا محمد بن عفان عن وهيب عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر « أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم في الارض أبداً » فأخذ ابو بكر رضي الله عنه بيده وقال حسبك يارسول الله ألححت على ربك فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر * بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) وكذا رواه البخاري والنسائي في غير موضع من حديث خلد وهو ابن مهران الحذاء به

وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا ابو الربيع الزهراني حدثنا حماد عن أيوب عن عكرمة قال لما نزلت [سيهزم الجمع ويولون الدبر] قال عمر اي جمع يهزم ؟ اي جمع يغلب ؟ قال عمر فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع وهو يقول « سيهزم الجمع ويولون الدبر » فعرفت تأويلها يومئذ

إهلاكهم لا يعجزه ما أراد بهم ثم خوف أهل مكة فقال ﴿ أكفاركم خير من أولئكم ﴾ أشد وأقوى من الذين أحللت بهم نقمتي من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون، وهذا استفهام بمعنى الانكار أي ليسوا بأقوى منهم ﴿ أم لكم براءة ﴾ من العذاب ﴿ في الزبر ﴾ في الكتب انه لن يصيبكم ما أصاب الامم الخالية ﴿ أم يقولون ﴾ يعني كفار مكة ﴿ نحن جميع منتصر ﴾ قال الكلبي نحن جميع أمرنا منتصر من أعدائنا ، والمعنى نحن يد واحدة على من خالفنا منتصر ممن عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رؤس الآي قال الله تعالى ﴿ سيهزم الجمع ﴾ قرأ يعقوب سنهزم بالنون الجمع نصب وقرأ الآخرون بالياء وضمها الجمع رفع على غير تسمية الفاعل يعني كفار مكة ﴿ ويولون الدبر ﴾ يعني الادبار فوحد لاجل رؤس الآي كما يقال ضربنا منهم الرءوس وضربنا منهم الرأس اذا كان الواحد يؤدي معنى الجمع أخبر الله انهم يولون ادبارهم منهزمين فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا محمد بن المثنى ثنا عبد الوهاب ثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال قال النبي ﷺ وهو في قبته يوم بدر « اللهم اني أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم » فأخذ أبوبكر بيده فقال حسبك يارسول الله فقد ألححت على ربك وهو في الدرع فخرج وهو يقول (سيهزم الجمع ويولون

وقال البخاري حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف ان ابن جريج أخبرهم اخبرني يوسف ابن ماهك قال اني عند عائشة أم المؤمنين فقالت نزل على محمد ﷺ بمكة واني لجارية ألعب (بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وأمر) هكذا رواه ههنا مختصراً ، ورواه في فضائل القرآن مطولا ولم يخرجه مسلم

إن المجرمين في ضلٰل وسعُر (٤٧) يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر (٤٨) انا كلّ شيء خلقناه بقدر (٤٩) وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر (٥٠) ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدّكر (٥١) وكلُّ شيء فعلوه في الزُبُر (٥٢) وكل صغير وكبير مستطر (٥٣) ان المتقين في جنٰت ونهر (٥٤) في مقعد صدق عند مليك مقتدر (٥٥)

يخبر تعالى عن المجرمين انهم في ضلال عن الحق وسعر مما هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كافر ومبتدع من سائر الفرق ثم قال تعالى (يوم يسحبون في النار على وجوههم) اي كما كانوا في سعر وشك وتردد أورثهم ذلك النار وكما كانوا ضلالا يسحبون فيها على وجوههم لايدرون أين يذهبون ويقال لهم تقريعا وتوبيخا (ذوقوا مس سقر) وقوله تعالى (انا كل شيء خلقناه بقدر) كقوله [وخلق كل شيء فقدره تقديراً] وكقوله تعالى [سبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى والذي قدر فهدى] أى قدر قدرا وهدى الخلائق اليه ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على اثبات قدر الله السابق لخلقه وهو علمه الاشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها وردوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات وما ورد في معناها من

الدبر) ﴿ بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾ قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدرى أي جمع سيهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يثب في درعه ويقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ، أى أعظم داهية وبلية وأشد مرارة من الاسر والقتل يوم بدر ﴿ ان المجرمين ﴾ المشركين ﴿ في ضلال وسعر ﴾ قيل في ضلال بعد عن الحق قال الضحاك وسعر أي نار تسعر عليهم وقيل في ضلال ذهاب عن طريق الجنة والآخرة وسعر نار مسعرة قال الحسين بن فضل ان المجرمين في ضلال في الدنيا ونار في الآخرة ، وقال قتادة في عناء وعذاب ثم بين عذابهم فقال ﴿ يوم يسحبون ﴾ يجرون ﴿ في النار على وجوههم ﴾ ويقال لهم ﴿ ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ أى ما خلقناه فمقدور ومكتوب في اللوح المحفوظ قال الحسن قدر الله لكل شيء من خلقه قدره الذى ينبغي له

أخبرنا ابو الحسن علي بن الحسين القرشي أنا أبو مسلم غالب بن علي الرازى انا ابو معشر يعقوب بن عبد الجليل بن يعقوب ثنا أبو يزيد حاتم بن محبوب انا أحمد بن نصر النيسابوري أنا

الاحاديث الثابتات على الفرقة القدرية الذين نبغوا في أواخر عصر الصحابة وقد تكلمنا على هذا المقام مفصلا وما ورد فيه من الاحاديث في شرح كتاب الايمان من صحيح البخاري رحمه الله ولنذكر ههنا الاحاديث المتعلقة بهذه الآية الكريمة

قال احمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان الثوري عن زياد بن اسماعيل السهمي عن محمد بن عباد بن جعفر عن ابي هريرة قال : جاء مشركو قريش إلى النبي ﷺ يخاصمونه في القدر فنزلت (يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر * انا كل شيء خلقناه بقدر) وهكذا رواه مسلم والترمذي وابن ماجه من حديث وكيع عن سفيان الثوري به

وقال البزار حدثنا عمرو بن علي حدثنا الضحاك بن مخلد حدثنا يونس بن الحارث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال مانزلت هذه الآيات (إن المجرمين في ضلال وسعر * يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر * انا كل شيء خلقناه بقدر) إلا في أهل القدر

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سهل بن صالح الانطاكي حدثني قرة بن حبيب عن كنانة حدثني جرير بن حازم عن سعيد بن عمرو بن جعدة عن ابن زرارة عن أبيه عن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية (ذوقوا مس سقر * انا كل شيء خلقناه بقدر) قال « نزلت في أناس من أمتي يكونون في آخر الزمان يكذبون بقدر الله »

وحدثنا الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن شجاع الجزري عن عبد الملك بن جريج عن عطاء بن أبي رباح قال : أتيت ابن عباس وهو ينزع من زمزم وقد ابتلت أسافل ثيابه فقلت له قد تكلم في

عبد الله بن الوليد العدني أنا الثوري عن زياد بن اسماعيل السهمي عن محمد بن عباد المخزومي عن أبي هريرة قال جاءت مشركو قريش الى النبي ﷺ يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الآية (ان المجرمين في ضلال وسعر) الى قوله (إنا كل شيء خلقناه بقدر)

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني انا ابو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي الخداشاهي أنا عبدالله بن محمد بن مسلم ابو بكر الجويدري أنا يونس بن عبد الاعلى الصدفي انا عبد الله بن وهب أخبرني ابو هانيء الخولاني عن ابى عبد الرحمن الحبلي عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة » قال وكان عرشه على الماء

اخبرنا ابو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد انا ابو اسحاق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاوس اليماني قال أدركت ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شيء بقدر الله قال وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس - أو - الكيس والعجز »

القدر فقال أوقد فعلوها ؟ قلت نعم قال فوالله ما نزلت هذه الآية إلا فيهم (ذوقوا مس سقر * انا كل شيء خلقناه بقدر) أولئك شرار هذه الامة فلا تعودوا مرضاهم ولا تصلوا على موتاهم إن رأيت أحداً منهم فقأت عينيه بأصبعي هاتين

وقد رواه الامام احمد من وجه آخر وفيه مرفوع فقال حدثنا أبو المغيرة حدثنا الاوزاعي عن بعض اخوته عن محمد بن عبيد المكي عن عبد الله بن عباس قال قيل له إن رجلا قدم علينا يكذب بالقدر فقال دلوني عليه وهو أعمى قالوا وما تصنع به يا أبا عباس؟ قال والذي نفسي بيده لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه ، ولئن وقعت رقبته في يدي لأدقنها فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « كأني بنساء بني فهر يطفن بالخزرج تصطفق الياتهن مشركات » هذا أول شرك هذه الامة والذي نفسي بيده لينتهين بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يكون قدر خيراً كما أخرجوه من أن يكون قدر شراً » ثم رواه احمد عن ابي المغيرة عن الاوزاعي عن العلاء بن الحجاج عن محمد بن عبيد فذكر مثله لم يخرجوه

وقال الامام احمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد عن ابي أيوب حدثني ابو صخر عن نافع قال : كان لابن عمر صديق من أهل الشام يكاتبه فكتب اليه عبد الله بن عمر إنه بلغني أنك تكلمت في شيء من القدر فاياك أن تكتب إلي فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر » ورواه أبو داود عن احمد بن حنبل به

وقال احمد حدثنا أنس بن عياض حدثنا عمر بن عبد الله مولى غفرة عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لكل أمة مجوس ، ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم » لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه

وقال أحمد حدثنا قتيبة حدثنا رشدين عن أبي صخر حميد بن زياد عن نافع عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « سيكون في هذه الامة مسخ ألا وذاك في المكذبين بالقدر والزنديقية » ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث ابي صخر حميد بن زياد به وقال الترمذي حسن صحيح غريب

وقال الامام أحمد حدثنا اسحاق بن الطباع أخبرني مالك عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاوس اليماني قال سمعت ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس » ورواه مسلم منفرداً به من حديث مالك

اخبرنا احمد بن عبد الله الصالحي انا ابو بكر احمد بن الحسن الحيري انا ابو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني انا احمد بن حازم بن ابي غرغر انا يعلى بن عبيد وعبد الله بن موسى وابو نعيم عن سفيان عن منصور عن ربعي بن خراش عن رجل عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله ﷺ « لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد ان لا إله الا الله واني رسول الله بعثني بالحق ، ويؤمن بالبعث بعد الموت

وفي الحديث الصحيح « استعن بالله ولا تعجز فان أصابك أمر فقل قدر الله وما شاء فعل ولا تقل لو أني فعلت لكان كذا فان لو تفتح عمل الشيطان »

وفي حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال له « واعلم أن الامة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك ، جفت الاقلام وطويت الصحف »

وقال الامام أحمد حدثنا الحسن بن سوار حدثنا الليث عن معاوية عن أيوب بن زياد حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة حدثني أبي قال دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت يا أبتاه اوصني واجتهد لي فقال اجلسوني فلما أجلسوه قال يا بني انك لم تطعم الايمان ولم تبلغ حق حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره ، قلت يا أبتاه وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟ قال تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك ، يابني اني سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان أول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة » يابني إن مت ولست على ذلك دخلت النار . ورواه الترمذي عن يحيى بن موسى البلخي عن أبي داود الطيالسي عن عبد الواحد بن سليم عن عطاء بن أبي رباح عن الوليد بن عبادة عن أبيه به وقال حسن صحيح غريب

وقال سفيان الثوري عن منصور عن ربعي بن خراش عن رجل عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله ﷺ « لا يؤمن أحد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر خيره وشره »

وكذا رواه الترمذي من حديث النضر بن شميل عن شعبة عن منصور به ، ورواه من حديث أبي داود الطيالسي عن شعبة عن منصور عن ربعي عن علي فذكره وقال هذا عندي أصح وكذا رواه ابن ماجه من حديث شريك عن منصور عن ربعي عن علي به

وقد ثبت في صحيح مسلم من رواية عبد الله بن وهب وغيره عن أبي هانىء الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ « ان الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة » زاد ابن وهب « وكان عرشه على الماء » ورواه الترمذي وقال حسن صحيح غريب

وقوله تعالى (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) وهذا إخبار عن نفوذ مشيئته في خلقه كما أخبر بنفوذ

ويؤمن بالقدر - زاد عبد الله - خيره وشره » ورواه ابو داود عن شعبة عن منصور وقال عن ربعي عن علي ولم يقل عن رجل وهذا اصح ﴿ وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر ﴾ قوله واحدة ترجع الى المعنى

قدره فيهم فقال (وما أمرنا الا واحدة) أى انما نأمر بالشيء مرة واحدة لانحتاج الى تأكيد بثانية فيكون ذلك الذي نأمر به حاصلا موجوداً (كلمح بالبصر) لا يتأخر طرفة عين، وما أحسن ما قال بعض الشعراء

إذا ما أراد الله أمراً فانما يقول له كن قولة فيكون

وقوله تعالى (ولقد أهلكنا أشياعكم) يعني أمثالكم وسلفكم من الامم السابقة المكذبين بالرسل (فهل من مدكر ؟) أي فهل من متعظ بما أخزى الله أولئك وقدر لهم من العذاب كما قال تعالى (وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل)

وقوله تعالى (وكل شيء فعلوه في الزبر) أي مكتوب عليهم في الكتب التي بأيدي الملائكة عليهم السلام (وكل صغير وكبير) أي من أعمالهم (مستطر) أي مجموع عليهم ومسطر في صحائفهم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها)

وقد قال الامام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا سعيد بن مسلم بن بانك سمعت عامر بن عبدالله ابن الزبير حدثني عوف بن الحارث وهو ابن أخي عائشة لأمها عن عائشة أن رسول الله (ص) كان يقول « يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا » ورواه النسائي وابن ماجه من طريق سعيد بن مسلم بن بانك المدني ، وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم وغيرهم .وقد رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة سعيد بن مسلم هذا من وجه آخر ، ثم قال سعيد فحدثت بهذا الحديث عامر بن هشام فقال لي ويحك ياسعيد بن مسلم لقد حدثني سليمان بن المغيرة انه عمل ذنبا فاستصغره فأتاه آت في منامه فقال له يا سليمان

لاتحقرن من الذنوب صغيراً ان الصغير غداً يعود كبيرا

ان الصغير ولو تقادم عهده عند الاله مسطر تسطيرا

فازجر هواك عن البطالة لاتكن صعب القياد وشمرن تشميرا

ان المحب إذا أحب إلهه طار الفؤاد وألهم التفكيرا

فاسأل هدايتك الاله بنية فكفى بربك هاديا ونصيرا

دون اللفظ اي وما امرنا الا مرة واحدة وقيل معناه وما امرنا للشيء اذا اردنا تكوينه الا كلمة واحدة كن فيكون لا مراجعة فيها كلمح بالبصر

قال عطاء عن ابن عباس يريد إن قضائي في خلقي اسرع من لمح البصر وقال الكلبي عنه وما امرنا بمجيء الساعة في السرعة الا كطرف البصر ﴿ ولقد اهلكنا اشياعكم ﴾ ونظراءكم في الكفر من الامم السالفة ﴿ فهل من مدكر ﴾ متعظ يعلم ان ذلك حق فيخاف ويعتبر ﴿ وكل شيء فعلوه ﴾ يعني فعله الاشياع من خير وشر ﴿ في الزبر ﴾ في كتاب الحفظة وقيل في اللوح المحفوظ ﴿ وكل صغير وكبير ﴾ من الخلق واعمالهم وآجالهم ﴿ مستطر ﴾ مكتوب يقال سطرت واستطرت وكتبت وا كتتبت ﴿ ان المتقين في

وقوله تعالى (ان المتقين في جنات ونهر) أي بعكس ما الاشقياء فيه من الضلال والسعر والسحب في النار على وجوههم مع التوبيخ والتقريع والتهديد

وقوله تعالى (في مقعد صدق) أي في دار كرامة الله ورضوانه ، وفضله وامتنانه ، وجوده وإحسانه (عند مليك مقتدر) أي عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدرها ، وهو مقتدر على ما يشاء مما يطلبون ويريدون

وقدقال الامام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو بن دينارعن عمرو بن أوس عن عبد الله بن أبي عمرو يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال « المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا » انفرد باخراجه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة باسناده مثله

(آخر تفسير سورة اقتربت ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة)

تفسير سورة الرحمن وهي مكية

قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن عاصم عن زر أن رجلا قال كيف تعرف هذا الحرف من ماء غير آسن أو أسن ؟ فقال كل القرآن قد قرأت قال اني لأقرأ المفصل في ركعة واحدة فقال أهذا كهذ الشعر لا أبا لك؟ قد علمت قرائن النبي ﷺ التي كان يقرن قرينتين قرينتين من أول المفصل وكان أول مفصل ابن مسعود [الرحمن]

وقال أبو عيسى الترمذي : حدثنا عبد الرحمن بن واقد أبو مسلم السعدي حدثنا الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر عن جابر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال « لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم كنت كلما أتيت على قوله (فبأي آلاء ربكما تكذبان) قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد » ثم قال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد ثم حكي عن الامام احمد أنه كان لا يعرفه ينكر رواية أهل الشام عن زهير بن محمد هذا

جنات ﴾ بساتين ﴿ ونهر ﴾ اى انهار ووحده لاجل رؤس الآى واراد أنهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل ، وقال الضحاك يعني في ضياء وسعة ومنه النهار وقرأ الاعرج ونهر بضمتين جمع النهار يعني لا ليل لهم ﴿ في مقعد صدق ﴾ في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم ﴿ عند مليك مقتدر ﴾ ملك قادر لا يعجزه شيء

قال جعفر الصادق رضي الله عنه مدح الله المكان بالصدق فلا يقعد فيه الا أهل الصدق

ورواه الحافظ ابو بكر البزار عن عمرو بن مالك عن الوليد بن مسلم ، وعن عبدالله بن احمد بن سيبويه عن هشام بن عمارة كلاهما عن الوليد بن مسلم به ثم قال لانعرفه يروى إلا من هذا الوجه

وقال ابو جعفر بن جرير حدثنا محمد بن عباد بن موسى وعمرو بن مالك البصري قالا حدثنا يحيي بن سليم عن اسماعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمن او قرئت عنده فقال « ما لي أسمع الجن أحسن جوابا لربها منكم ؟ » قالوا وما ذاك يارسول الله ؟ قال « ماأتيت على قول الله تعالى (فبأي آلاء ربكما تكذبان؟) إلا قالت الجن لابشيء من نعم ربنا نكذب »

ورواه الحافظ البزار عن عمرو بن مالك به ثم قال لانعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الاسناد

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن (١) علّم القرآن (٢) خلق الانسان (٣) علمه البيان (٤) الشمسُ والقمرُ بحُسبان (٥) والنجم والشجر يسجدان (٦) والسماء رفعها ووضع الميزان (٧) ألا تطغوا في الميزان (٨) وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان (٩) والارضَ وضعها للانام (١٠) فيها فـكهة والنخل ذاتُ الاكمام (١١) والحبُّ ذو العصف والريحان (١٢) فبأيّ آلاء ربكما تكذبان ؟ (١٣)

يخبر تعالى عن فضله ورحمته بخلقه انه أنزل على عباده القرآن ويسر حفظه وفهمه على من رحمه فقال تعالى (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان) قال الحسن يعني النطق ، وقال الضحاك وقتادة وغيرهما يعني الخير والشر

وقول الحسن ههنا أحسن وأقوى لان السياق في تعليمه تعالى القرآن وهو أداء تلاوته وانما يكون

﴿ سورة الرحمن مكية وهي ست وسبعون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الرحمن ﴾ نزلت حين قالوا وما الرحمن ؟ وقيل هو جواب لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر ﴿ علم القرآن ﴾ قال الـكلبي علم القرآن محمداً علم القرآن بسره لله ذكر ﴿ خلق الانسان ﴾ يعني آدم عليه السلام قاله ابن عباس وقتادة ﴿ علمه البيان ﴾ أسماء كل شيء وقيل علمه اللغات كلها وكان آدم يتكلم بسبعمائة ألف

ذلك بتيسير النطق على الخلق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين على اختلاف مخارجها وأنواعها

وقوله تعالى (والشمس والقمر بحسبان) أي يجريان متعاقبين بحساب مقنن لا يختلف ولا يضطرب (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) وقال تعالى (فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم)

وعن عكرمة انه قال لو جعل الله نور جميع ابصار الانس والجن والدواب والطير في عيني عبد ثم كشف حجابا واحداً من سبعين حجابا دون الشمس لما استطاع أن ينظر اليها ، ونور الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي ، ونور الكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش ، ونور العرش جزء من سبعين جزءاً من نور الستر فانظر ما ذا أعطى الله عبده من النور في عينيه وقت النظر الى وجه ربه الكريم عيانا رواه ابن أبي حاتم

وقوله تعالى (والنجم والشجر يسجدان) قال ابن جرير اختلف المفسرون في معنى قوله والنجم بعد اجماعهم على أن الشجر ماقام على ساق فروي عن ابن ابي طلحة عن ابن عباس قال النجم ما انبسط على وجه الارض يعني من النبات ، وكذا قال سعيد بن جبير والسدي وسفيان الثوري ، وقد اختاره ابن جرير رحمه الله تعالى وقال مجاهد النجم الذي في السماء ، وكذا قال الحسن وقتادة ، وهذا القول هو الاظهر والله أعلم لقوله تعالى (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ؟) الآية

لغة أفضلها العربية وقال الآخرون الانسان اسم جنس وأراد به جميع الناس علمه البيان النطق والكتابة والفهم والافهام حتى عرف ما يقول ومايقال له هذا قول أبي العالية وابن زيد والحسن وقال السدي علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به

وقال ابن كيسان (خلق الانسان) يعني محمداً ﷺ علمه البيان يعني بيان ما كان وما يكون لانه كان يبين عن الاولين والآخرين وعن يوم الدين ﴿ الشمس والقمر بحسبان ﴾ قال مجاهد كحسبان الرحى يدوران في مثل قطب الرحا ، قال غيره معناه أي يجريان بحساب ومنازل لا يعدوانها قاله ابن عباس وقتادة وقال ابن زيد وابن كيسان يعني بهما تحسب الاوقات والآجال ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر أحد كيف يحسب شيئا ، وقال الضحاك يجريان بقدر والحسبان يكون مصدر حسبت حسابا وحسبانا مثل الغفران والكفران والرجحان والنقصان وقد يكون جمع الحساب كالشهبان والركبان ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾ النجم ما ليس له ساق من النبات والشجر ما له ساق يبقى في الشتاء وسجودهما سجود ظلها كما قال (يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله)وقال مجاهد النجم هو

وقوله تعالى (والسماء رفعها ووضع الميزان) يعني العدل كما قال تعالى [لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط] وهكذا قال هنا [ألا تطغوا في الميزان] أي خلق السموات والارض بالحق والعدل لتكون الاشياء كلها بالحق والعدل ، ولهذا قال تعالى (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) أي لا تبخسوا الوزن بل زنوا بالحق والقسط كما قال تعالى [وزنوا بالقسطاس المستقيم]

وقوله تعالى [والارض وضعها للأنام] أي كما رفع السماء وضع الارض ومهدها وأرساها بالجبال الراسيات الشامخات لتستقر لما على وجهها من الانام وهم الخلائق المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم في سائر أقطارها وأرجائها

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد الانام الخلق [فيها فاكهة] أي مختلفة الالوان والطعوم والروائح [والنخل ذات الاكمام] أفرده بالذكر لشرفه ونفعه رطبا ويابسا والاكمام قال ابن جريج عن ابن عباس هي أوعية الطلع وهكذا قال غير واحد من المفسرين وهو الذي يطلع فيه القنو ثم ينشق عن العنقود فيكون بسرا ثم رطبا ثم ينضج ويتناهى ينعه واستواؤه

وقال ابن ابي حاتم ذكر عن عمرو بن علي الصيرفي حدثنا ابو قتيبة حدثنا يونس بن الحارث الطائفي عن الشعبي قال كتب قيصر الى عمر بن الخطاب أخبرك ان رسلي أتتني من قبلك فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بخليقة لشيء من الخير تخرج مثل آذان الحمير ثم تشقق مثل اللؤلؤ ثم تخضر فتكون مثل الزمرد الاخضر ثم تحمر فتكون كالياقوت الاحمر ثم تينع فتنضج فتكون كأطيب فالوذج أكل ثم تيبس فتكون عصمة للمقيم وزادا للمسافر فان تكن رسلي صدقتني فلا أرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة فكتب اليه عمر بن الخطاب من عبدالله عمر أمير المؤمنين الى قيصر ملك الروم ان رسلك قد صدقوك هذه الشجرة عندنا وهي الشجرة التي أنبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلها من دون الله فان (مثل عيسى عندالله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له

الكوكب وسجوده طلوعه ﴿ والسماء رفعها ﴾ فوق الارض ﴿ ووضع الميزان ﴾ قال مجاهد أراد بالميزان العدل ، والمعنى انه أمر بالعدل يدل عليه قوله تعالى ﴿ ألا تطغوا في الميزان ﴾ أي لا تجاوزوا العدل وقال الحسن وقتادة والضحاك أراد به الذي يوزن به ليوصل به الى الانصاف والانتصاف وأصل الوزن التقدير (أن لا تطغوا) يعني لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان ﴿ وأقيموا الوزن بالقسط ﴾ بالعدل وقال أبو الدرداء وعطاء معناه أقيموا لسان الميزان بالعدل قال ابن عيينة الاقامة باليد والقسط بالقلب ﴿ ولا تخسروا ﴾ ولا تنقصوا ﴿ الميزان ﴾ ولا تطففوا في الكيل والوزن ﴿ والارض وضعها للانام ﴾ للخلق الذين بثهم فيها ﴿ فيها فاكهة ﴾ يعني أنواع الفواكه قال ابن كيسان ما يتفكهون به من النعم التي لا تحصى ﴿ والنخل ذات الاكمام ﴾ الاوعية التي يكون فيها الثمر لان ثمر النخل يكون

كن فيكون * الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) وقيل الا كام رفاتها وهو الليف الذي على عنق النخلة وهو قول الحسن وقتادة [والحب ذو العصف والريحان] قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس [والحب ذو العصف] يعني التبن

وقال العوفي عن ابن عباس العصف ورق الزرع الاخضر الذي قطع رؤسه فهو يسمى العصف اذا يبس وكذا قال قتادة والضحاك وابو مالك عصفه تبنه ، وقال ابن عباس ومجاهد وغير واحد والريحان يعني الورق (١) وقال الحسن هو ريحانكم هذا ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس والريحان خضر الزرع ، ومعنى هذا والله أعلم ان الحب كالقمح والشعير ونحوهما له في حال نباته عصف وهو ما على السنبلة وريحان وهو الورق الملتف على ساقها وقيل العصف الورق أول ماينبت الزرع بقلا والريحان الورق يعني اذا أدجن وانعقد فيه الحب كما قال زيد بن عمرو بن نفيل في قصيدته المشهورة

والا له من ينبت الحب في الثرى فيصبح منه البقل يهتز رابيا

ويخرج منه حبه في رؤسه ففي ذاك آيات لمن كان واعيا

وقوله تعالى [فبأي آلاء ربكما تكذبان] أى فبأي الآلاء يامعشر الثقلين من الانس والجن

(١) هذا إلى آخر الابيات الآتية غير موجود في النسخة المكية

في غلاف مالم ينشق واحدها كم وكل ما ستر شيأ فهو كم وكمة ومنه كم القميص ويقال للقلنسوة كمة قال الضحاك ذات الا كام أي ذات الغلف وقال الحسن أ كمامها ليفها وقال ابن زيد هو الطلع قبل أن يتفتق ﴿ والحب ذو العصف ﴾ أراد بالحب جميع الحبوب التى تحرث في الارض، والعصف قال مجاهد هو ورق الزرع قال ابن كيسان العصف ورق كل شيء يخرج منه الحب يبدو أولا ورقا وهو العصف ثم يكون سوقا ثم يحدث الله فيه أ كماما ثم يحدث من الا كمام الحب وقال ابن عباس في رواية الوالبي هو التبن وهو قول الضحاك وقتادة ، وقال عطية عنه هو ورق الزرع الاخضر إذا قطع رءوسه ويبس نظيره (كعصف مأ كول) ﴿ والريحان ﴾ هو الرزق في قول الاكثرين قال ابن عباس كل ريحان في القرآن فهو رزق قال الحسن وابن زيد هو ريحانكم الذي يشم قال الضحاك العصف هو التبن والريحان ثمرته وقراءة العامة (والحب ذو العصف والريحان) كلها مرفوعات بالرد على الفاكهة ، وقرأ ابن عامر (والحب ذا العصف والريحان) بنصب الباء والنون وذا بالالف على معنى خلق الانسان وخلق هذه الاشياء وقرأ حمزة والكسائي والريحان بالجر عطفا على العصف فذكر قوت الناس والانعام ثم خاطب الجن والانس فقال ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ ﴾ أيها الثقلان يريد من هذه الاشياء المذكورة، وكرر هذه الآية في هذه الصورة تقريراً للنعمة وتأكيداً في التذكير بها على عادة العرب في الابلاغ والاشباع يعدد على الخلق آلاءه ويفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها كقول الرجل لمن أحسن اليه وتابع عليه بالايادي وهو ينكرها ويكفرها ألم تك فقيراً فأغنيتك؟ أفتنكر هذا ؟ ألم تك عريانا فكسوتك ؟ أفتنكر هذا ؟ ألم تك خاملا فعززتك؟ أفتنكر هذا؟ ومثل هذا التكرار سائغ في كلام العرب حسن تقريراً

تكذبان قاله مجاهد وغير واحد ويدل عليه السياق بعده أي النعم ظاهرة عليكم وأنتم مغمورون بها لا تستطيعون انكارها ولا جحودها فنحن نقول كما قالت الجن المؤمنون به اللهم ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد وكان ابن عباس يقول لا بأيها يارب أي لا نكذب بشيء منها

قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن اسحاق حدثنا ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة عن أسماء بنت أبي بكر قالت سمعت رسول الله ﷺ وهو يقرأ وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر والمشركون يستمعون (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟)

خلق الانسٰن من صلصٰل كالفخّار (١٤) وخلق الجانّ من مارج من نار (١٥) فبأيّ آلاء ربكما تكذبان ؟ (١٦) ربُّ المشرقين ورب المغربين (١٧) فبأيّ آلاء ربكما تكذبان ؟ (١٨) مرج البحرين يلتقيان (١٩) بينهما برزخ لا يبغيان (٢٠) فبأيّ آلاء ربكما تكذبان ؟ (٢١) يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (٢٢) فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ (٢٣) وله الجوار المنشئات في البحر كالأعلٰم (٢٤) فبأيّ آلاء ربكما تكذبان ؟ (٢٥)

يذكر تعالى خلقه الانسان من صلصال كالفخار وخلقه الجان من مارج من نار وهو طرف لهبها قاله الضحاك عن ابن عباس وبه يقول عكرمة ومجاهد والحسن وابن زيد وقال العوفي عن ابن عباس من مارج من نار من لهب النار من أحسنها وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس من مارج من نار من خالص النار وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » ورواه مسلم عن محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق به

وقوله تعالى (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟) تقدم تفسيره (رب المشرقين ورب المغربين) يعني

وقد خاطب بلفظ التثنية على عادة العرب تخاطب الواحد بلفظ التثنية كقوله تعالى [ألقيا في جهنم] وروي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال « مالي أراكم سكوتا ؟ الجن كانوا أحسن منكم رداً ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة فبأي آلاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد » ﴿ خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان ﴾ وهو أبو الجن وقال الضحاك هو إبليس ﴿ من مارج من نار ﴾ وهو الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه قال مجاهد هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الاحمر والاصفر والاخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت من قولهم مرج أمر القوم إذا اختلط ﴿ فبأي آلاء ربكما

مشرقي الصيف والشتاء ومغربي الصيف والشتاء وقال في الآية الاخرى (فلا أقسم برب المشارق والمغارب) وذلك باختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم وبروزها منه الى الناس وقال في الآية الاخرى (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) وهذا المراد منه جنس المشارق والمغارب ولما كان في اختلاف هذه المشارق والمغارب مصالح الخلق من الجن والانس قال (فبأي آلاء ربكما تكذبان؟]

وقوله تعالى [مرج البحرين يلتقيان] قال ابن عباس أي أرسلهما وقوله [يلتقيان] قال ابن زيد أي منعهما أن يلتقيا بما جعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل بينهما ، والمراد بقوله البحرين الملح والحلو فالحلو هذه الانهار السارحة بين الناس وقد قدمنا الكلام على ذلك في سورة الفرقان عند قوله تعالى [وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج * وجعل بينهما برزخا وحجراً محجورا] وقد اختار ابن جرير ههنا أن المراد بالبحرين بحر السماء وبحر الارض وهو مروي عن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية وابن ابزى قال ابن جرير لان اللؤلؤ يتولد من ماء السماء واصداف بحر الارض وهذا وان كان هكذا لكن ليس المراد بذلك ما ذهب اليه فانه لا يساعده اللفظ فانه تعالى قد قال (بينهما برزخ لا يبغيان) أي وجعل بينهما برزخا وهو الحاجز من الارض لئلا يبغي هذا على هذا وهذا على هذا فيفسد كل واحد منهما الآخر ويزيله عن صفته التي هي مقصودة منه وما بين السماء والارض لا يسمى برزخا وحجراً محجورا

وقوله تعالى [يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان] أي من مجموعهما فاذا وجد ذلك من أحدهما كفى كما قال تعالى [يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم ؟] والرسل إنما كانوا في الانس خاصة دون الجن وقد صح هذا الاطلاق . واللؤلؤ معروف وأما المرجان فقيل هو صغار اللؤلؤ قاله مجاهد وقتادة وأبو رزين والضحاك وروي عن علي ، وقيل كباره وجيده حكاه ابن جرير عن بعض السلف ورواه

تكذبان؟ رب المشرقين ﴾ مشرق الصيف ومشرق الشتاء ﴿ ورب المغربين ﴾ مغرب الصيف ومغرب الشتاء ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ مرج البحرين ﴾ العذب والمالح أرسلهما وخلاهما ﴿ يلتقيان بينهما برزخ ﴾ حاجز من قدرة الله تعالى ﴿ لا يبغيان ﴾ لا يختلطان ولا يتغيران ولا يبغي أحدهما على صاحبه وقال قتادة لا يطغيان على الناس بالغرق وقال الحسن [مرج البحرين] يعني بحر الروم وبحر الهند وأنتم الحاجز بينهما وعن قتادة أيضا بحر فارس وبحر الروم بينهما برزخ يعني الجزائر وقال مجاهد والضحاك بحر السماء وبحر الارض يلتقيان كل عام ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ يخرج منهما ﴾

قرأ أهل المدينة والبصرة يخرج بضم الياء وفتح الراء وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الراء ﴿ اللؤلؤ والمرجان ﴾ وانما يخرج من المالح دون العذب وهذا جائز في كلام العرب ان يذكرشيآن ثم يخص أحدهما بفعل كما قال عز وجل [يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم ؟] وكان الرسل

ابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس وحكاه السدي عمن حدثه عن ابن عباس وروي مثله عن علي ومجاهد أيضا ومرة الهمداني وقيل هو نوع من الجواهر أحمر اللون

قال السدي عن أبي مالك عن مسروق عن عبد الله قال المرجان الخرز الاحمر قال السدي وهو الكسد بالفارسية ، وأما قوله (ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها) فاللحم من كل من الاجاج والعذب والحلية إنما هي من المالح دون العذب قال ابن عباس ماسقطت قطرة من السماء في البحر فوقعت في صدفة إلا صار منها لؤلؤة وكذا قال عكرمة وزاد فاذا لم تقع في صدفة نبتت بها عنبرة وروي من غير وجه عن ابن عباس نحوه

وقد قال ابن ابي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن الاعمش عن عبد الله بن عبدالله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اذا أمطرت السماء فتحت الاصداف في البحر أفواهها فما وقع فيها يعني من قطر فهو اللؤلؤ اسناده صحيح ولما كان اتخاذ هذه الحلية نعمة على أهل الارض امتن بها عليهم فقال (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟)

وقوله تعالى (وله الجوار المنشآت) يعني السفن التي تجري (في البحر) قال مجاهد مارفع قلعه من السفن فهي منشآت ومالم يرفع قلعه فليس بمنشآت وقال قتادة المنشآت يعني المخلوقات وقال غيره المنشئات بكسر الشين يعني البادئات (كالاعلام) أي كالجبال في كبرها ومافيها من المتاجر والمكاسب المنقولة من قطر الى قطر واقليم الى اقليم مما فيه صلاح للناس في جلب مايحتاجون اليه من سائر أنواع البضائع ولهذا قال [فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟]

وقال ابن أبي حاتم حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد بن سلمة حدثنا العيزار بن سويد عن عمرة بن سويد قال كنت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه على شاطيء الفرات اذ أقبلت سفينة مرفوع شراعها فبسط علي يديه ثم قال يقول الله عز وجل [وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام] والذي أنشأها تجري في بحوره ماقتلت عثمان ولا مالأت على قتله

من الانس دون الجن، وقال بعضهم يخرج من ماء السماء، وماء البحر قال ابن جريج إذا أمطرت السماء فتحت الاصداف أفواهها فحيثما وقعت قطرة كانت لؤلؤة واللؤلؤ ما عظم من الدر والمرجان صغارها وقال مقاتل ومجاهد على الضد من هذا وقيل المرجان الخرز الاحمر وقال عطاء الخراساني هو البسد[1] ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟وله الجوار﴾ السفن الكبار ﴿ المنشآت ﴾ وقرأ حمزة وأبو بكر المنشئات بكسر الشين أي المنشئات السير اللاتي ابتدأن وأنشأن السير

وقرأ الاخرون بفتح الشين أي المرفوعات وهي التي رفع خشبها بعضها على بعض وقيل هي ما رفع قلعه من السفن وأما ما لم يرفع قلعه فليس من المنشآت وقيل المرفوعات المسخرات ﴿ في البحر كالاعلام ﴾ كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن في البحر بالجبال في البر

(١) في ابن كثير بالكاف بدل الباء

كلٌّ من عليها فان (٢٦) ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام (٢٧) فبأيّ آلاء ربكما تكذّبان (٢٨) يسئله من في السمٰوٰت والارض كلَّ يوم هو في شأن (٢٩) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٣٠)

يخبر تعالى أن جميع أهل الارض سيذهبون ويموتون أجمعون وكذلك أهل السموات إلا من شاء الله ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم فان الرب تعالى وتقدس لايموت بل هو الحي الذي لايموت أبداً قال قتادة أنبأ أن ذلك كله فان

وفي الدعاء المأثور : ياحي ياقيوم يابديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام لاإله إلا أنت برحمتك نستغيث ، أصلح لنا شأننا كله ، ولا تكلنا الى أنفسنا طرفة عين ، ولا الى أحد من خلقك . وقال الشعبي اذا قرأت (كل من عليها فان) فلا تسكت حتى تقرأ (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وهذه الآية كقوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) وقد نعت تعالى وجهه الكريم في هذه الآية الكريمة بأنه ذوالجلال والاكرام أي هو أهل أن يجل فلا يعصى ، وأن يطاع فلا يخالف كقوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) وكقوله اخبارا عن المتصدقين (إنما نطعمكم لوجه الله) قال ابن عباس ذو الجلال والاكرام ذوالعظمة والكبرياء.

ولما أخبر تعالى عن تساوي أهل الارض كلهم في الوفاة وأنهم سيصيرون الى الدار الآخرة فيحكم فيهم ذوالجلال والاكرام بحكمه العدل قال (فبأي آلاء ربكما تكذبان)

وقوله تعالى (يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شان) وهذا اخبار عن غناه عما سواه وافتقار الخلائق اليه في جميع الآنات وانهم يسألونه بلسان حالهم وقالهم وانه كل يوم هو في شان قال الاعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير [كل يوم هو في شان] قال من شأنه أن يجيب داعيا أو يعطي سائلا ، أو يفك عانيا او يشفي سقيما

وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد قال كل يوم هو يجيب داعيا ويكشف كربا ويجيب مضطراً ،

﴿ فبأي آلاء ربكا تكذبان؟ * كل من عليها ﴾ أي على الارض من حيوان فانه ﴿فان﴾ هالك ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال ﴾ ذو العظمة والكبرياء ﴿ والاكرام ﴾ أي مكرم أنبيائه وأوليائه بلطفه مع جلاله وعظمته ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ * يسئله من في السموات والارض ﴾ من ملك وانس وجن وقال قتادة معناه لا يستغني عنه أهل السماء والارض قال ابن عباس فأهل السموات يسألونه المغفرة وأهل الارض يسألونه الرزق والتوبة والمغفرة ، وقال مقاتل يسأله اهل الارض الرزق والمغفرة وتسأله الملائكة أيضا لهم الرزق والمغفرة ﴿ كل يوم هو في شأن ﴾ قال مقاتل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله

ويغفر ذنبا ، وقال قتادة لا يستغني عنه أهل السموات والارض يحيي حيا ويميت ميتا ، ويربي صغيراً ويفك أسيراً وهو منتهى حاجات الصالحين وصريخهم ومنتهى شكواهم

وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا ابو اليمان الحمصي حدثنا جرير بن عثمان عن سويد بن جبلة هو الفزاري قال إن ربكم كل يوم هو في شان فيعتق رقابا ، ويعطي رغابا ، ويقحم عقابا

وقال ابن جرير حدثني عبد الله بن محمد بن عمرو الغزني حدثني ابراهيم ن محمد بن يوسف الفريابي حدثني عمرو بن بكر السكسكي حدثنا الحارث بن عبدة بن رباح الغساني عن أبيه عن منيب ابن عبدالله بن منيب الازدي عن أبيه قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية [كل يوم هو في شان] فقلنا يارسول الله وما ذاك الشان ؟ قال « أن يغفر ذنبا ، ويفرج كربا ، ويرفع قوما ويضع آخرين »

وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا هشام بن عمار وسليمان بن احمد الواسطي قالا : حدثنا الوزير بن صبيح الثقفي أبو روح الدمشقي والسياق لهشام قال سمعت يونس بن ميسرة بن حلبس يحدث عن أم الدرداء عن ابي الدرداء عن النبي ﷺ قال « قال الله عز وجل (كل يوم هو في شان) قال من شأنه أن يغفر ذنبا ، ويفرج كربا ، ويرفع قوما ويضع آخرين »

(١) وقد رواه ابن عساكر من طرق متعددة عن هشام بن عمار به ، ثم ساقه من حديث ابي الوليد ابن شجاع عن الوزير بن صبيح قال وورد فيما علقه الوليد بن مسلم عن مطرف عن الشعبي عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ فذكره قال والصحيح الاول يعنى اسناده الاول قلت وقد روي موقوفا كما علقه البخاري بصيغة الجزم فجعله من كلام ابي الدرداء فالله أعلم

(١) هذا غير موجود في النسخة المكية

وقال البزار حدثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن الحارث حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني

لا يقضي يوم السبت شيئا قال المفسرون من شأنه أن يحيي ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفي مريضا ويفك عانيا ويفرج مكروبا ويجيب داعيا ويعطي سائلا ويغفر ذنبا الى مالا يحصى من أفعاله وإحداثه في خلقه ما يشاء

أخبرنا ابو سعيد احمد بن ابراهيم الشريحي أنا احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أنا أبو بكر محمد ابن احمد بن عبدوس المزكي املاء انا ابو حامد احمد بن محمد بن يحيى البزار أنا يحيى بن الربيع المكي أنا سفيان بن عيينة انا ابو حمزة اليماني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ان مما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله عز وجل فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله (كل يوم هو في شأن) قال سفيان بن عيينة الدهر كله عند الله يومان أحدهما مدة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة فالشأن الذي هو فيه اليوم الذي هو مدة الدنيا الاختبار بالامر والنهي والاحياء والاماتة

عن أبيه عن ابن عمر عن النبي ﷺ كل يوم هو في شان قال « يغفر ذنبا ، ويكشف كربا » ثم قال ابن جرير وحدثنا ابو كريب حدثنا عبيدالله بن موسى عن ابي حمزة الثمالي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور ، وكتابه نور ، وعرضه مابين السماء والارض ينظر فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق في كل نظرة ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل مايشاء

سنفرغ لكم أيه الثقلان (٣١) فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ (٣٢) يامعشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطن (٣٣) فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ (٣٤) يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران (٣٥) فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ (٣٦)

قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (سنفرغ لكم أيها الثقلان) قال وعيد من الله تعالى للعباد وليس بالله شغل وهو فارغ ، وكذا قال الضحاك هذا وعيد ، وقال قتادة قد دنا من الله فراغ لخلقه ، وقال ابن جريج (سنفرغ لكم) أي سنقضي لكم وقال البخاري سنحاسبكم لا يشغله شيء عن شيء وهو معروف في كلام العرب يقال لأتفرغن لك وما به شغل يقول لآخذنك على غرتك وقوله تعالى (أيها الثقلان) الثقلان الانس والجن كما جاء في الصحيح « يسمعه كل شيء إلا

والاعطاء والمنع وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب وقيل شأنه جل ذكره انه يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكراً من أصلاب الآباء إلى أرحام الامهات وعسكراً من الارحام إلى الدنيا وعسكراً من الدنيا إلى القبور ثم يرتحلون جميعا إلى الله عز وجل، وقال الحسين بن فضل هو سوق المقادير الى المواقيت وقال أبو سليمان الداراني في هذه الآية كل يوم له إلى العبيد بر جديد ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ سنفرغ لكم ﴾ قرأ حمزة والكسائي سيفرغ بالياء لقوله (يسأله من في السموات والارض) (ويبقى وجه ربك) (وله الجوار) فاتبع الخبر الخبر ، وقرأ الآخرون بالنون وليس المراد منه الفراغ عن شغل لان الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولكنه وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة كقول القائل لأتفرغن لك وما به شغل وهذا قول ابن عباس والضحاك وانما حسن هذا الفراغ لسبق ذكر الشأن وقال آخرون معناه سنقصدكم بعد الترك والامهال ونأخذ في أمركم كقول القائل الذي لا شغل له قد تفرغت لك، وقال بعضهم وعد الله أهل التقوى وأوعد أهل الفجور ثم قال سنفرغ لكم مما وعدناكم وأخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم وننجز لكم ما وعدناكم فنتم ذلك ونفرغ منه وإلى هذا ذهب الحسن ومقاتل ﴿ أيه الثقلان ﴾ أي الجن والانس سميا ثقلين لانهما ثقلا على الارض

الثقلين » وفي رواية « إلا الانس والجن » وفي حديث الصور « الثقلان الانس والجن » (فبأي آلاء ربكما تكذبان؟)

ثم قال تعالى (يامعشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) أي لا تستطيعون هربا من أمر الله وقدره بل هو محيط بكم لا تقدرون على التخلص من حكمه ولا النفوذ عن حكمه فيكم، أينما ذهبتم أحيط بكم، وهذا في مقام الحشر الملائكة محدقة بالخلائق سبع صفوف من كل جانب فلا يقدر أحد على الذهاب (إلا بسلطان) أي إلا بأمر الله [يقول الانسان يومئذ أين المفر؟ كلا لا وزر، إلى ربك يومئذ المستقر]

وقال تعالى [والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون] ولهذا قال تعالى(يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس الشواظ هو لهب النار، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس الشواظ الدخان، وقال مجاهد هو اللهب الأخضر المنقطع، وقال ابو صالح الشواظ هو اللهب الذي فوق النار ودون الدخان، وقال الضحاك (شواظ من نار) سيل من نار

أحياء وأمواتا قال الله تعالى ﴿ وأخرجت الارض أثقالها ﴾ وقال أهل المعاني كل شيء له قدر ووزن يناقش فيه فهو ثقل قال النبي ﷺ «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي» فجعلهما ثقلين إعظاما لقدرهما، وقال جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام سمى الجن والانس ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ *يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا ﴾ أي تجوزوا وتخرجوا ﴿ من أقطار السموات والارض ﴾ أي من جوانبها وأطرافهما ﴿ فانفذوا ﴾ معناه ان استطعتم أن تهربوا من الموت بالخروج من أقطار السموات والارض فاهربوا واخرجوا منها، والمعنى حيثما كنتم أدرككم الموت كما قال جل ذكره أينما تكونوا يدرككم الموت، وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة إن استطعتم أن تجوزوا أطراف السموات والارض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا ﴿لا تنفذون إلا بسلطان﴾ أي بملك وقيل بحجة والسلطان القوة التي يتسلط بها على الأمر فالملك والقدرة والحجة كلها سلطان يريد حيثما توجهتم كنتم في ملكي وسلطاني

وروي عن ابن عباس قال معناه إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والارض فاعلموه ولن تعلموه إلا بسلطان أي ببينة من الله عز وجل وقيل قوله إلا بسلطان أي إلا إلى سلطان كقوله [وقد أحسن بي] أي أحسن إلي ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ ﴾ وفي الخبر يحاط على الخلق بالملائكة وبسرادق من نار ثم ينادون (يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا) الآية فذلك قوله عز وجل ﴿ يرسل عليكما شواظ من نار ﴾ قرأ ابن كثير بكسر الشين والآخرون بضمها وهما لغتان مثل صوار من البقر

وقوله تعالى (ونحاس) قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس [ونحاس] دخان النار ، وروي مثله عن أبي صالح وسعيد بن جبير وأبي سنان ، وقال ابن جرير والعرب تسمي الدخان نحاسا بضم النون وكسرها والقراءة مجمعة على الضم ومن النحاس بمعنى الدخان قول نابغة بني جعدة :

يضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا

يعني دخانا هكذا قال . وقد روى الطبراني من طريق جويبر عن الضحاك أن نافع بن الازرق سأل ابن عباس عن الشواظ فقال هو اللهب الذي لا دخان معه فسأله شاهداً على ذلك من اللغة فأنشده بيت أمية بن أبي الصلت في حسان

الا من مبلغ حسان عني مغلغلة تدب إلى عكاظ

أليس أبوك فينا كان قينا؟ لدى القينات فسلا في الحفاظ

يمانيا يظل يشد كيراً وينفخ دائبا لهب الشواظ

قال صدقت فما النحاس ؟ قال هو الدخان الذي لا لهب له ، قال فهل تعرفه العرب ؟ قال نعم أما سمعت نابغة بني ذبيان[1] يقول :

يضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا

وقال مجاهد النحاس الصفر المذاب فيصب على رءوسهم وكذا قال قتادة وقال الضحاك ونحاس سيل من نحاس ، والمعنى على كل قول لو ذهبتم هاربين يوم القيامة لردتكم الملائكة والزبانية بارسال اللهب من النار والنحاس المذاب عليكم لترجعوا ولهذا قال (فلا تنتصران فبأي آلاء ربكما تكذبان؟)

[1] كذا في الاصول وهو مخالف لما ذكره أولا من أنه نابغة بني جعدة

فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان (٣٧) فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ (٣٨) فيومئذ لا يُسئل عن ذنبه إنس ولا جان (٣٩) فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ (٤٠) يُعرف المجرمون بسيمٰهم

وصوار ، وهو اللهب الذي لا دخان فيه ، هذا قول أكثر المفسرين ، وقال مجاهد هو اللهب الاخضر المنقطع من النار ﴿ ونحاس ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونحاس بجر السين عطفا على النار وقرأ الباقون برفعها عطفا على الشواظ ، قال سعيد بن جبير والكلبي النحاس الدخان وهو رواية عطاء عن ابن عباس ومعنى الرفع يرسل عليكما شواظ ويرسل نحاس ، هذا مرة وهذا مرة ويجوز أن يرسلا معا من غير أن يمتزج أحدهما بالآخر ومن جر بالعطف على النار يكون ضعيفا لانه لا يكون شواظ من نحاس فيجوز أن يكون تقديره شواظ من نار وشيء من نحاس على أنه حكي أن الشواظ لا يكون إلا من النار والدخان جميعا قال مجاهد وقتادة النحاس هو الصفر المذاب يصب على رؤسهم وهو رواية العوفي عن ابن عباس وقال عبد الله بن مسعود النحاس هو المهل ﴿ فلا تنتصران ﴾ أي فلا تمتنعان من عذاب الله ولا يكون لكم ناصر منه ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ * فإذا انشقت ﴾ انفرجت ﴿ السماء ﴾ فصارت أبوابا النزول

فيؤخذ بالنواصي والاقدام (٤١) فبأيّ آلاء ربكما تكذبان؟ (٤٢) هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون (٤٣) يطوفون بينها وبين حميم آن (٤٤) فبأيّ آلاء ربكما تكذبان؟ (٤٥)

يقول تعالى (فاذا انشقت السماء) يوم القيامة كما دلت عليه هذه الآية مع ماشاكلها من الآيات الواردة في معناها كقوله [وانشقت السماء فهي يومئذ واهية] وقوله [ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا] وقوله [اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت]

وقوله تعالى (فكانت وردة كالدهان) أي تذوب كما يذوب الدردي والفضة في السبك وتتلون كما تتلون الاصباغ التي يدهن بها فتارة حمراء وصفواء وزرقاء وخضراء ، وذلك من شدة الامر وهول يوم القيامة العظيم

وقد قال الامام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا عبد الرحمن بن أبي الصهباء حدثنا نافع أبو غالب الباهلي حدثنا أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ « يبعث الناس يوم القيامة والسماء تطش عليهم » قال الجوهري الطش المطر الضعيف ، وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله (وردة كالدهان) قال هو الاديم الاحمر

وقال أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس (فكانت وردة كالدهان) كالفرس الورد ، وقال العوفي عن ابن عباس تغير لونها . وقال أبو صالح كالبرذون الورد ثم كانت بعد كالدهان وحكى البغوي وغيره ان الفرس الورد تكون في الربيع صفراء وفي الشتاء حمراء فاذا اشتد البرد اغبر لونها ، وقال الحسن البصري تكون ألوانا وقال السدي تكون كلون البغلة الوردة وتكون كالمهل كدردي الزيت ، وقال مجاهد (كالدهان) كألوان الدهان وقال عطاء الخراساني كلون دهن الورد في الصفرة وقال قتادة هي اليوم خضراء ويومئذ لونها إلى الحمرة يوم ذي ألوان وقال أبو الجوزاء في صفاء الدهن وقال ابن جريج تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصيبها حر جهنم

الملائكة ﴿ فكانت وردة ﴾ أي كلون الفرس الورد وهو الابيض الذي يضرب الى الحمرة والصفرة ، قال قتادة انها اليوم خضراء ويكون لها يومئذ لون آخر يضرب الى الحمرة وقيل انها تتلون ألوانا يومئذ كلون الفرس الورد يكون في أول الربيع أصفر وفي الشتاء أحمر فاذا اشتد الشتاء كان أغبر فشبه السماء في تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس في تلونه ﴿ كالدهان ﴾ جمع دهن تلون السماء بتلون الورد من الخيل وشبه الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه وهو قول الضحاك ومجاهد وقتادة والربيع وقال عطاء بن أبي رباح كالدهان كعصير الزيت يتلون في الساعة ألوانا وقال مقاتل كدهن الورد الصافي وقال ابن جريج تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصيبها حر جهنم وقال الكلبي كالدهان أي كالاديم

وقوله تعالى (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان) وهذه كقوله تعالى [هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون] فهذا في حال وثم في حال يسئل الخلائق عن جميع أعمالهم قال الله تعالى (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) ولهذا قال قتادة (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان) قال قد كانت مسئلة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لانه أعلم بذلك منهم ولكن يقول لم عملتم كذا وكذا ، فهذا قول ثان

وقال مجاهد في هذه الآية لا تسأل الملائكة عن المجرم يعرفون بسيماهم ، وهذا قول ثالث ، وكأن هذا بعد ما يؤمر بهم إلى النار فذلك الوقت لا يسئلون عن ذنوبهم بل يقادون اليها ويلقون فيها كما قال تعالى (يعرف المجرمون بسيماهم) أي بعلامات تظهر عليهم

وقال الحسن وقتادة يعرفونهم باسوداد الوجوه وزرقة العيون [قلت] وهذا كما يعرف المؤمنون بالغرة والتحجيل من آثار الوضوء

وقوله تعالى (فيؤخذ بالنواصي والاقدام) أي يجمع الزبانية ناصيته مع قدميه ويلقونه في النار كذلك ، وقال الاعمش عن ابن عباس يؤخذ بناصيته وقدميه فيكسر كما يكسر الحطب في التنور ، وقال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء ظهره ، وقال السدي يجمع بين ناصية الكافر وقدميه فتربط ناصيته بقدمه ويفتل ظهره

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع حدثنا معاوية بن سلام عن أخيه زيد ابن سلام انه سمع أبا سلام يعني جده أخبرني عبد الرحمن حدثني رجل من كندة قال أتيت عائشة فدخلت عليها وبيني وبينها حجاب فقلت حدثك رسول الله ﷺ انه يأتي عليه ساعة لا يملك فيها لأحد شفاعة ؟ قالت نعم لقد سألته عن هذا وأنا وهو في شعار واحد قال « نعم حين يوضع الصراط

الاحمر وجمعه أدهنة ودهن ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ * فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ قال الحسن وقتادة لا يسئلون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم لان الله عز وجل علمها منهم وكتبت الملائكة عليهم وهي رواية العوفي عن بن عباس وعنه أيضاً لا تسأل الملائكة المجرمين لانهم يعرفونهم بسيماهم دليله ما بعده وهذا قول مجاهد وعن ابن عباس في الجمع بين هذه الآية وبين قوله [فوربك لنسألنهم أجمعين] قال لا يسألهم هل علمتم كذا وكذا لانه أعلم بذلك منهم ولكن يسألهم لم عملتم كذا وكذا وعن عكرمة انه قال انها مواطن يسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها وعن ابن عباس أيضا لا يسئلون سؤال شفقة ورحمة انما يسئلون سؤال تقريع وتوبيخ ، وقال أبو العالية لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان * يعرف المجرمون بسيماهم ﴾ وهو سواد الوجوه وزرقة العيون كما قال جل ذكره [يوم تبيض وجوه وتسود وجوه] ﴿ فيؤخذ بالنواصي والاقدام - فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ ﴾

لا أملك لأحد فيها شفاعة حتى أعلم أين يسلك بي ، ويوم تبيض وجوه وتسود وجوه حتى أنظر ماذا يفعل بي -أوقال- يوحى، وعند الجسر حين يستحد ويستحر فقالت -وما يستحد ومايستحر ؟ قال- يستحد حتى يكون مثل شفرة السيف ويستحر حتى يكون مثل الجمرة فأما المؤمن فيجيزه لا يضره ، وأما المنافق فيتعلق حتى إذا بلغ أوسطه خر من قدميه فيهوى بيديه إلى قدميه، قالت فهل رأيت من يسعى حافياً فتأخذه شوكة حتى تكاد تنفذ قدميه فانها كذلك يهوي بيده ورأسه إلى قدميه فتضربه الزبانية بخطاف في ناصيته وقدميه فتقذفه في جهنم فيهوي فيها مقدار خمسين عاما قلت ماثقل الرجل ؟ قالت ثقل عشر خلفات سمان فيومئذ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام» هذا حديث غريب جداوفيه ألفاظ منكر رفعهاوفي الاسناد من لم يسم ومثله لا يحتج به والله أعلم

وقوله تعالى [هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون] أي هذه النار التى كنتم تكذبون بوجودها هاهي حاضرة تشاهدونها عيانا ، يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا وتصغيراً وتحقيراً

وقوله تعالى (يطوفون بينها وبين حميم آن) أي تارة يعذبون في الجحيم وتارة يسقون من الحميم وهو الشراب الذي هو كالنحاس المذاب يقطع الامعاء والاحشاء وهذه كقوله تعالى (إذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون)

وقوله تعالى [آن] أي حار قد بلغ الغاية في الحرارة لا يستطاع من شدة ذلك ، قال ابن عباس في قوله [يطوفون بينها وبين حميم آن] اي قد انتهى غليه واشتد حره وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والحسن والثوري والسدي

وقال قتادة قد آن طبخه منذ خلق الله السموات والارض ، وقال محمد بن كعب القرظي يؤخذ العبد فيحرك بناصيته في ذلك الحميم حتى يذوب اللحم ويبقى العظم والعينان في الرأس وهي كالتي يقول الله تعالى (في الحميم ثم في النار يسجرون) والحميم الآن يعني الحار ، وعن القرظي رواية أخرى [حميم آن] أي حاضر وهو قول ابن زيد أيضا ، والحاضر لا ينافي ماروي عن القرظي أولا انه الحار كقوله تعالى [تسقى من عين آنية] أي حاضرة شديدة الحر لا تستطاع وكقوله [غير ناظرين اناه] يعني استواءه ونضجه فقوله [حميم آن] اي حميم حار جداً

تجعل الاقدام مضمومة إلى النواصي من خلف ويلقون في النار ثم يقال لهم ﴿ هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون ﴾ المشركون ﴿ يطوفون بينها وبين حميم آن * فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ قد انتهى حره قال الزجاج أنى يأني انى فهو آن إذا انتهى في النضج، والمعنى أنهم يسعون بين الجحيم والحميم فاذا استغاثوا من حر النار جعل عذابهم الحميم الآني الذي صار كالمهل وهو قوله [وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل] وقال كعب الاحبار آن واد من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الاغلال فيغمسون في ذلك الوادي حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون في النار وذلك قوله [يطوفون بينها وبين حميم

ولما كان معاقبة العصاة المجرمين وتنعيم المتقين من فضله ورحمته وعدله ولطفه بخلقه وكان انذاره لهم عذابه وبأسه مما يزجرهم عما هم فيه من الشرك والمعاصي وغير ذلك قال ممتنا بذلك على بريته (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟)

ولمن خاف مقام ربه جنتان (٤٦) فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ (٤٧) ذواتا أفنان (٤٨) فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ (٤٩) فيهما عينان تجريان (٥٠) فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ (٥١) فيهما من كل فـٰكهة زوجان (٥٢) فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ (٥٣)

قال ابن شوذب وعطاء الخراساني نزلت هذه الآية (ولمن خاف مقام ربه جنتان) في أبي بكر الصديق ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن مصفى حدثنا بقية عن أبي بكر بن أبي مريم عن عطية بن قيس في قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) نزلت في الذي قال أحرقوني بالنار لعلي أضل الله قال تاب يوما وليلة بعد أن تكلم بهذا فقبل الله منه وأدخله الجنة ، والصحيح أن هذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره يقول الله تعالى ولمن خاف مقام ربه بين يدي الله عز وجل يوم القيامة ونهى النفس عن الهوى ولم يطغ ولا آثر الحياة الدنيا وعلم أن الآخرة خير وأبقى فأدى فرائض الله واجتنب محارمه فله يوم القيامة عند ربه جنتان كما قال البخاري رحمه الله حدثنا عبدالله بن أبي الاسود حدثنا عبدالعزيز بن عبدالصمد العمي حدثنا ابوعمران الجوني عن ابي بكر بن عبدالله بن قيس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل الارداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » وأخرجه بقية الجماعة الا أبا داود من حديث عبدالعزيز به

وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي بكر بن ابي موسى عن أبيه قال حماد ولا أعلمه الا قد رفعه في قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وفي قوله (ومن دونهما جنتان) جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من ورق لاصحاب اليمين

آن] ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ وكل ماذكر الله تعالى من قوله [كل من عليها فان] إلى ههنا مواعظ وزواجر وتخويف وكل ذلك نعمة من الله تعالى لانها تزجر عن المعاصي ولذلك ختم كل آية بقوله [فبأى آلاء ربكما تكذبان] ثم ذكر ما أعده لمن اتقاه وخافه فقال ﴿ ولمن خاف مقام ربه ﴾ أى مقامه بين يدى ربه للحساب فترك المعصية والشهوة، وقيل قيام ربه عليه بيانه قوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقال ابراهيم النخعي ومجاهد هو الذى يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من مخافة الله قوله ﴿جنتان﴾ قال مقاتل جنة عدن

وقال ابن جرير حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المقري حدثنا ابن أبي مريم أخبرنا محمد بن جعفر عن محمد بن حرملة عن عطاء بن يسار أخبرني ابو الدرداء أن رسول الله ﷺ قرأ يوما هذه الآية (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت وان زنى وان سرق؟ فقال (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت وان زنى وان سرق؟ فقال (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت وان زنى وان سرق يارسول الله؟ فقال «وان رغم أنف أبي الدرداء» ورواه النسائي من حديث محمد بن أبي حرملة به، ورواه النسائي أيضاً عن مؤمل بن هشام عن اسماعيل عن الجريري عن موسى عن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبي الدرداء به، وقد روي موقوفا على ابي الدرداء، وروي عنه أنه قال: ان من خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق. وهذه الآية عامة في الانس والجن فهي من أدل دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا، ولهذا امتن الله تعالى على الثقلين بهذا الجزاء فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان * فبأي آلاء ربكما تكذبان؟) ثم نعت هاتين الجنتين فقال (ذواتا أفنان) أي أغصان نضرة حسنة تحمل من كل ثمرة نضيجة فائقة (فبأي آلاء ربكما تكذبان؟) هكذا قال عطاء الخراساني وجماعة ان الافنان أغصان الشجر يمس بعضها بعضاً

وجنة نعيم قال محمد بن علي الترمذي جنة لخوفه ربه وجنة لتركه شهوته قال الضحاك هذا لمن راقب الله في السر والعلانية بعلمه ما عرض له من محرم تركه من خشية الله وما عمل من خير أفضى به إلى الله لا يحب أن يطلع عليه أحد، وقال قتادة ان المؤمنين خافوا ذلك المقام فعملوا لله ودأبوا بالليل والنهار

أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسين القرشي أنا أبو مسلم غالب بن علي الرازي حدثنا ابو بكر محمد ابن ابراهيم بن يونس انا أبو جعفر محمد بن موسى بن عيسى الحلواني أنا محمد بن عبيد الهمداني أنا هاشم بن القاسم عن أبي عقيل هو الثقفي عن يزيد بن شيبان سمعت بكير بن فيروز قال سمعت أبا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة»

أخبرنا ابو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا ابو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبدالله ابن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميهني أنا علي بن حجر أنا اسماعيل بن جعفر عن محمد بن أبي حرملة مولى حويطب بن عبد العزى عن عطاء بن يسار عن أبي الدرداء انه سمع رسول الله ﷺ يقص على المنبر وهو يقول (ولمن خاف مقام ربه جنتان) قلت وإن زنى وان سرق يارسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت الثانية وإن زنى وإن سرق يارسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت الثالثة وإن زنى وإن سرق يارسول الله؟ قال «وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي الدرداء» (فبأي آلاء ربكما تكذبان) ثم وصف الجنتين فقال (ذواتا أفنان) أغصان واحدها فنن وهو الغصن المستقيم طولا وهذا قول مجاهد وعكرمة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابي حدثنا عمرو بن علي حدثنا مسلم بن قتيبة حدثنا عبدالله بن النعمان سمعت عكرمة يقول (ذواتا أفنان) يقول ظل الاغصان على الحيطان ألم تسمع قول الشاعر :

ماهاج شوقك من هديل حمامة تدعو على فنن الغصون حماما

تدعو أبا فرخين صادف طاويا ذا مخلبين من الصقور قطاما

وحكى البغوي عن مجاهد وعكرمة والضحاك والكلبي انه الغصن المستقيم وحدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا عبدالسلام بن حرب حدثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذواتا أفنان ذواتا ألوان قال وروي عن سعيد بن جبير والحسن والسدي وخصيف والنضر بن عربي وابي سنان مثل ذلك ، ومعنى هذا القول أن فيهما فنونا من الملاذ واختاره ابن جرير ، وقال عطاء كل غصن يجمع فنونا من الفاكهة ، وقال الربيع بن أنس (ذواتا أفنان) واسعتا الفناء وكل هذه الاقوال صحيحة ولا منافاة بينها والله أعلم ، وقال قتادة ذواتا أفنان يعني بسعتها وفضلها ومزيتها على ماسواها

وقال محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت سمعت رسول الله ﷺ وذكر سدرة المنتهى فقال « يسير في ظل الفنن منها الراكب مائة سنة - أو قال - يستظل في ظل الفنن منها مائة راكب فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال » ورواه الترمذي من حديث يونس بن بكر

وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن ابي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال حماد ولا أعلمه الا قد رفعه في قوله (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وفي قوله (ومن دونهما جنتان) قال جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من ورق لأصحاب اليمين (فيهما عينان تجريان ؟) أي تسرحان لسقي تلك الاشجار والاغصان فتثمر من جميع الالوان [فبأي آلاء ربكما تكذبان] قال الحسن البصري إحداهما يقال لها تسنيم والاخرى السلسبيل . وقال عطية إحداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين ، ولهذا قال بعد هذا [فيهما من كل فاكهة زوجان] أي من جميع أنواع الثمار مما يعلمون وخير مما يعلمون ومما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر [فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟]

والكلبي وقال عكرمة ظل الأغصان على الحيطان قال الحسن ذواتا ظلال قال ابن عباس ألوان ، قال سعيد بن جبير والضحاك ألوان الفواكه واحدها فنن من قولهم أفنن فلان في حديثه إذا أخذ في فنون منه وضروب وجمع عطاء بين القولين فقال في كل غصن فنون من الفاكهة ، وقال قتادة ذواتا فضل وسعة على ماسواهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان * فيهما عينان تجريان) قال ابن عباس بالكرامة والزيادة على أهل الجنة قال الحسن تجريان بالماء الزلال إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل وقال عطية إحداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين (فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيهما من كل فاكهة زوجان) صنفان ونوعان قيل معناه أن فيهما من كل ما يتفكه به ضربين رطبا ويابسا قال ابن عباس

قال ابراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل ، وقال ابن عباس ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الاسماء يعني أن بين ذلك بونا عظيما وفرقا بينا في التفاضل

متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان (٥٤) فبأي آلاء ربكما تكذبان

(٥٥) فيهن قصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان (٥٦) فبأي آلاء ربكما تكذبان؟

(٥٧) كأنهن الياقوت والمرجان (٥٨) فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ (٥٩) هل جزاء

الاحسن إلا الاحسن ؟ (٦٠) فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ (٦١)

يقول تعالى [متكئين] يعني أهل الجنة والمراد بالاتكاء ههنا الاضطجاع ويقال الجلوس على صفة التربيع [على فرش بطائنها من استبرق] وهو ماغلظ من الديباج قاله عكرمة والضحاك وقتادة وقال ابو عمران الجوني هو الديباج المزين بالذهب فنبه على شرف الظهارة بشرف البطانه فهذا من التنبيه بالادنى على الاعلى

قال ابو إسحاق عن هبيرة بن مريم عن عبدالله بن مسعود قال : هذه البطائن فكيف لو رأيتم الظواهر ، وقال مالك بن دينار بطائنها من استبرق وظواهرها من نور ، وقال سفيان الثوري او شريك بطائنها من استبرق وظواهرها من نور جامد ، وقال القاسم بن محمد بطائنها من استبرق وظواهرها من الرحمة ، وقال ابن شوذب عن أبي عبدالله الشامي ذكر الله البطائن ولم يذكر الظواهر وعلى الظواهر المحابس ولا يعلم ماتحت المحابس الا الله تعالى ، ذكر ذلك كله الامام ابن أبي حاتم رحمه الله (وجنى الجنتين دان) أي ثمرهما قريب اليهم متى شاءوا تناولوه على أي صفة كانوا كما قال تعالى [قطوفها دانية] وقال [ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا] أي لا تمتنع ممن تناولها بل تنحط اليه من أغصانها

ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل إلا أنه حلو ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ متكئين على فرش ﴾ جمع فراش ﴿ بطائنها ﴾ جمع بطانة وهي التي تحت الظهارة وقال الزجاج وهي مما يلي الارض ﴿ من استبرق ﴾ وهو ما غلظ من الديباج ، قال ابن مسعود وأبو هريرة هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله عز وجل (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) وعنه أيضا قال بطائنها من استبرق فظواهرها من نور جامد وقال ابن عباس وصف البطائن وترك الظواهر لانه ليس في الارض أحد يعرف ما الظواهر ﴿ وجنى الجنتين دان ﴾ الجنى ما يجتنى من الثمار يريد ثمرهما دان قريب يناله القائم والقاعد والنائم قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله إن شاء قائما وإن شاء قاعداً قال قتادة لا يرد أيديهم

[فبأى آلاء ربكما تكذبان؟] ولما ذكر الفرش وعظمتها قال بعد ذلك [فيهن] أي في الفرش قاصرات الطرف أى غضيضات عن غير أزواجهن فلا يرين شيئاً في الجنة أحسن من أزواجهن قاله ابن عباس وقتادة وعطاء الخراساني وابن زيد ، وقد ورد أن الواحدة منهن تقول لبعلها والله ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك ، ولا في الجنة شيئاً أحب إلي منك فالحمد لله الذى جعلك لي وجعلني لك [لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان] أى بل هن ابكار عرب أتراب لم يطأهن أحد قبل أزواجهن من الانس والجن وهذه أيضاً من الادلة على دخول مؤمني الجن الجنة

قال ارطاة بن المنذر سئل ضمرة بن حبيب هل يدخل الجن الجنة ؟ قال نعم وينكحون الجن جنيات وللانس انسيات وذلك قوله [لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان * فبأي آلاء ربكما تكذبان؟]

ثم قال ينعتهن للخطاب (كأنهن الياقوت والمرجان) قال مجاهد والحسن وابن زيد وغيرهم في صفاء الياقوت وبياض المرجان فجعلوا المرجان ههنا اللؤلؤ

وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن حاتم حدثنا عبيد بن حميد عن عطاء بن السائب عن عمرو ابن ميمون الاودي عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال « إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير حتى يرى مخها» وذلك قول الله تعالى (كأنهن الياقوت والمرجان) فأما الياقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه وهكذا رواه الترمذي من حديث عبيدة بن حميد وأبي الاحوص عن عطاء بن السائب به ورواه موقوفا ثم قال وهو أصح

عنها بعد ولا شوك ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيهن قاصرات الطرف ﴾ غاضات الاعين قصرن طرفهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم ولا يردن غيرهم قال ابن زيد تقول لزوجها وعزة ربي ما أرى في الجنة شيئا أحسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجتك ﴿ لم يطمثهن ﴾ لم يجامعهن ولم يفترعهن، وأصله من الدم قيل للحائض طامث كأنه قال لم يدمهن بالجماع ﴿ انس قبلهم ولا جان ﴾ قال الزجاج فيه دليل على أن الجني يغشى كما يغشى الانسي . قال مجاهد إذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على إحليله فجامع معه ، قال مقاتل في قوله (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) لانهن خلقن في الجنة فعلى قوله هؤلاء من حور الجنة، وقال الشعبي هن من نساء الدنيا لم يمسسهن منذ أنشئن وهو قول الكلبي يعني لم يجامعهن في هذا الخلق الذي انشئن فيه إنس ولا جان. وقرأ طلحة بن مصرف لم يطمثهن بضم الميم فيهما وقرأ الكسائي إحداهما بالضم فان كسر الاولى ضم الثانية وإن ضم الاولى كسر الثانية لما روى أبو اسحاق السبيعي قال كنت أصلي خلف أصحاب علي رضي الله عنه فأسمعهم يقرءون لم يطمثهن بالرفع وكنت أصلي خلف أصحاب عبد الله بن مسعود فأسمعهم يقرءون بكسر الميم وكان الكسائي يضم احداهما ويكسر الاخرى لئلا يخرج عن هذين الاثرين ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان * كأنهن الياقوت والمرجان ﴾ قال قتادة صفاء الياقوت في بياض المرجان ، وروينا عن أبي سعيد في صفة أهل الجنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل

وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا يونس عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب » تفرد به الامام أحمد من هذا الوجه

وقد روى مسلم حديث اسماعيل بن علية عن أيوب عن محمد بن سيرين قال إما تفاخروا إما تذاكروا الرجال أكثر في الجنة أم النساء ؟ فقال أبو هريرة أولم يقل أبو القاسم ﷺ « إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على ضوء كوكب دري في السماء لكل امريء منهم زوجتان اثنتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب » وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث همام بن منبه وأبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه

وقال الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا محمد بن طلحة عن حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحدكم أو موضع قده - يعني سوطه - من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة الى الارض لملأت ما بينهما ريحا ولطاب ما بينهما ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » ورواه البخارى من حديث أبي اسحاق عن حميد عن أنس بنحوه

رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقهما دون لحمهما ودمائهما وجلدهما

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل أنا أبو اليمان أنا أبو شعيب أنا أبو الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « ان أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم كأشد كوكب دري في السماء اضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرىء منهم زوجتان من الحور العين يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم من الحسن يسبحون الله بكرة وعشيا لا يسقمون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون آنيتهم من الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الالوة ورشحهم المسك على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء »

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين أنا هارون ابن محمد بن هارون أنا حازم بن يحيي الحلواني أنا سهيل بن عثمان العسكري أنا عبيدة بن حميد عن عطاء بن السائب عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال « إن المرأة من أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير ومخها إن الله يقول (كأنهن الياقوت والمرجان) فاما الياقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه » وقال عمرو بن ميمون إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر

وقوله تعالى (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان) أي لالمن أحسن العمل في الدنيا إلا الاحسان اليه في الآخرة كما قال تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة)

وقال البغوي حدثنا أبو سعيد الشريحي حدثنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه حدثنا ابن شيبة حدثنا اسحاق بن ابراهيم بن بهرام حدثنا الحجاج بن يوسف المكتب حدثنا بشر بن الحسين عن الزبير بن عدي عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله ﷺ (هل جزاء الإحسان إلا الاحسان) وقال « هل تدرون ماقال ربكم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة » ولما كان في الذي ذكر نعم عظيمة لايقاومها عمل بل مجرد تفضل وامتنان قال بعد ذلك كله (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟)

ومما يتعلق بقوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) مارواه الترمذي والبغوي من حديث أبي النضر بن هاشم بن القاسم عن أبي عقيل الثقفي عن أبي فروة يزيد بن سنان الرهاوي عن بكر ابن فيروز عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ألا ان سلعة الله غالية ، ألا ان سلعة الله الجنة » ثم قال الترمذي غريب لانعرفه إلا من حديث أبي النضر

وروى البغوي من حديث علي بن حجر عن اسماعيل بن جعفر عن محمد بن أبي حرملة مولى حويطب ابن عبد العزى عن عطاء بن يسار عن أبي الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ يقص على المنبر وهو يقول (ولمن خاف مقام ربه جنتان) قلت وان زنى وان سرق يارسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت الثانية وان زنى وان سرق يارسول الله ؟ فقال (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت الثالثة وان زنى وان سرق يارسول الله ؟ فقال « وان رغم أنف أبي الدرداء »

ومن دونهما جنتان (٦٢) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦٣) مدهامتان (٦٤) فبأى آلاء ربكما تكذبان (٦٥) فيهما عينان نضاختان (٦٦) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦٧) فيهما فكهة

في الزجاجة البيضاء ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ * هل جزاء الاحسان إلا الاحسان ﴾ أي ماجزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يحسن اليه في الآخرة ، وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا إله الا الله وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه أنا ابن شيبة أنا اسحاق ابن ابراهيم بن بهرام أنا الحجاج بن يوسف المكتب أنا بشر بن الحسين عن الزبير بن عدي عن أنس ابن مالك قال قرأ رسول الله ﷺ (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) ثم قال « هل تدرون ما قال ربكم؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد الا الجنة » ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان * ومن دونهما جنتان ﴾ أي من دون الجنتين الاولين جنتان أخريان

ونخلٌ ورمان (٦٨) فبأيِّ آلاء ربكما تكذبان؟ (٦٩) فيهن خيراتٌ حسان (٧٠) فبأيِّ آلاء ربكما تكذبان؟ (٧١) حور مقصورات في الخيام (٧٢) فبأيّ آلاء ربكما تكذبان (٧٣) لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جانٌّ (٧٤) فبأيِّ آلاء ربكما تكذبان؟ (٧٥) متكئين على رفرف خُضر وعبقريٍّ حسان (٧٦) فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ (٧٧) تبرك اسم ربك ذى الجلل والاكرام (٧٨)

هاتان الجنتان دون اللتين قبلهما في المرتبة والفضيلة والمنزلة بنص القرآن قال الله تعالى (ومن دونهما جنتان) وقد تقدم في الحديث «جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما فالاوليان المقربين والاخريان لاصحاب اليمين وقال ابن عباس (ومن دونهما جنتان) من دونهما في الدرج وقال ابن زيد من دونهما في الفضل. والدليل على شرف الاولين على الاخريين وجوه (أحدها) أنه نعت الاولين قبل هاتين والتقديم يدل على الاعتناء ثم قال (ومن دونهما جنتان) وهذا ظاهر في شرف التقدم وعلوه على الثاني وقال هناك (ذواتا أفنان) وهي الاغصان أو الفنون في الملاذ وقال هنا (مدهامتان) أي سوداوان من شدة الري من الماء قال ابن عباس في قوله (مدهامتان) قد اسودتا من الخضرة من شدة الري من الماء

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا ابن فضيل حدثنا عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس مدهامتان قال خضراوان وروي عن أبي أيوب الانصاري وعبدالله بن الزبير

قال ابن عباس من دونهما في الدرج وقال ابن زيد من دونهما في الفضل وقال أبو موسى الاشعري جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جريج هن أربع جنان جنتان للمقربين السابقين (فيهما من كل فاكهة زوجان) وجنتان لاصحاب اليمين والتابعين [فيهما فاكهة ونخل ورمان] أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل أنا علي بن عبد الله أنا عبد العزيز بن عبد الصمد عن أبي عمران عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» وقال الكسائي ومن دونهما أي أمامها وقبلها يدل عليه قول الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والاخريان من ياقوت ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ مدهامتان﴾ ناعمتان سوداوان من ريهما وشدة خضرتها لان الخضرة إذا اشتدت ضربت الى السواد يقال ادهام الزرع إذا علاه السواد ريا ادهياما فهو

وعبد الله بن أبي أوفى وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد في احدى الروايات وعطاء وعطية العوفي والحسن البصري ويحيى بن رافع وسفيان الثوري نحو ذلك

وقال محمد بن كعب (مدهامتان) ممتلئتان من الخضرة وقال قتادة خضراوان من الري ناعمتان ولا شك في نضارة الاغصان على الاشجار المشتبكة بعضها في بعض وقال هناك (فيهما عينان تجريان) وقال ههنا (نضاختان) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي فياضتان والجري أقوى من النضخ وقال الضحاك (نضاختان) أي ممتلئتان ولا تنقطعان وقال هناك (فيهما من كل فاكهة زوجان) وقال ههنا (فيهما فاكهة ونخل ورمان) ولا شك أن الاولى أعم وأكثر في الافراد والتنويع على فاكهة وهي نكرة في سياق الاثبات لاتعم ولهذا ليس قوله (ونخل ورمان) من باب عطف الخاص على العام كما قرره البخاري وغيره وإنما أفرد النخل والرمان بالذكر لشرفهما على غيرهما

قال عبد بن حميد حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا حصين بن عمر حدثنا مخارق عن طارق بن سهل عن شهاب عن عمر بن الخطاب قال جاء أناس من اليهود الى رسول الله ﷺ فقالوا يامحمد أفي الجنة فاكهة ؟ قال « نعم فيها فاكهة ونخل ورمان » قالوا فيأكلون كما يأكلون في الدنيا ؟ « قال نعم وأضعاف » قالوا فيقضون الحوائج ؟ قال « لا ولكنهم يعرقون ويرشحون فيذهب الله مافي بطونهم من أذى »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخل الجنة سعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم ومنها حللهم وكربها[1] ذهب أحمر وجذوعها زمرد أخضر ، وثمرها أحلى من العسل وألين من الزبد وليس له عجم

وحدثنا ابي حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد هو ابن سلمة عن أبي هارون عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال « نظرت إلى الجنة فاذا الرمانة من رمانها كالبعير المقتب » ثم قال

(١) كذا في الاصل وفي البغوي وورقها

مدهام ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان؟فيهما عينان نضاختان ﴾ فوارتان بالماء لا تنقطعان والنضخ فوران الماء من العين قال ابن عباس تنضخان بالخير والبركة على أهل الجنة وقال ابن مسعود تنضخان بالمسك والكافور على أولياء الله وقال أنس بن مالك تنضخان بالمسك والعنبر في دور أهل الجنة كطش المطر ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ فيهما فاكهة ونخل ورمان ﴾ قال بعضهم ليس النخل والرمان من الفاكهة والعامة على أنهما من الفاكهة وإنما أعاد ذكر النخل والرمان وهما من جملة الفواكه للتخصيص والتفضيل كما قال تعالى [من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال]

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن احمد بن حارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وورقها

[فيهن خيرات حسان] قيل المراد خيرات كثيرة حسنة في الجنة قاله قتادة ، وقيل خيرات جمع خيرة وهي المرأة الصالحة الحسنة الخلق الحسنة الوجه قاله الجمهور ، وروي مرفوعا عن أم سلمة. وفي الحديث الآخر الذي سنورده في سورة الواقعة إن شاء الله تعالى أن الحور العين يغنين نحن الخيرات الحسان خلقنا لأزواج كرام ولهذا قرأ بعضهم [فيهن خيرات] بالتشديد [حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان] ثم قال [حور مقصورات في الخيام] وهناك قال [فيهن قاصرات الطرف] ولا شك أن التي قد قصرت طرفها بنفسها أفضل ممن قصرت وإن كان الجميع مخدرات

قال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الاودي حدثنا وكيع عن سفيان عن جابر عن القاسم ابن أبي بزة عن أبي عبيدة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال : إن لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ، ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليه كل يوم تحفة وكرامة وهدية لم تكن قبل ذلك لامرحات ولا طمحات ولا بخرات ولا ذفرات حور عين كأنهن بيض مكنون

وقوله تعالى (في الخيام) قال البخاري حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون » ورواه أيضاً من حديث أبي عمران به وقال ثلاثون ميلا ، وأخرجه مسلم من حديث أبي عمران به ولفظه إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا للمؤمن فيها أهل يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن أبي الربيع حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة أخبرني خليد العصري عن ابى الدرداء قال الخيمة لؤلؤة واحدة فيها سبعون بابا من در

وحدثنا أبي حدثنا عيسى بن أبي فاطمة حدثنا جرير عن هشام عن محمد بن المثنى عن ابن عباس

ذهب أحمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها أمثال القلال أو الدلاء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس له عجم ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ * فيهن ﴾ يعني في الجنات الاربع ﴿ خيرات حسان ﴾

روى الحسن عن أبيه عن أم سلمة قالت قلت لرسول الله ﷺ أخبرني عن قوله خيرات حسان قال « خيرات الاخلاق حسان الوجوه » ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ * حور مقصورات ﴾ محبوسات مستورات في الحجال يقال امرأة مقصورة وقصورة اذا كانت مخدرة مستورة لا تخرج وقال مجاهد يعني قصرن طرفهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يبغين بهم بدلا ، وروينا عن النبي ﷺ قال « لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » ﴿ في الخيام ﴾ جمع خيمة

في قوله تعالى (حور مقصورات في الخيام) قال في خيام اللؤلؤ وفي الجنة خيمة واحدة من لؤلؤة واحدة أربع فراسخ في أربع فراسخ عليها أربعة آلاف مصراع من ذهب ، وقال عبد الله بن وهب أخبرنا عمرو أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال « أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء » ورواه الترمذي من حديث عمرو بن الحارث به

وقوله تعالى (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قد تقدم مثله سواء إلا أنه زاد في وصف الاوائل بقوله ، كأنهن الياقوت والمرجان فبأي الاء ربكما تكذبان)

وقوله تعالى (متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الرفرف المحابس ، وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم هي المحابس ، وقال العلاء بن زيد الرفرف على السرير كهيئة المحابس المتدلي ، وقال عاصم الجحدري [متكئين على رفرف خضر] يعني الوسائد وهو قول الحسن البصري في رواية عنه ، وقال أبو داود الطيالسي عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في قوله تعالى (متكئين على رفرف خضر) قال الرفرف رياض الجنة وقوله تعالى (وعبقري حسان) قال ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي العبقري الزرابي ، وقال سعيد بن جبير هي عتاق الزرابي يعني جيادها ، وقال مجاهد العبقري الديباج ، وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى (وعبقري حسان) فقال هي بسط أهل الجنة لا أبا لكم فاطلبوها ، وعن الحسن رواية أنها المرافق ، وقال زيد بن أسلم العبقري أحمر وأصفر وأخضر ، وسئل العلاء بن زيد عن العبقري فقال البسط أسفل من ذلك

وقال ابن حرزة يعقوب بن مجاهد :العبقري من ثياب أهل الجنة لا يعرفه أحد ، وقال أبو العالية

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا محمد بن المثنى أنا عبد العزيز بن عبد الصمد أنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه ان النبي ﷺ قال « ان للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان؟* لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان* فبأى آلاء ربكما تكذبان؟* متكئين على رفرف خضر ﴾ قال سعيد ابن جبير الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة ويروى ذلك عن ابن عباس واحدتها رفرفة وقال الرفارف جمع الجمع وقيل الرفرف البسط وهو قول الحسن ومقاتل والقرظي

وروى العوفي عن ابن عباس الرفرف فضول المجالس والبسط وقال الضحاك وقتادة هي مجالس خضر فوق الفرش، وقال ابن كيسان هي المرافق وقال ابن عيينة الزرابي وقال غيره كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف ﴿ وعبقري حسان ﴾ هي الزرابي والطنافس الثخان وهي جمع واحدتها عبقرية

العبقري الطنافس المخملة إلى الرقة ماهى ، وقال القيسي كل ثوب موشى عند العرب عبقري ، وقال أبو عبيدة هو منسوب إلى أرض يعمل بها الوشي ، وقال الخليل بن أحمد كل شيء نفيس من الرجال وغير ذلك يسمى عند العرب عبقريا ومنه قول النبي ﷺ في عمر « فلم أر عبقريا يفري فريه » وعلى كل تقدير فصفة مرافق أهل الجنتين الاولين أرفع وأعلى من هذه الصفة فانه قد قال هناك [متكئين على فرش بطائنها من استبرق] فنعت بطائن فرشهم وسكت عن ظهائرها اكتفاء بما مدح به البطائن بطريق الأولى والاحرى وتمام الخاتمة أنه قال بعد الصفات المتقدمة (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان؟) فوصف أهلها بالاحسان وهو أعلى المراتب والنهايات كما في حديث جبريل لما سأل عن الاسلام ثم الايمان ثم الاحسان فهذه وجوه عديدة في تفضيل الجنتين الاولين على هاتين الاخيرتين ونسأل الله الكريم الوهاب أن يجعلنا من أهل الاولين

ثم قال (تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام) أي هو أهل أن يجل فلا يعصى ، وأن يكرم فيعبد ، ويشكر فلا يكفر ، وأن يذكر فلا ينسى ، وقال ابن عباس (ذي الجلال والاكرام) ذي العظمة والكبرياء

وقال الامام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن عمير بن هانيء عن أبي العذراء عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أجلوا الله يغفر لكم » وفي الحديث الآخر « إن من اجلال الله اكرام ذي الشيبة المسلم ، وذي السلطان ، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه »

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو يوسف الحربي حدثنا مؤمل بن اسماعيل حدثنا حماد حدثنا حميد الطويل عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « ألظوا بياذا الجلال والاكرام » وكذا رواه الترمذى عن محمود بن غيلان عن مؤمل بن اسماعيل عن حماد بن سلمة به ثم قال غلط المؤمل فيه وهو غريب وليس بمحفوظ وانما يروى هذا عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن النبي ﷺ

وقد قال الامام احمد حدثنا ابراهيم بن إسحاق حدثنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن حسان المقدسي عن ربيعة بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « ألظوا بذي الجلال والاكرام »

وقال قتادة العبقري عتاق الزرابى وقال أبو العالية هي الطنافس المخملة الى الرقة وقال القتيبي كل ثوب موشى عند العرب عبقري ، وقال أبو عبيدة هو منسوب الى أرض يعمل بها الوشي قال الخليل كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم عند العرب عبقري ومنه قول النبي ﷺ في عمر رضي الله عنه «فلم أر عبقريا يفري فريه» (فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام) قرأ أهل الشام ذو الجلال بالواو وكذلك هو في مصاحفهم اجراء على الاسم

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي

ورواه النسائي من حديث عبد الله بن المبارك به ، وقال الجوهري ألظ فلان بفلان اذا لزمه ، وقول ابن مسعود ألظوا بياذا الجلال والاكرام أي الزموا يقال الالظاظ هو الالحاح قلت وكلاهما قريب من الآخر والله أعلم وهو المداومة واللزوم والالحاح ، وفي صحيح مسلم والسنن الاربعة من حديث عبد الله بن الحارث عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ اذا سلم لايقعد يعني بعد الصلاة إلا بقدر مايقول « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام »

﴿ آخر تفسير سورة الرحمن ولله الحمد والمنة ﴾

تفسير سورة الواقعة وهي مكية

قال أبو إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس قال قال أبو بكر يارسول الله قد شبت قال « شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت » رواه الترمذي وقال حسن غريب

قال الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبدالله بن مسعود بسنده إلى عمرو بن الربيع بن طارق المصري حدثنا السري بن يحيى الشيباني عن أبي شجاع عن أبي ظبية قال مرض عبدالله مرضه الذي توفي فيه فعاده عثمان بن عفان فقال ما تشتكي ؟ قال ذنوبي قال فما تشتهي؟ قال رحمة ربي قال ألا آمر لك بطبيب؟ قال الطبيب أمرضني قال ألا آمر لك بعطاء؟ قال لاحاجة لي فيه قال يكون لبناتك من بعدك قال أتخشى على بناتي الفقر اني أمرت بناتي يقرأن كل ليلة سورة الواقعة اني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا » ثم قال ابن عساكر كذا قال والصواب عن شجاع كما رواه عبدالله بن وهب عن السري

وقال عبدالله بن وهب أخبرني السري بن يحيى ان شجاعا حدثه عن أبي ظبية عن عبدالله بن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا » فكان أبو ظبية لايدعها وكذا رواه أبو يعلى عن اسحاق بن ابراهيم عن محمد بن منيب عن السري بن يحيى عن شجاع عن أبي ظبية عن ابن مسعود به

ثم رواه عن إسحاق بن أبي اسرائيل عن محمد بن المنيب العدني عن السري بن يحيى عن أبي ظبية عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال « من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقه أبداً » لم يذكر في مسنده شجاعا قال وقد أمرت بناتي أن يقرأنها كل ليلة

وقد رواه ابن عساكر أيضا من حديث حجاج بن نصير وعثمان بن أبي اليمان عن السري بن يحيى

أنا عبد الله بن محمد بن مسلم ثنا أبو بكر الجوري أنا احمد بن حرب أنا أبو معاوية الضرير عن عاصم الاحول عن عبد الله بن الحارث عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ اذا سلم من الصلاة لم يقعد إلا مقدار مايقول « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام »

عن شجاع عن أبي فاطمة قال مرض عبد الله فأتاه عثمان بن عفان يعوده فذكر الحديث بطوله ، قال عثمان ابن اليمان كان أبو فاطمة هذا مولى لعلي بن أبي طالب

وقال أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا اسرائيل ويحيى بن آدم حدثنا اسرائيل عن سماك بن حرب انه سمع جابر بن سمرة يقول كان رسول الله ﷺ يصلي الصلوات كنحو من صلاتكم التي تصلون اليوم ولكنه كان يخفف كانت صلاته أخف من صلاتكم ، وكان يقرأ في الفجر الواقعة ونحوها من السور

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

إذا وقعت الواقعة (١) ليس لوقعتها كاذبة (٢) خافضةٌ رافعة (٣) إذا رُجّت الأرض رَجًّا (٤) وبُست الجبالُ بسًّا (٥) فكانت هباء منبثا (٦) وكنتم أزواجا ثلٰثةً (٧) فأصحٰب الميمنة ما أصحٰبُ الميمنة (٨) وأصحٰب المشئمة ما أصحٰبُ المشئمة (٩) والسٰبقون السٰبقون (١٠) أولئك المقربون (١١) في جنٰت النعيم (١٢)

الواقعة من أسماء يوم القيامة سميت بذلك لتحقق كونها ووجودها كما قال تعالى (فيومئذ وقعت الواقعة) وقوله تعالى [ليس لوقعتها كاذبة] أي ليس لوقوعها اذا أراد الله كونها صارف يصرفها ولا دافع يدفعها كما قال (استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) وقال (سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع) وقال تعالى (ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير)

ومعنى [كاذبة] كما قال محمد بن كعب لابد أن تكون ، وقال قتادة ليس فيها مثنوية ولا ارتداد ولا رجعة ، قال ابن جرير والكاذبة مصدر كالعاقبة والعافية

وقوله تعالى [خافضة رافعة] أي تخفض أقواما إلى أسفل سافلين إلى الجحيم وإن كانوا في الدنيا

﴿ سورة الواقعة مكية وهي ست وسبعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ إذا وقعت الواقعة ﴾ إذا قامت القيامة وقيل إذا نزلت صيحة القيامة وهي النفخة الاخيرة ﴿ ليس لوقعتها ﴾ لمجيئها ﴿ كاذبة ﴾ كذب كقوله (لا تسمع فيها لاغية) أي لغو يعني أنها تقع صدقا وحقا والكاذبة اسم كالعافية والنازلة ﴿ خافضة رافعة ﴾ تخفض أقواما إلى النار وترفع آخرين الى

أعزاء ، وترفع آخرين إلى أعلى عليين إلى النعيم المقيم وان كانوا في الدنيا وضعاء هكذا قال الحسن وقتادة وغيرهما . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا زيد بن عبد الرحمن بن مصعب المعني حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرواسي عن أبيه عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس (خافضة رافعة] تخفض أقواما وترفع آخرين . وقال عبيد الله العتكي عن عثمان بن سراقة ابن خالة عمر بن الخطاب (خافضة رافعة) قال الساعة خفضت أعداء الله إلى النار ورفعت أولياء الله إلى الجنة ، وقال محمد بن كعب تخفض رجالا كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع رجالا كانوا في الدنيا مخفوضين ، وقال السدي خفضت المتكبرين ورفعت المتواضعين ، وقال العوفي عن ابن عباس [خافضة رافعة] أسمعت القريب والبعيد وقال عكرمة خفضت فأسمعت الأدنى ورفعت فأسمعت الأقصى . وكذا قال الضحاك وقتادة

وقوله تعالى (إذا رجت الارض رجا) أي حركت تحريكا فاهتزت واضطربت بطولها وعرضها ولهذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد في قوله تعالى (إذا رجت الارض رجا) أي زلزلت زلزالا ، وقال الربيع بن أنس ترج بما فيها كرج الغربال بما فيه وهذا كقوله تعالى (إذا زلزلت الارض زلزالها) وقال تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم)

وقوله تعالى (وبست الجبال بسا) أي فتتت فتا ، قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم وقال ابن زيد : صارت الجبال كما قال الله تعالى [كثيبا مهيلا]

وقوله تعالى [فكانت هباءا منبثا] قال أبو اسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه هباء منبثا كرهج الغبار يسطع ثم يذهب فلا يبقى منه شيء ، وقال العوفي عن ابن عباس في قوله [فكانت هباءا منبثا] الهباء الذي يطير من النار إذا اضطرمت يطير منه الشرر فاذا وقع لم يكن شيئا ، وقال عكرمة المنبث الذي قد ذرته الريح وبثته وقال قتادة [هباء منبثا] كيبيس الشجر الذي تذروه الرياح . وهذه الآية كأخواتها الدالة على زوال الجبال عن أماكنها يوم القيامة وذهابها وتسييرها ونسفها أي قلعها وصيرورتها كالعهن المنفوش

الجنة وقال عطاء عن ابن عباس تخفض أقواما كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع أقواما كانوا في الدنيا متضعفين ﴿ اذا رجت الارض رجا ﴾ حركت وزلزلت زلزالا قال الكلبي ان الله اذا أوحى اليها اضطربت فرقا . قال المفسرون ترج رجا كما يرج الصبي في المهد حتى ينهدم كل بناء عليها وينكسر كل ما عليها من الجبال وغيرها وأصل الرج في اللغة التحريك يقال رججته فارتج ﴿ وبست الجبال بسا ﴾ قال عطاء ومقاتل ومجاهد فتتت فتا فصارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول ، قال سعيد بن المسيب والسدى كسرت كسرا وقال الكلبي سيرت على وجه الارض تسييرا . قال الحسن قلعت من أصلها فذهبت ، نظيرها [فقل ينسفها ربي نسفا] قال ابن كيسان جعلت كثيبا مهيلا بعد أن كانت شامخة طويلة ﴿ فكانت هباء منبثا ﴾ غبارا متفرقا كالذى

وقوله تعالى [وكنتم أزواجا ثلاثة] أي ينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف : قوم عن يمين العرش وهم الذين خرجوا من شق آدم الايمن ويؤتون كتبهم بأيمانهم ويؤخذ بهم ذات اليمين قال السدي وهم جمهور أهل الجنة ، وآخرون عن يسار العرش وهم الذين خرجوا من شق آدم الايسر ويؤتون كتبهم بشمالهم ويؤخذ بهم ذات الشمال وهم عامة أهل النار عياذا بالله من صنيعهم، وطائفة سابقون بين يديه عز وجل وهم أخص وأحظى وأقرب من أصحاب اليمين الذين هم سادتهم فيهم الرسل والانبياء والصديقون والشهداء وهم أقل عدداً من اصحاب اليمين ولهذا قال تعالى [فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة * وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ؟ والسابقون السابقون] وهكذا قسمهم إلى هذه الانواع الثلاثة في آخر السورة وقت احتضارهم وهكذا ذكرهم في قوله تعالى [ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله] الآية وذلك على أحد القولين في الظالم لنفسه كما تقدم بيانه ، قال سفيان الثورى عن جابر الجعفي عن مجاهد عن ابن عباس في قوله [وكنتم أزواجا ثلاثة] قال هي التي في سورة الملائكة [ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات]

وقال ابن جريج عن ابن عباس هذه الازواج الثلاثة هم المذكورون في آخر السورة وفي سورة الملائكة ، وقال يزيد الرقاشي سألت ابن عباس عن قوله [وكنتم أزواجا ثلاثة] قال أصنافا ثلاثة وقال مجاهد [وكنتم أزواجا ثلاثة] يعني فرقا ثلاثة

وقال ميمون بن مهران أفواجا ثلاثة ، وقال عبيدالله العتكي عن عثمان بن سراقة ابن خالة عمر بن الخطاب [وكنتم أزواجا ثلاثة] اثنان في الجنة وواحد في النار

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن الصباح حدثنا الوليد بن أبي ثور عن سماك عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ (واذا النفوس زوجت) قال الضرباء كل رجل من كل قوم كانوا يعملون عمله وذلك بأن الله تعالى يقول (وكنتم أزواجا ثلاثة * فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون) قال هم الضرباء

يرى في شعاع الشمس إذا دخل الكوة وهو الهباء ﴿ وكنتم أزواجا ﴾ أصنافا ﴿ ثلاثة ﴾ ثم فسرها فقال ﴿ فأصحاب الميمنة ﴾ هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة

وقال ابن عباس هم الذين كانوا على يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه وقال الله لهم هؤلاء في الجنة ولا أبالي ، وقال الضحاك هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم . وقال الحسن والربيع هم الذين كانوا ميامين مباركين على أنفسهم وكانت أعمارهم في طاعة الله وهم التابعون باحسان

ثم عجب نبيه ﷺ فقال ﴿ ما أصحاب الميمنة ﴾ وهذا كما يقال زيد مازيد يراد زيد شديد ﴿ وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ﴾ يعني أصحاب الشمال، والعرب تسمي اليد اليسرى الشؤمى ومنه

وقال الامام احمد حدثنا محمد بن عبدالله بن المثنى حدثنا البراء الغنوي حدثنا الحسن عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين - وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) فقبض بيده قبضتين فقال «هذه للجنة ولا أبالي وهذه للنار ولا أبالي»

وقال الامام أحمد أيضاً حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا خالد بن أبي عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال «أتدرون من السابقون إلى ظل الله يوم القيامة؟ - قالوا الله ورسوله أعلم قال - الذين اذا أعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لانفسهم»

وقال محمد بن كعب وأبو حرزة يعقوب بن مجاهد (والسابقون السابقون) هم الانبياء عليهم السلام وقال السدي هم أهل عليين، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس (والسابقون السابقون) قال يوشع بن نون سبق إلى موسى ومؤمن آل يس سبق إلى عيسى وعلي بن أبي طالب سبق إلى محمد رسول الله ﷺ رواه ابن أبي حاتم عن محمد بن هارون الفلاس عن عبدالله بن اسماعيل المدائني البزار عن سفيان بن الضحاك المدائني عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح به

وقال ابن حاتم وذكر عن محمد بن أبي حماد حدثنا مهران عن خارجة عن قرة عن ابن سيرين (والسابقون السابقون) الذين صلوا إلى القبلتين

ورواه ابن جرير من حديث خارجة به وقال الحسن وقتادة [والسابقون السابقون] أي من كل

تسمى الشأم واليمن لان اليمن عن يمين الكعبة والشأم عن شمالها . وهم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار . وقال ابن عباس هم الذين كانوا على شمال آدم عند إخراج الذرية وقال الله لهم هؤلاء في النار ولا أبالي، وقال الضحاك هم الذين يؤتون كتبهم بشمالهم

وقال الحسن هم المشائيم على أنفسهم وكانت أعمارهم في المعاصي ﴿والسابقون السابقون﴾ قال ابن عباس : السابقون إلى الهجرة هم السابقون في الآخرة وقال عكرمة : السابقون إلى الاسلام قال ابن سيرين هم الذين صلوا إلى القبلتين دليله قوله (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) قال الربيع بن أنس السابقون إلى إجابة الرسول ﷺ في الدنيا هم السابقون إلى الجنة في العقبى وقال مقاتل إلى إجابة الانبياء صلوات الله عليهم بالايمان

وقال علي بن طالب رضي الله تعالى عنه : إلى الصلوات الخمس وقال الضحاك إلى الجهاد وقال سعيد بن جبير هم المسارعون إلى التوبة والى أعمال البر قال الله تعالى (سابقوا إلى مغفرة من ربكم) ثم أثنى عليهم فقال (أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) قال ابن كيسان والسابقون الى كل مادعا الله اليه ؛ وروي عن كعب قال هم أهل القرآن المتوجون يوم القيامة وقيل هم أولهم رواحا الى المسجد وأولهم خروجاً في سبيل الله وقال القرظي الى كل خير

أمة ، وقال الاوزاعي عن عثمان بن أبي سودة أنه قرأ هذه الآية (والسابقون السابقون أولئك المقربون) ثم قال أولهم رواحا إلى المسجد وأولهم خروجا في سبيل الله، وهذه الاقوال كلها صحيحة فان المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا كما قال تعالى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض) وقال تعالى (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض) فمن سابق في هذه الدنيا وسبق إلى الخير كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة فان الجزاء من جنس العمل وكما تدين تدان، ولهذا قال تعالى (أولئك المقربون في جنات النعيم)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن زكريا القزاري الرازي حدثنا خارجة بن مصعب عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبدالله بن عمرو قال قالت الملائكة يارب جعلت لبني آدم الدنيا فهم يأكلون ويشربون ويتزوجون فاجعل لنا الآخرة فقال لا أفعل فراجعوا ثلاثا فقال لا أجعل من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان . ثم قرأ عبدالله (والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم) وقد روى هذا الأثر الامام عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه الرد على الجهمية ولفظه: فقال الله عز وجل لن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان

ثُلَّةٌ من الأَولين (١٣) وقليل من الآخرين (١٤) على سُرُرٍ موضونة (١٥) متكئين عليها متقبلين (١٦) يطوف عليهم وِلدان مُخلَّدون (١٧) بأكواب وأباريق وكأس من مَعين (١٨) لا يصدَّعون عنها ولا ينزفون (١٩) وفاكهة مما يتخيرون (٢٠) ولحم طير مما يشتهون (٢١) وحورعينٌ (٢٢) كأمثال اللؤلؤ المكنون (٢٣) جزاء بما كانوا يعملون (٢٤) لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما (٢٥) إلا قيلا سلاما سلاما (٢٦)

يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء السابقين المقربين أنهم ثلة أي جماعة من الاولين وقليل من الآخرين وقد اختلفوا في المراد بقوله الاولين والآخرين فقيل المراد بالاولين الامم الماضية وبالآخرين هذه الامة هذا رواية عن مجاهد والحسن البصري رواها عنهما ابن أبي حاتم وهو اختيار ابن جرير واستأنس بقوله ﷺ «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة» ولم يحك غيره ولا عزاه إلى أحد، ومما يستأنس به لهذا القول مارواه الامام ابو محمد ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع حدثنا شريك عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال : لما نزلت [ثلة من الاولين وقليل من الآخرين]

﴿ أولئك المقربون ﴾ من الله ﴿ في جنات النعيم * ثلة من الاولين ﴾ أي من الامم الماضية من

شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ فنزلت ثلة من الاولين وثلة من الآخرين ، فقال النبي ﷺ « اني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ثلث أهل الجنة بل أنتم نصف أهل الجنة أو شطر أهل الجنة وتقاسمونهم النصف الثاني » ورواه الامام أحمد عن أسود بن عامر عن شريك عن محمد بياع الملاء عن أبيه عن أبي هريرة فذكره

(١)وقد روي من حديث جابر نحو هذا، ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق هشام بن عمارة حدثنا عبد ربه بن صالح عن عروة بن رويم عن جابر بن عبدالله عن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت اذا وقعت الواقعة ذكر فيها ثلة من الاولين وقليل من الآخرين قال عمر يارسول الله ثلة من الاولين وقليل منا؟ قال فامسك آخر السورة سنة ثم نزل [ثلة من الاولين وثلة من الآخرين] فقال رسول الله ﷺ « ياعمر تعال فاسمع ما قد أنزل الله ثلة من الاولين وثلة من الآخرين ألا وان من آدم الي ثلة وأمتي ثلة ولن نستكمل ثلثنا حتى نستعين بالسودان من رعاة الابل ممن شهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له » هكذا أورده في ترجمة عروة بن رويم اسناداً ومتناً ولكن في اسناده نظر ، وقد وردت طرق كثيرة متعددة بقوله ﷺ « اني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة » الحديث بتمامه وهو مفرد في صفة الجنة ولله الحمد والمنة ، وهذا الذي اختاره ابن جرير ههنا فيه نظر بل هو قول ضعيف لان هذه الامة هي خير الامم بنص القرآن فيبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها اللهم الا أن يقابل مجموع الامم بهذه الامة ، والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الامم والله أعلم، فالقول الثاني في هذا المقام هو الراجح وهو أن يكون المراد بقوله تعالى (ثلة من الاولين) أي من صدر هذه الامة (وقليل من الآخرين) أي من هذه الامة

١) هذا إلى قوله الآتي ـ وقد وردت طرق ـ غير موجودة بالنسخة المكية

قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا عفان حدثنا عبدالله بن أبي بكر المزني سمعت الحسن أتى على هذه الآية (والسابقون السابقون * أولئك المقربون) فقال أما السابقون فقد مضوا ولكن اللهم اجعلنا من أصحاب اليمين

ثم قال حدثنا أبي حدثنا أبو الوليد حدثنا السري بن يحيى قال قرأ الحسن (والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم * ثلة من الاولين) قال ثلة ممن مضى من هذه الامة ، وحدثنا أبي حدثنا عبد العزيز بن المغيرة المنقري حدثنا أبو هلال عن محمد بن سيرين أنه قال في هذه الآية (ثلة من الاولين * وقليل من الآخرين) قال كانوا يقولون أو يرجون أن يكونوا كلهم من هذه الامة فهذا قول الحسن وابن سيرين أن الجميع من هذه الامة ، ولا شك أن أول كل أمة خير من آخرها فيحتمل أن تعم الآية جميع الامم كل أمة بحسبها ولهذا ثبت في الصحاح وغيرها من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » الحديث بتمامه

لدن آدم عليه السلام إلى زمان نبينا ﷺ والثلة الجماعة غير محصورة العدد ﴿ وقليل من الآخرين ﴾

فأما الحديث الذى رواه الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا زياد أبو عمر عن الحسن عن عمار ابن ياسر قال قال رسول الله ﷺ « مثل أمتي مثل المطر لايدرى أوله خير أم آخره » فهذا الحديث بعد الحكم بصحة اسناده محمول على أن الدين كما هو محتاج الى أول الامة في ابلاغه الى من بعدهم كذلك هو محتاج الى القائمين به في أواخرها وتثبيت الناس على السنة وروايتها واظهارها والفضل للمتقدم، وكذلك الزرع هو محتاج الى المطر الاول والى المطر الثاني ولكن العمدة الكبرى على الاول واحتياج الزرع اليه آكد فانه لولاه مانبت في الارض ولا تعلق أساسه فيها ولهذا قال عليه السلام « لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم الى قيام الساعة » وفي لفظ « حتى يأتي أمر الله تعالى وهم كذلك » والغرض أن هذه الامة أشرف من سائر الامم والمقربون فيها أكثر من غيرها وأعلى منزلة لشرف دينها وعظم نبيها ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ أنه أخبر أن في هذه الامة سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب وفي لفظ « مع كل ألف سبعون ألفا - وفي آخر - مع كل واحد سبعون ألفا »

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا هشام بن يزيد الطبراني حدثنا محمد هو ابن اسماعيل ابن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم يعني ابن زرعة عن شريح هو ابن عبيد عن أبي مالك قال قال رسول الله ﷺ « أما والذي نفسي بيده ليبعثن منكم يوم القيامة مثل الليل الاسود زمرة جميعها يحيطون الارض تقول الملائكة لما جاء مع محمد ﷺ أكثر مما جاء مع الانبياء عليهم السلام » وحسن أن يذكر ههنا عند قوله تعالى (ثلة من الاولين وقليل من الآخرين) الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة حيث قال أخبرنا أبو نصر بن قتادة أخبرنا أبو عمرو بن مطر أخبرنا جعفر بن محمد بن المستفاض الفريابي حدثني أبو وهب الوليد بن عبد الملك بن عبد الله بن مسرح الحراني حدثنا سليمان بن عطاء القرشي الحراني عن مسلم بن عبد الله الجهني عن عمه أبي مشجعة ابن ربعي عن أبي زمل الجهني رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ اذا صلى الصبح يقول وهو ثان رجليه « سبحان الله وبحمده استغفر الله إن الله كان توابا » سبعين مرة ثم يقول « سبعين بسبعمائة لاخير لمن كانت ذنوبه في يوم واحد أكثر من سبعمائة » ثم يقول ذلك مرتين ثم يستقبل الناس بوجهه وكان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا ثم يقول « هل رأى أحد منكم شيئا ؟ » قال أبو زمل فقلت أنا يارسول الله فقال « خير تلقاه، وشر توقاه، وخير لنا، وشر على أعدائنا، والحمد لله رب العالمين اقصص رؤياك » فقلت رأيت جميع الناس على طريق رحب سهل لاحب والناس على الجادة منطلقين فبيناهم كذلك اذا أشفى ذلك الطريق على مرج لم تر عيني مثله يرف رفيفا يقطر ماؤه فيه من أنواع الكلأ قال وكانوا بالرعلة الاولى حين أشفوا على المرج كبروا ثم أكبوا رواحلهم في الطريق فلم يظلموه يمينا ولا شمالا قال فكأني أنظر اليهم منطلقين، ثم جاءت الرعلة الثانية وهم أكثر منهم أضعافا فلما أشفوا على

يعني من هذه الامة، قال الزجاج: الذين عاينوا جميع النبيين من لدن آدم عليه السلام وصدقوهم

المرج كبروا ثم أكبوا رواحلهم في الطريق فمنهم المرتع ومنهم الآخذ الضغث ومضوا على ذلك قال ثم قدم عظم الناس فلما أشفوا على المرج كبروا وقالوا هذا خير المنزل كأني أنظر اليهم يميلون يمينا وشمالا، فلما رأيت ذلك لزمت الطريق حتى آتي أقصى المرج، فاذا أنا بك يارسول الله على منبر فيه سبع درجات وأنت في أعلاها درجة، واذا عن يمينك رجل آدم شثل أقنى اذا هو تكلم يسمو فيقرع الرجال طولا ، واذا عن يسارك رجل ربعة باز كثير خيلان الوجه كأنما حمم شعره بالماء اذا هو تكلم أصغيتم اكراما له، واذا أمام ذلك رجل شيخ أشبه الناس بك خلقا ووجها كلكم تأمونه تريدونه ، واذا امام ذلك ناقة عجفاء شارف، واذا أنت يارسول الله كأنك تبعثها قال فامتقع لون رسول الله ﷺ ساعة ثم سري عنه ، وقال رسول الله ﷺ « أما ما رأيت من الطريق السهل الرحب اللاحب فذاك ما حملتكم عليه من الهدى وأنتم عليه ، وأما المرج الذي رأيت فالدنيا وغدارة عيشها مضيت أنا وأصحابي لم نتعلق منها بشيء ولم تتعلق منا ولم نردها ولم تردنا ، ثم جاءت الرعلة الثانية من بعدنا وهم أكثر منا أضعافا فمنهم المرتع ومنهم الآخذ الضغث ونجوا على ذلك ، ثم جاء عظم الناس فمالوا في المرج يمينا وشمالا فانا لله وإنا اليه راجعون، وأما أنت فمضيت على طريقة صالحة فلن تزال عليها حتى تلقاني، وأما المنبر الذي رأيت فيه سبع درجات وأنا في أعلاها درجة فالدنيا سبعة آلاف سنة أنا في آخرها ألفا وأما الرجل الذي رأيت على يميني الآدم الشثل فذلك موسى عليه السلام اذا تكلم يعلو الرجال بفضل كلام الله إياه ، والذي رأيت عن يساري الباز الربعة الكثير خيلان الوجه كأنما حمم شعره بالماء فذاك عيسى بن مريم نكرمه لاكرام الله إياه ، وأما الشيخ الذي رأيت أشبه الناس بي خلقا ووجها فذاك أبونا ابراهيم كلنا نؤمه ونقتدي به ، وأما الناقة التي رأيت ورأيتني أبعثها فهي الساعة علينا تقوم لانبي بعدي ولا أمة بعد أمتي » قال فما سأل رسول الله ﷺ عن رؤيا بعد هذا إلا أن يجيء الرجل فيحدثه بها متبرعا

وقوله تعالى (على سرر موضونة) قال ابن عباس أي مرمولة بالذهب يعني منسوجة به وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وزيد بن أسلم وقتادة والضحاك وغيره، وقال السدي مرمولة بالذهب واللؤلؤ وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت ، وقال ابن جرير ومنه يسمى وضين الناقة الذي تحت بطنها وهو فعيل بمعنى مفعول لانه مضفور وكذلك السرر في الجنة مضفورة بالذهب واللآلي،

وقوله تعالى (متكئين عليها متقابلين) أي وجوه بعضهم الى بعض ليس أحد وراء أحد (يطوف عليهم ولدان مخلدون) أي مخلدون على صفة واحدة لا يكبرون عنها ولا يشيبون ولا يتغيرون

أكثر ممن عاين النبي ﷺ ﴿ على سرر موضونة ﴾ منسوجة كما توضن حلق الدرع فيدخل بعضها في بعض قال المفسرون : هي موصولة منسوجة بالذهب والجواهر . وقال الضحاك موضونة مصفوفة ﴿ متكئين عليها متقابلين ﴾ لاينظر بعضهم في قفا بعض ﴿ يطوف عليهم ﴾ للخدمة ﴿ ولدان ﴾ غلمان

(بأكواب وأباريق وكأس من معين) أما الأكواب فهي الكيزان التي لا خراطيم لها ولا آذان ، والاباريق التي جمعت الوصفين والكؤس المناسبات والجميع من خمر من عين جارية معين ليس من أوعية تنقطع وتفرغ بل من عيون سارحة

وقوله تعالى (لا يصدعون عنها ولا ينزفون) أي لاتصدع رءوسهم ولا تنزف عقولهم بل هي ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة ، وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال في الخمر أربع خصال السكر ، والصداع ، والقيء ، والبول ، فذكر الله تعالى خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال ، وقال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطية وقتادة والسدي (لا يصدعون عنها) يقول ليس لهم فيها صداع رأس وقالوا في قوله (ولا ينزفون) أي لاتذهب بعقولهم

وقوله تعالى (وفاكهة مما يتخيرون * ولحم طير مما يشتهون) أي ويطوفون عليهم بما يتخيرون من الثمار وهذه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخيير لها

ويدل على ذلك حديث عكراش بن ذؤيب الذي رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي رحمه الله في مسنده حدثنا العباس بن الوليد النرسي حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي سوية حدثنا عبيدالله ابن عكراش عن أبيه عكراش بن ذؤيب قال : بعثني مرة في صدقات أموالهم إلى رسول الله ﷺ فقدمت المدينة فاذا هو جالس بين المهاجرين والانصار وقدمت عليه بابل كأنها عروق الارطى قال « من الرجل ؟ » قلت عكراش بن ذؤيب ، قال « ارفع في النسب » فانتسبت له إلى مرة بن عبيد وهذه صدقة مرة بن عبيد فتبسم رسول الله ﷺ وقال « هذه ابل قومي هذه صدقات قومي ثم أمر بها أن توسم بميسم ابل الصدقة وتضم اليها ثم أخذ بيدي فانطلقنا إلى منزل أم سلمة فقال « هل من طعام ؟ » فأتينا بجفنة كالقصعة كثيرة الثريد والوذر فجعل يأكل منها فأقبلت أخبط بيدي في جوانبها

﴿ مخلدون ﴾ لايموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون

وقال الفراء : تقول العرب لمن كبر ولم شمط انه مخلد قال ابن كيسان يعني ولدانا لا يحولون من حالة إلى حالة قال سعيد بن جبير مقرطون يقال خلد جاريته اذا حلاها بالخلد وهو القرط . قال الحسن هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها لان الجنة لاولادة فيها فهم خدم أهل الجنة ﴿ بأكواب وأباريق ﴾ فالاكواب جمع كوب وهي الاقداح المستديرة الافواه لاآذان لها ولا عرى . والاباريق جمع ابريق وهي ذوات الخراطيم سميت أباريق لبريق لونها من الصفاء ﴿ وكأس من معين ﴾ خمر جارية ﴿ لايصدعون عنها ﴾ لا تصدع رءوسهم من شربها ﴿ ولا ينزفون ﴾ أي لا يسكرون . هذا اذا قرىء بفتح الزاي ، ومن كسر هافمعناه لا ينفد شرابهم ﴿ وفاكهة مما يتخيرون ﴾ يختارون ما يشتهون . يقال تخيرت الشيء اذا أخذت خيره ﴿ ولحم طير مما يشتهون ﴾ قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيصير ممثلا بين يديه على ما اشتهى ويقال انه يقع

فقبض رسول الله ﷺ بيدي اليسرى على يدي اليمنى فقال ياعكراش « كل من موضع واحد فانه طعام واحد » ثم أتينا بطبق فيه تمر أورطب شك عبيدالله رطبا كان أو تمراً فجعلت آكل من بين يدي وجالت يد رسول الله ﷺ في الطبق وقال ياعكراش « كل من حيث شئت فانه غير لون واحد » ثم أتينا بماء فغسل رسول الله ﷺ يده ومسح ببلل كفيه وجهه وذراعيه ورأسه ثلاثا ثم قال « ياعكراش هذا الوضوء مما غيرت النار » وهكذا رواه الترمذي مطولا وابن ماجه جميعا عن محمد بن بشار عن أبي الهذيل العلاء بن الفضل به وقال الترمذي غريب لانعرفه إلا من حديثه

وقال الامام أحمد حدثنا بهز بن أسد وعفان ، وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا شيبان قالوا حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا ثابت قال : قال أنس كان رسول الله ﷺ تعجبه الرؤيا فربما رأى الرجل الرؤيا فسأل عنه اذا لم يكن يعرفه فاذا أثنى عليه معروف كان أعجب لرؤياه اليه فأتته امرأة فقالت يارسول الله رأيت كأني أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة فسمعت وجبة انتحبت لها الجنة فنظرت فاذا فلان بن فلان وفلان بن فلان فسمت اثني عشر رجلا كان النبي ﷺ قد بعث سرية قبل ذلك فجيء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم فقيل اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ أو البيذج قال فغمسوا فيه فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر فأتوا بصحفة من ذهب فيها بسر فأكلوا من بسره ماشاؤا فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ماأرادوا وأكلت معهم فجاء البشير من تلك السرية فقال ماكان من رؤيا كذا و كذا فأصيب فلان وفلان حتى عد اثنى عشر رجلا فدعا رسول الله ﷺ المرأة فقال « قصي رؤياك » فقصتها وجعلت تقول فجيء بفلان وفلان كما قال . هذا لفظ أبي يعلى قال الحافظ الضياء وهذا على شرط مسلم

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا معاذ بن المثنى حدثنا علي بن المديني حدثنا ريحان بن سعيد عن عباد بن منصور عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ « ان الرجل اذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى »

وقوله تعالى (ولحم طير مما يشتهون) قال الامام أحمد حدثنا سيار بن حاتم حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي حدثنا ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « إن طير الجنة كأمثال البخت يرعى في شجر الجنة » فقال أبو بكر يارسول الله إن هذه لطير ناعمة فقال « آكلها أنعم منها ــ قالها ثلاثا ــ وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها » انفرد به أحمد من هذا الوجه

على صحفة الرجل فيأكل منه مايشتهي ثم يطير فيذهب ﴿ وحور عين ﴾ قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي بكسر الراء والنون أي وبحور عين أتبعه قوله بأكواب وأباريق وفاكهة ولحم طير في الاعراب وان اختلفا في المعني لان الحور لايطاف بهن كقول الشاعر

اذا ما الغانيات برزن يوما وزججن الحواجب والعيونا

وروى الحافظ أبو عبد الله المقدسي في كتابه صفة الجنة من حديث اسماعيل بن علي الحطمي عن أحمد بن علي الحيوطي عن عبد الجبار بن عاصم عن عبد الله بن زياد عن زرعة عن نافع عن ابن عمر قال : ذكرت عند النبي ﷺ طوبى فقال رسول الله ﷺ « يا أبا بكر هل بلغك ماطوبى ؟ » قال الله ورسوله أعلم ، قال « طوبى شجرة في الجنة مايعلم طولها إلا الله يسير الراكب تحت غصن من أغصانها سبعين خريفا ورقها الحلل يقع عليها الطير كأمثال البخت » فقال أبو بكر يارسول الله إن هناك لطيراً ناعما قال « أنعم منه من يأكله وأنت منهم إن شاء الله تعالى » وقال قتادة في قوله تعالى (ولحم طير مما يشتهون) وذكر لنا أن أبا بكر قال يارسول الله اني أرى طيرها ناعمة كأهلها ناعمون ، قال « من يأكلها والله يا أبا بكر أنعم منها وانها لأمثال البخت واني لأحتسب على الله أن تأكل منها يا أبا بكر »

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا حدثني مجاهد بن موسى حدثنا معن بن عيسى حدثني ابن أخي ابن شهاب عن أبيه عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ سئل عن الكوثر فقال « نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها يعني كأعناق الجزر » فقال عمر انها لناعمة ، قال رسول الله ﷺ « آكلها أنعم منها » وكذا رواه الترمذي عن عبيد بن حميد عن القعنبي عن محمد بن عبد الله بن مسلم بن شهاب عن أبيه عن أنس وقال حسن

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا على بن محمد الطنافسي حدثنا أبو معاوية عن عبد الله بن الوليد الوصافي عن عطية العوفي عن ابي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة لطيراً فيه سبعون ألف ريشة فيقع على صحفة الرجل من أهل الجنة فينتفض فيخرج من كل ريشة يعني لونا أبيض من اللبن وألين من الزبد وأعذب من الشهد ليس منها لون يشبه صاحبه ثم يطير » هذا حديث غريب جداً والوصافي وشيخه ضعيفان

ثم قال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا عبدالله بن صالح كاتب الليث حدثني الليث حدثنا خالد ابن يزيد عن سعيد بن ابي هلال عن ابى حازم عن عطاء عن كعب قال : إن طائر الجنة أمثال البخت يأكل من ثمرات الجنة ويشرب من أنهار الجنة فيصطففن له فاذا اشتهى منها شيئا أتاه حتى يقع بين يديه فيأكل من خارجه وداخله ثم يطير لم ينقص منه شيء . صحيح إلى كعب وقال الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الاعرج عن عبدالله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال : قال لي رسول الله ﷺ « انك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا »

وقوله تعالى (وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون) قرأ بعضهم بالرفع وتقديره ولهم فيها حور عين

والعين لاتزجج وانما تكحل ومثله كثير ، وقيل معناه ويكرمون بفاكهة ولحم طير وحور عين ، وقرأ الباقون بالرفع أي ويطوف عليهم حور عين ، وقال الاخفش رفع على معنى لهم حور عين وجاء في تفسيره حور عين بيض ضخام العيون ﴿ كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾ المخزون في الصدف لم تمسه الايدي

وقراءة الجر تحتمل معنيين أحدهما أن يكون الاعراب على الاتباع بما قبله كقوله [يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين * لا يصدعون عنها ولا ينزفون * وفاكهة مما يتخيرون * ولحم طير مما يشتهون * وحور عين) كما قال تعالى [وامسحوا برءوسكم وأرجلكم] وكما قال تعالى (عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق) والاحتمال الثاني أن يكون مما يطوف به الولدان المخلدون عليهم الحور العين ولكن يكون ذلك في القصور لا بين بعضهم بعضاً بل في الخيام يطوف عليهم الخدام بالحو العين والله أعلم

وقوله تعالى (كامثال اللؤلؤ المكنون) أي كأنهن اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه كما تقدم في سورة الصافات (كأنهن بيض مكنون) وقد تقدم في سورة الرحمن وصفهن أيضا ولهذا قال (جزاء بما كانوا يعملون) أي هذا الذي أتحفناهم به مجازاة لهم على ما أحسنوا من العمل

ثم قال تعالى (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما) أي لا يسمعون في الجنة كلاما لاغياً أي عبثاً خالياً عن المعنى أو مشتملا على معنى حقير أو ضعيف كما قال (لا تسمع فيها لاغية) أي كلمة لاغية (ولا تأثيما) أي ولا كلاما فيه قبح (إلا قيلا سلاما سلاما) أي إلا التسليم منهم بعضهم على بعض كما قال تعالى (تحيتهم فيها سلام) وكلامهم أيضاً سالم من اللغو والاثم

وأَصحٰبُ اليمين ما أَصحٰبُ اليمين (٢٧) في سدر مخضود (٢٨) وطَلْح منضود (٢٩) وظلٍّ ممدود (٣٠) وماء مسكوب (٣١) وفٰكهة كثيرة (٣٢) لا مقطوعة ولا ممنوعة (٣٣) وفُرش مرفوعة (٣٤) إنا أنشأنٰهن إنشاء (٣٥) فجعلنٰهن أبكارا (٣٦) عُرُبا أترابا (٣٧) لأَصحٰب اليمين (٣٨) ثلة من الأَولين (٣٩) وثلة من الآخرين (٤٠)

لما ذكر تعالى مآل السابقين وهم المقربون عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين وهم الابرار كما قال ميمون بن مهران أصحاب اليمين منزلتهم دون المقربين فقال (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) أي شيء أصحاب اليمين وما حالهم وكيف مآلهم

ويروى انه يسطع نور في الجنة قالوا وما هذا ؟ قالوا ضوء ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها، ويروى أن الحوراء إذا مشت ليسمع تقديس الخلاخيل من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت ليضحك من نحرها ، وفي رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ يصران بالتسبيح ﴿ جزاء بما كانوا يعملون * لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما * الا قيلا ﴾ أي قولا ﴿ سلاما سلاما ﴾ نصبهما اتباعا لقوله قيلا أي يسمعون قيلا سلاما سلاما قال عطاء يحيي بعضهم بعضا بالسلام. ثم ذكر أصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال جل ذكره ﴿ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين * في سدر

ثم فسر ذلك فقال تعالى (في سدر مخضود) قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وأبو الاحوص وقسامة بن زهير والسفر بن قيس والحسن وقتادة وعبد الله بن كثير والسدي وأبو حرزة وغيرهم هو الذي لاشوك فيه وعن ابن عباس هو الموقر بالثمر وهو رواية عن عكرمة ومجاهد وكذا قال قتادة أيضاً كنا نحدث أنه الموقر الذي لاشوك فيه ، والظاهر أن المراد هذا وهذا فان سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر وفي الآخرة على العكس من هذا لاشوك فيه وفيه الثمر الكثير الذي قد أثقل أصله كما قال الحافظ أبو بكر أحمد بن سلمان النجاد حدثنا عبد الله بن محمد هو البغوي حدثني حمزة بن العباس حدثنا عبد الله بن عثمان حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر قال كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : إن الله لينفعنا بالاعراب ومسائلهم قال أقبل اعرابي يوما فقال يارسول الله ذكر الله في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله ﷺ « وما هي ؟ » قال السدر فان له شوكا مؤذيا فقال رسول الله ﷺ « أليس الله تعالى يقول (في سدر مخضود) خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فانها لتنبت ثمراً تفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام مافيها لون يشبه الآخر »

﴿ طريق آخر ﴾ قال أبو بكر ابن أبي داود حدثنا محمد بن المصفى حدثنا محمد بن المبارك حدثني يحيى بن حمزة حدثني ثور بن يزيد حدثني حبيب بن عبيد عن عتبة بن عبد السلمي قال كنت جالساً مع رسول الله ﷺ فجاء اعرابي فقال يارسول الله أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجراً أكثر شوكا منها يعني الطلح فقال رسول الله ﷺ « إن الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود فيها سبعون لونا من الطعام لايشبه لون آخر »

وقوله (وطلح منضود) الطلح شجر عظام يكون بأرض الحجاز من شجر العضاه واحدته طلحة وهو شجر كثير الشوك وأنشد ابن جرير لبعض الحداة

بشرها دليلها وقالا غداً ترين الطلح والجبالا

مخضود ﴾ لاشوك فيه كأنه خضد شوكه أي قطع ونزع منه هذا قول ابن عباس وعكرمة ، وقال الحسن لا يعقر الايدي قال ابن كيسان هو الذي لا أذى فيه قال وليس شيء من ثمر الجنة في غلف كما يكون في الدنيا من الباقلا وغيره بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه ، قال الضحاك ومجاهد هو الموقر حملا قال سعيد بن جبير ثمارها أعظم من القلال ، قال ابو العالية والضحاك ونظر المسلمون الى وج وهو واد مخصب بالطائف فأعجبهم سدرها وقالوا ياليت لنا مثل هذا فأنزل الله هذه الآية ﴿ وطلح ﴾ أي موز واحدتها طلحة عن أكثر المفسرين ، وقال الحسن ليس هو بالموز ولكنه شجر له ظل بارد طيب قال الفراء وابو عبيدة الطلح عند العرب شجر عظام لها شوك

وروى مجاهد عن الحسن بن سعيد قال قرأ رجل عند علي رضي الله عنه (وطلح) ﴿ منضود ﴾

وقال مجاهد (منضود) أي متراكم الثمر يذكر بذلك قريشاً لانهم كانوا يعجبون من وج وظلاله من طلح وسدر وقال السدي منضود مصفود قال ابن عباس يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل، قال الجوهري والطلح لغة في الطلع، قلت وقد روى ابن أبي حاتم من حديث الحسن بن سعد عن شيخ من همدان قال سمعت علياً يقول هذا الحرف في طلح منضود قال طلع منضود فعلى هذا يكون من صفة السدر فكأنه وصفه بأنه مخضود وهو الذي لا شوك له وان طلعه منضود وهو كثرة ثمره والله أعلم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو معاوية عن ادريس عن جعفر بن اياس عن أبي نضرة عن أبي سعيد وطلح منضود قال الموز قال وروي عن ابن عباس وأبي هريرة والحسن وعكرمة وقسامة بن زهير وقتادة وأبي حرزة مثل ذلك وبه قال مجاهد وابن زيد وزاد فقال أهل اليمن يسمون الموز الطلح ولم يحك ابن جرير غير هذا القول

وقوله تعالى (وظل ممدود) قال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرءوا ان شئتم (وظل ممدود)» ورواه مسلم من حديث الاعرج به

وقال الامام أحمد حدثنا شريح حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام اقرءوا ان شئتم (وظل ممدود)» وكذا رواه مسلم من حديث الاعرج به وكذا رواه البخاري عن محمد بن سفيان عن فليح به، وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة وكذا رواه حماد ابن سلمة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة والليث بن سعد عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة وعوف عن ابن سيرين عن أبي هريرة به

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا حدثنا شعبة سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين أو مائة سنة هي شجرة الخلد» وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا زيد بن هارون عن محمد بن عمرو بن أبي سلمة عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال «في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها واقرءوا ان شئتم (وظل ممدود)» اسناد جيد ولم يخرجوه، وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن عبدة وعبد الرحيم والبخاري كلهم عن محمد بن عمرو به وقد رواه الترمذي من حديث عبد الرحيم بن سليمان به

فقال وما شأن الطلح؟ انما هو وطلع منضود ثم قرأ (طلعها هضيم) قلت يا أمير المؤمنين انها في المصحف بالحاء أفلا نحولها؟ فقال ان القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول والمنضود المتراكم الذي قد نض بالحمل من أوله إلى آخره ليست له سوق بارزة قال مسروق أشجار الجنة من عروقها الى أفنانها ثمر كله (وظل

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران حدثنا اسماعيل بن أبي خالد عن زياد مولى بني مخزوم عن أبي هريرة قال : ان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام اقرءوا ان شئتم (وظل ممدود) فبلغ ذلك كعبا فقال صدق والذي أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمد لو أن رجلا ركب حقة أو جذعة ثم دار بأعلى تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرما ان الله تعالى غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وإن أفنانها لمن وراء ستور وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا محمد بن منهال الضرير حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ في قول الله تعالى (وظل ممدود) قال « في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها » وكذا رواه البخاري عن روح بن عبد المؤمن عن يزيد بن زريع، وهكذا رواه أبو داود الطيالسي عن عمران بن داود القطان عن قتادة به وكذا رواه معمر وأبو هلال عن قتادة به

وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد وسهل بن سعد عن رسول الله ﷺ قال « ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها » فهذا حديث ثابت عن رسول الله ﷺ بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث النقاد لتعدد طرقه وقوة أسانيده وثقة رجاله،

وقد قال الامام أبو جعفر ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر حدثنا أبو حصين قال : كنا على باب في موضع ومعنا أبو صالح وشقيق يعني الضبي فحدث أبو صالح قال حدثني أبو هريرة قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما، قال أبو صالح اتكذب أبا هريرة قال ما أكذب أبا هريرة ولكني أكذبك أنت فشق ذلك على القراء يومئذ . قلت فقد أبطل من يكذب بهذا الحديث مع ثبوته وصحته ورفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال الترمذي حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا زياد بن الحسن بن الفرات القزاز عن أبيه عن جده عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ما في الجنة شجرة الا ساقها ذهب » ثم قال حسن غريب. وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن أبي الربيع حدثنا أبو عامر العقدي عن زمعة ابن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق ظلها قدر ما يسير الراكب في كل نواحيها مائة عام قال فيخرج اليها أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم فيتحدثون

ممدود ﴾ دائم لا تنسخه الشمس والعرب تقول للشيء الذى لا ينقطع ممدود

أخبرنا ابو علي حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادى أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا ابو الحسن احمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه قال ثنا ابو هريرة قال قال رسول الله ﷺ « في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها» وروى عكرمة عن ابن عباس في قوله (وظل ممدود) قال شجرة في الجنة على ساق العرش يخرج اليها

في ظلها ،قال فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا هذا أثر غريب وإسناده جيد قوي حسن

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا ابن يمان حدثنا سفيان حدثنا أبو اسحاق عن عمرو بن ميمون في قوله تعالى [وظل ممدود] قال سبعون ألف سنة، ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن أبي اسحاق عن عمرو بن ميمون وظل ممدود قال خمسمائة الف سنة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الوليد الطيالسي حدثنا حصين بن نافع عن الحسن في قول الله تعالى [وظل ممدود] قال في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها وقال عوف عن الحسن بلغني ان رسول الله ﷺ قال «ان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها » رواه ابن جرير وقال شبيب عن عكرمة عن ابن عباس في الجنة شجر لا يحمل يستظل به رواه ابن أبي حاتم، وقال الضحاك والسدي وأبو حرزة في قوله تعالى (وظل ممدود) لا ينقطع ليس فيها شمس ولا حر مثل قبل طلوع الفجر ،وقال ابن مسعود الجنة سجسج كما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس وقد تقدمت الآيات كقوله [وندخلهم ظلا ظليلا] وقوله [أكلها دائم وظلها] وقوله [في ظلال وعيون] الى غير ذلك من الآيات

وقوله تعالى (وماء مسكوب) قال الثوري يجري في غير أخدود وقد تقدم الكلام عند تفسير قوله تعالى [فيها أنهار من ماء غير آسن] الآية بما أغنى عن إعادته ههنا

وقوله تعالى (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) أي وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الالوان مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما قال تعالى (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها) أي يشبه الشكل الشكل ولكن الطعم غير الطعم ، وفي الصحيحين في ذكر سدرة المنتهى فاذا ورقها كاذان الفيلة ونبقها مثل قلال هجر، وفيهما أيضا من حديث مالك عن زيد عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال خسفت الشمس فصلى رسول الله ﷺ والناس معه فذكر الصلاة، وفيه قالوا يارسول الله رأيناك تناولت شيأ في مقامك هذا ثم رأيناك تكعكعت قال اني رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا عبيد الله حدثنا ابو عقيل

أهل الجنة فيتحدثون في أصلها ويشتهي بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عز وجل عليها ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا « وماء مسكوب » مصبوب يجري دائما في غير أخدود لا ينقطع « وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة » قال ابن عباس لا تنقطع اذا جنيت ولا تمتنع من أحد أراد أخذها وقال بعضهم لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالأثمان كما ينقطع أكثر ثمار الدنيا إذا جاء الشتاء

عن جابر قال بينا نحن في صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا معه ثم تناول شيأ ليأخذه ثم تأخر فلما قضى الصلاة قال له أبي بن كعب يا رسول الله صنعت اليوم في الصلاة شيأ ما كنت تصنعه قال « انه عرضت علي الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفا من عنب لآتيكم به فحيل بيني وبينه ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقص منه

وروى مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر نحوه

وقال الامام أحمد حدثنا علي بن بحر حدثنا هشام بن يوسف أخبرنا معمر عن أبي يحيى ابن أبي كثير عن عامر بن زيد البكالي انه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول جاء أعرابي الى رسول الله ﷺ فسأله عن الحوض وذكر الجنة ثم قال الاعرابي فيها فاكهة ؟ قال « نعم ، وفيها شجرة تدعى طوبى » قال فذكر شيأ لا أدري ما هو قال أي شجر أرضنا تشبه ؟ قال « ليست تشبه شيأ من شجر أرضك ؟ فقال النبي ﷺ « أتيت الشام ؟ » قال لا قال « تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحد وينفرش أعلاها » قال ماعظم العنقود ؟ قال « مسيرة شهر للغراب الابقع ولا يفتر » قال ما عظم أصلها ؟ قال « لو ارتحلت جذعة من ابل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرما » قال فيها عنب ؟ قال « نعم » قال فما عظم الحبة ؟ قال « هل ذبح أبوك تيسا من غنمه قط عظيما » قال نعم ، قال « فسلخ اهابه فأعطاه أمك فقال اتخذي لنا منه دلوا » ؟ قال نعم قال الاعرابي فان تلك الحبة لتشبعني وأهل بيتي ؟ قال « نعم وعامة عشيرتك »

وقوله تعالى (لا مقطوعة ولا ممنوعة) أي لا تنقطع شتاء ولا صيفا بل (أكلها دائم) مستمر أبدا مهما طلبوا وجدوا لا يمتنع عليهم بقدرة الله شيء وقال قتادة لا يمنعهم من تناولها عود ولا شوك ولا بعد وقد تقدم في الحديث « اذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها أخرى »

وقوله تعالى (وفرش مرفوعة) أي عالية وطيئة ناعمة قال النسائي وأبو عيسى الترمذي حدثنا أبو كريب حدثنا رشدين بن سعد عن عمر بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قوله تعالى [وفرش مرفوعة] قال ارتفاعها كما بين السماء والارض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث رشدين بن سعد قال وقال بعض أهل العلم معنى هذا الحديث ارتفاع الفرش في الدرجات وبعد ما بين الدرجتين

ولا يتوصل اليها إلا بالثمن ، وقال القتيبي يعنى لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا

وجاء في الحديث ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة إلا أبدل الله مكانها ضعفين ﴿ وفرش مرفوعة ﴾ قال علي رضي الله عنه (وفرش مرفوعة) على الاسرة ، وقال جماعة من المفسرين بعضها فوق بعض فهي مرفوعة عالية

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن حبيش ثنا أبو عبد الرحمن

كما بين السماء والارض هكذا قال انه لا يعرف هذا الا من رواية رشدين بن سعد وهو المصري وهو ضعيف هكذا رواه أبو جعفر ابن جرير عن أبي كريب عن رشدين به

ثم رواه هو وابن أبي حاتم كلاهما عن يونس بن عبد الاعلى عن ابن وهب عن عمر بن الحارث فذكره، وكذا رواه ابن أبي حاتم أيضا عن نعيم بن حماد عن ابن وهب وأخرجه الضياء في صفة الجنة من حديث حرملة عن ابن وهب به مثله، ورواه الامام احمد عن حسن بن موسى عن ابن لهيعة حدثنا دراج فذكره

وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو معاوية عن جويبر عن أبي سهل يعني كثير بن زياد عن الحسن (وفرش مرفوعة) قال ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة

وقوله تعالى (إنا أنشأناهن إنشاء * فجعلناهن أبكاراً * عربا أترابا * لأصحاب اليمين) جرى الضمير على غير مذكور، لكن لما دل السياق وهو ذكر الفرش على النساء اللاتي يضاجعن فيها اكتفى بذلك عن ذكرهن وعاد الضمير عليهن كما في قوله تعالى (اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب) يعني الشمس على المشهور من قول المفسرين، وقال الاخفش في قوله تعالى (انا أنشأناهن) أضمرهن ولم يذكرن قبل ذلك

وقال ابو عبيدة ذكرن في قوله تعالى (وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون) فقوله تعالى (انا انشأناهن) أي أعدناهن في النشأة الاخرى بعد ما كن عجائز رمصا صرن أبكاراً عربا أي بعد الثيوبة عدن أبكاراً عربا متحببات الى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة، وقال بعضهم عربا أي غنجات قال موسى بن عبيدة الربذي عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ « انا أنشأناهن انشاء قال نساء عجائز كن في الدنيا عمشا رمصا » رواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم ثم قال الترمذي غريب وموسى ويزيد ضعيفان

وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا آدم يعني ابن أبي اياس حدثنا شيبان عن جابر عن يزيد بن مرة عن سلمة بن يزيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول في قوله تعالى (انا انشأناهن انشاء) يعني الثيب والابكار اللاتي كن في الدنيا

وقال عبد بن حميد حدثنا مصعب بن المقدام حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال أتت عجوز

النسائي ثنا ابو كريب ثنا رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى (وفرش مرفوعة) قال ان ارتفاعها لكما بين السماء والارض وان ما بين السماء والارض لمسيرة خمسمائة عام، وقيل أراد بالفرش النساء، والعرب تسمي المرأة فراشا ولباسا على الاستعارة مرفوعة رفعن بالجمال والفضل على نساء الدنيا دليل هذا التأويل قوله في عقبه ﴿ إنا أنشأناهن انشاء ﴾ خلقناهن خلقا جديداً قال ابن عباس يعني

فقالت يارسول الله ادع الله تعالى أن يدخلني الجنة فقال « يا أم فلان ان الجنة لاتدخلها عجوز » قال فولت تبكي قال أخبروها انها لاتدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول (إنا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكاراً) وهكذا رواه الترمذي في الشمائل عن عبد بن حميد

وقال ابو القاسم الطبراني حدثنا بكر بن سهل الدمياطي حدثنا عمرو بن هاشم البيروتي أخبرنا سليمان بن أبي كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت قلت يارسول الله أخبرني عن قول الله تعالى (حور عين) قال « حور بيض عين ضخام العيون شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر » قلت أخبرني عن قوله تعالى [كأمثال اللؤلؤ المكنون] قال « صفاؤهن صفاء الدر الذي في الاصداف الذي لم تمسه الايدي » قلت أخبرني عن قوله [فيهن خيرات حسان] « قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه » قلت أخبرني عن قوله [كأنهن بيض مكنون] قال « رقتهن كرقة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر وهو الغرقي، » قلت يارسول الله أخبرني عن قوله [عربا أترابا] قال « هن اللواتي قبضن في الدار الدنيا عجائز رمصاً شمطاً خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذاري عربا متعشقات محببات أترابا على ميلاد واحد » قلت يارسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين ؟ قال « بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة قلت يارسول الله وبم ذاك؟ قال « بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله عز وجل، ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير، بيض الالوان خضر الثياب صفر الحلي مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب، يقلن نحن الخالدات فلا نموت أبداً ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً، الا ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، طوبى لمن كنا له وكان لنا » قلت يارسول الله المرأة منا تتزوج زوجين والثلاثة والاربعة ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها ؟ قال « ياأم سلمة انها تخير فتختار أحسنهم خلقاً فتقول يارب ان هذا كان أحسن خلقاً معي فزوجنيه ياأم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة »

وفي حديث الصور الطويل المشهور أن رسول الله ﷺ يشفع للمؤمنين كلهم في دخول الجنة فيقول الله تعالى قد شفعتك وأذنت لهم في دخولها فكان رسول الله ﷺ يقول « والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بازواجهم ومساكنهم فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشيء الله وثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله بعبادتهما الله في الدنيا يدخل على الاولى منهما في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليه سبعون

الآدميات العجز الشمط يقول خلقناهن بعد الهرم خلقا آخر ﴿ فجعلناهن أبكاراً ﴾ عذارى

أخبرنا ابو محمد عبدالله بن عبدالصمد الجوزجاني أنا ابوالقاسم علي بن احمد الخزاعي عن الهيثم ابن كليب الشاشي أنا ابوعيسى الترمذي أنا عبيد بن حميد أنا مصعب بن المقدام أنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال أتت عجوز النبي ﷺ فقالت يارسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال « ياأم

زوجا من سندس واستبرق وانه ليضع يده بين كتفيها ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها وانه لينظر الى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت كبده لها مرآة يعني وكبدها له مرآة فبينما هو عندها لا يملها ولا تمله ولا يأتيها من مرة الا وجدها عذراء ما يفتر ذكره ولا يشتكي قبلها الا أنه لا مني ولا منية فبينما هو كذلك اذ نودي انا قد عرفنا انك لا تمل ولا تمل إلا ان لك أزواجاً غيرها فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة كلما جاء واحدة قالت والله ما في الجنة شيء أحسن منك، وما في الجنة شيء أحب إلي منك

وقال عبدالله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن ابن حجيرة عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ انه قال له أنطأ في الجنة ؟ قال « نعم : والذي نفسي بيده دحما دحما فاذا قام عنها رجعت مطهرة بكرا »

وقال الطبراني حدثنا ابراهيم بن جابر الفقيه البغدادي حدثنا محمد بن عبدالملك الدقيقي الواسطي حدثنا علي بن عبدالرحمن الواسطي حدثنا شريك عن عاصم الاحول عن أبي المتوكل عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ « ان أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكارا »

وقال ابو داود الطيالسي أخبرنا عمران عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في النساء. قلت يارسول الله ويطيق ذلك ؟ قال يعطى قوة مائة » ورواه الترمذي من حديث أبي داود وقال صحيح غريب

وروى ابو القاسم الطبراني من حديث حسين بن علي الجعفي عن زائدة عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قيل يارسول الله هل نصل إلى نسائنا في الجنة ؟ قال « إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء » قال الحافظ ابو عبدالله المقدسي هذا الحديث عندي على شرط الصحيح والله أعلم .

وقوله [عربا] قال سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني متحببات إلى أزواجهن ألم تر إلى الناقة الضبعة هي كذلك ، وقال الضحاك عن ابن عباس العرب العواشق لازواجهن وأزواجهن لهن عاشقون وكذا قال عبد الله بن سرجس ومجاهد وعكرمة وابو العالية ويحيى بن أبي كثير وعطية والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم ، وقال ثور بن يزيد عن عكرمة قال : سئل ابن عباس عن قوله عربا قال هي الملقة لزوجها وقال شعبة عن سماك عن عكرمة هي الغنجة

فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز » قال فولت تبكي قال « أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول (إنا أنشأناهن إنشاء * فجعلناهن أبكاراً) »

أخبرنا ابو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا ابو إسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أنا

وقال الاجلح بن عبدالله عن عكرمة هي الشكلة ، وقال صالح بن حبان عن عبد الله بن بريدة في قوله [عربا] قال الشكلة بلغة أهل مكة والمغنوجة بلغة أهل المدينة ، وقال تميم بن حديم هي حسن التبعل ، وقال زيد بن أسلم وابنه عبدالرحمن العرب حسنات الكلام

وقال ابن أبي حاتم ذكر عن سهل بن عثمان العسكري حدثنا أبو علي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ عربا قال « كلامهن عربي » وقوله [أترابا] قال الضحاك عن ابن عباس يعني في سن واحدة ثلاث وثلاثين سنة ، وقال مجاهد الأتراب المستويات ، وفي رواية عنه الامثال ، وقال عطية الاقران ، وقال السدي [أترابا] أي في الاخلاق المتواخيات بينهن ليس بينهن تباغض ولا تحاسد يعني لا كما كن ضرائر متعاديات

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو أسامة عن عبد الله بن الكهف عن الحسن ومحمد [عربا أترابا] قالا المستويات الاسنان يأتلفن جميعا ويلعبن جميعا ، وقد روى أبو عيسى الترمذي عن احمد بن منيع عن أبي معاوية عن عبد الرحمن بن اسحاق عن النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن أصواتا لم تسمع الخلائق بمثلها قال يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له » ثم قال هذا حديث غريب

وقال الحافظ أبو يعلى أخبرنا ابو خيثمة حدثنا اسماعيل بن عمر حدثنا ابن ابي ذئب عن فلان. عبد الله بن أبي رافع عن بعض ولد أنس بن مالك عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « إن الحور العين ليغنين في الجنة يقلن نحن خيرات حسان خبئنا لازواج كرام » قلت اسماعيل بن عمر هذا هو أبو المنذر الواسطي أحد الثقات الاثبات

وقد روى هذا الحديث الامام عبد الرحيم بن ابراهيم الملقب بدحيم عن ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن عون بن الخطاب بن عبد الله بن رافع عن ابن لأنس عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « ان الحور العين يغنين في الجنة نحن الحور الحسان خلقنا لأزواج كرام »

وقوله تعالى (لاصحاب اليمين) أي خلقن لاصحاب اليمين أو ادخرن لاصحاب اليمين أو زوجن لاصحاب اليمين والاظهر انه متعلق بقوله [انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكاراً عربا أترابا لاصحاب اليمين] فتقديره أنشأناهن لاصحاب اليمين وهذا توجيه ابن جرير

أبو محمد عبدالله بن محمد بن الخطيب أنا ابوسعيد عمرو بن محمد بن منصور أنا ابو بكر بن محمد بن سليمان بن الحارث الواسطي ببغداد أنا خلاد بن يحيى بن صفوان السلمي ثنا سفيان الثورى عن يزيد ابن أبان عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ في قوله (انا أنشأناهن انشاء) قال عجائز كن في الدنيا عمشا رمصا (فجعلناهن أبكاراً) وقال المسيب بن شريك هن عجائز الدنيا أنشأهن الله تعالى خلقا

وروي عن ابي سليمان الداراني رحمه الله قال صليت ليلة ثم جلست أدعو وكان البرد شديداً فجعلت أدعو بيد واحدة فأخذتني عيني فنمت فرأيت حوراء لم ير مثلها وهي تقول ياأباسليمان أتدعو بيد واحدة وأنا أغذى لك في النعيم منذ خمسمائة سنة ، قلت ويحتمل أن يكون قوله [لاصحاب اليمين] متعلقاً بما قبله وهو قوله [أترابا لاصحاب اليمين] أي في أسنانهم ، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب دري في السماء اضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء » وقال الامام احمد حدثنا يزيد بن هارون وعفان قالا حدثنا حماد بن سلمة

وروى الطبراني واللفظ له من حديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضا جعاداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعا في عرض سبعة أذرع »

جديداً كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً

وذكر المسيب عن غيره انهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا . وقال مقاتل وغيره هن الحور العين أنشأهن الله لم يقع عليهن ولادة (فجعلناهن أبكاراً) عذارى وليس هناك وجع ﴿ عربا ﴾ قرأ حمزة واسماعيل عن نافع وأبو بكر (عربا) ساكنة الراء والباقون بضمها وهي جمع عروب أي عواشق محببات إلى أزواجهن قاله الحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وهي رواية الوالبي عن ابن عباس وقال عنه ملقة وقال عكرمة غنجة وقال أسامة بن زيد عن أبيه عربا حسنات الكلام ﴿ أترابا ﴾ مستويات في السن على سن واحد

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن شيبة أنا يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن علي بن يزيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضا جعاداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طوله ستون ذراعا في سبعة أذرع »

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبدالله بن محمود ثنا أبو اسحاق ابراهيم بن عبدالله الخلال ثنا عبدالله بن المبارك عن رشدين بن سعد حدثني عمرو بن الحارث عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون الف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء » وبهذا الاسناد عن النبي ﷺ

وروى الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي عن عمران القطان عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبدالرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال « يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين بني ثلاث وثلاثين سنة » ثم قال حسن غريب

وقال ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاث وثلاثين في الجنة لا يزيدون عليها أبداً وكذلك أهل النار » ورواه الترمذي عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث به

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا حدثنا القاسم بن هاشم حدثنا صفوان بن صالح حدثنا رواد بن الجراح العسقلاني حدثنا الاوزاعي عن هارون بن رئاب عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعا بذراع الملك، على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وعلى لسان محمد جرد مرد مكحلين »

وقال أبو بكر ابن أبي داود حدثنا محمود بن خالد وعباس بن الوليد قالا حدثنا عمر عن الاوزاعي عن هارون بن رئاب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « يبعث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين جردا مردا مكحلين ، ثم يذهب بهم الى شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم »

وقوله تعالى (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) أي جماعة من الاولين وجماعة من الآخرين

قال « ينظر إلى وجهه في خدها أصفى من المرآة وان أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب وانه ليكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك »

وبهذا الاسناد عن النبي ﷺ قال « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها أبداً وكذلك أهل النار » وبهذا الاسناد عن النبي ﷺ قال « ان عليهم التيجان ان أدنى لؤلؤة فيها تضيء ما بين المشرق والمغرب »

أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر الحارثي أنا محمد بن يعقوب أنا عبدالله بن محمود أنا ابراهيم بن عبدالله الخلال أنا عبدالله بن المبارك عن محمد بن سليمان عن الحجاج بن عتاب العبدي عن عبدالله بن معبد الزماني عن أبي هريرة قال أدنى أهل الجنة منزلة وما منهم دني، لمن يغدو عليه ويروح عشرة آلاف خادم مع كل واحد منهم طريفة ليست مع صاحبه

قوله عز وجل ﴿ لأصحاب اليمين ﴾ يريد أنشأناهن لأصحاب اليمين ﴿ ثلة من الاولين ﴾ من المؤمنين الذين كانوا قبل هذه الامة ﴿ وثلة من الآخرين ﴾ من مؤمني هذه الامة هذا قول عطاء ومقاتل . أخبرنا ابو سعيد الشريحي انا ابو اسحاق الثعلبي أخبرني ابو الحسين بن محمد العدل ثنا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا محمد بن بكار حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين عن عبدالله بن مسعود قال وكان بعضهم يأخذ عن بعض قال أكرينا ذات ليلة عند رسول الله ﷺ ثم غدونا عليه فقال « عرضت علي الانبياء واتباعها بأممها فيمر علي النبي والنبي في العصابة، والنبي في الثلاثة ، والنبي وليس معه أحد - وتلا قتادة هذه الآية (أليس منكم رجل رشيد) قال - حتى مر علي موسى بن عمران في كتيبة من بني اسرائيل قال قلت ربي من هذا ؟ قال هذا أخوك موسى بن عمران ومن تبعه من بني اسرائيل ، قال قلت رب فأين أمتي ؟ قال انظر عن يمينك في الضراب قال فاذا وجوه الرجال قال قال أرضيت ؟ قال قلت قد رضيت رب ، قال انظر إلى الافق عن يسارك فاذا وجوه الرجال قال أرضيت ، قلت قد رضيت رب قال فان مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب » قال وأنشأ عكاشة بن محصن من بني أسد قال سعيد وكان بدريا قال يانبي

عبد الله بن عبد الرحمن الدقاق ثنا محمد بن عزير ثنا عيسى بن المساور ثنا الوليد بن مسلم ثنا عيسى ابن موسى عن عروة بن رويم قال : لما أنزل الله على رسوله (ثلة من الاولين وقليل من الآخرين) بكى عمر رضي الله عنه فقال يانبي الله آمنا برسول الله ﷺ وصدقناه ومن ينجو منا قليل فأنزل الله عز وجل (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) فدعا رسول الله ﷺ عمر فقال « قد أنزل الله عز وجل فيما قلت » فقال عمر رضي الله عنه رضينا عن ربنا وتصديق نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من آدم الينا ثلة ، ومني إلى يوم القيامه ثلة ولا يستتمها الاسودان من رعاة الابل إلا من قال لا إله إلا الله »

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا مسدد ثنا حصين بن نمير عن حصين بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يوما فقال « عرضت علي الامم فجعل يمر النبي ومعه الرجل ، والنبي ومعه الرجلان ، والنبي ومعه الرهط ، والنبي ليس معه أحد ، ورأيت سوادا كثيرا سد الافق فرجوت أن يكون أمتي فقيل هذا موسى في قومه ، ثم قيل لي انظر فرأيت سوادا كثيرا سد الافق فقيل لي انظر هكذا وهكذا فرأيت سوادا كثيرا سد الافق فقيل هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبين لهم » فتذاكر أصحاب النبي ﷺ فقالوا أما نحن فولدنا في الشرك ولكنا آمنا بالله ورسوله ولكن هؤلاء هم أبناؤنا فبلغ النبي ﷺ فقال « هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون » فقام عكاشة بن محصن فقال أمنهم أنا يارسول الله ؟ فقال « نعم » فقام آخر فقال أمنهم أنا ؟ فقال عليه الصلاة والسلام « قد سبقك بها عكاشة »

ورواه عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال « عرضت علي الانبياء الليلة بأتباعها حتى أتى علي موسى عليه السلام في كبكبة بني اسرائيل فلما رأيتهم أعجبوني فقلت أي رب من هؤلاء ؟ قيل هذا

الله ادع الله أن يجعلني منهم قال فقال « اللهم اجعله منهم » قال أنشأ رجل آخر قال يا نبي الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال « سبقك بها عكاشة » قال فقال رسول الله ﷺ « فان استطعتم فداكم أبي وأمي أن تكونوا من أصحاب السبعين فافعلوا وإلا فكونوا من أصحاب الضراب وإلا فكونوا من أصحاب الافق فاني قد رأيت ناساً كثيراً قد ناشبوا أحوالهم ثم قال - اني لارجو أن تكونوا ربع أهل الجنة » فكبرنا ثم قال « اني لارجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة » قال فكبرنا قال « اني لارجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » قال فكبرنا قال ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) قال فقلنا بيننا من هؤلاء السبعون ألفاً ؟ فقلنا هم الذين ولدوا في الاسلام ولم يشركوا قال فبلغه ذلك فقال « بل هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » وكذا رواه ابن جرير من طريقين آخرين عن قتادة به بنحوه ، وهذا الحديث له طرق كثيرة من غير هذا الوجه في الصحاح وغيرها

قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران حدثنا سفيان عن أبان بن أبي عياش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (ثلة من الاولين * وثلة من الآخرين) قال قال رسول الله ﷺ « هما جميعا من أمتي »

أخوك موسى ومن معه من بني اسرائيل قلت رب فأين أمتي ؟ قيل انظر عن يمينك فاذا ظراب مكة قد سددت بوجوه الرجال قيل هؤلاء أمتك أرضيت ؟ قلت رب رضيت رب رضيت قيل انظر عن يسارك فاذا الافق قد سد بوجوه الرجال قيل هؤلاء أمتك أرضيت ؟ قلت رب رضيت فقيل إن مع هؤلاء سبعين الفاً يدخلون الجنة لا حساب لهم - فقال نبي الله ﷺ - إن استطعتم أن تكونوا من السبعين فكونوا وإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الظراب وإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الافق فاني قد رأيت ثم أناسا يتهاوشون كثيراً »

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي اسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال كنا مع رسول الله (ص) في قبة فقال « أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة - قلنا نعم قال - أترضون أن تكونوا ثلث اهل الجنة - قلنا نعم قال - والذي نفس محمد بيده إني لارجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك ان الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الاحمر » وذهب جماعة إلى أن الثلثين جميعاً من هذه الامة وهو قول أبي العالية ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحاك قالوا ثلة من الأولين من سابقي هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة في آخر الزمان

أخبرنا ابو سعيد الشريحي أنا ابو اسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد الدينوري ثنا احمد ابن إسحاق السني أنا أبي خليفة الفضل بن الحباب ثنا محمد بن كثير أنا سفيان عن أبان بن أبي عياش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية (ثلة من الاولين وثلة من الآخرين) قال رسول الله

وأصحٰب الشمال ما أصحٰبُ الشمال (٤١) في سَموم وحميم (٤٢) وظل من يَحموم (٤٣) لا بارد ولا كريم (٤٤) إنهم كانوا قبل ذلك مترَفين (٤٥) وكانوا يُصرون على الحنث العظيم (٤٦) وكانوا يقولون أئذا مِتنا وكنا ترابا وعظٰما أءنا لمبعوثون؟ (٤٧) أوآباؤنا الاولون (٤٨) قل إن الأولين والآخرين (٤٩) لمجموعون إلى ميقٰت يوم معلوم (٥٠) ثم إنكم أيها الضالون المكذبون (٥١) لآكلون من شجر من زقوم (٥٢) فمالئون منها البطون (٥٣) فشٰربون عليه من الحميم (٥٤) فشٰربون شربَ الهيم (٥٥) هذا نزلهم يوم الدين (٥٦)

لما ذكر تعالى حال أصحاب اليمين عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال فقال (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) أي أي شيء هم فيه أصحاب الشمال؟ ثم فسر ذلك فقال: (في سموم) وهو الهواء الحار (وحميم) وهو الماء الحار (وظل من يحموم) قال ابن عباس ظل الدخان وكذا قال مجاهد وعكرمة وأبو صالح وقتادة والسدي وغيرهم وهذه كقوله تعالى: انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون * انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب لاظليل ولا يغني من اللهب * انها ترمي بشرر كالقصر * كأنه جمالة صفر * ويل يومئذ للمكذبين) ولهذا قال ههنا (وظل من يحموم) وهو الدخان الاسود (لابارد ولا كريم) أي ليس طيب الهبوب ولا حسن المنظر كما قال الحسن وقتادة (ولا كريم) أي ولا كريم المنظر. وقال الضحاك كل شراب ليس بعذب فليس بكريم

وقال ابن جرير: العرب تتبع هذه اللفظة في النفي فيقولون هذا الطعام ليس بطيب ولا كريم هذا اللحم ليس بسمين ولا كريم. وهذه الدار ليست بنظيفة ولا كريمة وكذا رواه ابن جرير من طريقين آخرين عن قتادة به نحوه ثم ذكر تعالى استحقاقهم لذلك فقال تعالى (انهم كانوا قبل ذلك مترفين) أي كانوا في الدار الدنيا منعمين مقبلين على لذات أنفسهم لايلوون على ما جاءتهم به الرسل (وكانوا يصرون)

صلى الله عليه وسلم « هما جميعا من أمتي »

قوله تعالى ﴿ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم ﴾ ريح حارة ﴿ وحميم ﴾ ماء حار ﴿ وظل من يحموم ﴾ دخان شديد السواد تقول العرب أسود يحموم اذا كان شديد السواد، وقال الضحاك النار سوداء وأهلها سود وكل شيء فيها اسود وقال ابن كيسان اليحموم اسم من أسماء النار ﴿ لا بارد ولا كريم ﴾ قال قتادة لا بارد المنزل ولا كريم المنظر وقال سعيد بن المسيب ولا كريم ولا حسن نظيره [من كل زوج كريم] وقال مقاتل طيب ﴿ انهم كانوا قبل ذلك ﴾ يعني في الدنيا ﴿مترفين﴾ منعمين ﴿ وكانوا يصرون ﴾ يقيمون ﴿ على الحنث العظيم ﴾ على الذنب الكبير وهو الشرك. وقال

أي يقيمون ولا يتوبون توبة (على الحنث العظيم) وهو الكفر بالله وجعل الاوثان والانداد أربابا من دون الله ، قال ابن عباس الحنث العظيم الشرك . وكذا قال مجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم . وقال الشعبي هو اليمين الغموس (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الاولون ؟) يعني انهم يقولون ذلك مكذبين به مستبعدين لوقوعه قال الله تعالى (قل إن الاولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) أي أخبرهم يامحمد ان الاولين والآخرين من بني آدم سيجمعون إلى عرصات القيامة لا يغادر منهم احداً كما قال تعالى (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود * وما نؤخره إلا لاجل معدود * يوم يأت لا تكلم نفس إلا باذنه فمنهم شقي وسعيد) ولهذا قال ههنا (لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) أي هو موقت بوقت محدود لا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص (ثم انكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم * فمالئون منها البطون) وذلك انهم يقبضون ويسجرون حتى يأكلوا من شجر الزقوم حتى يملأوا منها بطونهم (فشاربون عليه من الحميم * فشاربون شرب الهيم) وهي الابل العطاش واحدها اهيم والانثى هيماء ويقال هائم وهائمة قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة الهيم الابل العطاش الظماء ، وعن عكرمة أنه قال الهيم الابل المراض تمص الماء مصاولا تروى

وقال السدي الهيم داء يأخذ الابل فلا تروى أبداً حتى تموت فكذلك أهل جهنم لايروون من الحميم أبداً. وعن خالد بن معدان انه كان يكره أن يشرب شرب الهيم غبة واحدة من غير أن يتنفس ثلاثا ثم قال تعالى (هذا نزلهم يوم الدين) أي هذا الذي وصفناه ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم كما قال تعالى (في حق المؤمنين (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) أي ضيافة وكرامة

نحن خلقنكم فلولا تصدقون (٥٧) أفرأيتم ماتمنون (٥٨) أأنتم تخلقونه أم نحن الخلقون (٥٩)

الشعبي الذنب العظيم اليمين الغموس، ومعنى هذا أنهم كانوا يحلفون انهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك ﴿ وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ﴾ قرأ أبو جعفر ونافع ويعقوب أئذا مستفهما انا بتركه وقرأ الآخرون بالاستفهام فيهما ﴿ أوآباؤنا الاولون* قل ان الاولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم* ثم انكم أيها الضالون المكذبون* لآكلون من شجر من زقوم * فمالئون منها البطون* فشاربون عليه من الحميم *فشاربون شرب الهيم ﴾ قرأ أهل المدينة وعاصم وحمزة شرب بضم الشين وقرأ الباقون بفتحها وهما لغتان فالفتح على المصدر والضم اسم بمعنى المصدر كالضعف والهيم الابل العطاش قال عكرمة وقتادة الهيام داء يصيب الابل لا تروى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك يقال جمل أهيم وناقة هيماء والابل هيم، وقال الضحاك وابن عيينة الهيم الارض السهلة ذات الرمل ﴿ هذا نزلهم ﴾ يعني ما ذكر من الزقوم والحميم أي رزقهم وغذاؤهم وما أعد لهم ﴿ يوم الدين ﴾ يوم يجازون بأعمالهم. ثم احتج عليهم في البعث فقال تعالى ﴿ نحن خلقناكم ﴾ قال مقاتل خلقناكم ولم تكونوا

نحن قدّرنا بينكم الموت ومانحن بمسبوقين (٦٠) على أن نبدّل أمثالكم وننشئكم في مالا تعلمون (٦١)
ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون (٦٢)

يقول تعالى مقرراً للمعاد، وراداً على المكذبين به من أهل الزيغ والالحاد، من الذين قالوا (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ؟) وقولهم ذلك صدر منهم على وجه التكذيب والاستبعاد، فقال تعالى (نحن خلقناكم) أي نحن ابتدأنا خلقكم بعد ان لم تكونوا شيئا مذكورا أفليس الذى قدر على البداءة بقادر على الاعادة بطريق الاولى والاحرى ؟ ولهذا قال (فلولا تصدقون ؟) أي فهلا تصدقون بالبعث ؟ ثم قال تعالى مستدلا عليهم بقوله (أفرأيتم ماتمنون؟ * أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون؟) أى أنتم تقرونه في الارحام وتخلقونه فيها أم الله الخالق لذلك ؟

ثم قال تعالى (نحن قدرنا بينكم الموت) أي صرفناه بينكم وقال الضحاك ساوى فيه بين أهل السماء والارض (ومانحن بمسبوقين) أي وما نحن بعاجزين (على أن نبدل أمثالكم) أي نغير خلقكم يوم القيامة (وننشئكم فيما لا تعلمون) أي من الصفات والاحوال

ثم قال تعالى (ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون) أي قد علمتم ان الله أنشأكم بعد ان لم تكونوا شيئا مذكورا فخلقكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة فهلا تتذكرون وتعرفون ان الذي قدر على هذه النشأة وهي البداءة قادر على النشأة الاخرى وهي الاعادة بطريق الاولى والاحرى كما قال تعالى [وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه] وقال تعالى (أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ؟ — أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ * قل يحييها الذي أنشأها أول

شيئا وأنتم تعلمون ذلك ﴿ فلولا ﴾ فهلا ﴿ تصدقون ﴾ بالبعث ﴿ أفرأيتم ماتمنون؟ ﴾ تصبون في الارحام من النطف ﴿ أأنتم تخلقونه؟ ﴾ يعني أأنتم تخلقون ماتمنون بشراً ﴿ أم نحن الخالقون؟ * نحن قدرنا ﴾ قرأ ابن كثير بتخفيف الدال والباقون بتشديدها وهما لغتان ﴿ بينكم الموت ﴾ قال مقاتل فمنكم من يبلغ الهرم ومنكم من يموت صبيا وشابا، وقال الضحاك تقديره انه جعل أهل السماء وأهل الارض فيه سواء فعلى هذا يكون معنى قدرنا قضينا ﴿ وما نحن بمسبوقين ﴾ بمغلوبين عاجزين عن إهلاككم وإبدالكم بامثالكم فذلك قوله عز وجل ﴿ على أن نبدل أمثالكم ﴾ يعني نأتي بخلق مثلكم بدلا منكم ﴿ وننشئكم ﴾ نخلقكم ﴿ فيما لا تعلمون ﴾ من الصور قال مجاهد في أي خلق شئنا وقال الحسن أي نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم، يعني ان أردنا أن نفعل ذلك مافاتنا ذلك وقال سعيد بن المسيب (فيما لا تعلمون) يعني في حواصل طير سود تكون ببرهوت كأنها الخطاطيف وبرهوت واد باليمن ﴿ ولقد علمتم النشأة الاولى ﴾ الخلقة الاولى ولم تكونوا شيئا ﴿ فلولا تذكرون؟ ﴾

مرة وهو بكل خلق عليم] وقال تعالى [أيحسب الانسان أن يترك سدى ؟ ألم يك نطفة من مني يمنى ؟ ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؟]

أفرأيتم ما تحرثون (٦٣) أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون (٦٤) لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون (٦٥) إنا لمغرمون (٦٦) بل نحن محرومون (٦٧) أفرأيتم الماء الذي تشربون (٦٨) أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون (٦٩) لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون (٧٠) أفرأيتم النار التي تورون (٧١) أأنتم أنشأتم شجرتها ام نحن المنشئون (٧٢) نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين (٧٣) فسبح باسم ربك العظيم (٧٤)

يقول تعالى (أفرأيتم ما تحرثون؟) وهو شق الارض واثارتها والبذر فيها (أأنتم تزرعونه؟) أي تنبتونه في الارض (أم نحن الزارعون؟) أي بل نحن الذي نقره قراره وننبته في الارض

قال ابن جرير وقد حدثني أحمد بن الوليد القرشي حدثنا مسلم بن أبي مسلم الجرمي حدثنا مخلد ابن الحسين عن هشام عن محمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «لا يقولن أحدكم زرعت ولكن قل حرثت» قال أبو هريرة ألم تسمع الى قوله تعالى (أفرأيتم ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون؟) ورواه البزار عن محمد بن عبد الرحيم عن مسلم الجرمي به

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد عن عطاء عن أبي عبد الرحمن : لاتقولوا زرعنا ولكن قولوا حرثنا وروي عن حجر المدري أنه كان اذا قرأ (أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) وأمثالها يقول بل أنت يارب

وقوله تعالى (لو نشاء لجعلناه حطاما) أي نحن انبتناه بلطفنا ورحمتنا وابقيناه لكم رحمة بكم ولو نشاء لجعلناه حطاما أي لأيبسناه قبل استوائه واستحصاده (فظلتم تفكهون) ثم فسر ذلك

أني قادر على إعادتكم كما قدرت على إبدائكم ﴿ أفرأيتم ما تحرثون؟ ﴾ يعني تثيرون من الارض وتلقون فيها من البذر ﴿ أأنتم تزرعونه ﴾ تنبتونه ﴿ أم نحن الزارعون ﴾ المنبتون ﴿ لو نشاء لجعلناه حطاما ﴾ قال عطاء تبنا لا قمح فيه وقيل هشيما لاينتفع به في مطعم وغذاء ﴿ فظلتم ﴾ وأصله فظللتم حذفت إحدى اللامين تخفيفا ﴿ تفكهون ﴾ تتعجبون بما نزل بكم في زرعكم وهو قول عطاء والكلبي ومقاتل وقيل تندمون على نفقاتكم وهو قول يمان نظيره (فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها) وقال الحسن تندمون على ما سلف منكم من المعصية التي أوجبت تلك العقوبة ، وقال عكرمة تتلاومون وقال ابن كيسان تحزنون قال الكسائي هو تلهف على ما فات وهو من الاضداد تقول العرب تفكهت أي

بقوله (إنا لمغرمون * بل نحن محرومون) أي لو جعلناه حطاما لظلتم تفكهون في المقالة تنوعون كلامكم فتقولون تارة إنا لمغرمون أي لملقون وقال مجاهد وعكرمة انا لمولع بنا وقال قتادة معذبون وتارة تقولون بل نحن محرومون، وقال مجاهد أيضا إنا لمغرمون ملقون للشر أي بل نحن محارفون قاله قتادة أي لايثبت لنا مال ولا ينتج لنا ربح وقال مجاهد بل نحن محرومون أي مجدودون يعني لاحظ لنا قال ابن عباس ومجاهد (فظلتم تفكهون) تعجبون وقال مجاهد أيضا فظلتم تفكهون تفجعون وتحزنون على مافاتكم من زرعكم وهذا يرجع الى الاول وهو التعجب من السبب الذي من أجله أصيبوا في مالهم وهذا اختيار ابن جرير، وقال عكرمة فظلتم تفكهون تلاومون وقال الحسن وقتادة والسدي فظلتم تفكهون تندمون ومعناه إما على ما أنفقتم أو على ما أسلفتم من الذنوب قال الكسائي تفكه من الاضداد تقول العرب تفكهت بمعنى تنعمت وتفكهت بمعنى حزنت

ثم قال تعالى (أفرأيتم الماء الذي تشربون؟ * أأنتم أنزلتموه من المزن؟) يعني السحاب قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد (أم نحن المنزلون؟) يقول بل نحن المنزلون (لو نشاء جعلناه أجاجا) أي زعاقا مرا لايصلح لشرب ولا زرع (فلولا تشكرون) أي فهلا تشكرون نعمة الله عليكم في انزاله المطر عليكم عذبا زلالا (لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عثمان بن سعيد بن مرة حدثنا فضيل بن مرزوق عن جابر عن أبي جعفر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا شرب الماء قال «الحمد لله الذي سقاناه عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا»

ثم قال (أفرأيتم النار التي تورون؟) أي تقدحون من الزناد وتستخرجونها من أصلها (أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) أي بل نحن الذين جعلناها مودعة في موضعها وللعرب شجرتان (إحداهما) المرخ (والاخرى) العفار اذا أخذ منهما غصنان اخضران فحك أحدهما بالآخر تناثر من بينهما شرر النار

تنعمت وتفكهت أي حزنت ﴿إنا لمغرمون﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم أئنا بهمزتين وقرأ الآخرون على الخبر، ومجاز الآية فظلتم تفكهون وتقولون إنا لمغرمون. وقال مجاهد وعكرمة لمولع بنا، وقال ابن عباس وقتادة معذبون والغرام العذاب، وقال الضحاك وابن كيسان غرمنا أموالنا وصار ما أنفقنا غرما علينا والمغرم الذي ذهب ماله بغير عوض وهو قوله ﴿بل نحن محرومون﴾ محدودون ممنوعون أي حرمنا ما كنا نطلبه من الربح في الزرع ﴿أفرأيتم الماء الذي تشربون؟ أأنتم أنزلتموه من المزن﴾ السحاب واحدتها مزنة ﴿أم نحن المنزلون؟ * لو نشاء جعلناه أجاجا﴾ قال ابن عباس شديد الملوحة قال الحسن مرا ﴿فلولا تشكرون * أفرأيتم النار التي تورون؟﴾ تقدحون وتستخرجون من زندكم ﴿أأنتم أنشأتم

وقوله تعالى (نحن جعلناها تذكرة) قال مجاهد وقتادة أي تذكر النار الكبرى قال قتادة ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال « ياقوم ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزأ من نار جهنم » قالوا يارسول الله ان كانت لكافية ؟ قال انها قد ضربت بالبحر ضربتين أو مرتين حتى يستنفع بها بنو آدم ويدنو منها » وهذا الذي أرسله قتادة قد رواه الامام أحمد في مسنده فقال حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ماجعل الله فيها منفعة لأحد »

وقال الامام مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « نار بنى آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزأ من نار جهنم فقالوا » يارسول الله ان كانت لكافية فقال « إنها قد فضلت عليها بتسعة وستين جزأ » رواه البخارى من حديث مالك ومسلم من حديث أبي الزناد ورواه مسلم من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة به وفي لفظ والذي نفسي بيده لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزء كلهن مثل حرها »

وقد قال أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن عمرو الخلال حدثنا ابراهيم بن المنذر الحزامي حدثنا معن بن عيسى القزاز عن مالك عن عمه أبي سهل عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أتدرون مامثل ناركم هذه من نار جهنم ؟ لهي أشد سواداً من ناركم هذه بسبعين ضعفا » قال الضياء المقدسي وقد رواه أبو مصعب عن مالك ولم يرفعه وهو عندي على شرط الصحيح

وقوله تعالى (ومتاعا للمقوين) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والنضر بن عربي يعني بالمقوين المسافرين واختاره ابن جرير وقال ومنه قولهم أقوت الدار اذا رحل أهلها وقال غيره القي والقواء القفر الخالي البعيد من العمران وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المقوي ههنا الجائع وقال ليث

شجرتها ﴾ التي تقدح منها النار وهي المرخ والعفار ﴿ أم نحن المنشئون؟ * نحن جعلناها ﴾ خلقناها يعني نار الدنيا ﴿ تذكرة ﴾ للنار الكبرى اذا رآها الرائي ذكر جهنم قاله عكرمة ومجاهد ومقاتل ، وقال عطاء موعظة يتعظ بها المؤمن

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا ابو علي زاهر بن احمد الفقيه ثنا أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « نار بني آدم التي توقدون جزء من سبعين جزأ من نار جهنم » قالوا يارسول الله ان كانت لكافية قال « فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ » ﴿ ومتاعا ﴾ بلغة ومنفعة ﴿ للمقوين ﴾ المسافرين والمقوي النازل في الارض والقيء والقواء هو القفر الخالية البعيدة من العمران يقال أقوت الدار إذا خلت من سكانها والمعنى انه ينتفع بها أهل البوادي والاسفار فان منفعتهم بها أكثر من منفعة المقيم وذلك انهم يوقدونها ليلا لتهرب منهم السباع ويهتدي بها الضلال وغير ذلك من المنافع

ابن أبي سليم عن مجاهد ومتاعا للمقوين الحاضر والمسافر لكل طعام لا يصلحه إلا النار وكذا روى سفيان عن جابر الجعفي عن مجاهد وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله للمقوين يعني المستمتعين من الناس أجمعين وكذا ذكر عن عكرمة وهذا التفسير أعم من غيره فإن الحاضر والبادي من غني وفقير الجميع محتاجون اليها للطبخ والاصطلاء والاضاءة وغير ذلك من المنافع

ثم من لطف الله تعالى أن أودعها في الاحجار وخالص الحديد بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك في متاعه وفي ثيابه فاذا احتاج الى ذلك في منزله أخرج زنده وأورى وأوقد ناره فاطبخ بها واصطلى بها واستوى واستأنس بها وانتفع بها سائر الانتفاعات فلهذا أفرد المسافرون وان كان ذلك عاما في حق الناس كلهم، وقد يستدل له بما رواه الامام أحمد وأبو داود من حديث أبي خداش حبان ابن زيد الشرعبي الشامي عن رجل من المهاجرين من قرن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المسلمون شركاء في ثلاثة النار والكلا والماء »

وروى ابن ماجه باسناد جيد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث لا يمنعن الماء والكلأ والنار » وله من حديث ابن عباس مرفوعا مثل هذا وزيادة وغنه ولكن في اسناده عبد الله بن خراش بن حوشب وهو ضعيف والله أعلم

وقوله تعالى (فسبح باسم ربك العظيم) أي الذي بقدرته خلق هذه الاشياء المختلفة المتضادة الماء الزلال العذب البارد ولو شاء لجعله ملحا أجاجا كالبحار المغرقة وخلق النار المحرقة وجعل ذلك مصلحة للعباد وجعل هذه منفعة لهم في معاش دنياهم وزجراً لهم في المعاد

فلا أقسم بمواقع النجوم (٧٥) وإنه لقسم لو تعلمون عظيم (٧٦) إنه لقرآن كريم (٧٧) في كتٰب مكنون (٧٨) لا يمسه إلا المطهرون (٧٩) تنزيل من رب العٰلمين (٨٠) أفبهذا الحديث أنتم مدهنون؟ (٨١) وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون؟ (٨٢)

هذا قول أكثر المفسرين، وقال مجاهد وعكرمة للمقوين يعني للمستمتعين بها من الناس أجمعين المسافرين والحاضرين يستضيئون بها في الظلمة ويصطلون من البرد وينتفعون بها في الطبخ والخبز، قال الحسن بلغة للمسافرين يتبلغون بها إلى أسفارهم يحملونها في الخرق والجواليق، وقال ابن زيد للجائعين تقول العرب أقويت منذ كذا وكذا أي ما أكلت شيأ قال قطرب المقوي من الاضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال ويقال للغني مقو لقوته على ما يريد يقال أقوى الرجل اذا قويت دوابه وكثر ماله وصار الى حال القوة، والمعنى ان فيها متاعا للاغنياء والفقراء جميعا لا غنى لاحد عنها ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ قوله عز وجل ﴿ فلا اقسم بمواقع النجوم ﴾ قال أكثر المفسرين معناه أقسم ولا صلة وكان عيسى

قال جويبر عن الضحاك إن الله تعالى لا يقسم بشيء من خلقه ولكنه استفتاح يستفتح به كلامه وهذا القول ضعيف والذي عليه الجمهور أنه قسم من الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه وهو دليل على عظمته، ثم قال بعض المفسرين لا ههنا زائدة وتقديره أقسم بمواقع النجوم ورواه ابن جرير عن سعيد بن جبير ويكون جوابه (انه لقرآن كريم) وقال آخرون ليست لا زائدة لا معنى لها بل يؤتى بها في أول القسم اذا كان مقسما به على منفي كقول عائشة رضي الله عنها : لا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط ، وهكذا ههنا تقدير الكلام لا أقسم بمواقع النجوم ليس الامر كما زعمتم في القرآن أنه سحر أو كهانة بل هو قرآن كريم

وقال ابن جرير وقال بعض أهل العربية معنى قوله (فلا أقسم) فليس الامر كما تقولون ثم استأنف القسم بعد ذلك فقيل أقسم ، واختلفوا في معنى قوله (بمواقع النجوم) فقال حكيم بن جبير عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس يعني نجوم القرآن فانه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا ثم نزل مفرقا في السنين بعد ثم قرأ ابن عباس هذه الآية

وقال الضحاك عن ابن عباس نزل القرآن جملة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا فنجمته السفرة على جبريل عشرين ليلة ونجمه جبريل على محمد ﷺ عشرين سنة فهو قوله (فلا أقسم بمواقع النجوم) نجوم القرآن ، وكذا قال عكرمة ومجاهد والسدي وأبو حزرة وقال مجاهد أيضاً مواقع النجوم في السماء ويقال مطالعها ومشارقها ، وكذا قال الحسن وقتادة وهو اختيار ابن جرير وعن قتادة مواقعها منازلها ، وعن الحسن أيضاً أن المراد بذلك انتثارها يوم القيامة وقال الضحاك (فلا أقسم بمواقع النجوم) يعني بذلك الانواء التي كان أهل الجاهلية اذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا وكذا

وقوله (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) أي وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لعظمتم المقسم به عليه (انه لقرآن كريم) أي ان هذا القرآن الذي نزل على محمد لكتاب عظيم (في كتاب مكنون) أي معظم في كتاب معظم محفوظ موقر

ابن عمر يقرأ فلأقسم على التحقيق ، وقيل قوله لا رد لما قاله الكفار في القرآن انه سحر وشعر وكهانة معناه ليس الامر كما تقولون ، ثم استأنف القسم فقال أقسم بمواقع النجوم، قرأ حمزة والكسائي بموقع على التوحيد وقرأ الآخرون بمواقع على الجمع ، قال ابن عباس أراد نجوم القرآن فانه كان نزل على رسول الله ﷺ متفرقا نجوما وقال جماعة من المفسرين أراد مغارب النجوم ومساقطها وقال عطاء بن أبي رباح أراد منازلها وقال الحسن اراد انكدارها وانتثارها يوم القيامة ﴿ وانه لقسم لو تعلمون عظيم * انه ﴾ يعني هذا الكتاب وهو موضع القسم ﴿ لقرآن كريم ﴾ عزيز مكرم لانه كلام الله قال بعض اهل المعاني الكريم الذي من شأنه ان يعطي الخير الكثير ﴿ في كتاب مكنون ﴾ مصون عند الله في اللوح

وقال ابن جرير حدثني موسى بن اسماعيل أخبرنا شريك عن حكيم هو ابن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (لا يمسه إلا المطهرون) قال الكتاب الذي في السماء ، وقال العوفي عن ابن عباس (لا يمسه الا المطهرون) يعني الملائكة ، وكذا قال أنس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وأبو الشعثاء جابر بن زيد وأبو نهيك والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم

وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا ابن ثور حدثنا معمر عن قتادة (لا يمسه إلا المطهرون) قال لا يمسه عند الله الا المطهرون ، فأما في الدنيا فانه يمسه المجوسي النجس ، والمنافق الرجس قال وهي في قراءة ابن مسعود ما يمسه الا المطهرون ، وقال أبو العالية (لا يمسه الا المطهرون) ليس أنتم أنتم أصحاب الذنوب ، وقال ابن زيد زعمت كفار قريش ان هذا القرآن تنزلت به الشياطين فأخبر الله تعالى أنه لا يمسه الا المطهرون كما قال تعالى (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون) وهذا القول قول جيد وهو لا يخرج عن الاقوال التي قبله ، وقال الفراء لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به

وقال آخرون (لا يمسه إلا المطهرون) أي من الجنابة والحدث قالوا ولفظ الآية خبر ومعناها الطلب قالوا والمراد بالقرآن ههنا المصحف كما روى مسلم عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو . واحتجوا في ذلك بما رواه الامام مالك في موطئه عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم أن لا يمس القرآن الا طاهر

وروى أبو داود في المراسيل من حديث الزهري قال قرأت في صحيفة عند أبي بكر بن

المحفوظ محفوظ من الشياطين ﴿ لا يمسه ﴾ أي ذلك الكتاب المكنون ﴿ الا المطهرون ﴾ وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة يروى هذا عن انس وهو قول سعيد بن جبير وابي العالية وقتادة وابن زيد انهم الملائكة وروى حسان عن الكلبي قال هم السفرة الكرام البررة

وروى محمد بن الفضل عنه لا يقرؤه الا الموحدون قال عكرمة وكان ابن عباس ينهى ان يمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن قال الفراء لا يجد طعمه ونفعه الا من آمن به ، وقال قوم معناه لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والجنابات، وظاهر الآية نفي ومعناها نهي، وقالوا لا يجوز للجنب ولا للحائض ولا المحدث حمل المصحف ولا مسه وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم واكثر اهل العلم وبه قال مالك والشافعي وقال الحكم وحماد وأبو حنيفة يجوز للمحدث وللجنب حمل المصحف ومسه بغلاف والاول قول اكثر الفقهاء

اخبرنا ابو الحسن السرخسي انا زاهر بن احمد انا ابو اسحاق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ

محمد بن عمرو بن حزم أن رسول الله ﷺ قال « ولا يمس القرآن الا طاهر » وهذه وجادة جيدة قد قرأها الزهري وغيره ومثل هذا لا ينبغي الأخذ به وقد أسنده الدارقطني عن عمرو بن حزم وعبدالله بن عمر وعثمان بن أبي العاص وفي اسناد كل منهما نظر والله أعلم

وقوله تعالى (تنزيل من رب العالمين) أي هذا القرآن منزل من الله رب العالمين وليس هو كما يقولون انه سحر أو كهانة أو شعر بل هو الحق الذي لا مرية فيه وليس وراءه حق نافع ، وقوله تعالى (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون؟) قال العوفي عن ابن عباس اي مكذبون غير مصدقين ، وكذا قال الضحاك وأبو حرزة والسدي ، وقال مجاهد (مدهنون) أي تريدون ان تمالئوهم فيه وتركنوا اليهم (وتجعلون رزقكم انكم تكذبون) قال بعضهم معنى وتجعلون رزقكم بمعنى شكركم انكم تكذبون أي تكذبون بدل الشكر ، وقد روي عن علي وابن عباس أنهما قرآها (وتجعلون شكركم انكم تكذبون) كما سيأتي ، وقال ابن جرير وقد ذكر عن الهيثم بن عدي أن من لغة ازدشنوءة مارزق فلان بمعنى ماشكر فلان

وقال الامام احمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا اسرائيل عن عبد الاعلى عن ابي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « وتجعلون رزقكم يقول شكركم انكم تكذبون تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا بنجم كذا وكذا » وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن مخول بن ابراهيم النهدي وابن جرير عن محمد بن المثنى عن عبيدالله بن موسى وعن يعقوب بن ابراهيم عن يحيى ابن أبي بكير ثلاثتهم عن اسرائيل به مرفوعا ، وكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع عن حسين بن محمد وهو المروزي به وقال حسن غريب ، وقد رواه سفيان الثوري عن عبد الاعلى ولم يرفعه

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : مامطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافراً يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا ، وقرأ ابن عباس (وتجعلون شكركم انكم تكذبون) وهذا اسناد صحيح إلى ابن عباس

لعمرو بن حزم « ان لا يمس القرآن الا طاهر » والمراد بالقرآن المصحف سماه قرآنا على قرب الجوار والاتساع كما روي ان رسول الله ﷺ نهى ان يسافر بالقرآن الى ارض العدو ، واراد به المصحف ﴿ تنزيل من رب العالمين ﴾ أي القرآن منزل من عند رب العالمين سمي المنزل تنزيلا على اتساع اللغة كما يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق ﴿ أفبهذا الحديث ﴾ يعني القرآن ﴿أنتم﴾ يا أهل مكة ﴿مدهنون﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه مكذبون وقال مقاتل بن حيان كافرون نظيره (ودوا لو تدهن فيدهنون) والمدهن والمداهن الكذاب والمنافق وهو من الادهان وهو الجري في الباطن على خلاف الظاهر هذا أصله ثم قيل للمكذب مدهن وان صرح بالتكذيب والكفر ﴿ وتجعلون رزقكم ﴾ حظكم ونصيبكم من القرآن ﴿ انكم تكذبون ﴾ قال الحسن في هذه الآية خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله الا التكذيب به ، وقال جماعة من المفسرين معناه وتجعلون شكركم انكم تكذبون ، وقال الهيثم

وقال مالك في الموطأ عن صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن زيد ابن خالد الجهني انه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا الله ورسوله أعلم، قال «قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب» أخرجاه في الصحيحين وأبو داود والنسائي كلهم من حديث مالك به

وقال مسلم حدثنا محمد بن سلمة المرادي وعمرو بن سواد حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث ان ابا يونس حدثه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال «ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الغيث فيقولون بكوكب كذا وكذا» انفرد به مسلم من هذا الوجه

وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا سفيان عن محمد بن إسحاق عن محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي عن أبي سلمه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «ان الله ليصبح القوم بالنعمة أو يمسيهم بها فيصبح بها قوم كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا» قال محمد هو ابن ابراهيم فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب فقال ونحن قد سمعنا من أبي هريرة، وقد أخبرني من شهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يستسقي فلما استسقى التفت إلى العباس فقال ياعباس ياعم رسول الله كم ابقي من نوء الثريا؟ فقال العلماء يزعمون أنها تعترض في الافق بعد سقوطها سبعا قال فما مضت سابعة حتى مطروا، وهذا محمول على السؤال عن الوقت الذي أجرى الله فيه العادة بانزال المطر لا ان ذلك النوء مؤثر بنفسه في نزول المطر فان هذا هو المنهي عن اعتقاده، وقد تقدم شيء من هذه الاحاديث عند قوله تعالى [مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها]

ابن عدي ان من لغة أزد شنوءة ما رزق فلان بمعنى ما شكر، وهذا في الاستسقاء بالانواء وذلك انهم كانوا يقولون اذا مطروا مطرنا بنوء كذا ولا يرون ذلك من فضل الله تعالى فقيل لهم أتجعلون رزقكم أي شكركم بما رزقتم يعني شكر رزقكم التكذيب فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا الله ورسوله أعلم قال «قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب»

وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا سفيان عن اسماعيل بن أمية فيما أحسبه أو غيره أن رسول الله ﷺ سمع رجلا ومطروا يقول مطرنا ببعض عثانين الاسد فقال « كذبت بل هو رزق الله »
ثم قال ابن جرير حدثني ابو صالح الصراري حدثنا ابو جابر محمد بن عبد الملك الاودي حدثنا جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي امامة عن النبي ﷺ قال « مامطر قوم من ليلة الا أصبح قومها كافرين ثم قال [وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون] يقول قائل مطرنا بنجم كذا وكذا »
(١) وفي حديث عن أبي سعيد مرفوعا « لو قحط الناس سبع سنين ثم مطروا لقالوا مطرنا بنوء المجدع »
وقال مجاهد [وتجعلون رزقكم انكم تكذبون] قال قولهم في الانواء مطرنا بنوء كذا وبنوء كذا يقول قولوا هو من عند الله وهو رزقه وهكذا قال الضحاك وغير واحد ، وقال قتادة أما الحسن فكان يقول بئس ما أخذ قوم لأنفسهم لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب فمعنى قول الحسن هذا وتجعلون حظكم من كتاب الله انكم تكذبون به ، ولهذا قال قبله [أفبهذا الحديث أنتم مدهنون * وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون]

(١) هذا غير موجود بالنسخة المكية

فلولا إذا بلغت الحلقوم (٨٣) وأنتم حينئذ تنظرون (٨٤) ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون (٨٥) فلولا إن كنتم غير مدينين (٨٦) ترجعونها إن كنتم صدقين (٨٧)

يقول تعالى [فلولا اذا بلغت] أي الروح [الحلقوم] أي الحلق وذلك حين الاحتضار كما قال تعالى [كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق * وظن أنه الفراق * والتفت الساق بالساق * إلى ربك يومئذ المساق) ولهذا قال ههنا [وأنتم حينئذ تنظرون] أى الى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت (ونحن أقرب اليه منكم) أى بملائكتنا (ولكن لا تبصرون) أى ولكن لا ترونهم كما قال

ورواه ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزاد فنزلت هذه الآية (فلا أقسم بمواقع النجوم ـ الى قوله ـ وتجعلون رزقكم انكم تكذبون)
أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني محمد بن سلمة المرادي ثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث أن أبا يونس حدثه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما أنزل الله من السماء من بركة الا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله تعالى الغيث فيقولون مطرنا بكوكب كذا وكذا »
قوله عز وجل ﴿ فلولا ﴾ فهلا ﴿ إذا بلغت الحلقوم ﴾ أي بلغت النفس الحلقوم عند الموت ﴿ وأنتم حينئذ تنظرون ﴾ يريد وأنتم يا أهل الميت تنظرون اليه متى تخرج نفسه
وقيل معنى قوله تنظرون أي الى أمري وسلطاني لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئا ﴿ ونحن أقرب

تعالى في الآية الاخرى (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين)

وقوله تعالى (فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها) معناه فهلا ترجعون هذه النفس التي قد بلغت الحلقوم الى مكانها الاول ومقرها من الجسد ان كنتم غير مدينين قال ابن عباس يعني محاسبين وروي عن مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك والسدي وأبي حرزة مثله

وقال سعيد بن جبير والحسن البصرى (فلولا ان كنتم غير مدينين) غير مصدقين انكم تدانون وتبعثون وتجزون فردوا هذه النفس، وعن مجاهد (غير مدينين) غير موقنين، وقال ميمون بن مهران غير معذبين مقهورين

فأما إن كان من المقرَّبين (٨٨) فرَوْح وريحان وجنّت نعيم (٨٩) وأما إن كان من أصحٰبِ اليمين (٩٠) فسلٰمٌ لك من أصحٰبِ اليمين (٩١) وأما ان كان من المكذبين الضالين (٩٢) فنزُل من حميم (٩٣) وتصلية جحيم (٩٤) إن هذا لهو حق اليقين (٩٥) فسبح باسم ربك العظيم (٩٦)

هذه الاحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم اما أن يكون من العلية المقربين أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين، واما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى الجاهلين بأمر الله ولهذا قال تعالى (فأما ان كان) أي المحتضر (من المقربين) وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات (فروح وريحان وجنة نعيم) أي فلهم روح وريحان

اليه منكم ﴾ بالعلم والقدرة والرؤية وقيل ورسلنا الذين يقبضون روحه أقرب اليه منكم ﴿ ولكن لا تبصرون ﴾ الذين حضروه ﴿ فلولا ﴾ فهلا ﴿ ان كنتم غير مدينين ﴾ مملوكين

وقال أكثرهم محاسبين ومجزيين ﴿ ترجعونها ان كنتم صادقين ﴾ اي تردون نفس هذا الميت الى جسده بعد ما بلغت الحلقوم فأجاب عن قوله (فلولا اذا بلغت الحلقوم) وعن قوله (فلولا ان كنتم غير مدينين) بجواب واحد، ومثله قوله عز وجل (فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم) أجيبا بجواب واحد، معناه ان كان الامر كما تقولون انه لا بعث ولا حساب ولا اله يجازي فهلا تردون نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقوم واذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا ان الامر الى غيركم وهو الله عز وجل فآمنوا به. ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال ﴿ فأما ان كان من المقربين ﴾ وهم السابقون ﴿ فروح ﴾ قرأ يعقوب فروح بضم الراء والباقون بفتحها فمن قرأ بالضم قال الحسن معناه تخرج روحه في الريحان

وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت كما تقدم في حديث البراء ان ملائكة الرحمة تقول : أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (فروح) يقول راحة وريحان يقول مستراحة وكذا قال مجاهد ان الروح الاستراحة ، وقال ابو حرزة الراحة من الدنيا ، وقال سعيد بن جبير والسدي الروح الفرح وعن مجاهد (فروح وريحان) جنة ورخاء ، وقال قتادة فروح فرحة

وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وريحان ورزق وكل هذه الاقوال متقاربة صحيحة فان من مات مقربا حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة والفرح والسرور والرزق الحسن (وجنة نعيم) وقال ابو العالية لا يفارق أحد من المقربين حتي يوتى بغصن من ريحان الجنة فيقبض روحه فيه ، وقال محمد بن كعب لا يموت أحد من الناس حتى يعلم من أهل الجنة هو أم من أهل النار ، وقد قدمنا أحاديث الاحتضار عند قوله تعالى في سورة ابراهيم (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) ولو كتبت ههنا لكان حسنا من جملتها حديث تميم الداري عن النبي ﷺ يقول « يقول الله تعالى لملك الموت انطلق إلى فلان فائتني به فانه قد جربته بالسراء والضراء فوجدته حيث أحب ائتني فلأريحه ، قال فينطلق اليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم أكفان وحنوط من الجنة ومعهم ضبائر الريحان أصل الريحانة واحد وفي رأسها عشرون لونا لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه ومعهم الحرير الابيض فيه المسك » وذكر تمام الحديث بطوله كما تقدم ، وقد وردت احاديث تتعلق بهذه الآية

قال الامام أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا هارون عن بديل بن ميسرة عن عبدالله بن شقيق عن عائشه انها سمعت رسول الله ﷺ يقرأ (فروح وريحان) برفع الراء وكذا رواه ابو داود والترمذي والنسائي من حديث هارون وهو ابن موسى الاعور به ، وقال الترمذي لا نعرفه إلا من حديثه ، وهذه القراءة هي قراءة يعقوب وحده وخالفه الباقون فقرءوا فروح بفتح الراء

وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا ابو الاسود محمد بن عبدالرحمن بن نوفل انه سمع درة بنت معاذ تحدث عن أم هاني انها سألت رسول الله ﷺ أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضاً ؟ فقال رسول الله ﷺ « يكون النسم طيراً يعلق بالشجر حتى اذا كان يوم القيامة دخلت كل

وقال قتادة الروح الرحمة أى له الرحمة، وقيل معناه فحياة وبقاء لهم، ومن قرأ بالفتح معناه فله روح وهو الراحة وهو قول مجاهد وقال سعيد بن جبير فرح وقال الضحاك مغفرة ورحمة ﴿ وريحان ﴾ استراحة وقال مجاهد وسعيد بن جبير رزق وقال مقاتل هو الرزق بلسان حمير يقال خرجت أطلب ريحان الله أى رزق الله وقال آخرون هو الريحان الذى يشم قال أبو العالية لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم تقبض روحه ﴿ وجنة نعيم ﴾ قال أبو بكر الوراق الروح النجاة من النار

نفس في جسدها » هذا الحديث فيه بشارة لكل مؤمن ومعنى يعلق يأكل، ويشهد له بالصحة أيضاً ما رواه الامام احمد عن الامام محمد بن ادريس الشافعي عن الامام مالك بن أنس عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال « انما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه » وهذا إسناد عظيم ومتن قويم

وفي الصحيح ان رسول الله ﷺ قال ان أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في رياض الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش الحديث

وقال الامام أحمد : حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا عطاء بن السائب قال كان أول يوم عرفت فيه عبد الرحمن بن أبي ليلى رأيت شيخاً أبيض الرأس واللحية على حمار وهو يتبع جنازة فسمعته يقول حدثني فلان بن فلان سمع رسول الله ﷺ يقول « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » قال فأكب القوم يبكون فقال ما يبكيكم ؟ فقالوا إنا نكره الموت قال ليس ذاك ولكنه إذا احتضر (فأما ان كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم) فاذا بشر بذلك أحب لقاء الله عز وجل والله عز وجل للقائه أحب (وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم) فاذا بشر بذلك كره لقاء الله والله تعالى للقائه أكره ، هكذا رواه الامام أحمد وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها شاهد لمعناه

وقوله تعالى (وأما ان كان من أصحاب اليمين) أي وأما ان كان المحتضر من أصحاب اليمين [فسلام لك من أصحاب اليمين] أي تبشرهم الملائكة بذلك تقول لأحدهم سلام لك أي لا بأس عليك انت الى سلامة أنت من أصحاب اليمين

وقال قتادة وابن زيد : سلم من عذاب الله وسلمت عليه ملائكة الله كما قال عكرمة تسلم عليه الملائكة وتخبره أنه من أصحاب اليمين ، وهذا معنى حسن ويكون ذلك كقول الله تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلا من غفور رحيم)

وقال البخاري (فسلام لك) أي مسلم لك انك من أصحاب اليمين ، والغيت ان وبقي معناها كما

والريحان دخول دار القرار ﴿ واما ان كان ﴾ المتوفى ﴿ من أصحاب اليمين ، فسلام لك من أصحاب اليمين ﴾ أى سلامة لك يا محمد منهم فلا تهتم لهم فانهم سلموا من عذاب الله أو انك ترى فيهم ما تحب من السلامة قال مقاتل هو ان الله تعالى يتجاوز عن سيئاتهم ويقبل حسناتهم

وقال الفراء وغيره فسلام لك انهم من أصحاب اليمين أو يقال لصاحب اليمين سلام لك انك من أصحاب اليمين فألغيت ان، كالرجل يقول اني مسافر عن قليل فتقول له أنت مصدق مسافر عن قليل

تقول أنت مصدق مسافر عن قليل إذا كان قد قال إني مسافر عن قليل ، وقد يكون كالدعاء له كقولك سقيا لك من الرجال ان رفعت السلام فهو من الدعاء ، وقد حكاه ابن جرير هكذا عن بعض أهل العربية ومال اليه والله أعلم

وقوله تعالى [وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم] أي وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى (فنزل) أي ضيافة (من حميم) وهو المذاب الذي يصهر به ما في بطونهم والجلود (وتصلية جحيم) أي وتقرير له في النار التي تغمره من جميع جهاته

ثم قال تعالى [إن هذا لهو حق اليقين] أي ان هذا الخبر لهو حق اليقين الذى لا مرية فيه ولا محيد لأحد عنه [فسبح باسم ربك العظيم]

قال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى بن أيوب الغافقي حدثني اياس بن عامر عن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت على رسول الله ﷺ [فسبح باسم ربك العظيم] قال « اجعلوها في ركوعكم » ولما نزلت [سبح باسم ربك الاعلى] قال رسول الله ﷺ « اجعلوها في سجودكم » وكذا رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك عن موسى بن أيوب به

وقيل فسلام لك أى عليك من اصحاب اليمين ﴿ واما ان كان من المكذبين ﴾ بالبعث ﴿ الضالين ﴾ عن الهدى وهم اصحاب المشأمة ﴿ فنزل من حميم ﴾ فالذى يعد لهم حميم جهنم ﴿ وتصلية جحيم ﴾ وادخال نار عظيمة ﴿ ان هذا ﴾ يعني ما ذكر من قصة المحتضرين ﴿ لهو حق اليقين ﴾ أي الحق اليقين اضافه الى نفسه ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ قيل فصل بذكر ربك وامره وقيل الباء زائدة أي فسبح اسم ربك العظيم

أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أنا ابن فنجويه أنا ابن شيبة ثنا حمزة بن محمد الكاتب ثنا نعيم بن حماد ثنا عبد الله بن المبارك عن موسى بن أيوب الغافقي عن عمه وهو إياس بن عامر عن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت على رسول الله ﷺ [فسبح باسم ربك العظيم] قال « اجعلوها في ركوعكم » ولما نزلت [سبح اسم ربك الاعلى] قال رسول الله ﷺ « اجعلوها في سجودكم »

أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي ثنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا محمود بن غيلان ثنا أبو داود قال أنا شعبة عن الاعمش قال سمعت سعد بن عبيدة يحدث عن المستورد عن صلة بن زفر عن حذيفة انه صلى مع النبي ﷺ فكان يقول في ركوعه « سبحان ربي العظيم — وفي سجوده — سبحان ربي الاعلى » وما أتى على آية رحمة الا وقف وسأل وما أتى على آية عذاب الا وقف وتعوذ

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد

وقال روح بن عبادة حدثنا حجاج الصواف عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله ﷺ «من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة » هكذا رواه الترمذي من حديث روح ورواه هو والنسائي أيضا من حديث حماد بن سلمة من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ به وقال الترمذي : حسن غريب لانعرفه إلا من حديث أبي الزبير

وقال البخاري في آخر كتابه حدثنا أحمد بن اشكاب حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » ورواه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث محمد بن فضيل باسناده مثله

﴿ آخر تفسير سورة الواقعة ولله الحمد والمنة ﴾

ابن اسمعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا محمد بن فضيل أنا عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم »

أخبرنا أبو نصر محمد بن الحسن الجلفري حدثني ابو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله الرازي بدمشق ثنا علي بن الحسين البزاز وأحمد بن سليمان بن حكم وابن راشد قالوا أخبرنا بكار بن قتيبة ثنا روح بن عبادة ثنا حجاج الصراف عن ابن الزبير عن جابر قال قال رسول الله ﷺ «من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة »

أخبرنا عبدالواحد المليحي قال أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا أبومنصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن احمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا يونس بن عبد الاعلى أنا ابن وهب أخبرني السري بن يحيى أن شجاعا حدثه عن أبي طيبة عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول« من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً » وكان أبو طيبة لايدعها أبداً



تفسير سورة الحديد وهي مدنية

قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا بقية بن الوليد حدثني بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن ابن أبي بلال عن عرباض بن سارية انه حدثهم أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد وقال « ان فيهن آية أفضل من ألف آية » وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن بقية به وقال الترمذي حسن غريب

ورواه النسائي عن ابن السرح عن ابن وهب عن معاوية بن صالح عن بجير بن سعد عن خالد بن معدان قال كان رسول الله ﷺ فذكره مرسلا لم يذكر عبد الله بن أبي بلال ولا العرباض بن سارية ، والآية المشار اليها في الحديث هي والله أعلم قوله تعالى (هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) كما سيأتي بيانه قريباً ان شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل

بسم الله الرحمن الرحيم

سبّح لله ما في السموٰت والأرض وهو العزيز الحكيم (١) له ملك السموٰت والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير (٢) هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم (٣)

يخبر تعالى انه يسبح له ما في السموات والارض أي من الحيوانات والنباتات كما قال في الآية الاخرى (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفوراً)

وقوله تعالى (وهو العزيز) أي الذي قد خضع له كل شيء [الحكيم] في خلقه وأمره وشرعه (له ملك السموات والارض يحيي ويميت) أي هو المالك المتصرف في خلقه فيحيي ويميت ويعطي من يشاء مايشاء (وهو على كل شيء قدير) أي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن

وقوله تعالى [هو الاول والآخر والظاهر والباطن] وهذه الآية هي المشار اليها في حديث عرباض بن سارية انها أفضل من الف آية

﴿ سورة الحديد مدنية وهي تسع وعشرون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم * له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير * هو الاول والآخر والظاهر والباطن ﴾ يعني هو الاول قبل

وقال أبو داود حدثنا عباس بن عبد العظيم حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة - يعني ابن عمار حدثنا أبو زميل قال سألت ابن عباس فقلت ماشيء أجده في صدري؟ قال ماهو؟ قلت والله لا أتكلم به قال فقال لي أشيء من شك؟ قال وضحك قال مانجا من ذلك أحد قال حتى أنزل الله تعالى [فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك] الآية قال وقال لي اذا وجدت في نفسك شيئا فقل [هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم] وقد اختلفت عبارات المفسرين في هذه الآية وأقوالهم على نحو من بضعة عشر قولا

وقال البخاري قال يحيى : الظاهر على كل شيء علما والباطن على كل شيء علما، وقال شيخنا الحافظ المزي يحيى هذا هو ابن زياد الفراء له كتاب سماه معاني القرآن

وقد ورد في ذلك أحاديث فمن ذلك ماقال الامام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا ابن عياش عن سهيل بن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يدعو عند النوم « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، منزل التوراة والانجيل والفرقان ، فالق الحب والنوى لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته ، أنت الاول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن ليس دونك شيء ، اقض عنا الدين ، واغننا من الفقر »

ورواه مسلم في صحيحه حدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن سهيل قال كان أبو صالح يأمرنا اذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الايمن ثم يقول : اللهم رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، فالق الحب والنوى ، ومنزل التوراة والانجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت الاول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين، واغننا من الفقر . وكان يروي ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ

وقد روى الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده عن عائشة أم المؤمنين نحو هذا فقال حدثنا عقبة حدثنا يونس حدثنا السري بن اسماعيل عن الشعبي عن مسروق عن عائشة أنها قالت كان رسول الله ﷺ يأمر بفراشه فيفرش له مستقبل القبلة فاذا أوى اليه توسد كفه اليمنى ثم همس مايدرى

كل شيء بلا ابتداء بل كان هو ولم يكن شيء موجوداً والآخر بعد فناء كل شيء بلا انتهاء تفنى الاشياء ويبقى هو [والظاهر] الغالب العالي على كل شيء [والباطن] العالم بكل شيء ، هذا معنى قول ابن عباس وقال يمان [هو الاول] القديم [والآخر] الرحيم [والظاهر] الحليم [والباطن] العليم ، وقال السدي [هو الاول] ببره إذ عرفك توحيده [والآخر] بجوده اذ عرفك التوبة على

مايقول فاذا كان في آخر الليل رفع صوته فقال « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ،إله كل شيء ومنزل التوراة والانجيل والفرقان ، فالق الحب والنوى ، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت الاول الذي ليس قبلك شيء ، وأنت الآخر الذي ليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين واغننا من الفقر » السري بن اسماعيل هذا هو ابن عم الشعبي وهو ضعيف جداً والله أعلم

وقال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية حدثنا عبد بن حميد وغير واحد لمعنى واحد قالوا حدثنا يونس بن محمد حدثنا شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة قال حدث الحسن عن أبي هريرة قال بينما نبي الله ﷺ جالس وأصحابه اذ أتى عليهم سحاب فقال نبي الله ﷺ « هل تدرون ماهذا ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « هذا العنان هذه روايا الارض تسوقه الى قوم لايشكرونه ولا يدعونه » ثم قال « هل تدرون مافوقكم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « فانها الرفيع سقف محفوظ وموج مكفوف » ثم قال « هل تدرون كم بينكم وبينها ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « بينكم وبينها خمسمائة سنة » ثم قال « هل تدرون مافوق ذلك ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « فان فوق ذلك سماء بعد سماء بعد ما بينهما مسيرة خمسمائة سنة - حتى عد سبع سموات - مابين كل سماءين كما بين السماء والارض ثم قال « هل تدرون مافوق ذلك ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « فان فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء مثل بعد مابين السماءين » ثم قال « هل تدرون ما الذي تحتكم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « فانها الارض » ثم قال « هل تدرون ما الذي تحت ذلك ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « فان تحتها أرضا أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة — حتى عدد سبع أرضين — بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة » ثم قال « والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم حبلا الى الارض السفلى لهبط على الله ثم قرأ (هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) ثم قال الترمذي هذا حديث غريب من هذا الوجه ويروى عن أيوب ويونس يعني ابن عبيد وعلي بن زيد قالوا لم يسمع الحسن من أبي هريرة، وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقالوا إنما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو على العرش كما وصف في كتابه انتهى كلامه

وقد روى الامام أحمد هذا الحديث عن شريح بن الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن الحسن

ما جنيت [والظاهر] بتوفيقه اذ وفقك للسجود له [والباطن] بستره إذ عصيته فستر عليك ، وقال الجنيد [هو الاول] بشرح القلوب [والاخر] بغفران الذنوب [والظاهر] بكشف الكروب [والباطن] بعلم الغيوب ، وسأل عمر رضي الله تعالى عنه كعبا عن هذه الآية فقال معناها ان علمه بالاول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن ﴿ وهو بكل شيء عليم ﴾

أخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فذكره وعنده وبعد مابين الارضين مسيرة سبعمائة عام وقال «لو دليتم أحدكم بحبل الى الارض السفلى السابعة لهبط على الله» ثم قرأ (هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) ورواه ابن أبي حاتم والبزار من حديث أبي جعفر الرازي عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة فذكر الحديث ولم يذكر ابن أبي حاتم آخره وهو قوله « لو دليتم بحبل » وإنما قال حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة عام ثم تلا (هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) وقال البزار لم يروه عن النبي ﷺ إلا أبو هريرة

ورواه ابن جرير عن بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة (هو الاول والآخر والظاهر والباطن ذكر لنا أن نبي الله ﷺ بينما هو جالس في أصحابه اذ مر عليهم سحاب فقال «هل تدرون ماهذا؟» وذكر الحديث مثل سياق الترمذي سواء إلا أنه مرسل من هذا الوجه ولعل هذا هو المحفوظ والله أعلم وقد روي من حديث أبي ذر الغفاري رضى الله عنه وأرضاه رواه البزار في مسنده والبيهقي في كتاب الاسماء والصفات ولكن في اسناده نظر وفي متنه غرابة ونكارة والله سبحانه وتعالى أعلم

وقال ابن جرير عند قوله تعالى (ومن الارض مثلهن) حدثنا ابن عبدالاعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال: التقى أربعة من الملائكة بين السماء والارض فقال بعضهم لبعض من أين جئت؟ قال أحدهم أرسلني ربي عز وجل من السماء السابعة وتركته ثم ، قال الآخر أرسلني ربى عز وجل من الارض السابعة وتركته ثم ، قال الآخر أرسلني ربى من المشرق وتركته ثم، قال الآخر أرسلني ربى من المغرب وتركته ثم، وهذا حديث غريب جداً وقد يكون الحديث الاول موقوفا على قتادة كما روى ههنا من قوله والله أعلم .

هو الذي خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرجُ فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير (٤) له مُلك السمٰوات والأرض وإلى الله تُرجع الأُمور (٥) يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور (٦)

ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني زهير بن حرب ثنا جرير عن سهيل قال كان أبو صالح يأمرنا اذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الايمن ثم يقول: اللهم رب السموات ورب الارض ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته أنت الاول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين واغنني من الفقر .

وكان يروى ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ (هو الذي خلق السموات والارض في ستة

يخبر تعالى عن خلقه السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم أخبر تعالى باستوائه على العرش بعد خلقهن وقد تقدم الكلام على هذه الآية واشباهها في سورة الاعراف بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله تعالى (يعلم مايلج في الارض) أي يعلم عدد مايدخل فيها من حب وقطر (وما يخرج منها) من نبات وزرع وثمار كما قال تعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم مافي البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين)

وقوله تعالى (وما ينزل من السماء) أي من الامطار، والثلوج والبرد والاقدار، والاحكام مع الملائكة الكرام ، وقد تقدم في سورة البقرة أنه ماينزل من قطرة من السماء إلا ومعها ملك يقررها في المكان الذي يأمر الله به حيث يشاء الله تعالى. وقوله تعالى وما يعرج فيها) أي من الملائكة والاعمال كما جاء في الصحيح « يرفع اليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل »

وقوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) أي رقيب عليكم شهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم من بر او بحر في ليل أو نهار في البيوت أو في القفار الجميع في علمه على السواء وتحت بصره وسمعه فيسمع كلامكم ويرى مكانكم ويعلم سركم ونجواكم كما قال تعالى (ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الاحين يستغشون ثيابهم يعلم مايسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور) وقال تعالى [سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار] فلا إله غيره ولا رب سواه ، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجبريل لما سأله عن الاحسان « أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك »

وروى الحافظ ابو بكر الاسماعيلي من حديث نصر بن خزيمة بن جنادة بن محفوظ بن علقمة حدثني أبي عن نصر بن علقمة عن أخيه عن عبد الرحمن بن عائذ قال :قال عمر جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : زودني حكمة أعيش بها فقال « استح الله كما تستحي رجلا من صالحي عشيرتك لا يفارقك » هذا حديث غريب

[1] وروى أبو نعيم من حديث عبدالله بن علويه العامري مرفوعا« ثلاث من فعلهن فقد طعم الايمان إن عبد الله وحده ، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه في كل عام ولم يعط الهومة ولا الرذية ولا الشرطة اللئيمة ولا المربضة ولكن من أوسط أموالكم وزكي نفسه » وقال رجل يارسول الله ماتزكية المرء نفسه فقال « يعلم ان الله معه حيث كان »

(١) هذا غير موجود في النسخة المكية

وقال نعيم بن حماد رحمه الله حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي عن محمد بن مهاجر

أيام ثم استوى على العرش * يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم ﴾ بالعلم ﴿ أينما كنتم والله بما تعملون بصير * له ملك السموات والارض والى الله ترجع

عن عروة بن رويم عن عبد الرحمن بن غنم عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أفضل الايمان أن تعلم ان الله معاك حيثما كنت » غريب وكان الامام احمد رحمه الله تعالى ينشد هذين البيتين :

اذا ماخلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ماتخفي عليه يغيب

وقوله تعالى (له ملك السموات والارض وإلى الله ترجع الامور) أي هو المالك للدنيا والآخرة كما قال تعالى [وان لنا للآخرة والاولى] وهو المحمود على ذلك كما قال تعالى [وهو الله لا إله الاهو له الحمد في الاولى والآخرة] وقال تعالى [الحمد لله الذي له مافي السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير] فجميع مافي السموات والارض ملك له وأهلهما عبيد أرقاء أذلاء بين يديه كما قال تعالى [إن كل من في السموات والارض الا آت الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا] ولهذا قال (وإلى الله ترجع الامور) أي اليه المرجع يوم القيامة فيحكم في خلقه بما يشاء وهو العادل الذي لايجور ولا يظلم مثقال ذرة بل ان يكن عمل أحدهم حسنة واحدة يضاعفها إلى عشر أمثالها [ويؤت من لدنه أجراً عظيما] كما قال تعالى [ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين]

وقوله تعالى (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) اي هو المتصرف في الخلق يقلب الليل والنهار ويقدرهما بحكمته كما يشاء فتارة يطول الليل ويقصر النهار وتارة بالعكس وتارة يتركهما معتدلين ، وتارة يكون الفصل شتاء ثم ربيعا ثم قيظا ثم خريفا وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريده بخلقه (وهو عليم بذات الصدور) اي يعلم السرائر وإن دقت وإن خفيت

آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير (٧) وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثقكم إن كنتم مؤمنين (٨) هو الذي ينزل على عبده آيت بينت ليخرجكم من الظلمت إلى النور وإن الله بكم لرءوف رحيم (٩) وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموٰت والارض لايستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير (١٠) من ذا الذي

الامور * يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور * آمنوا بالله ورسوله ﴾

يُقرض اللهَ قرضا حسنا فيضعفه له وله أجر كريم (١١)

أمر تبارك وتعالى بالايمان به وبرسوله على الوجه الاكمل والدوام والثبات على ذلك والاستمرار وحث على الانفاق مما جعلكم مستخلفين فيه اي مما هو معكم على سبيل العارية فانه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار اليكم فأرشد تعالى إلى استعمال ما استخلفهم فيه من المال في طاعته فان يفعلوا وإلا حاسبهم عليه وعاقبهم لتركهم الواجبات فيه

وقوله تعالى (مما جعلكم مستخلفين فيه) فيه اشارة الى أنه سيكون مخلفا عنك فلعل وارثك أن يطيع الله فيه فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك أو يعصي الله فتكون قد سعيت في معاونته على الاثم والعدوان.

قال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن مطرف يعني ابن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول «ألهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت» ورواه مسلم من حديث شعبة به وزاد «وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس»

وقوله تعالى (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير) ترغيب في الايمان والانفاق في الطاعة ثم قال تعالى (وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم؟) أي وأي شيء يمنعكم من الايمان والرسول بين أظهركم يدعوكم إلى ذلك ويبين لكم الحجج والبراهين على صحة ماجاءكم به وقد روينا في الحديث من طرق في أوائل شرح كتاب الايمان من صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال يوما لأصحابه «أي المؤمنين أعجب اليكم إيمانا؟ - قالوا الملائكة - قال وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم؟ - قالوا فالانبياء، قال «وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم- »قالوا فنحن قال «وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم؟ ولكن أعجب المؤمنين إيمانا قوم يجيئون بعدكم يجدون صحفا يؤمنون بما فيها» وقد ذكرنا طرفا من هذه في أول سورة البقرة عند قوله تعالى [الذين يؤمنون بالغيب]

وقوله تعالى (وقد أخذ ميثاقكم) كما قال تعالى [واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا] ويعني بذلك بيعة الرسول ﷺ وزعم ابن جرير أن المراد بذلك الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم وهو مذهب مجاهد فالله أعلم

يخاطب كفار مكة ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ مملكين فيه يعني المال الذي كان بيد غيرهم فأهلكهم وأعطاه قريشا فكانوا في ذلك المال خلفاء عمن مضوا ﴿فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير * ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم؟﴾

قرأ أبو عمر وأخذ بضم الهمزة وكسر الخاء ميثاقكم برفع القاف على مالم يسم فاعله وقرأ الآخرون

وقوله تعالى (هو الذي ينزل على عبده آيات بينات) أي حججا واضحات ودلائل باهرات ، وبراهين قاطعات (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) اي من ظلمات الجهل والكفر والا راء المتضادة إلى نور الهدى واليقين والايمان (وإن الله بكم لرءوف رحيم) أي في انزاله الكتاب وارساله الرسل لهداية الناس وازاحة العلل وازالة الشبه ولما أمرهم أولا بالايمان والانفاق ثم حثهم على الايمان وبين أنه قد أزال عنهم موانعه حثهم أيضا على الانفاق فقال (وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض؟) اي أنفقوا ولا تخشوا فقراً واقلالا فان الذي انفقتم في سبيله هومالك السموات والارض وبيده مقاليدهما وعنده خزائنهما وهو مالك العرش بما حوى وهو القائل (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) وقال [ما عندكم ينفد وما عند الله باق] فمن توكل على الله أنفق ولم يخش من ذي العرش اقلالا وعلم أن الله سيخلفه عليه

وقوله تعالى (لايستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) أي لا يستوي هذا ومن لم يفعل كفعله وذلك ان قبل فتح مكة كان الحال شديداً فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون وأما بعد الفتح فانه ظهر الاسلام ظهوراً عظيما ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ولهذا قال تعالى (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) والجمهور على أن المراد بالفتح ههنا فتح مكة ، وعن الشعبي وغيره ان المراد بالفتح ههنا صلح الحديبية

بفتح الهمزة والخاء ونصب القاف أي أخذ الله ميثاقكم حين أخرجكم من ظهر آدم عليه السلام بأن الله ربكم لا إله لكم سواه قاله مجاهد ، وقيل أخذ ميثاقكم باقامة الحجج والدلائل التي تدعو إلى متابعة الرسول ﷺ ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ يوماً فالآن أحرى الاوقات أن تؤمنوا لقيام الحجج والاعلام ببعثة محمد ﷺ ونزول القرآن

قوله تعالى ﴿ هو الذي ينزل على عبده ﴾ محمد ﷺ ﴿ آيات بينات ﴾ يعني القرآن ﴿ ليخرجكم ﴾ الله بالقرآن ﴿ من الظلمات الى النور ﴾ وقيل ليخرجكم الرسول بالدعوة من الظلمات الى النور أي من ظلمات الشرك الى نور الايمان ﴿ وإن الله بكم لرؤف رحيم * وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض ؟ ﴾ يقول أي شيء لكم في ترك الانفاق فيما يقرب من الله وأنتم ميتون تاركون أموالكم؟ ثم بين فضل من سبق بالانفاق في سبيل الله وبالجهاد فقال ﴿ لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح ﴾ يعني فتح مكة في قول اكثر المفسرين

وقال الشعبي هو صلح الحديبية ﴿ وقاتل ﴾ يقول لا يستوي في الفضل من أنفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة كمن أنفق وقاتل بعده ﴿ أولئك اعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ﴾

وروى محمد بن فضيل عن الكلبي ان هذه الاية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه

وقد يستدل لهذا القول بما قال الامام احمد حدثنا احمد بن عبدالملك حدثنا زهير حدثنا حميد الطويل عن أنس قال كان بين خالد بن الوليد وبين عبدالرحمن بن عوف كلام فقال خالد لعبدالرحمن تستطيلون علينا بايام سبقتمونا بها فبلغنا أن ذلك ذكر للنبي ﷺ فقال « دعوا لى أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد أومثل الجبال ذهبا ما بلغتم أعمالهم » ومعلوم ان اسلام خالد بن الوليد المواجه بهذا الخطاب كان بين صلح الحديبية وفتح مكة وكانت هذه المشاجرة بينهما في بني جذيمة الذين بعث اليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد بعد الفتح فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فأمر خالد بقتلهم وقتل من أسر منهم فخالفه عبدالرحمن بن عوف وعبدالله بن عمر وغيرهما فاختصم خالد وعبد الرحمن بسبب ذلك ، والذي في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه »

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث ابن وهب أخبرنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أنه قال خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية حتى إذا كنا بعسفان قال رسول الله ﷺ « يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم » فقلنا من هم يارسول الله أقريش ؟ قال « لا ولكن أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا فقلنا أهم خير منا يارسول الله ؟ قال « لو كان لاحدهم جبل من ذهب فأنفقه ما أدرك مد أحدكم ولا نصيفه الا أن هذا فصل مابيننا وبين الناس (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير) » وهذا الحديث غريب بهذا السياق ، والذي في الصحيحين من رواية جماعة عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد ذكر الخوارج : تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية . الحديث ولكن روى ابن جرير هذا الحديث من وجه آخر فقال : حدثني ابن البرقي حدثنا ابن أبي مريم أخبرنا محمد بن جعفر أخبرني زيد بن أسلم عن أبي سعيد التمار عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال « يوشك أن يأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم » قلنا من هم يارسول الله قريش ؟ قال « لا ولكن أهل اليمن لانهم أرق أفئدة وألين قلوبا وأشار بيده إلى اليمن فقال « هم أهل اليمن ألا إن الايمان يمان والحكمة يمانية » فقلنا يارسول الله هم خير منا قال « والذي نفسي بيده لو كان لأحدهم جبل من ذهب ينفقه ما أدى مد أحدكم ولا نصيفه » ثم جمع

فانه أول من أسلم وأول من أنفق ماله في سبيل الله ، وقال عبد الله بن مسعود أول من أظهر اسلامه بسيفه النبي ﷺ وأبو بكر

أخبرنا احمد بن ابراهيم الشريحي أنا ابو اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي انا عبد الله بن حامد بن محمد أنا احمد بن اسحاق بن أيوب أنا محمد بن يونس ثنا العلاء بن عمرو الشيباني ثنا أبو اسحاق الفزاري ثنا سفيان بن سعيد عن آدم بن علي عن ابن عمر قال كنت عند رسول الله

أصابعه ومد خنصره وقال « ألا ان هذا فضل مابيننا و بين الناس لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل اولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير » فهذا السياق ليس فيه ذكر الحديبية فان كان ذاك محفوظا كما تقدم فيحتمل انه أنزل قبل الفتح اخباراً عما بعده كما في قوله تعالى في سورة المزمل وهي مكية من أوائل ما نزل (وآخرون يقاتلون في سبيل الله) الآية فهي بشارة بما يستقبل وهكذا هذه والله أعلم

وقوله تعالى (وكلا وعد الله الحسنى) يعني المنفقين قبل الفتح وبعده كلهم لهم ثواب على ما عملوا وإن كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء كما قال تعالى (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما) وهكذا الحديث الذي في الصحيح « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير » وإنما نبه بهذا لئلا يهدر جانب الآخر بمدح الاول دون الآخر فيتوهم عندهم ذمه فلهذا عطف بمدح الآخر والثناء عليه مع تفضيل الاول عليه ولهذا قال تعالى (والله بما تعملون خبير) أي فلخبرته فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن فعل ذلك بعد ذلك وما ذاك إلا لعلمه بقصد الاول واخلاصه التام وانفاقه في حال الجهد والقلة والضيق

وفي الحديث « سبق درهم مائة الف » ولا شك عند أهل الايمان ان الصديق أبا بكر رضي الله عنه له الحظ الاوفر من هذه الآية فانه سيد من عمل بها من سائر أمم الانبياء فانه أنفق ماله كله ابتغاء وجه الله عز وجل ولم يكن لاحد عنده نعمة يجزيه بها

وقد قال ابو محمد الحسين بن مسعود البغوي عند تفسير هذه الآية أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي أخبرنا أبو إسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد أخبرنا أحمد بن اسحاق بن أيوب أخبرنا محمد بن يونس حدثنا العلاء بن عمرو الشيباني حدثنا ابو اسحاق الفزاري حدثنا سفيان بن سعيد عن آدم بن علي عن ابن عمر قال كنت عند النبي ﷺ وعنده ابو بكر

ﷺ وعنده أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعليه عباءة قد خلها في صدره بخلال فنزل عليه جبريل فقال ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره بخلال؟ فقال « أنفق ماله علي قبل الفتح » قال فان الله عز وجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ فقال رسول الله ﷺ « يا أبا بكر ان الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك أراض أنت في فقرك هذا أم ساخط؟ » فقال أبو بكر أأسخط على ربي؟ اني عن ربي راض اني عن ربي راض ﴿وكلا وعد الله الحسنى﴾ أي كلا الفريقين وعدهم الله الجنة

الصديق وعليه عباءة قد خلها في صدره بخلال فنزل جبريل فقال مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره بخلال؟ فقال « انفق ماله علي قبل الفتح » قال فان الله يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ فقال رسول الله ﷺ « يا أبا بكر ان الله يقرأ عليك السلام ويقول لك أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ » فقال ابو بكر رضي الله عنه أسخط على ربي عز وجل؟ اني عن ربي راض » هذا الحديث ضعيف الاسناد من هذا الوجه والله أعلم

وقوله تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) قال عمر بن الخطاب هو الانفاق في سبيل الله ، وقيل هو النفقة على العيال ، والصحيح انه أعم من ذلك فكل من أنفق في سبيل الله بنية خالصة وعزيمة صادقة دخل في عموم هذه الآية ولهذا قال تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له) كما قال في الآية الاخرى (أضعافا كثيرة وله أجر كريم) أى جزاء جميل ورزق باهر وهو الجنة يوم القيامة

قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الاعرج عن عبدالله ابن الحارث عن عبدالله بن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له) قال ابو الدحداح الانصاري يارسول الله وان الله ليريد منا القرض قال « نعم يا أبا الدحداح » قال أرني يدك يارسول الله قال فناوله يده قال فاني قد أقرضت ربي حائطي وله حائط فيه ستمائة نخلة وأم الدحداح فيه وعيالها قال فجاء ابو الدحداح فناداها يا أم الدحداح قالت لبيك قال اخرجي فقد أقرضته ربي عز وجل ، وفي رواية أنها قالت له ربح بيعك يا أبا الدحداح ونقلت منه متاعها وصبيانها وان رسول الله ﷺ قال « كم من عذق رداح في الجنة لابي الدحداح - وفي لفظ - رب نخلة مدلاة عروقها در وياقوت لابى الدحداح في الجنة »

يوم ترى المؤمنين والمؤمنٰت يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمٰنهم بشراكم اليوم جنٰت تجرى من تحتها الانهٰر خٰلدين فيها ذلك هو الفوز العظيم (١٢) يوم يقول المنٰفقون والمنٰفقٰت للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم ، قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظٰهره من قبله العذاب (١٣) ينادونهم ألم نكن معكم ؟ قالوا بلى ولٰكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله

قال عطاء درجات الجنة تتفاضل فالذين أنفقوا قبل الفتح في أفضلها وقرأ ابن عامر وكل بالرفع ﴿ والله بما تعملون خبير * من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم * يوم ترى

الغرور (١٤) فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير (١٥)

يقول تعالى مخبراً عن المؤمنين المتصدقين أنهم يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم في عرصات القيامة بحسب أعمالهم كما قال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى [يسعى نورهم بين أيديهم] قال على قدر أعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة ومنهم من نوره مثل الرجل القائم وأدناهم نوراً من نوره في ابهامه يتقد مرة ويطفأ مرة ، رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول « من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة الى عدن أبين وصنعاء فدون ذلك حتى ان من المؤمنين من يضيء نوره موضع قدميه »

وقال سفيان الثوري عن حصين عن مجاهد عن جنادة بن أبي أمية قال انكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسيماكم وحلاكم ونجواكم ومجالسكم فاذا كان يوم القيامة قيل يافلان هذا نورك يافلان لا نور لك وقرأ [يسعى نورهم بين أيديهم]

وقال الضحاك ليس أحد الا يعطى نورا يوم القيامة فاذا انتهوا الى الصراط طفيء نور المنافقين فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا ان يطفأ نورهم كما طفيء نور المنافقين فقالوا ربنا أتمم لنا نورنا ، وقال الحسن [يسعى نورهم بين أيديهم] يعني على الصراط

وقد قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب أخبرنا عمي عن يزيد بن أبي حبيب عن سعيد بن مسعود انه سمع عبد الرحمن بن جبير يحدث انه سمع أبا الدرداء وأبا ذر يخبران عن النبي ﷺ قال « أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود وأول من يؤذن له برفع رأسه فأنظر من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي فأعرف أمتي من بين الامم فقال له رجل يانبي الله كيف تعرف أمتك من بين الامم ما بين نوح الى امتك ؟ فقال أعرفهم محجلون من اثر الوضوء ولا يكون لأحد من الامم غيرهم وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم وأعرفهم بسيماهم في وجوههم وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم

وقوله [وبأيمانهم] قال الضحاك أي وبأيمانهم كتبهم كما قال [فمن اوتي كتابه بيمينه] وقوله

المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم ﴾ يعني على الصراط ﴿ بين أيديهم وبأيمانهم ﴾ يعني عن أيمانهم قال بعضهم أراد جميع جوانبهم فعبر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم إلى الجنة

وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال « ان من المؤمنين من يضيء نوره ـ يعني على الصراط ـ من المدينة الى عدن أبين وصنعاء ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه »

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما يؤتون من نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة

[بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار] أي قال لهم بشراكم اليوم جنات اي لكم البشارة بجنات تجري من تحتها الأنهار [خالدين فيها] اي ماكثين فيها ابدا [ذلك هو الفوز العظيم]

وقوله [يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم] وهذا إخبار منه تعالى عما يقع يوم القيامة في العرصات من الاهوال المزعجة، والزلازل العظيمة، والامور الفظيعة وانه لاينجو يومئذ إلا من آمن بالله ورسوله وعمل بما أمر الله به وترك ماعنه زجر

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سلمان حدثنا ابن المبارك حدثنا صفوان بن عمرو حدثني سليم بن عامر قال خرجنا على جنازة في باب دمشق ومعنا أبو امامة الباهلي فلما صلى على الجنازة وأخذوا في دفنها قال أبو امامة: أيها الناس انكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات، وتوشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر وهو هذا - يشير إلى القبر - بيت الوحدة وبيت الظلمة وبيت الدود وبيت الضيق إلا ماوسع الله، ثم تنتقلون منه إلى مواطن يوم القيامة فانكم في بعض تلك المواطن حتى يغشى الناس أمر من الله فتبيض وجوه وتسود وجوه، ثم تنتقلون منه إلى منزل آخر فيغشى الناس ظلمة شديدة، ثم يقسم النور فيعطى المؤمن نوراً ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئاً، وهو المثل الذي ضربه الله تعالى في كتابه فقال (أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضيء الاعمى ببصر البصير ويقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا (انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) وهي خدعة الله

ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نوراً من نوره على ابهامه فيطفأ مرة ويوقد مرة، وقال الضحاك ومقاتل يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم كتبهم يريد ان كتبهم التي أعطوها بأيمانهم ونورهم بين أيديهم وتقول لهم الملائكة ﴿بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم * يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا﴾ قرأ الاعمش وحمزة أنظرونا بفتح الهمزة وكسر الظاء يعني امهلونا وقيل انتظرونا وقرأ الآخرون بحذف الالف في الوصل وضمها في الابتداء وضم الظاء تقول العرب أنظرني وانظرني يعني انتظرني ﴿نقتبس من نوركم﴾ نستضيء من نوركم وذلك ان الله تعالى يعطي المؤمنين نوراً على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط ويعطي المنافقين أيضا نوراً خديعة لهم وهو قوله عز وجل (وهو خادعهم) فبينا هم يمشون إذ بعث الله عليهم ريحا وظلمة فأطفأت نور المنافقين فذلك قوله (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا) مخافة أن يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين وقال الكلبي بل يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فاذا سبقهم المؤمنون وبقوا في الظلمة قالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم ﴿قيل ارجعوا وراءكم﴾ قال ابن عباس يقول لهم المؤمنون

التي خدع بها المنافقين حيث قال (يخادعون الله وهو خادعهم) فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيئا فينصرفون اليهم وقد ضرب بينهم بسور له باب (باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) الآية يقول سليم بن عامر فما يزال المنافق مغترا حتى يقسم النور ويميز الله بين المنافق والمؤمن

ثم قال حدثنا أبي حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا ابن حيوة حدثنا ارطاة بن المنذر حدثنا يوسف ابن الحجاج عن أبي امامة قال يبعث الله ظلمة يوم القيامة فما من مؤمن ولا كافر يرى كفه حتى يبعث الله بالنور إلى المؤمنين بقدر أعمالهم فيتبعهم المنافقون فيقولون انظرونا نقتبس من نوركم

وقال العوفي والضحاك وغيرهما عن ابن عباس بينما الناس في ظلمة إذ بعث الله نورا فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه وكان النور دليلا من الله إلى الجنة، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم فأظلم الله على المنافقين فقالوا حينئذ [انظرونا نقتبس من نوركم] فانا كنا معكم في الدنيا قال المؤمنون (ارجعوا وراءكم) من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور

وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا الحسن بن عرفة بن علويه العطار حدثنا اسماعيل بن عيسى العطار حدثنا إسحاق بن بشر بن حذيفة حدثنا ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « إن الله تعالى يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترا منه على عباده، وأما عند الصراط فان الله تعالى يعطي كل مؤمن نورا وكل منافق نورا فاذا استووا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات فقال المنافقون انظرونا نقتبس من نوركم وقال المؤمنون ربنا أتمم لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك أحد أحدا »

وقوله تعالى (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) قال الحسن وقتادة هو حائط بين الجنة والنار، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هو الذي قال الله تعالى (وبينهما حجاب) وهكذا روي عن مجاهد رحمه الله وغير واحد وهو الصحيح [باطنه فيه الرحمة] أى الجنة وما فيها [وظاهره من قبله العذاب] أي النار قاله قتادة وابن زيد وغيرهما، قال ابن جرير وقد قيل ان ذلك السور سور بيت المقدس عند وادي جهنم

وقال قتادة تقول لهم الملائكة ارجعوا وراءكم من حيث جئتم ﴿ فالتمسوا نوراً ﴾ فاطلبوا هناك لانفسكم نوراً فانه لا سبيل لكم الى الاقتباس من نورنا فيرجعون في طلب النور فلا يجدون شيأ فينصرفون اليهم ليلقوهم فيميز بينهم وبينهم المؤمنين

وهو قوله ﴿ فضرب بينهم بسور ﴾ أي سور والباء صلة يعني بين المؤمنين والمنافقين وهو حائط بين الجنة والنار ﴿ له ﴾ أي لذلك السور ﴿ باب باطنه فيه الرحمة ﴾ أي في باطن ذلك السور الرحمة وهي الجنة ﴿وظاهره﴾ أي خارج ذلك السور ﴿ من قبله ﴾ أي من قبل ذلك الظاهر ﴿ العذاب ﴾

ثم قال حدثنا ابن البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة عن سعيد بن عطيـة بن قيس عن أبي العوام مؤذن بيت المقدس قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول إن السور الذي ذكره الله في القرآن (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) هو السور الشرقي باطنـه المسجد وما يليه وظاهره وادي جهنم

ثم روي عن عبادة بن الصامت وكعب الاحبار وعلي بن الحسين وزين العابدين نحو ذلك، وهذا محمول منهم على أنهم أرادوا بهذا تقريب المعنى ومثالا لذلك لأن هذا هو الذي أريد من القرآن هذا الجدار المعين ونفس المسجد وما وراءه من الوادي المعروف بوادي جهنم فان الجنة في السموات في أعلى عليين والنار في الدركات أسفل سافلين، وقول كعب الاحبار ان الباب المذكور في القرآن هو باب الرحمة الذي هو أحد أبواب المسجد فهذا من اسرائيلياته وترهاته ، وانما المراد بذلك سور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين فاذا انتهى اليه المؤمنون دخلوه من بابه فاذا استكملوا دخولهم أغلق الباب وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعـذاب كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة ينادونهم (ألم نكن معكم) أي ينادي المنافقون المؤمنين أما كنا معكم في الدار الدنيا نشهد معكم الجمعات ونصلي معكم الجماعات ، ونقف معكم بعرفات ، ونحضر معكم الغزوات ، ونؤدي معكم سائر الواجبات (قالوا بلى) أي فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين بلى قد كنتم معنا (ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني) قال بعض السلف أي فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات وتربصتم اي أخرتم التوبة من وقت إلى وقت

وقال قتادة (تربصتم) بالحق وأهله (وارتبتم) أي بالبعث بعد الموت (وغرتكم الاماني) أي قلتم سيغفر لنا، وقيل غرتكم الدنيا (حتى جاء أمر الله) أي مازلتم في هذا حتى جاءكم الموت (وغركم بالله الغرور) أي الشيطان ، قال قتادة كانوا على خدعة من الشيطان والله مازالوا عليها حتى قذفهم الله

وهو النـار ﴿ ينادونهم ﴾ روي عن عبد الله بن عمر قال ان السور الذي ذكر الله تعالى في القرآن (فضرب بينهم بسور له باب) هو سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وادي جهنم، وقال ابن شريح كان كعب الاحبار يقول في الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس انه الباب الذي قال الله عز وجل (فضرب بينهم بسور له باب) الآية (ينادونهم) يعني ينادي المنافقون المؤمنين من وراء السور حين حجب بينهم السور وبقوا في الظلمة ﴿ألم نكن معكم﴾ في الدنيا نصلي ونصوم ﴿ قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم ﴾ أهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها في المعاصي والشهوات وكلها فتنة ﴿وتربصتم﴾ بالايمان والتوبة قال مقاتل وتربصتم بمحمد ﷺ الموت وقلتم يوشك ان يموت فنستريح منه ﴿ وارتبتم ﴾ شككتم في نبوته وفيما أوعدكم به ﴿ وغرتكم الاماني ﴾ الاباطيل وما كنتم تتمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين ﴿ حتى جاء أمر الله ﴾ يعني الموت ﴿ وغركم بالله الغرور ﴾ يعني

في النار . ومعنى هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين انكم كنتم معنا أي بأبدان لا نية لها ولا قلوب معها وانما كنتم في حيرة وشك فكنتم تراءون الناس ولا تذكرون الله إلا قليلا

قال مجاهد كان المنافقون مع المؤمنين أحياء يناكحونهم ويغشونهم ويعاشرونهم وكانوا معهم أمواتا ويعطون النور جميعا يوم القيامة، ويطفأ النور من المنافقين اذا بلغوا السور ويماز بينهم حينئذ، وهذا القول من المؤمنين لا ينافي قولهم الذي أخبر الله تعالى به عنهم حيث يقول وهو أصدق القائلين (كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ماسلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين) فهذا انما خرج منهم على وجه التقريع لهم والتوبيخ

ثم قال تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) كما قال ههنا [فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا] أي لو جاء أحدكم اليوم بملء الارض ذهبا ومثله معه ليفتدي به من عذاب الله ماقبل منه وقوله تعالى (مأواكم النار) أي هي مصيركم واليها منقلبكم ، وقوله تعالى (هي مولاكم) أي هي أولى بكم من كل منزل على كفركم وارتيابكم وبئس المصير

ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشعَ قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتٰبَ من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فٰسقون (١٦) اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيٰتِ لعلكم تعقلون (١٧)

يقول تعالى أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله أي تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيعه . قال عبد الله بن المبارك حدثنا صالح المري عن قتادة عن ابن عباس انه قال : ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن فقال (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) الآية . رواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد ابن الصباح عن حسين المروزي عن ابن المبارك به

الشيطان قال قتادة مازالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في النار ﴿ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب تؤخذ بالتاء وقرأ الآخرون بالياء فدية بدل وعوض بأن تفدوا أنفسكم من العذاب ﴿ ولا من الذين كفروا ﴾ يعني المشركين ﴿ مأواكم النار هي مولاكم ﴾ صاحبكم وأولى بكم لما أسلفتم من الذنوب ﴿ وبئس المصير ﴾

قوله عز وجل ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ قال الكلبي ومقاتل نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك انهم سألوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا حدثنا عن التوراة فان

ثم قال هو ومسلم حدثنا يونس بن عبد الاعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن عن سعيد بن أبي هلال يعني الليثي عن عون بن عبد الله عن أبيه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ماكان بين اسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) الآية الا أربع سنين كذا رواه مسلم في آخر الكتاب ، وأخرجه النسائي عند تفسير هذه الآية عن هارون ابن سعيد الايلي عن ابن وهب به

وقد رواه ابن ماجه من حديث موسى بن يعقوب الربعي عن أبي حازم عن عامر بن عبد الله ابن الزبير عن أبيه مثله فجعله من مسند ابن الزبير لكن رواه البزار في مسنده من طريق موسى بن يعقوب عن أبي حازم عن عامر عن ابن الزبير عن ابن مسعود فذكره. وقال سفيان الثوري عن المسعودي عن القاسم قال مل أصحاب رسول الله ﷺ ملة فقالوا حدثنا يارسول الله فأنزل الله تعالى [نحن نقص عليك أحسن القصص] قال ثم ملوا ملة فقالوا حدثنا يارسول الله فأنزل الله تعالى [الله نزل أحسن الحديث] ثم ملوا ملة فقالوا حدثنا يارسول الله فأنزل الله تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) وقال قتادة (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) ذكر لنا أن شداد بن أوس كان يروي عن رسول الله ﷺ قال « إن أول مايرفع من الناس الخشوع »

وقوله تعالى (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم) نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى لما تطاول عليهم الامد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به ثمنا قليلا ونبذوه وراء ظهورهم وأقبلوا على الآراء

فيها العجائب فنزلت (نحن نقص عليك أحسن القصص) فأخبرهم ان القرآن احسن قصصا من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ماشاء الله ، ثم عادوا فسألوا سلمان عن مثل ذلك فنزل (الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها) فكفوا عن سؤاله ماشاء الله ، ثم عادوا فقالوا حدثنا عن التوراة فان فيها العجائب فنزلت هذه الآية فعلى هذا تأويل قوله (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) يعني في العلانية وباللسان وقال الآخرون نزلت في المؤمنين، قال عبد الله بن مسعود ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع) ترق وتلين وتخضع (قلوبهم لذكر الله) الا أربع سنين. وقال ابن عباس ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال (ألم يأن) ألم يحن (للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) ﴿ وما نزل ﴾ قرأ نافع وحفص عن عاصم بتخفيف الزاي وقرأ الآخرون بتشديدها ﴿ من الحق ﴾ وهو القرآن ﴿ ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿ فطال عليهم الامد ﴾ الزمان بينهم وبين أنبيائهم ﴿ فقست قلوبهم ﴾ قال ابن عباس مالوا إلى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ الله والمعنى أن الله عز وجل ينهى المؤمنين ان يكونوا في صحبة القرآن كاليهود الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر

المختلفة والاقوال المؤتفكة ، وقلدوا الرجال في دين الله ، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله فعند ذلك قست قلوبهم فلا يقبلون موعظة ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد (وكثير منهم فاسقون) أي في الاعمال فقلوبهم فاسدة وأعمالهم باطلة كما قال تعالى [فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به] أي فسدت قلوبهم فقست وصار من سجيتهم تحريف الكلم عن مواضعه وتركوا الاعمال التي أمروا بها وارتكبوا مانهوا عنه ولهذا نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم في شيء من الامور الاصلية والفرعية

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا شهاب بن خراش حدثنا حجاج بن دينار عن منصور بن المعتمر عن الربيع بن أبي عميلة الفزارى قال حدثنا عبد الله بن مسعود حديثا ماسمعت أعجب إلي منه إلا شيئا من كتاب الله أو شيئا قاله النبي ﷺ قال ان بني اسرائيل لما طال عليهم الامد فقست قلوبهم اخترعوا كتابا من عند أنفسهم استهوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم واستلذته وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم فقالوا تعالوا ندعوا بني اسرائيل إلى كتابنا هذا فمن تابعنا عليه تركناه ومن كره أن يتابعنا قتلناه ففعلوا ذلك وكان فيهم رجل فقيه فلما رأى مايصنعون عمد إلى ما يعرف من كتاب الله فكتبه في شيء لطيف ثم أدرجه فجعله في قرن ثم علق ذلك القرن في عنقه فلما أكثروا القتل قال بعضهم لبعض ياهؤلاء إنكم قد أفشيتم القتل في بني إسرائيل فادعوا فلانا فاعرضوا عليه كتابكم فانه ان تابعكم فسيتابعكم بقية الناس وان أبى فاقتلوه ، فدعوا فلانا ذلك الفقيه فقالوا أتؤمن بما في كتابنا هذا؟ قال ومافيه ؟ اعرضوه علي فعرضوه عليه إلى آخره ثم قالوا أتؤمن بهذا ؟ قال نعم آمنت بما في هذا وأشار بيده إلى القرن فتركوه فلما مات فتشوه فوجدوه معلقا ذلك القرن فوجدوا فيه ما يعرف من كتاب الله فقال بعضهم لبعض ياهؤلاء ما كنا نسمع هذا أصابه فتنة فافترقت بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين ملة وخير مللهم ملة أصحاب ذي القرن. قال ابن مسعود وانكم أوشك بكم إن بقيتم أو بقي من بقي منكم ان تروا أموراً تنكرونها لاتستطيعون لها غيرا فبحسب المرء منكم أن يعلم الله من قلبه أنه لها كاره

وروى ابو جعفر الطبري حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن مغيرة عن أبي معشر عن ابراهيم قال جاء عتريس بن عرقوب إلى ابن مسعود فقال يا أبا عبدالله هلك من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر فقال عبد الله هلك من لم يعرف قلبه معروفا ولم ينكر قلبه منكراً ، إن بني إسرائيل لما طال عليهم

روي ان ابا موسى الاشعري بعث إلى قراء اهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرءوا القرآن فقال لهم أنتم خيار اهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم (وكثير منهم فاسقون) يعني الذين تركوا الايمان بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام

الامد وقست قلوبهم اخترعوا كتابا من بين أيديهم وأرجلهم استهوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم وقالوا نعرض بني إسرائيل على هذا الكتاب فمن آمن به تركناه، ومن كفر به قتلناه قال فجعل رجل منهم كتاب الله في قرن ثم جعل القرن بين تندوتيه فلما قيل له أتؤمن بهذا؟ قال آمنت به ويومىء الى القرن بين تندوتيه، ومالي لا أومن بهذا الكتاب فمن خير مللهم اليوم ملة صاحب القرن

وقوله تعالى (اعلموا أن الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون) فيه إشارة الى أن الله تعالى يلين القلوب بعد قسوتها ويهدي الحيارى بعد ضلتها ويفرج الكروب بعد شدتها فكما يحيي الارض الميتة المجدبة الهامدة بالغيث المتان الوابل كذلك يهدي القلوب القاسية ببراهين القرآن والدلائل، ويولج اليها النور بعد ان كانت مقفلة لا يصل اليها الواصل، فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الضلال، والمضل لمن أراد بعد الكمال، الذي هو لما يشاء فعال، وهو الحكيم العدل في جميع الفعال، اللطيف الخبير الكبير المتعال

إن المصّدّقين والمصّدّقت وأقرضوا الله قرضا حسنا يضعف لهم ولهم أجر كريم (١٨)

والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصدّيقون، والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآيتنا أولئك أصحٰب الجحيم (١٩)

يخبر تعالى عما يثيب به المصدقين والمصدقات باموالهم على أهل الحاجة والفقر والمسكنة (وأقرضوا الله قرضا حسنا) أي دفعوه بنية خالصة ابتغاء مرضاة الله لا يريدون جزاء ممن أعطوه ولا شكوراً ولهذا قال (يضاعف لهم) أي يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها ويزاد على ذلك إلى سبعمائة ضعف وفوق ذلك (ولهم أجر كريم) أي ثواب جزيل حسن ومرجع صالح ومآب كريم

وقوله تعالى (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) هذا تمام الجملة وصف المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون، قال العوفي عن ابن عباس قوله تعالى (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) هذه مفصولة (والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم) وقال ابو الضحى (أولئك هم

قوله عز وجل ﴿اعلموا أن الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون * إن المصدقين والمصدقات﴾ قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم بتخفيف الصاد فيهما من التصديق أي المؤمنين والمؤمنات، وقرأ الآخرون بتشديدها أي المتصدقين والمتصدقات أدغمت التاء في الصاد ﴿وأقرضوا الله قرضا حسنا﴾ بالصدقة والنفقة في سبيل الله عز وجل ﴿يضاعف لهم﴾ ذلك القرض ﴿ولهم أجر كريم﴾ ثواب حسن وهو الجنة ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون﴾ والصديق الكثير الصدق، قال مجاهد كل من آمن بالله ورسله فهو صديق وتلا هذه الآية، قال الضحاك

الصديقون) ثم استأنف الكلام فقال (والشهداء عند ربهم) وهكذا قال مسروق والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم

وقال الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبدالله بن مسعود في قوله تعالى (أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) قال هم ثلاثة أصناف يعني المصدقين والصديقين والشهداء كما قال تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) ففرق بين الصديقين والشهداء فدل على أنهما صنفان ولا شك أن الصديق أعلى مقاما من الشهيد كما رواه الامام مالك بن أنس رحمه الله في كتابه الموطأ عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال « ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الافق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم » قالوا يارسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال « بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » اتفق البخاري ومسلم على اخراجه من حديث مالك به ، وقال آخرون بل المراد من قوله تعالى (أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) فأخبر عن المؤمنين بالله ورسله بأنهم صديقون وشهداء حكاه ابن جرير عن مجاهد

ثم قال ابن جرير حدثني صالح بن حرب أبو معمر حدثنا إسماعيل بن يحيى حدثنا ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن البراء بن عازب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « مؤمنو أمتي شهداء » قال ثم تلا النبي ﷺ هذه الآية (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) هذا حديث غريب

وقال ابو إسحاق عن عمرو بن ميمون في قوله تعالى (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم) قال يجيئون يوم القيامة معا كالأصبعين

وقوله تعالى (والشهداء عند ربهم) أي في جنات النعيم كما جاء في الصحيحين « ان أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي الى تلك القناديل فاطلع عليهم

هم ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا أهل الارض في زمانهم الى الاسلام ، أبو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ألحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته ﴿ والشهداء عند ربهم ﴾ اختلفوا في نظم هذه الاية منهم من قال هي متصلة بما قبلها والواو واو النسق وأراد بالشهداء المؤمنين المخلصين وقال الضحاك هم الذين سميناهم وقال مجاهد كل مؤمن صديق شهيد وتلا هذه الآية ، وقال قوم تم الكلام عند قوله هم الصديقون ثم ابتدأ فقال (والشهداء عند ربهم) والواو واو الاستئناف وهو قول ابن عباس ومسروق وجماعة ، ثم اختلفوا فيهم فقال قوم هم الانبياء الذين يشهدون على الامم يوم القيامة يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول

ربك اطلاعة فقال ماذا تريدون ؟ فقالوا نحب أن تردنا الى الدار الدنيا فنقاتل فيك فنقتل كما قتلنا أول مرة فقال إني قد قضيت انهم اليها لا يرجعون »

وقوله تعالى (لهم أجرهم ونورهم) أي لهم عندالله أجر جزيل ونورعظيم يسعى بين أيديهم وهم في ذلك يتفاوتون بحسب ما كانوا في الدار الدنيا من الاعمال كما قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن أبي يزيد الخولاني قال . سمعت فضالة بن عبيد يقول سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الايمان لقي العدو فصدق الله فقتل فذاك الذي ينظر الناس اليه هكذا ، ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوة رسول الله ﷺ وقلنسوة عمر ، والثاني مؤمن لقي العدو فكأنما يضرب ظهره بشوك الطلح جاءه سهم غرب فقتله فذاك في الدرجة الثانية ، والثالث رجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الثالثة ، والرابع رجل مؤمن أسرف على نفسه إسرافا كثيراً لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الرابعة » وهكذا رواه علي بن المديني عن أبي داود الطيالسي عن ابن المبارك عن ابن لهيعة ، وقال هذا إسناد مصري صالح ، ورواه الترمذي من حديث ابن لهيعة وقال حسن غريب ، وقوله تعالى (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) لما ذكر السعداء وما لهم عطف بذكر الاشقياء وبين حالهم

اعلموا أنما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطما وفي الآخرة عذاب شديد ، ومغفرة من الله ورضون وما الحيوة الدنيا إلا متع الغرور (٢٠) سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٢١)

يقول تعالى موهنا أمر الحياة الدنيا ومحقرا لها (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد) أى إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا كما قال تعالى (زين للناس حب

مقاتل بن حيان وقال مقاتل بن سليمان هم الذين استشهدوا في سبيل الله ﴿ لهم أجرهم ﴾ بما عملوا من العمل الصالح ﴿ ونورهم ﴾ على الصراط ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ﴾

قوله عز وجل ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا ﴾ أي ان الحياة الدنيا وما صلة أي ان الحياة في هذه الدار ﴿ لعب ﴾ باطل لا حاصل له ﴿ ولهو ﴾ فرح ثم ينقضي ﴿ وزينة ﴾ منظر تتزينون به ﴿ وتفاخر بينكم ﴾ يفخر به بعضكم على بعض ﴿ وتكاثر في الاموال والاولاد ﴾ أي مباهاة بكثرة الاموال

الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة فقال (كمثل غيث] وهو المطر الذى يأتي بعد قنوط الناس كما قال تعالى [وهو الذى ينزل الغيث من بعد ماقنطوا]

وقوله تعالى (أعجب الكفار نباته) أي يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث، وكما يعجب الزراع ذلك كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار فانهم أحرص شيء عليها وأميل الناس اليها (ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاما) أي يهيج ذلك الزرع فتراه مصفراً بعد ماكان خضراً نضراً ثم يكون بعد ذلك كله حطاماً أي يصير يبساً متحطما هكذا الحياة الدنيا تكون أولا شابة ثم تكتهل ثم تكون عجوزاً شوهاء ، والانسان يكون كذلك في أول عمره ، وعنفوان شبابه غضاطريا لين الاعطاف ، بهي المنظر ثم انه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه ثم يكبر فيصير شيخا كبيراً ضعيف القوى ، قليل الحركة يعجزه الشيء اليسير كما قال تعالى (الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ، ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق مايشاء وهو العليم القدير)

ولما كان هذا المثل دالاعلى زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لامحالة وان الآخرة كائنة لامحالة حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير فقال (وفي الآخرة عذاب شديد * ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) أي وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا: إما عذاب شديد وإما مغفرة من الله ورضوان

وقوله تعالى (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) أي هي متاع فان غار لمن ركن اليه فانه يغتربها وتعجبه حتى يعتقد أنه لادار سواها ولا معاد وراءها وهي حقيرة قليلة بالنسبة الى الدار الآخرة

قال ابن جرير حدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا المحاربي حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها اقرءوا (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) » وهذا الحديث ثابت في الصحيح بدون هذه الزيادة والله أعلم

وقال الامام احمد حدثنا ابن نمير ووكيع كلاهما عن الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « للجنة أقرب الى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك » انفرد باخراجه البخارى في الرقاق من حديث الثوري عن الاعمش به

والاولاد ثم ضرب لها مثلا فقال ﴿ كمثل غيث أعجب الكفار ﴾ أي الزراع ﴿ نباته ﴾ مانبت من ذلك الغيث ﴿ ثم يهيج ﴾ ييبس ﴿ فتراه مصفراً ﴾ بعد خضرته ونضرته ﴿ ثم يكون حطاما ﴾ يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى ﴿ وفي الاخرة عذاب شديد ﴾ قال مقاتل لاعداء الله ﴿ ومغفرة من الله ورضوان ﴾ لاوليائه واهل طاعته ﴿ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ قال سعيد بن جبير متاع الغرور لمن لم

ففي هذا الحديث دليل على اقتراب الخير والشر من الانسان، واذا كان الامر كذلك فلهذا حثه الله تعالى على المبادرة الى الخيرات من فعل الطاعات وترك المحرمات التي تكفر عنه الذنوب والزلات وتحصل له الثواب والدرجات فقال تعالى (سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض) والمراد جنس السماء والارض كما قال تعالى في الآية الاخرى (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت المتقين) وقال ههنا (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) أى هذا الذي أهلهم الله له هو من فضله ومنه عليهم واحسانه اليهم كما قدمنا في الصحيح أن فقراء المهاجرين قالوا يارسول الله ذهب أهل الدثور بالاجور بالدرجات العلى والنعيم المقيم قال« وما ذاك ؟ » قالوا يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق قال « أفلا أدلكم على شيء اذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ماصنعتم ؟ تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين » قال فرجعوا فقالوا سمع اخواننا أهل الاموال مافعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله ﷺ « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء »

ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير (٢٢) لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور (٢٣) الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد (٢٤)

يخبر تعالى عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية فقال (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم) أى في الآفاق وفي نفوسكم (إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) أى من قبل أن نخلق الخليقة ونبرأ النسمة وقال بعضهم من قبل أن نبرأها عائد على النفوس وقيل عائد على المصيبة والاحسن عوده على الخليقة والبرية لدلالة الكلام عليها كما قال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن منصور بن عبد الرحمن قال كنت جالسا مع الحسن فقال رجل سله عن قوله تعالى (ما أصاب

يشتغل فيها بطلب الاخرة ومن اشتغل بطلبها فله متاع بلاغ إلى ما هو خير منه ﴿ سابقوا ﴾ سارعوا ﴿ إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض ﴾ لو وصل بعضها ببعض ﴿ أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ فبين أن أحداً لا يدخل الجنة إلا بفضل الله

قوله عز وجل ﴿ ما أصاب من مصيبة في الارض ﴾ يعني قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار ﴿ ولا في أنفسكم ﴾ يعني الامراض وفقد الاولاد ﴿ إلا في كتاب ﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿ من قبل أن

من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) فسألته عنها فقال سبحان الله ومن يشك في هذا كل مصيبة بين السماء والارض ففي كتاب الله من قبل أن يبرأ النسمة وقال قتادة ما أصاب من مصيبة في الارض قال هي السنون يعني الجدب (ولا في أنفسكم) يقول الاوجاع والامراض، قال وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نكبة قدم ولا خلجان عرق إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر. وهذه الآية العظيمة من أدل دليل على القدرية نفاة العلم السابق قبحهم الله

وقال الامام احمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة وابن لهيعة قالا اخبرنا أبو هانيء الخولاني انه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي يقول سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة »

ورواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن وهب وحيوة بن شريح ونافع بن زيد ثلاثتهم عن أبي هانيء به وزاد ابن وهب « وكان عرشه على الماء » ورواه الترمذي وقال حسن صحيح

وقوله تعالى (ان ذلك على الله يسير) أي ان علمه تعالى الاشياء قبل كونها وكتابته لها طبق مايوجد في حينها سهل على الله عز وجل لانه يعلم ما كان وما يكون ومالم يكن لو كان كيف كان يكون

وقوله تعالى (لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) أي أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للاشياء قبل كونها وتقديرنا الكائنات قبل وجودها لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم فلا تأسوا على مافاتكم لانه لو قدر شيء لكان (ولا تفرحوا بما أتاكم) أي جاءكم، وتفسير آتاكم أي أعطاكم وكلاهما متلازم أي لا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم فان ذلك ليس بسعيكم ولا كدكم وانما هو عن قدر الله ورزقه لكم فلا تتخذوا نعم الله أشراً وبطراً تفخرون بها على الناس ولهذا قال تعالى (والله لا يحب كل مختال فخور) أي مختال في نفسه متكبر فخور أي على غيره وقال عكرمة ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبرا . ثم قال تعالى (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) أي يفعلون المنكر ويحضون الناس

نبرأها ﴾ من قبل أن نخلق الارض والانفس وقال ابن عباس من قبل أن نبرأ المصيبة وقال أبو العالية يعني النسمة ﴿ إن ذلك على الله يسير ﴾ أي إثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل ﴿ لكيلا تأسوا ﴾ تحزنوا ﴿ على مافاتكم ﴾ من الدنيا ﴿ ولا تفرحوا ﴾ أي لا تبطروا ﴿ بما آتاكم ﴾ قرأ أبو عمرو بقصر الالف لقوله فاتكم فجعل الفعل له، وقرأ الاخرون آتاكم بمد الالف أي أعطاكم قال عكرمة ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكراً والحزن صبراً ﴿ والله لا يحب كل مختال ﴾ متكبر بما أوتي من الدنيا ﴿ فخور ﴾ يفخر به على الناس قال جعفر بن محمد الصادق يا ابن آدم مالك تأسف على مفقود لا يرده اليك الفوت ومالك تفرح بموجود لا يتركه في يدك الموت ﴿ الذين يبخلون ﴾ قيل هو في محل الخفض على نعت المختال، وقيل هو رفع بالابتدا وخبره فيما بعده ﴿ ويأمرون

عليه (ومن يتول) أي عن أمر الله وطاعته (فان الله هو الغني الحميد) كما قال موسى عليه السلام (ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد)

لقد أرسلنا رسلنا بالبينٰت وأنزلنا معهم الكتٰب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنٰفع للناس، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوىٌّ عزيز (٢٥)

يقول تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) أي بالمعجزات، والحجج الباهرات، والدلائل القاطعات، (وأنزلنا معهم الكتاب) وهو النقل المصدق (والميزان) وهو العدل قاله مجاهد وقتادة وغيرهما وهو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة كما قال تعالى: أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) وقال تعالى (فطرة الله التي فطر الناس عليها) وقال تعالى (والسماء رفعها ووضع الميزان) ولهذا قال في هذه الآية (ليقوم الناس بالقسط) أي بالحق والعدل وهو اتباع الرسل فيما اخبروا به وطاعتهم فيما أمروا به فان الذي جاؤا به هو الحق الذي ليس وراءه حق كما قال (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) أي صدقا في الاخبار وعدلا في الاوامر والنواهي ولهذا يقول المؤمنون اذا تبوؤا غرف الجنات، والمنازل العاليات، والسرر المصفوفات (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق)

وقوله تعالى (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) أي وجعلنا الحديد رادعا لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى اليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين وبيان وإيضاح للتوحيد وبينات ودلالات، فلما قامت الحجة على من خالف شرع الله الهجرة وأمرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده

وقد روى الامام أحمد وأبو داود من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية عن أبي المنيب الجرشي الشامي عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « بعثت بالسيف بين يدي

الناس بالبخل ومن يتول ﴾ أى يعرض عن الايمان ﴿ فان الله هو الغني الحميد ﴾ قرأ أهل المدينة والشام فان الله الغني باسقاط هو وكذلك هو في مصاحفهم

قوله عز وجل ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ﴾ بالايات والحجج ﴿ وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ﴾ يعني العدل وقال مقاتل بن سليمان هو ما يوزن به أى ووضعنا الميزان كما قال (والسماء رفعها ووضع الميزان) ﴿ ليقوم النـاس بالقسط ﴾ ليتعاملوا بينهم بالعدل ﴿ وأنزلنا الحديد ﴾ روى عن ابن عمر برفعه إن الله أنزل اربع بركات من السماء الى الارض: الحديد والنار والماء والملح. وقال أهل المعاني معنى قوله أنزلنا الحديد أنشأنا وأحدثنا أى أخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه وقال قطرب هـذا من النزل كما يقال أنزل الامير على فلان نزلا حسنا فمعنى الآية انه جعل ذلك نزلا لهم

الساعة حتى يعبد الله وحده لاشريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم » ولهذا قال تعالى (فيه بأس شديد) يعني السلاح كالسيوف والحراب والسنان والنصال والدروع ونحوها (ومنافع للناس) أي في معايشهم كالسكة والفاس والقدوم والمنشار والازميل والمجرفة والآلات التي يستعان بها في الحراثة والحياكة والطبخ والخبز ومالا قوام للناس بدونه وغير ذلك

قال علباء بن أحمد عن عكرمة عن ابن عباس قال : ثلاثة أشياء نزلت مع آدم السندان والكلبتان والميقعة يعني المطرقة رواه ابن جرير وابن أبي حاتم

وقوله تعالى (وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب) أي من نيته في حمل السلاح نصرة الله ورسوله (إن الله قوي عزيز) أي هو قوي عزيز ينصر من نصره من غير احتياج منه الى الناس وإنما شرع الجهاد ليبلو بعضكم ببعض

ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فسقون (٢٦) ثم قفينا على آثرهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتينه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ماكتبنها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فسقون (٢٧)

يخبر تعالى انه منذ بعث نوحا عليه السلام لم يرسل بعده رسولا ولا نبيا إلا من ذريته وكذلك ابراهيم عليه السلام خليل الرحمن لم ينزل من السماء كتابا ولا أرسل رسولا ولا أوحى إلى بشر من بعده إلا وهو من سلالته كما قال تعالى في الآية الاخرى (وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) حتى كان آخر أنبياء بني اسرائيل عيسى بن مريم الذي بشر من بعده بمحمد صلوات الله وسلامه عليهما ولهذا قال تعالى (ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل) وهو

ومثله قوله [وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج] ﴿ فيه بأس شديد ﴾ قوة شديدة يعني السلاح للحرب قال مجاهد فيه جنة وسلاح يعني آلة الدفع وآلة الضرب ﴿ ومنافع للناس ﴾ مما ينتفعون به في مصالحهم كالسكين والفأس والابرة ونحوها إذ هو آلة لكل صنعة ﴿ وليعلم الله ﴾ أي أرسلنا رسلنا وأنزلنا معهم هذه الاشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وليعلم الله وليرى الله ﴿ من ينصره) أي دينه ﴿ ورسله بالغيب ﴾ أى قام بنصرة الدين ولم ير الله ولا الآخرة وانما يحمد ويثاب من أطاع الله بالغيب ﴿ إن الله قوي عزيز ﴾ قوي في أمره عزيز في ملكه ﴿ ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون * ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه

الكتاب الذي أوحاه الله اليه (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه) وهم الحواريون [رأفة] اي رقة وهي الخشية [ورحمة] بالخلق، وقوله [ورهبانية ابتدعوها] أي ابتدعها أمة النصارى [ما كتبناها عليهم] أي ماشرعناها لهم وانما هم التزموها من تلقاء أنفسهم

وقوله تعالى (إلا ابتغاء رضوان الله) فيه قولان (أحدهما) انهم قصدوا بذلك رضوان الله ، قاله سعيد بن جبير وقتادة (والآخر) ما كتبنا عليهم ذلك انما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله

وقوله تعالى (فما رعوها حق رعايتها) أي فما قاموا بما التزموه حق القيام ، وهذا ذم لهم من وجهين [أحدهما] الابتداع في دين الله مالم يأمر به الله [والثاني] في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا انه قربة يقربهم إلى الله عز وجل

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا اسحاق بن أبي حمزة أبو يعقوب الرازي حدثنا السري بن عبد ربه حدثنا بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان عن القاسم بن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود عن أبيه عن جده ابن مسعود قال قال لي رسول الله ﷺ « ياابن مسعود » قلت لبيك يارسول الله قال « هل علمت ان بني اسرائيل افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة ؟ لم ينج منها إلا ثلاث فرق قامت بين الملوك والجبابرة بعد عيسى بن مريم عليه السلام فدعت إلى دين الله ودين عيسى بن مريم فقاتلت الجبابرة فقتلت فصبرت ونجت ، ثم قامت طائفة أخرى لم تكن لها قوة بالقتال فقامت بين الملوك والجبابرة فدعوا إلى دين الله ودين عيسى بن مريم فقتلت وقطعت بالمناشير وحرقت بالنيران فصبرت ونجت ، ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال ولم تطق القيام بالقسط فلحقت بالجبال فتعبدت وترهبت وهم الذين ذكر الله تعالى (ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم)

وقد رواه ابن جرير بلفظ آخر من طريق أخرى فقال حدثنا يحيى بن أبي طالب حدثنا داود بن المحبر حدثنا الصعق بن حزن حدثنا عقيل الجعدي عن أبي اسحاق الهمداني عن سويد بن غفلة عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « اختلف من كان قبلنا على ثلاث وسبعين فرقة نجا منهم ثلاث

الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه ﴾ على دينه ﴿ رأفة ﴾ وهي أشد الرقة ﴿ ورحمة ﴾ كانوا متوادين بعضهم لبعض كما قال تعالى في وصف أصحاب النبي ﷺ (رحماء بينهم) ﴿ ورهبانية ابتدعوها ﴾ من قبل أنفسهم وليس هذا بعطف على ما قبله وانتصابه بفعل مضمر كأنه قال وابتدعوا رهبانية أي جاؤا بها من قبل أنفسهم ﴿ ما كتبناها ﴾ أي ما فرضناها ﴿عليهم إلا ابتغاء رضوان الله﴾ يعني ولكنهم ابتغوا رضوان الله بتلك الرهبانية وتلك الرهبانية ما حملوا أنفسهم من المشاق في الامتناع من المطعم والمشرب والملبس والنكاح والتعبد في الجبال ﴿ فما رعوها حق رعايتها ﴾ أي لم يرعوا الرهبانية حق رعايتها وضيعوها وكفروا بدين عيسى فتهودوا وتنصروا ودخلوا في دين ملوكهم

وهلك سائرهم » وذكر نحو ماتقدم وفيه فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) هم الذين آمنوا بي وصدقوني (وكثير منهم فاسقون) وهم الذين كذبوني وخالفوني » ولا يقدح في هذه المتابعة لحال داود بن المحبر فانه أحد الوضاعين للحديث ولكن قد أسنده أبو يعلى عن شيبان بن فروخ عن الصعق بن حزن به مثل ذلك فقوي الحديث من هذا الوجه

وقال ابن جرير وأبو عبد الرحمن النسائي واللفظ له أخبرنا الحسين بن حريث حدثنا الفضل بن موسى عن سفيان بن سعيد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان ملوك بعد عيسى عليه السلام تركت التوراة والانجيل فكان منهم مؤمنون يقرءون التوراة والانجيل فقيل لملوكهم مانجد شيئا أشد من شتم يشتموناه هؤلاء انهم يقرءون (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) هذه الآيات مع مايعيبوننا به من أعمالنا في قراءتهم فادعهم فليقرأوا كما نقرأ وليؤمنوا كما آمنا ، فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والانجيل إلا مابدلوا منها فقالوا ماتريدون إلى ذلك دعونا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانة ثم ارفعونا اليها ثم أعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم

وقالت طائفة دعونا نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا ، وقالت طائفة ابنوا لنا دوراً في الفيافي ونحتفر الآبار ونحرث البقول فلا نرد عليكم

وتركوا الترهب وأقام منهم أناس على دين عيسى عليه الصلاة والسلام حتى أدركوا محمداً صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وذلك قوله تعالى ﴿ فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم ﴾ وهم الذين ثبتوا عليها وهم أهل الرأفة والرحمة ﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى عليه الصلاة والسلام

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنبأني عبد الله بن حامد أنا احمد بن عبد الله المزني ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان ثنا شيبان بن فروخ ثنا الصعق بن حزن عن عقيل الجعدي عن أبي اسحاق عن سويد بن غفلة عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال دخلت على رسول الله ﷺ فقال ؟ «يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرهن فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى عليه الصلاة والسلام فأخذوهم وقتلوهم وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بأن يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم إلى دين الله ودين عيسى عليه السلام فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله عز وجل فيهم [ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم] فقال النبي ﷺ ؟ « من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ، ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون » وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي «يا ابن أم عبد هل تدري من أين اتخذت بنو اسرائيل الرهبانية ؟ » فقلت الله ورسوله أعلم قال «ظهرت

ولا نمر بكم وليس أحد من القبائل الا له حميم فيهم ففعلوا ذلك فأنزل الله تعالى (ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها)

والآخرون قالوا نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم ، فلما بعث الله النبي ﷺ ولم يبق منهم إلا القليل انحط منهم رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب الدير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته) أجرين بايمانهم بعيسى بن مريم ونصب أنفسهم والتوراة والانجيل وبايمانهم بمحمد ﷺ وتصديقهم قال (ويجعل لكم نوراً تمشون به) القرآن واتباعهم النبي ﷺ قال (لئلا يعلم أهل الكتاب) الذين يتشبهون بكم (أن لا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) هذا السياق فيه غرابة وسيأتي تفسير هاتين الآيتين الاخيرتين على غير هذا والله أعلم

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أحمد بن عيسى حدثنا عبد الله بن وهب حدثني سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء ان سهل بن أبي امامة حدثه انه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك بالمدينة زمان عمر بن عبد العزيز وهو أمير وهو يصلي صلاة خفيفة وقعه كأنها صلاة مسافر أو قريبا منها فلما سلم قال يرحمك الله أرأيت هذه الصلاة المكتوبة أم شيء تنفلته ؟ قال انها المكتوبة وانها صلاة رسول الله ﷺ ما أخطأت إلا شيئا سهوت عنه ان رسول الله ﷺ كان يقول « لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم فان قوما شددوا على أنفسهم فشدد عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم » ثم غدوا من الغد فقالوا نركب فننظر ونعتبر قال نعم فركبوا جميعاً فاذا هم بديار قفر قد باد أهلها وانقرضوا وفنوا خاوية على عروشها فقالوا أتعرف هذه الديار ؟ قال ماأعرفني

عليهم الجبابرة بعد عيسى عليه السلام يعملون بالمعاصي فغضب أهل الايمان فقاتلوهم فهزم أهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا لهؤلاء أفنونا ولم يبق للدين أحد يدعو اليه فقالوا تعالوا نتفرق في الارض الى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى عليه السلام يعنون محمداً ﷺ فتفرقوا في غيران الجبال وأحدثوا رهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر » ثم تلا هذه الآية [ورهبانية ابتدعوها - الآية - فآتينا الذين آمنوا منهم] يعني من ثبتوا عليها (أجرهم) ثم قال النبي ﷺ « يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية أمتي ؟ » قلت الله ورسوله أعلم قال « الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلال »

وروي عن أنس عن النبي ﷺ قال « ان لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل الله » وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت ملوك بني اسرائيل بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والانجيل وكان فيهم مؤمنون يقرءون التوراة والانجيل ويدعونهم إلى

بها وبأهلها هؤلاء أهل الديار أهلكهم البغي والحسد ان الحسد يطفىء نور الحسنات والبغي يصدق ذلك أو يكذبه والعين تزني والكف والقدم والجسد واللسان والفرج يصدق ذلك أو يكذبه

وقال الامام أحمد حدثنا معمر حدثنا عبد الله أخبرنا سفيان عن زيد العمي عن أبي اياس عن أنس بن مالك ان النبي ﷺ قال « لكل نبي رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل الله عز وجل » ورواه الحافظ أبو يعلى عن عبدالله بن محمد بن اسماء عن عبدالله بن المبارك به ولفظه « لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل الله »

وقال الامام أحمد حدثنا حسين - هو ابن محمد - حدثنا عياش يعني اسماعيل عن الحجاج بن هارون الكلاعي وعقيل بن مدرك السلمي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رجلا جاءه فقال أوصني فقال سألت عما سألت عنه رسول الله ﷺ من قبلك أوصيك بتقوى الله فانه رأس كل شيء وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام ، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فانه روحك في السماء وذكرك في الارض . تفرد به أحمد والله تعالى أعلم

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم (٢٨) لئلا يعلم أهل الكتب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٢٩)

دين الله فقيل لملوكهم لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم أو دخلوا فيما نحن فيه؟ فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منها فقالوا نحن نكفيكم أنفسنا فقالت طائفة ابنوا لنا اسطوانة ثم ارفعونا اليها ثم اعطونا شيأ نرفع به طعامنا وشرابنا ولا نرد عليكم ، وقالت طائفة دعونا نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا بأرض فاقتلونا وقالت طائفة ابنوا لنا دورا في الفيافي نحتفر الآبار ونحترث البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم ففعلوا بهم ذلك فمضى أولئك على منهاج عيسى عليه الصلاة والسلام وخلف قوم من بعدهم ممن قد غير الكتاب فجعل الرجل يقول نكون في مكان فلان فنتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم، فذلك قوله عز وجل [ورهبانية ابتدعوها] أي ابتدعها هؤلاء الصالحون فما رعوها حق رعايتها) يعني الآخرين الذين جاؤا من بعدهم) فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) يعني الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (وكثير منهم فاسقون) هم الذين جاؤا من بعدهم

قال فلما بعث النبي ﷺ ولم يبق منهم الا قليل انحط رجل من صومعته وجاء سياح من سياحته وصاحب دير من ديره وآمنوا به فقال الله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾

قد تقدم في رواية النسائي عن ابن عباس انه حمل هذه الاية على مؤمني أهل الكتاب وانهم يؤتون أجرهم مرتين كما في الاية التي في القصص وكما في حديث الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله ﷺ « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي فله أجران وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه فله أجران ورجل أدب أمته فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران » أخرجاه في الصحيحين ووافق ابن عباس على هذا التفسير الضحاك وعتبة بن أبي حكيم وغيرهما وهو اختيار ابن جرير

وقال سعيد بن جبير لما افتخر أهل الكتاب بانهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله تعالى عليه هذه الآية في حق هذه الأمة (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين) أي ضعفين (من رحمته) زادهم (ويجعل لكم نورا تمشون به) يعني هدى يتبصر به من العمى والجهالة ويغفر لكم ففضلهم بالنور والمغفرة رواه ابن جرير عنه، وهذه الآية كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيآتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم)

وقال سعيد بن عبد العزيز سأل عمر بن الخطاب حبراً من أحبار يهود أفضل ما ضعف لكم حسنة قال كفل ثلاثمائة وخمسين حسنة قال فحمد الله عمر على انه أعطانا كفلين ثم ذكر سعيد قول الله عز وجل [يؤتكم كفلين من رحمته] قال سعيد والكفلان في الجمعة مثل ذلك رواه ابن جرير ومما يؤيد هذا القول ما رواه الامام أحمد حدثنا اسماعيل حدثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالا فقال من

الخطاب لاهل الكتابين من اليهود والنصارى يقول [يا أيها الذين آمنوا] بموسى وعيسى [اتقوا الله] في محمد ﷺ ﴿ وآمنوا برسوله ﴾ محمد ﷺ ﴿ يؤتكم كفلين ﴾ نصيبين ﴿ من رحمته ﴾ يعني يؤتكم أجرين لايمانكم بعيسى عليه الصلاة والسلام والانجيل وبمحمد ﷺ والقرآن

وقال قوم انقطع الكلام عند قوله (ورحمة) ثم قال [ورهبانية ابتدعوها] وذلك أنهم تركوا الحق فأكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة والختان فما رعوها يعني الطاعة والملة حق رعايتها كناية عن غير مذكور (فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) وهم أهل الرأفة والرحمة (وكثير منهم فاسقون) وهم الذين ابتدعوا الرهبانية واليه ذهب مجاهد، ومعنى قوله (الا ابتغاء رضوان الله) على هذا التأويل ما أمرناهم وما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله وما أمرناهم بالترهب

قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ أي يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله وآمنوا برسوله محمد ﷺ (يؤتكم كفلين) نصيبين من رحمته، وروينا عن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل كانت له جارية فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها،

يعمل لي من صلاة الصبح الى نصف النهار على قيراط قيراط ؟ ألا فعملت اليهود، ثم قال من يعمل لي من صلاة الظهر الى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ ألا فعملت النصارى، ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر الى غروب الشمس على قيراطين قيراطين؟ ألا فأنتم الذين عملتم، فغضبت النصارى واليهود وقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال هل ظلمتكم من أجركم شيئا ؟ قالوا لا قال فانما هو فضلي أوتيه من أشاء.

قال احمد وحدثناه مؤمل عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر نحو حديث نافع عنه انفرد باخراجه البخاري فرواه عن سليمان بن حرب عن حماد عن نافع به، وعن قتيبة عن الليث عن نافع بمثله. وقال البخاري حدثني محمد بن العلاء حدثنا أبو اسامة عن يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال « مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استعمل قوما يعملون له عملا يوما إلى الليل على أجر معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا في أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملا فأبوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقالوا أكملوا بقية يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الاجر فعملوا حتى إذا كان حين صلوا العصر قالوا ماعملنا باطل ولك الاجر الذي جعلت لنا فيه، فقال اكملوا بقية عملكم فانما بقي من النهار شيء يسير فأبوا، فاستأجر قوما أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس فاستكملوا أجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور

انفرد به البخاري ولهذا قال تعالى (لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل

ورجل من أهل الكتاب آمن بكتابه وآمن بمحمد ﷺ، وعبد أحسن عبادة الله ونصح سيده ﴿ ويجعل ﴾ الله ﴿ لكم نوراً تمشون به ﴾ قال ابن عباس ومقاتل يعني على الصراط كما قال (نورهم يسعى بين أيديهم) ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النور هو القرآن، وقال مجاهد هو الهدى والبيان أي يجعل لكم سبيلا واضحا في الدين تهتدون به ﴿ ويغفر لكم والله غفور رحيم ﴾ وقيل لما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله عز وجل (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) قالوا للمسلمين أما من آمن منا بكتابكم فله أجره مرتين لايمانه بكتابكم وبكتابنا، وأما من لم يؤمن منا فله أجر كأجوركم فما فضلكم علينا ؟ فأنزل الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته) فيجعل لهم الاجرين اذا آمنوا برسوله محمد ﷺ وزادهم النور والمغفرة ثم قال

﴿ لئلا يعلم أهل الكتاب ﴾ قال قتادة حسد الذين لم يؤمنوا من أهل الكتاب المؤمنين منهم فأنزل الله تعالى (لئلا يعلم أهل الكتاب) وقال مجاهد قالت اليهود يوشك أن يخرج منا نبي يقطع الايدي والارجل فلما خرج من العرب كفروا به فأنزل الله تعالى (لئلا يعلم أهل الكتاب) أي ليعلم ولا صلة ﴿ ألا يقدرون على شيء من فضل الله ﴾ أي ليعلم الذين لم يؤمنوا انهم لا أجر لهم ولا نصيب لهم في فضل الله ﴿ وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾

الله) أي ليتحققوا انهم لا يقدرون على رد ما أعطاه الله ولا اعطاء ما منع الله (وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

قال ابن جرير [لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله] أي ليتحققوا انهم لا يقدرون على رد ما أعطاه الله ولا اعطاء ما منع الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، قال ابن جرير [لئلا يعلم أهل الكتاب] أي ليعلم وقد ذكر عن ابن مسعود انه قرأ لكي يعلم وكذا عطاء بن عبد الله وسعيد بن جبير

قال ابن جرير لان العرب تجعل لا صلة في كل كلام دخل في أوله و آخره جحد غير مصرح فالسابق كقوله (ما منعك ألا تسجد ـ وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون) بالله [وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون]

(آخر تفسير سورة الحديد ولله الحمد والمنة)

أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا الليث عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال « انما أجلكم في أجل من خلا من الامم كما بين صلاة العصر الى مغرب الشمس ، وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي الى نصف النهار على قيراط قيراط ؟ فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ؟ فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ، ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر الى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين ؟ ألا فأنتم الذين تعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس ألا لكم الاجر مرتين ، فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال الله تعالى هل ظلمتكم من حقكم شيئا ؟ قالوا لا ، قال فانه فضلي أعطيه من شئت »

أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل حدثني محمد بن العلاء ثنا أبو أسامة عن يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال « مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له عملا يوما إلى الليل على أجر معلوم فعملوا إلى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملناه باطل فقال لهم لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملا فأبوا وتركوا ، واستأجر قوما آخرين بعدهم فقال أكملوا بقية يومكم هذا ولكم الذي شرطت لهم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلاة العصر قالوا ما عملنا باطل ولك الاجر الذي جعلت لنا فيه فقال أكملوا بقية عملكم فانما بقي من النهار شيء يسير فأبوا ، فاستأجر قوما أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس فاستكملوا أجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور »

تفسير سورة المجادلة مدنية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قدْ سَمعَ اللهُ قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير (١)

قال الامام أحمد حدثنا معاوية ثنا الاعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد جاءت المجادلة الى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله عز وجل (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) الى آخر الآية وهكذا رواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقا فقال وقال الاعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة فذكره وأخرجه النسائي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير من غير وجه عن الاعمش به

وفي رواية لابن أبي حاتم عن الاعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة انها قالت تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء اني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها الى رسول الله ﷺ وهي تقول يارسول الله أكل مالي وأفنى شبابي ونثرت له بطني حتى اذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم إني أشكو اليك قالت فمابرحت حتى نزل جبريل بهذه الآية [قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها] قالت وزوجها أوس بن الصامت

﴿سورة المجادلة مدنية وهي اثنتان وعشرون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في وزجها﴾ الآية نزلت في خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس بن الصامت وكانت حسنة الجسم وكان به لمم فأرادها فأبت فقال لها أنت علي كظهر أمي ثم ندم على ما قال وكان الظهار والايلاء من طلاق أهل الجاهلية فقال لها ما أظنك إلا قد حرمت علي فقالت والله ما ذاك طلاق وأتت رسول الله ﷺ وعائشة رضي الله عنها تغسل شق رأسه فقالت يارسول الله ان زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غنية ذات مال وأهل حتى إذا أكل مالي وأفنى شبابي وتفرق أهلي وكبر سني ظاهرني وقد ندم، فهل من شيء يجمعني وإياه تنعشني به فقال رسول الله ﷺ «حرمت عليه» فقالت يارسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ماذكر طلاقا وانه

وقال ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة عن أوس بن الصامت وكان أوس امرأ به لمم فكان إذا أخذه لممه واشتد به يظاهر من امرأته وإذا ذهب لم يقل شيئا فأتت رسول الله ﷺ تستفتيه في ذلك وتشتكي الى الله فأنزل الله [قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله] الآية وهكذا روى هشام بن عروة عن أبيه ان رجلا كان به لمم فذكر مثله

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن اسماعيل أبو سلمة حدثنا جرير يعني ابن حازم قال سمعت أبا يزيد يحدث قال لقيت امرأة عمر يقال لها خولة بنت ثعلبة وهو يسير مع الناس فاستوقفته فوقف لها ودنا منها وأصغى اليها رأسه ووضع يديه على منكبيها حتى قضت حاجتها وانصرفت فقال له رجل يا أمير المؤمنين حبست رجالات قريش على هذه العجوز قال ويحك وتدري من هذه؟ قال لا قال هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات هذه خولة بنت ثعلبة والله لو لم تنصرف عني الى الليل ما انصرفت عنها حتى تقضي حاجتها الا ان تحضر صلاة فأصليها ثم ارجع اليها حتى تقضي حاجتها هذا منقطع بين أبي يزيد وعمر بن الخطاب وقد روي من غير هذا الوجه

وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا يعلى حدثنا زكريا عن عامر قال المرأة التي جادلت في زوجها خولة بنت الصامت وأمها معاذة التي أنزل الله فيها (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا) صوابه خولة امرأة أوس بن الصامت

الذين يُظاهرون منكم من نسائهم ما هن أُمّهتهم ان أمّهتهم الا اللّـٰئي ولدنهم وانهم

أبو ولدي وأحب الناس إلي فقال رسول الله ﷺ « حرمت عليه » فقالت أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي قد طالت صحبتي ونفضت له بطني فقال رسول الله ﷺ « ما أراك الا قد حرمت عليه ولم أومر في شأنك بشيء » فجعلت تراجع رسول الله ﷺ وإذا قال لها رسول الله ﷺ « حرمت عليه » هتفت وقالت أشكو إلى الله فاقتي وشدة حالي وإن لي صبية صغاراً ان ضممتهم اليه ضاعوا ، وإن ضممتهم إلي جاعوا ، وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول : اللهم إني أشكو اليك ، اللهم فأنزل على لسان نبيك فرجي ، وكان هذا أول ظهار في الاسلام ، فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت انظر في أمري جعلني الله فداك يا نبي الله فقالت عائشة أقصري حديثك ومجادلتك ، أما ترين وجه رسول الله ﷺ قد تغير وكان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه أخذه مثل السبات فلما قضي الوحي قال لها « ادعي زوجك » فدعته فتلا عليه رسول الله ﷺ (قد سمع الله قول التي تجادلك) الآيات قالت عائشة تبارك الذي وسع سمعه الاصوات كلها ، إن المرأة لتحاور رسول الله ﷺ وأنا في ناحية البيت أسمع بعض كلامها ويخفى علي بعضه إذ أنزل الله (قد سمع الله) الآيات، ومعنى قوله (قول التي تجادلك) تخاصمك وتحاورك وتراجعك في زوجها (وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما) مراجعتكما الكلام (إن الله سميع بصير) سميع لما تناجيه وتتضرع اليه بصير بمن يشكو اليه ثم ذم الظهار فقال (الذين

ليقولون منكراً من القول وزوراً وإن الله لعفو غفور (٢) والذين يظهرون من نسائهم ثم

يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير

(٣) فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا

ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم (٤)

قال الامام احمد حدثنا سعد بن ابراهيم ويعقوب قالا حدثنا أبي حدثنا محمد بن اسحاق حدثني معمر بن عبد الله بن حنظلة عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن خويلة بنت ثعلبة قالت في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة قالت كنت عنده وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه قالت فدخل علي يوما فراجعته بشيء فغضب فقال أنت علي كظهر أمي

قالت ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل علي فاذا هو يريدني عن نفسي قالت قلت كلا والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إلي وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه قالت فواثبني فامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عني قالت ثم خرجت الى بعض جاراتي فاستعرت منها ثيابا ثم خرجت حتى جئت الى رسول الله ﷺ فجلست بين يديه فذكرت له ما لقيت منه وجعلت أشكو اليه ما ألقى من سوء خلقه قالت فجعل رسول الله ﷺ يقول «ياخويلة ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه» قالت فوالله مابرحت حتى نزل في قرآن فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه ثم سري عنه فقال لي «ياخويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآنا - ثم قرأ علي - (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير -

يظاهرون منكم من نسائهم ﴾ قرأ عاصم يظاهرون فيهما بضم الياء وتخفيف الظاء وألف بعدها وكسر الهاء وقرأ ابن عامر وأبو جعفر وحمزة والكسائي بفتح الياء والهاء وتشديد الظاء وألف بعدها وقرأ الاخرون بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء من غير ألف ﴿ ما هن أمهاتهم ﴾ أي ما اللواتي يجعلونهن من زوجاتهم كالامهات بأمهات وخفض التاء في أمهاتهم على خبر ما ومحله نصب كقوله (ماهذا بشراً) المعنى ليس هن بأمهاتهم ﴿ إن أمهاتهم ﴾ أي ما أمهاتهم ﴿ إلا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكراً من القول ﴾ لا يعرف في شرع ﴿ وزوراً ﴾ كذبا ﴿ وإن الله لعفو غفور ﴾ عفا عنهم وغفر لهم بايجاب الكفارة عليهم ، وصورة الظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي أو أنت مني أو معي أو عندي كظهر أمي وكذلك لو قال أنت علي كبطن أمي أو كرأس أمي أو كيد أمي أو قال بطنك أو رأسك او يدك علي كظهر أمي او شبه عضواً منها بعضو آخر من اعضاء امه فيكون ظهاراً ، وعند أبي حنيفة رضي الله عنه إن شبهها ببطن الام او فرجها او فخذها يكون ظهاراً وإن شبهها بعضو آخر

إلى قوله تعالى - وللكافرين عذاب أليم) » قالت فقال لي رسول الله ﷺ « مريه فليعتق رقبة » قالت فقلت يارسول الله ماعنده مايعتق قال « فليصم شهرين متتابعين » قالت فقلت والله انه لشيخ كبير ماله من صيام قال « فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر » قالت فقلت والله يارسول الله ماذاك عنده قالت فقال رسول الله ﷺ « فانا سنعينه بفرق من تمر » قالت فقلت يارسول الله وأنا سأعينه بفرق آخر قال « قد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدقي به عنه ثم استوصي بابن عمك خيرا » قالت ففعلت وروواه ابوداود في كتاب الطلاق من سننه من طريقين عن محمد بن إسحاق بن يسار به وعنده خولة بنت ثعلبة ويقال لها خولة بنت مالك بن ثعلبة وقد تصغر فيقال خويلة ولا منافاة بين هذه الاقوال فالامر فيها قريب والله أعلم ، هذا هو الصحيح في سبب نزول هذه السورة ، فأما حديث سلمة بن صخر فليس فيه انه كان سبب النزول ولكن أمر بما أنزل الله في هذه السورة من العتق أو الصيام او الاطعام ، كما قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن إسحاق بن يسار عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سليمان بن يسار عن سلمة بن صخر الانصاري قال كنت امرأ قد أوتيت من جماع النساء مالم يؤت غيري فلما دخل رمضان تظهرت من امرأتي حتى ينسلخ رمضان فرقا من أن أصيب في ليلتي شيئا فأتتابع في ذلك إلى أن يدركني النهار وأنا لا أقدر أن أنزع فبينما هي تخدمني من الليل اذ تكشف لي منها شيء ، فوثبت عليها فلما أصبحت غدوت على قومي فأخبرتهم خبري وقلت انطلقوا معي إلى النبي ﷺ فأخبره بأمري ، فقالوا لا والله لا نفعل نتخوف أن ينزل فينا أو يقول فينا رسول الله ﷺ مقالة يبقى علينا عارها ، ولكن اذهب أنت فاصنع مابدالك قال فخرجت حتى أتيت النبي ﷺ فأخبرته خبري فقال لي « أنت بذاك » فقلت أنا بذاك فقال « أنت بذاك » فقلت أنا بذاك قال « أنت بذاك » قلت نعم ها أنا ذا فأمض في حكم الله عز وجل فاني صابر له قال « اعتق رقبة » قال فضربت

لا يكون ظهاراً ولو قال انت علي كأمي او كروح امي واراد به الاعزاز والكرامة فلا يكون ظهاراً حتى يريده ، ولو شبهها بجدته فقال أنت علي كظهر جدتي يكون ظهاراً ، وكذلك لو شبهها بامرأة محرمة عليه بالقرابة بأن قال انت علي كظهر اختي او عمتي او خالتي أو شبهها بامرأة محرمة عليه بالرضاع يكون ظهاراً على الاصح من الاقاويل (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة) ثم حكم الظهار انه يحرم على الزوج وطؤها بعد الظهار ما لم يكفر والكفارة تجب بالعود بعد الظهار (لقوله تعالى ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة) واختلف أهل العلم في العود فقال اهل الظاهر هو اعادة لفظ الظهار وهو قول أبي العالية وقال (ثم يعودون لما قالوا) اي الى ماقالوا أي اعادة مرة اخرى فان لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه ، وذهب قوم الى ان الكفارة تجب بنفس الظهار ، والمراد من العود هو العود الى ماكانوا عليه في الجاهلية من نفس الظهار وهو قول مجاهد والثوري وقال قوم المراد من العود الوطء وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهري وقالوا لا كفارة عليه مالم يطأها وقال

صفحة رقبتي بيدي وقلت لا والذي بعثك بالحق ما أصبحت أملك غيرها قال « فصم شهرين متتابعين » قلت يارسول الله وهل أصابني ما أصابني الا في الصيام قال « فتصدق » فقلت والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وحشى ما لنا عشاء قال « اذهب إلى صاحب صدقة بني زريق فقل له فليدفعها اليك فاطعم عنك منها وسقا من تمر ستين مسكينا ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك » قال فرجعت إلى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ، ووجدت عند رسول الله ﷺ السعة والبركة قد أمر لي بصدقتكم فادفعوها إلي فدفعوها الي ، وهكذا رواه ابو داود وابن ماجه واختصره الترمذي وحسنه وظاهر السياق أن هذه القصة كانت بعد قصة أوس بن الصامت وزوجته خويلة بنت ثعلبة كما دل عليه سياق تلك وهذه بعد التأمل

قال خصيف عن مجاهد عن ابن عباس أول من ظاهر من امرأته أوس بن الصامت أخو عبادة ابن الصامت وامرأته خولة بنت ثعلبة بن مالك فلما ظاهر منها خشيت أن يكون ذلك طلاقا فأتت رسول الله ﷺ فقالت يارسول الله إن أوسا ظاهر مني وإنا إن افترقنا هلكنا وقد نثرت بطني منه وقدمت صحبته وهي تشكو ذلك وتبكي ولم يكن جاء في ذلك شيء فأنزل الله تعالى (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله — إلى قوله تعالى وللكافرين عذاب أليم) فدعاه رسول الله ﷺ فقال « أتقدر على رقبة تعتقها » قال لا والله يارسول الله ما أقدر عليها قال فجمع له رسول الله ﷺ حتى أعتق عنه ثم راجع أهله رواه ابن جرير ولهذا ذهب ابن عباس والاكثرون إلى ما قلناه والله أعلم فقوله تعالى (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) أصل الظهار مشتق من الظهر وذلك أن الجاهلية كانوا إذا ظاهر أحدهم من امرأته قال لها أنت علي كظهر أمي ثم في الشرع كان الظهار في سائر الاعضاء قياسا على الظهر وكان الظهار عند الجاهلية طلاقا فأرخص الله لهذه الامة وجعل فيه كفارة ولم يجعله طلاقا كما كانوا يعتمدونه في جاهليتهم هكذا قال غير واحد من السلف

قوم هو العزم على الوطء وهو قول مالك واصحاب الرأي وذهب الشافعي إلى ان العود هو ان يمسكها عقيب الظهار زمانا يمكنه ان يفارقها فلم يفعل فان طلقها عقيب الظهار في الحال او مات احدهما في الوقت فلا كفارة عليه لان العود للقول هو المخالفة ، وفسر ابن عباس العود بالندم ، فقال يندمون فيرجعون إلى الالفة ومعناه هذا ، قال الفراء يقال عاد فلان لما قال اى فيما قال وفي نقض ما قال يعني رجع عما قال وهذا يبين ما قال الشافعي وذلك ان قصده بالظهار التحريم فاذا امسكها على النكاح فقد خالف قوله ورجع عما قاله فتلزمه الكفارة حتى قال لو ظاهر من امرأته الرجعية ينعقد ظهاره ولا كفارة عليه حتى يراجعها فان راجعها صار عائداً ولزمته الكفارة قوله (فتحرير رقبة) ﴿ من قبل أن يتماسا ﴾ والمراد بالتماس المجامعة فلا يحل للمظاهر وطء امرأته التي ظاهر عنها ما لم يكفر سواء اراد التكفير بالاعتاق او بالصيام او بالاطعام وعند مالك ان اراد التكفير بالاطعام يجوز له الوطء قبله لان

قال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا عبيدالله بن موسى عن أبي حمزة عن عكرمة عن ابن عباس قال كان الرجل اذا قال لامرأته في الجاهلية أنت علي كظهر أمي حرمت عليه ، فكان أول من ظاهر في الاسلام أوس وكان تحته ابنة عم له يقال لها خويلة بنت ثعلبة فظاهر منها فاسقط في يديه ، وقال ماأراك إلا قد حرمت علي وقالت له مثل ذلك قال فانطلقي إلى رسول الله ﷺ فأتت رسول الله ﷺ فوجدت عنده ماشطة تمشط رأسه فقال « ياخويلة ما أمرنا في أمرك بشيء » فأنزل الله على رسوله ﷺ فقال « ياخويلة أبشري » قالت خيراً قال فقرأ عليها (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما - إلى قوله تعالى - والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا) قالت وأي رقبة لنا والله ما يجد رقبة غيري قال (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين) قالت والله لولا انه يشرب في اليوم ثلاث مرات لذهب بصره قال (فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا) قالت من أين ماهي إلا أكلة الى مثلها قال فدعا بشطر وسق ثلاثين صاعا والوسق ستون صاعا فقال « ليطعم ستين مسكينا وليراجعك » وهذا إسناد جيد قوي وسياق غريب ، وقد روي عن أبي العالية نحو هذا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبدالرحمن الهروي حدثنا علي بن عاصم عن داود بن أبي هند عن أبي العالية قال : كانت خولة بنت دليج تحت رجل من الانصار وكان ضرير البصر فقيراً سيء الخلق، وكان طلاق أهل الجاهلية إذا أراد الرجل أن يطلق امرأته قال أنت علي كظهر أمي وكان لها منه عيل أو عيلان فنازعته يوما في شيء فقال أنت علي كظهر أمي فاحتملت عليها ثيابها حتى دخلت على النبي ﷺ وهو في بيت عائشة وعائشة تغسل شق رأسه فقدمت عليه ومعها عيلها فقالت يارسول الله إن زوجي ضرير البصر فقير لا شيء له سيء الخلق واني نازعته في شيء فغضب فقال

الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس وقال في الاطعام (فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا) ولم يقل (من قبل ان يتماسا) وعند الآخرين الاطلاق في الاطعام محمول على المقيد في العتق والصيام، واختلفوا في تحريم ما سوى الوطء من المباشرات قبل التكفير كالقبلة والتلذذ فذهب اكثرهم الى انه لا يحرم سوى الوطء وهو قول الحسن وسفيان الثوري واظهر قولي الشافعي كما ان الحيض يحرم الوطء دون سائر الاستمتاعات وذهب بعضهم الى أنه يحرم جميعها لان اسم التماس يتناول الكل، ولوجامع المظاهر قبل التكفير يعصي الله تعالى والكفارة في ذمته ولا يجوز ان يعود ما لم يكفر ولا يجب بالجماع كفارة اخرى ، وقال بعض اهل العلم إذا واقعها قبل التكفير عليه كفارتان ، وكفارة الظهار مرتبة يجب عليه عتق رقبة مؤمنة فان لم يجد فعليه صيام شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا او نسي النية يجب عليه استئناف الشهرين فان عجز عن الصوم يجب عليه ان يطعم ستين مسكينا ، وقد ذكرنا في سورة المائدة مقدار مايطعم كل مسكين ﴿ ذلكم توعظون به ﴾ تؤمرون به ﴿ والله بما تعملون خبير * فمن لم يجد ﴾ يعني الرقبة

أنت علي كظهر أمي ولم يرد به الطلاق ولي منه عيل أو عيلان فقال «ما أعلمك الا قد حرمت عليه» فقالت أشكو إلى الله مانزل بي وأبا صبيتي قالت ودارت عائشة فغسلت شق رأسه الآخر فدارت معها فقالت يارسول الله زوجي ضرير البصر فقير سيىء الخلق وإن لي منه عيلا أوعيلين واني نازعته في شيء فغضب وقال أنت علي كظهر أمي ولم يرد به الطلاق قالت فرفع إلي رأسه وقال «ما أعلمك الا قد حرمت عليه» فقالت أشكو إلى الله مانزل بي وأبا صبيتي قال ورأت عائشة وجه النبي ﷺ تغير فقالت لها وراءك وراءك فتنحت فمكث رسول الله ﷺ في غشيانه ذلك ماشاء الله فلما انقطع الوحي قال ياعائشة أين المرأة فدعتها فقال لها رسول الله ﷺ « إذهبي فائتيني بزوجك» فانطلقت تسعى فجاءت به فاذا هو كما قالت ضرير البصر فقير سيىء الخلق فقال النبي ﷺ «أستعيذ بالله السميع العليم (بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها — إلى قوله — والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا)» قال النبي ﷺ «أتجد رقبة تعتقها من قبل أن تمسها؟» قال لا قال «أفلا تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟» قال والذي بعثك بالحق اني اذا لم آكل المرتين والثلاث يكاد أن يعشو بصري « قال أفتستطيع أن تطعم ستين مسكينا؟» قال لا الا أن تعينني قال فأعانه رسول الله ﷺ فقال « أطعم ستين مسكينا» قال وحول الله الطلاق فجعله ظهاراً ورواه ابن جرير عن ابن المثنى عن عبدالاعلى عن داود سمعت أبا العالية فذكر نحوه باخصر من هذا السياق ، وقال سعيد ابن جبير كان الايلاء والظهار من طلاق الجاهلية فوقت الله الايلاء أربعة أشهر وجعل في الظهار الكفارة رواه ابن أبي حاتم بنحوه

وقد استدل الامام مالك على أن الكافر لايدخل في هذه الآية بقوله منكم فالخطاب للمؤمنين

﴿ فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا ﴾ فان كانت له رقبة الا انه محتاج الى خدمته او له ثمن رقبة لكنه محتاج اليه لنفقته ونفقة عياله فله ان ينتقل الى الصوم وقال مالك والاوزاعي يلزمه الاعتاق إذا كان واجداً للرقبة أو ثمنها وان كان محتاجا اليه ، وقال ابو حنيفة ان كان واجداً لعين الرقبة يجب عليه اعتاقها وان كان محتاجا اليها فاما إذا كان واجداً لثمن الرقبة وهو محتاج اليه فله ان يصوم فلو شرع المظاهر في صوم الشهرين ثم جامع في خلال الشهر بالليل يعصي الله تعالى بتقديم الجماع على الكفارة ولكن لا يجب عليه استئناف الشهرين ، وعند ابي حنيفة يجب عليه استئناف الشهرين

قوله عز وجل ﴿ فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ﴾ يعني المظاهر اذا لم يستطع الصوم لمرض أو كبر أو فرط شهوة لا يصبر على الجماع يجب عليه اطعام ستين مسكينا

أخبرنا أبو عبد الله بن محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري ثنا احمد بن علي الكشميهني ثنا علي بن حجر ثنا اسماعيل بن جعفر عن محمد

أوجاب الجمهور بان هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له، واستدل الجمهور عليه بقوله (من نسائهم) على أن الامة لاظهار منها ولا تدخل في هذا الخطاب

وقوله تعالى (ماهن أمهاتهم إن أمهاتهم الا اللائي ولدنهم) أي لا تصير المرأة بقول الرجل أنت علي كأمي أو مثل أمي أو كظهر أمي وما أشبه ذلك لا تصير أمه بذلك انما أمه التي ولدته ولهذا قال تعالى [وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً] أي كلاما فاحشا باطلا (وان الله لعفو غفور) أي عما كان منكم في حال الجاهلية ، وهكذا أيضا عما خرج من سبق اللسان ولم يقصد اليه المتكلم كما رواه أبو داود أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول لامرأته ياأختي فقال « أختك هي؟» فهذا انكار ولكن لم يحرمها عليه بمجرد ذلك لأنه لم يقصده ولو قصده لحرمت عليه لانه لافرق على الصحيح بين الام وبين غيرها من سائر المحارم من أخت وعمة وخالة وما أشبه ذلك

وقوله تعالى (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) اختلف السلف والائمة في المراد بقوله تعالى (ثم يعودون لما قالوا) فقال بعض الناس العود هو أن يعود إلى لفظ الظهار فيكرره وهذا القول باطل وهو اختيار ابن حزم وقول داود وحكاه أبو عمر بن عبد البر عن بكير بن الاشج والفراء وفرقة من أهل الكلام ، وقال الشافعي هو أن يمسكها بعد المظاهرة زمانا يمكنه أن يطلق فيه فلا يطلق وقال أحمد بن حنبل هو أن يعود إلى الجماع أو يعزم عليه فلا تحل له حتى يكفر بهذه الكفارة ، وقد حكي عن مالك أنه العزم على الجماع أو الامساك ، وعنه أنه الجماع ، وقال أبو حنيفة هو أن يعود إلى الظهار بعد تحريمه ورفع ماكان عليه أمر الجاهلية فمتى ظاهر الرجل من امرأته فقد حرمها تحريما لا يرفعه إلا الكفارة واليه ذهب أصحابه والليث بن سعد

وقال ابن لهيعة حدثني عطاء عن سعيد بن جبير (ثم يعودون لما قالوا) يعني يريدون أن يعودوا

ابن أبي حرملة عن عطاء بن يسار ان خولة بنت ثعلبة كانت تحت أوس بن الصامت فظاهر منها وكان به لمم فجاءت الى رسول الله ﷺ فقالت ان أوسا ظاهر مني وذكرت ان به لمما فقالت والذي بعثك بالحق ما جئتك إلا رحمة ان له في منافع فأنزل القرآن فيهما فقال رسول الله ﷺ « مريه فليعتق رقبة » قالت والذي بعثك بالحق ما عنده رقبة ولا ثمنها قال « مريه فليصم شهرين متتابعين » فقالت والذي بعثك بالحق لو كلفته ثلاثة أيام ما استطاع قال « مريه فليطعم ستين مسكينا » قالت والذي بعثك بالحق ما يقدر عليه قال « مريه أن يذهب الى فلان ابن فلان فقد أخبرني أن عنده شطر تمر صدقة فليأخذه صدقة عليه ثم ليتصدق به على ستين مسكينا »

وروى سليمان بن يسار عن سلمة بن صخر قال كنت امرأ أصيب من النساء ما لم يصب غيري فلما دخل شهر رمضان خفت أن أصيب من امرأتي شيأ فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان فبينا هي تحدثني ذات ليلة اذ تكشف لي منها شيء فلم ألبث أن وقعت عليها فانطلقت الى رسول الله ﷺ

في الجماع الذي حرموه على أنفسهم ، وقال الحسن البصري يعني الغشيان في الفرج وكان لا يرى بأسا أن يغشى فيما دون الفرج قبل أن يكفر ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (من قبل أن يتماسا) والمس النكاح وكذا قال عطاء والزهري وقتادة ومقاتل بن حيان وقال الزهري ليس له أن يقبلها ولا يمسها حتى يكفر

وقد روى أهل السنن من حديث عكرمة عن ابن عباس أن رجلا قال : يارسول الله إني ظاهرت من امرأتي فوقعت عليها قبل أن أكفر فقال « ماحملك على ذلك يرحمك الله » قال رأيت خلخالها في ضوء القمر ، قال « فلا تقربها حتى تفعل ماأمرك الله عز وجل » وقال الترمذي حسن غريب صحيح ورواه أبو داود والنسائي من حديث عكرمة مرسلا قال النسائي وهو أولى بالصواب

وقوله تعالى (فتحرير رقبة) أي فاعتاق رقبة كاملة من قبل أن يتماسا فهنا الرقبة مطلقة غير مقيدة بالايمان وفي القتل مقيدة بالايمان فحمل الشافعي رحمه الله ماأطلق ههنا على ماقيد هناك لاتحاد الموجب وهو عتق الرقبة واعتضد في ذلك بما رواه عن مالك بسنده عن معاوية بن الحكم السلمي في قصة الجارية السوداء وأن رسول الله ﷺ قال « أعتقها فانها مؤمنة » وقد رواه أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه .

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يوسف بن موسى حدثنا عبد الله بن نمير عن اسماعيل بن مسلم ابن يسار عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس قال : أتى رسول الله ﷺ رجل فقال اني ظاهرت من امرأتي ثم وقعت عليها قبل أن أكفر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألم يقل الله تعالى من قبل أن يتماسا » قال أعجبتني ، قال « أمسك حتى تكفر » ثم قال البزار لا يروى عن ابن عباس بأحسن من هذا واسماعيل بن مسلم تكلم فيه ، وروى عنه جماعة كثيرة من أهل العلم وفيه من الفقه أنه لم يأمره الا بكفارة واحدة

وقوله تعالى (ذلكم توعظون به) أي تزجرون به (والله بما تعملون خبير) أي خبير بما يصلحكم عليم بأحوالكم ، وقوله تعالى (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين) من قبل أن يتماسا (فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا) قد تقدمت الاحاديث الآمرة بهذا على الترتيب كما ثبت في الصحيحين في

أخبرته فقال « أنت بذاك؟ » فقلت أنا بذاك قاله ثلاثا قلت أنا بذاك وها أنا ذا فأمض في حكم الله فانى صابر لذلك قال « فاعتق رقبة » فضربت صفحة عنقي بيدى فقلت لا والذى بعثك بالحق ماأملك غيرها قال « فصم شهرين متتابعين » فقلت يارسول الله وهل أصابني ما أصابني إلا من الصيام قال « فأطعم ستين مسكينا » قلت والذى بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وحشيا مالنا عشيا ، قال « اذهب الى صاحب صدقة بني زريق فقل له أن يدفعها اليك فأطعم عنك منها وسقا ستين مسكينا ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك » قال فرجعت الى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأى ووجدت عند رسول الله ﷺ السعة والبركة أمر لي بصدقتكم فادفعوها إلي ، قال فدفعوها لي

قصة الذي جامع امرأته في رمضان (ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله) أي شرعنا هذا لهذا وقوله تعالى (وتلك حدود الله) أي محارمه فلا تنتهكوها ، وقوله تعالى (وللكافرين عذاب أليم) أي الذين لم يؤمنوا ولا التزموا بأحكام هذه الشريعة لا تعتقدوا أنهم ناجون من البلاء كلا ليس الامر كما زعموا بل لهم عذاب أليم أي في الدنيا والآخرة

إن الذين يحادون الله ورسوله كُبِتوا كما كُبِت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيٰت بينٰت وللكٰفرين عذاب مهين (٥) يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصٰه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد (٦) ألم تر أن الله يعلم مافي السمٰوٰت ومافي الأرض مايكون من نجوى ثلٰثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم (٧)

يخبر تعالى عمن شاقوا الله ورسوله وعاندوا شرعه (كبتوا كما كبت الذين من قبلهم) أي أهينوا ولعنوا وأخزوا كما فعل بمن أشبههم ممن قبلهم (وقد أنزلنا آيات بينات) أي واضحات لا يعاندها ولا يخالفها إلا كافر فاجر مكابر (وللكافرين عذاب مهين) أي في مقابلة مااستكبروا عن اتباع شرع الله والانقياد له والخضوع لديه

ثم قال تعالى (يوم يبعثهم الله جميعا) وذلك يوم القيامة يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد (فينبئهم بما عملوا) أي فيخبرهم بالذي صنعوا من خير وشر (أحصاه الله ونسوه) أي ضبطه الله وحفظه عليهم وهم قد نسوا ماكانوا عملوا (والله على كل شيء شهيد) أي لا يغيب عنه شيء ولا يخفى ولا ينسى شيئا ، ثم قال تعالى مخبراً عن احاطة علمه بخلقه واطلاعه عليهم وسماعه كلامهم ورؤيته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا فقال تعالى (ألم تر أن الله يعلم مافي السموات ومافي الارض ما يكون

﴿ ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ﴾ لتصدقوا ما أتى به الرسول ﷺ من الله عز وجل ﴿ وتلك حدود الله ﴾ يعني ما وصف من الكفارات في الظهار ﴿ وللكافرين عذاب اليم ﴾ قال ابن عباس لمن جحده وكذب به ﴿ ان الذين يحادون الله ورسوله ﴾ أى يعادون الله ورسوله ويشاقون ويخالفون أمرهما ﴿ كبتوا ﴾ أذلوا وأخزوا وأهلكوا ﴿ كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا ﴾ اليك ﴿ آيات بينات وللكافرين عذاب مهين * يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ﴾ حفظ الله اعمالهم ﴿ ونسوه والله على كل شيء شهيد * ألم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون ﴾ قرأ أبوجعفر

من نجوى ثلاثة) أي من سر ثلاثة (الا هو رابعهم، ولا خمسة الا هو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا) أي مطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم ورسله أيضا مع ذلك تكتب مايتناجون به مع علم الله به وسمعه له كما قال تعالى (ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب) وقال تعالى [أم يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم؟ بلى ورسلنا لديهم يكتبون] ولهذا حكى غير واحد الاجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه تعالى ولا شك في ارادة ذلك، ولكن سمعه أيضا مع علمه بهم وبصره نافذ فيهم فهو سبحانه وتعالى مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء، ثم قال تعالى (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم) قال الامام أحمد: افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم

ألم تر الى الذين نُهُوا عن النجوى ثم يعودون لما نُهُوا عنه ويتنجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول، واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله، ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول؟ حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير (٨) ياأيها الذين آمنوا اذا تنجيتم فلا تتنجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول وتنجوا بالبر والتقوى، واتقوا الله الذي اليه تحشرون (٩) انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله، وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١٠)

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد (ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) قال اليهود، وكذا قال مقاتل بن حيان وزاد كان بين النبي ﷺ وبين اليهود موادعة وكانوا اذا مر بهم الرجل من أصحاب النبي ﷺ جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره المؤمن فاذا رأى المؤمن ذلك خشيهم فترك طريقه عليهم فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى فلم ينتهوا وعادوا الى النجوى فأنزل الله تعالى (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه)

بالتاء لتأنيث النجوى، وقرأ الآخرون بالياء لاجل الحائل ﴿من نجوى ثلاثة﴾ اي من سرار ثلاثة يعني من المسارة اي ما من شيء يناجي به الرجل صاحبه ﴿الا هو رابعهم﴾ بالعلم وقيل معناه ما يكون من متناجين ثلاثة يسار بعضهم بعضا إلا هو رابعهم بالعلم يعلم نجواهم ﴿ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم أينما كانوا﴾ قرأ يعقوب أكثر بالرفع على محل الكلام قبل دخول من ﴿ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم * ألم تر إلى الذين نهوا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا ابراهيم بن المنذر الحزامي حدثني سفيان بن حمزة عن كثير عن زيد عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده قال : كنا نتناوب رسول الله ﷺ نبيت عنده يطرقه من الليل أمر وتبدو له حاجة فلما كانت ذات ليلة كثر أهل النوب والمحتسبون حتى كنا أندية نتحدث فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال « ماهذه النجوى؟ ألم تنهوا عن النجوى؟ » قلنا تبنا إلى الله يارسول الله انا كنا في ذكر المسيح فرقا منه فقال « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي منه؟ » قلنا بلى يارسول الله ! قال « الشرك الخفي أن يقوم الرجل يعمل لمكان رجل » هذا اسناد غريب وفيه بعض الضعفاء

وقوله تعالى (ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) أي يتحدثون فيما بينهم بالاثم وهو مايختص بهم (والعدوان) وهو مايتعلق بغيرهم ومنه معصية الرسول ومخالفته يصرون عليها ويتواصون بها

وقوله تعالى (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا ابن نمير عن الاعمش عن مسروق عن عائشة قالت دخل على رسول الله ﷺ يهود فقالوا السام عليك ياأبا القاسم فقالت عائشة : وعليكم السام قالت فقال رسول الله ﷺ « ياعائشة ان الله لايحب الفحش ولا التفحش » قلت ألا تسمعهم يقولون السام عليك؟ فقال رسول الله ﷺ « أوماسمعت أقول وعليكم ؟ » فأنزل الله تعالى (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله)

وفي رواية في الصحيح انها قالت لهم : عليكم السام والذام واللعنة وان رسول الله ﷺ قال « انه يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا »

وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك ان رسول الله ﷺ بينما هو جالس مع أصحابه إذ أتى عليهم يهودي فسلم عليهم فردوا عليه فقال نبي الله ﷺ « هل تدرون ما قال ؟ » قالوا سلم يا رسول الله قال « بل قال سام عليكم » أي تسامون دينكم قال رسول الله ﷺ « ردوه » فردوه عليه فقال نبي الله « أقلت سام عليكم ؟ » قال نعم فقال رسول

عن النجوى ﴾ نزلت في اليهود والمنافقين وذلك انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون الى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم يوهمون المؤمنين انهم يتناجون فيما يسوءهم فيحزنون لذلك ويقولون ما نراهم الا وقد بلغهم من اخواننا الذين أخرجوا في السرايا قتل أو موت أو هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال ذلك عليهم وكثر شكوا إلى رسول الله ﷺ فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا الى مناجاتهم فأنزل الله (ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى) أي المناجاة ﴿ ثم يعودون لما نهوا عنه ﴾ أي يرجعون الى المناجاة التي نهوا عنها ﴿ ويتناجون ﴾ قرأ الاعمش وحمزة وينتجون على وزن يفتعلون وقرأ الاخرون ويتناجون لقوله (إذا تناجيتم فلا تتناجوا) ﴿ بالاثم والعدوان ومعصية الرسول ﴾ وذلك ان النبي ﷺ كان قد نهاهم عن النجوى فعصوه ﴿ وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك

الله ﷺ « إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا عليك » أي عليك ماقلت ، وأصل حديث أنس مخرج في الصحيح وهذا الحديث في الصحيح عن عائشة بنحوه

وقوله تعالى (ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) أي يفعلون هذا ويقولون ما يحرفون من الكلام وإيهام السلام وانما هو شتم في الباطن ومع هذا يقولون في أنفسهم لو كان هذا نبيا لعذبنا الله بما نقول له في الباطن لان الله يعلم ما نسره فلو كان هذا نبيا حقا لأوشك أن يعاجلنا الله بالعقوبة في الدنيا فقال الله تعالى (حسبهم جهنم) أي جهنم كفايتهم في الدار الآخرة (يصلونها فبئس المصير)

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو ان اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ سام عليك ثم يقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول؟ فنزلت هذه الآية (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) إسناد حسن ولم يخرجوه

وقال العوفي عن ابن عباس (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) قال كان المنافقون يقولون لرسول الله (ص) إذا حيوه سام عليك قال الله تعالى (حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير)

ثم قال الله تعالى مؤدبا عباده المؤمنين أن لا يكونوا مثل الكفرة والمنافقين (يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول) أي كما يتناجى به الجهلة من كفرة أهل الكتاب ومن مالأهم على ضلالهم من المنافقين (وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون) أي فيخبركم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي قد أحصاها عليكم وسيجزيكم بها

به الله ﴾ وذلك ان اليهود كانوا يدخلون على النبي ﷺ ﴿ ويقولون ﴾ السام عليك والسام الموت وهم يوهمونه انهم يقولون السلام عليك وكان النبي ﷺ يرد عليهم فيقول « عليكم » فاذا خرجوا قالوا في ﴿ في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ﴾ يريدون لو كان نبيا حقا لعذبنا الله بما نقول قال الله عز وجل ﴿ حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير ﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا عبد الوهاب ثنا أبو أيوب عن ابن ابي مليكة عن عائشة أن اليهود أتوا النبي ﷺ وقالوا السام عليك قال « وعليكم » فقالت عائشة السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم فقال رسول الله ﷺ « مهلا يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش » قالت أولم تسمع ماقالوا قال « أولم تسمعي ماقلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في » ثم ان الله تعالى نهى المؤمنين أن يتناجوا فيما بينهم كفعل المنافقين واليهود فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ﴾ أي كفعل المنافقين واليهود وقال مقاتل أراد بقوله آمنوا المنافقين أي آمنوا بلسانهم قال عطاء يريد الذين آمنوا بزعمهم قال لهم لا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول

قال الامام أحمد حدثنا بهز وعفان قالا أخبرنا همام عن قتادة عن صفوان بن محرز قال : كنت آخذاً بيد ابن عمر إذ عرض له رجل فقال كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة ؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول له أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أن قد هلك قال فاني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين » أخرجاه في الصحيحين من حديث قتادة

ثم قال تعالى (انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أي انما النجوى وهي المسارة حيث يتوهم مؤمن بها سوءاً (من الشيطان) (ليحزن الذين آمنوا) يعني انما يصدر هذا من المتناجين عن تسويل الشيطان وتزيينه (ليحزن الذين آمنوا) أي ليسوأهم وليس ذلك بضارهم شيئا إلا باذن الله ومن أحس من ذلك شيئا فليستعذ بالله وليتوكل على الله فانه لا يضره شيء باذن الله

وقد وردت السنة بالنهي عن التناجي حيث يكون في ذلك تأذ على مؤمن كما قال الامام أحمد حدثنا وكيع وأبو معاوية قالا حدثنا الاعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه » أخرجاه من حديث الاعمش

وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص) « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا باذنه فان ذلك يحزنه » انفرد باخراجه مسلم عن أبي الربيع وأبي كامل كلاهما عن حماد بن زيد عن أيوب به

يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا يفسح الله لكم ،

﴿ وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون * انما النجوى من الشيطان ﴾ أي من تزيين الشيطان ﴿ ليحزن الذين آمنوا ﴾ أي انما يزين لهم ذلك ليحزن المؤمنين ﴿ وليس ﴾ التناجي ﴿ بضارهم شيئا ﴾ وقيل ليس الشيطان بضارهم شيئا ﴿ إلا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾

أخبرنا ابو سعيد عبد الله بن احمد الطاهري أنا جدي أبو سهل عبدالصمد بن عبدالرحمن البزاز أنا أبو بكر محمد بن زكريا العذافري أنا اسحاق بن ابراهيم الدبري ثنا عبد الرزاق انا معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا باذنه فان ذلك يحزنه

قوله عز وجل ﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا ﴾ الآية قال مقاتل

وإذا قيل انشُزوا فانشُزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجت، والله بما تعملون خبير (١١)

يقول تعالى مؤدبا عباده المؤمنين وآمراً لهم أن يحسن بعضهم إلى بعض في المجالس (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس) وقرىء (في المجلس) (فافسحوا يفسح الله لكم) وذلك ان الجزاء من جنس العمل كما جاء في الحديث الصحيح «من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة» وفي الحديث الآخر «ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» ولهذا أشباه كثيرة ولهذا قال تعالى (فافسحوا يفسح الله لكم)

قال قتادة نزلت هذه الآية في مجالس الذكر وذلك انهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلا ضنوا بمجالسهم عند رسول الله (ص) فأمرهم الله تعالى أن يفسح بعضهم لبعض

وقال مقاتل بن حيان أنزلت هذه الاية يوم الجمعة وكان رسول الله (ص) يومئذ في الصفة وفي المكان ضيق وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا الى المجالس فقاموا حيال رسول الله (ص) فقالوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فرد النبي (ص) عليهم ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فعرف النبي (ص) ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم فشق ذلك على النبي (ص) فقال لمن حوله من المهاجرين والانصار من غير أهل بدر قم يا فلان وانت يا فلان فلم يزل يقيمهم بعدة النفر الذين هم قيام بين يديه من المهاجرين والانصار أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي ﷺ

ابن حيان كان النبي ﷺ يكرم أهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس منهم يوما وقد سبقوا إلى المجلس فقاموا حيال النبي ﷺ وسلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على النبي ﷺ فقال لمن حوله «قم يافلان وانت يافلان فأقام من المجلس بقدر النفر الذين قاموا بين يديه من أهل بدر، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبي ﷺ الكراهية في وجوههم فأنزل الله هذه الآية، وقال الكلبي نزلت في ثابت بن قيس بن الشماس وقد ذكرنا في سورة الحجرات قصته وقال قتادة كانوا يتنافسون في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلا ضنوا بمجلسهم فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض، وقيل كان ذلك يوم الجمعة فأنزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا) أي أي توسعوا (في المجالس) قرأ الحسن وعاصم في المجالس لان لكل جالس مجلسا معناه ليتفسح كل رجل في مجلسه، وقرأ الآخرون في المجلس على التوحيد لان المراد منه مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فافسحوا أوسعوا يقال فسح يفسح فسحا إذا أوسع في المجلس (يفسح الله لكم) يوسع الله لكم الجنة والمجالس فيها

الكراهة في وجوههم فقال المنافقون ألستم تزعمون ان صاحبكم هذا يعدل بين الناس ؟ والله ما رأيناه قبل عدل على هؤلاء. ان قوما أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه فبلغنا أن رسول الله ﷺ قال «رحم الله رجلا يفسح لأخيه» فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعا فيفسح القوم لاخوانهم ونزلت هذه الآية يوم الجمعة . رواه ابن أبي حاتم

وقد قال الامام أحمد والشافعي حدثنا سفيان عن أيوب عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « لا يقم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ولـكن تفسحوا وتوسعوا » وأخرجاه في الصحيحين من حديث نافع به

وقال الشافعي أخبرنا عبد المجيد عن ابن جريج قال قال سليمان بن موسى عن جابر عن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ولـكن ليقل افسحوا » على شرط السنن ولم يخرجوه

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا فليح عن أيوب عن عبد الرحمن بن صعصعة عن يعقوب بن أبي يعقوب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « لا يقم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن افسحوا يفسح الله لكم » ورواه أيضا عن شريح بن يونس ويونس بن محمد المؤدب عن فليح به ولفظه « لا يقوم الرجل للرجل من مجلسه ولـكن افسحوا يفسح الله لكم » تفرد به أحمد

وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد اذا جاء على أقوال : فمنهم من رخص في ذلك محتجا بحديث « قوموا الى سيدكم » ومنهم من منع من ذلك محتجا بحديث « من أحب ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار » ومنهم فصل فقال يجوز عند القدوم من سفر وللحاكم في محل ولايته كما دل عليه قصة سعد بن معاذ فانه لما استقدمه النبي ﷺ حاكما في بني قريظة فرآه مقبلا قال للمسلمين « قوموا الى سيدكم » وماذاك إلا ليكون أنفذ لحكمه والله أعلم . فأما اتخاذه ديدنا فانه من شعار العجم

وقد جاء في السنن أنه لم يكن شيء أحب اليهم من رسول الله ﷺ وكان اذا جاء لايقومون له لما يعلمون من كراهته لذلك

وفي الحديث المروي في السنن أن رسول الله ﷺ كان يجلس حيث انتهى به المجلس ولكن حيث يجلس يكون صدر ذلك المجلس فكان الصحابة رضي الله عنهم يجلسون منه على مراتبهم فالصديق رضي الله عنه يجلسه عن يمينه وعمر عن يساره، وبين يديه غالبا عثمان وعلي لأنهما كانا ممن يكتب الوحي

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن احمد الخلال ثنا ابو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان بن عيينة عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يقيمن أحدكم الرجل من مجلسه ثم يخلفه فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا»

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن احمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا

وكان يأمرهم بذلك كما رواه مسلم من حديث الاعمش عن عمارة بن عمير عن أبي معمر عن أبي مسعود أن رسول الله ﷺ كان يقول « ليلني منكم أولو الاحلام والنهى ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وما ذاك إلا ليعقلوا عنه مايقوله صلوات الله وسلامه عليه ولهذا أمر أولئك النفر بالقيام ليجلس الذين وردوا من أهل بدر إما لتقصير أولئك في حق البدريين أو ليأخذ البدريون من العلم نصيبهم كما أخذ أولئك قبلهم أو تعليما بتقديم الافاضل الى الامام

وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن الاعمش عن عمارة بن عمير الليثي عن أبي معمر عن أبي مسعود قال كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول « استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ليلني منكم أولو الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » قال أبو مسعود فانتم اليوم أشد اختلافا ، وكذا رواه مسلم وأهل السنن إلا الترمذي من طرق عن الاعمش به واذا كان هذا أمره في الصلاة أن يليه العقلاء منهم والعلماء فبطريق الاولى أن يكون ذلك في غير الصلاة

وروى أبو داود من حديث معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن كثير بن مرة عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال « أقيموا الصفوف ، وحاذوا بين المناكب ، وسدوا الخلل ، ولينوا بايدي اخوانكم ، ولا تذروا فرجات الشيطان ، ومن وصل صفا وصله الله ، ومن قطع صفا قطعه الله » ولهذا كان أبي بن كعب سيد القراء اذا انتهى الى الصف الاول انتزع منه رجلا يكون من افناد الناس ويدخل هو في الصف المقدم ويحتج بهذا الحديث « ليلني منكم أولو الاحلام والنهى » وأما عبد الله بن عمر فكان لايجلس في المكان الذي يقوم له صاحبه عنه عملا بمقتضى ماتقدم من روايته الحديث الذي أوردناه ولنقتصر على هذا المقدار من الانموذج المتعلق بهذه الآية وإلا فبسطه يحتاج الى غير هذا الموضع

وفي الحديث الصحيح بينا رسول الله ﷺ جالس اذ أقبل ثلاثة نفر فأما أحدهم فوجد فرجة في الحلقة فدخل فيها وأما الآخر فجلس وراء الناس وادبر الثالث ذاهبا فقال رسول الله ﷺ « ألا أنبئكم بخير الثلاثة أما الاول فآوى الى الله فآواه الله ، وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الثالث فاعرض فاعرض الله عنه »

وقال الامام أحمد حدثنا عتاب بن زياد أخبرنا عبد الله أخبرنا اسامة بن زيد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « لايحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا باذنهما » ورواه أبو داود والترمذي من حديث أسامة بن زيد الليثي به وحسنه

الربيع انا الشافعي أنا عبد المجيد عن ابن جريج قال قال سليمان بن موسى عن جابر بن عبد الله ان النبي (ص) قال « لايقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل افسحوا » وقال أبو العالية والقرظي والحسن

وقد روى عن ابن عباس والحسن البصري وغيرهما انهم قالوا في قوله تعالى (اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم) يعني في مجالس الحرب قالوا ومعنى قوله (واذا قيل انشزوا فانشزوا) أي انهضوا للقتال وقال قتادة (واذا قيل انشزوا فانشزوا) أي اذا دعيتم الى خير فأجيبوا وقال مقاتل اذا دعيتم الى الصلاة فارتفعوا اليها

وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كانوا اذا كانوا عند النبي ﷺ في بيته فارادوا الانصراف أحب كل منهم أن يكون هو آخرهم خروجا من عنده فربما يشق ذلك عليه السلام وقد تكون له الحاجة فأمروا انهم اذا أمروا بالانصراف أن ينصرفوا كقوله تعالى (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا)

وقوله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) أي لا تعتقدوا انه اذا فسح أحدكم منكم لاخيه اذا اقبل أو اذا امر بالخروج فخرج أن يكون ذلك نقصا في حقه بل هو رفعة ورتبة عند الله والله تعالى لا يضيع ذلك له بل يجزيه بها في الدنيا والآخرة فان من تواضع لامر الله رفع الله قدره ونشر ذكره ولهذا قال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) أي خبير بمن يستحق ذلك وبمن لا يستحقه

قال الامام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا ابراهيم حدثنا ابن شهاب عن أبي الطفيل عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب بعسفان وكان عمر استعمله على مكة فقال له عمر من استخلفت على أهل الوادي ؟ قال استخلفت عليهم ابن ابزى رجل من موالينا فقال عمر استخلفت

هذا في مجالس الحرب ومقاعد القتال كان الرجل يأتي القوم في الصف فيقول توسعوا فيأبون عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم في الشهادة ﴿ واذا قيل انشزوا فانشزوا ﴾ قرأ أهل المدينة والشام وعاصم بضم الشين وقرأ الآخرون بكسرها وهما لغتان أي ارتفعوا قيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لاخوانكم، وقال عكرمة والضحاك كان رجال يتثاقلون عن الصلاة اذا نودي لها فأنزل الله تعالى هذه الآية، معناه اذا نودى للصلاة فانهضوا لها وقال مجاهد وأكثر المفسرين معناه إذا قيل لكم انهضوا الى الصلاة والى الجهاد وإلى مجالس كل خير وحق فقوموا لها ولا تقصروا ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم ﴾ بطاعتهم لرسوله ﷺ وقيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لاخوانهم ﴿ والذين أوتوا العلم ﴾ من المؤمنين بفضل علمهم ومسابقتهم ﴿درجات﴾ فأخبر الله عز وجل ان رسوله ﷺ مصيب فيما أمر وان أولئك المؤمنين مثابون فيما ائتمروا وان النفر من أهل بدر مستحقون لما عوملوا من الاكرام ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ قال الحسن قرأ ابن مسعود هذه الاية وقال: أيها الناس افهموا هذه الاية ولترغبنكم في العلم فان الله تعالى يقول (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) المؤمن العالم فوق الذى لا يعلم درجات

أخبرنا الامام ابو علي الحسين بن محمد القاضي ثنا الامام ابو الطيب سهل بن محمد بن سليمان

عليهم مولى؟ فقال يا أمير المؤمنين إنه قاري، لكتاب الله عالم بالفرائض قاص، فقال عمر رضي الله عنه أما إن نبيكم ﷺ قد قال « ان الله يرفع بهذا الكتاب قوما ويضع به آخرين » وهكذا رواه مسلم من غير وجه عن الزهري به، وروي من غير وجه عن عمر بنحوه وقد ذكرت فضل العلم وأهله وماورد في ذلك من الاحاديث مستقصاة في شرح كتاب العلم من صحيح البخاري ولله الحمد والمنة

يا أيها الذين آمنوا اذا نٰجيتم الرسول فقدّموا بين يديْ نجوا كم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فان لم تجدوا فإن الله غفور رحيم (١٢) ءأشفقتم أن تقدّموا بين يدي نجوٰكم صدقٰت فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلوٰة وآتوا الزكوٰة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون (١٣)

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين اذا أراد أحدهم أن يناجي رسول الله ﷺ أي يساره فيما بينه

ثنا ابو علي حامد بن محمد بن عبد الله الهروي انا محمد بن يونس القرشي انا عبدالله بن داود ثنا عاصم ابن رجاء بن حيوة حدثني داود بن جميل عن كثير بن قيس قال كنت جالسا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فجاءه رجل فقال يا أبا الدرداء اني جئتك من مدينة الرسول ﷺ لحديث بلغني انك تحدثه عن رسول الله (ص) قال ما كانت لك حاجة غيره؟ قال لا قال ولا جئت لتجارة قال لا؟ قال ولا جئت الا رغبة فيه؟ قال نعم قال فاني سمعت رسول الله (ص) يقول « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وان الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وان السموات والارض والحوت في الماء لتدعو له، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر »

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا أبو علي الحسين بن أحمد بن ابراهيم السراج أنا الحسن بن يعقوب العدل ثنا محمد بن عبد الوهاب الفراء ثنا جعفر بن عون أنا عبد الرحمن بن زياد عن عبد الرحمن بن رافع عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ مر بمجلسين في مسجده : أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون اليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه قال « كلا المجلسين على خير وأحدهما أفضل من صاحبه أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون اليه فان شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهؤلاء أفضل وانما بعثت معلما » ثم جلس فيهم

قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم ﴾ أمام مناجاتكم ﴿ صدقة ﴾ قال ابن عباس وذلك ان الناس سألوا رسول الله ﷺ وأكثروا حتى شقوا عليه فأراد

وبينه أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتؤهله لان يصلح لهذا المقام ولهذا قال تعالى (ذلك خير لكم وأطهر) ثم قال تعالى (فان لم تجدوا) أي إلا من عجز عن ذلك لفقره (فان الله غفور رحيم) فما أمر بها إلا من قدر عليها

ثم قال تعالى (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) أي أخفتم من استمرار هذا الحكم عليكم من وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول (فاذلم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون) فنسخ وجوب ذلك عنهم، وقد قيل انه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال نهوا عن مناجاة النبي ﷺ حتى يتصدقوا فلم يناجه إلا علي بن أبي طالب قدم دينارا صدقة تصدق به ثم ناجى النبي ﷺ فسأله عن عشر خصال ثم انزلت الرخصة، وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال علي رضي الله عنه: آية في كتاب الله عز وجل لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم فكنت اذا ناجيت رسول الله ﷺ تصدقت بدرهم فنسخت ولم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، ثم تلا هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) الآية

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن عثمان بن المغيرة عن سالم بن أبي الجعد عن علي بن علقمة الانماري عن علي رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ « ما ترى، دينار؟ » قل لا يطيقون قال « نصف دينار » قال لا يطيقون قال « ما ترى؟ » قال شعيرة فقال له النبي ﷺ « انك لزهيد » قال فنزلت (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) قال علي في خفف الله عن هذه الامة

الله أن يخفف على نبيه ويقطعهم ويودعهم عن ذلك فأمرهم أن يقدموا صدقة على المناجاة مع الرسول ﷺ وقال مقاتل بن حيان نزلت في الاغنياء وذلك انهم كانوا يأتون النبي ﷺ فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس حتى كره النبي ﷺ طول جلوسهم ومناجاتهم، فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئا وأما أهل الميسرة فضنوا واشتد ذلك على أصحاب النبي ﷺ فنزلت الرخصة

وقال مجاهد نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجه إلا علي رضي الله عنه تصدق بدينار وناجاه ثم نزلت الرخصة فكان علي رضي الله عنه يقول آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي وهي آية المناجاة

وروي عن علي رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية دعاني رسول الله ﷺ فقال « أما ترى دينارا؟ » قلت لا يطيقونه قال « فكم؟ » قلت حبة أو شعيرة قال « إنك لزهيد » فنزلت (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) قال علي رضي الله عنه فبي قد خفف الله عن هذه الامة (ذلك

ورواه الترمذي عن سفيان بن وكيع عن يحيى بن آدم عن عبيد الله الاشجعي عن سفيان الثوري عن عثمان بن المغيرة الثقفي عن سالم بن أبي الجعد عن علي بن علقمة الانماري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت [يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة] إلى آخرها قال لي النبي ﷺ «ما ترى، دينار ؟» قال لا يطيقونه وذكره بتمامه مثله ، ثم قال هذا حديث حسن غريب انما نعرفه من هذا الوجه ثم قال ومعنى قوله شعيرة يعني وزن شعيرة من ذهب ورواه أبو يعلى عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن يحيى بن آدم به

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى [يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة - إلى - فان الله غفور رحيم] كان المسلمون يقدمون بين يدي النجوى صدقة فلما نزلت الزكاة نسخ هذا

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله [فقدموا بين يدي نجواكم صدقة] وذلك ان المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن نبيه عليه السلام فلما قال ذلك جبن كثير من الناس وكفوا عن المسئلة فأنزل الله بعد هذا (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فوسع الله عليهم ولم يضيق

وقال عكرمة والحسن البصري في قوله تعالى (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) نسختها الآية التي بعدها (أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) الى آخرها

وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ومقاتل بن حيان سأل الناس رسول الله ﷺ حتى أحفوه بالمسألة ففطمهم الله بهذه الآية فكان الرجل منهم اذا كانت له الحاجة الى نبي الله ﷺ فلا يستطيع أن يقضيها حتى يقدم بين يديه صدقة فاشتد ذلك عليهم فانزل الله الرخصة بعد ذلك (فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم)

وقال معمر عن قتادة [إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة] انها منسوخة ما كانت الا ساعة من نهار، وهكذا روى عبد الرازق أخبرنا معمر عن أيوب عن مجاهد قال علي: ما عمل بها أحد غيري حتى نسخت وأحسبه قال وما كانت الا ساعة

خير لكم ﴾ يعني تقديم الصدقة على المناجاة ﴿ وأطهر ، فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم ﴾ يعني الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به معفو عنهم ﴿ أأشفقتم أن تقدموا ﴾ قال ابن عباس أبخلتم والمعنى أخفتم العيلة والفاقة ان قدمتم ﴿ بين يدي نجواكم صدقات ؟ فاذ لم تفعلوا ﴾ ما أمرتم به ﴿ وتاب الله عليكم ﴾ تجاوز عنكم ولم يعاقبكم بترك الصدقة ، وقيل الواو صلة مجازه فان لم تفعلوا تاب الله عليكم تجاوز عنكم وخفف عنكم ونسخ الصدقة

ألم تر الى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ماهم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون (١٤) أعدّ الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون (١٥) اتخذوا أيمنهم جُنّة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين (١٦) لن تغنيَ عنهم أموالهم ولا أولدهم من الله شيئا أولئك أصحب النار هم فيها خلدون (١٧) يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا انهم هم الكذبون (١٨) استحوذ عليهم الشيطن فأنسهم ذكر الله أولئك حزب الشيطن ألا ان حزب الشيطن هم الخسرون (١٩)

يقول الله تعالى منكرا على المنافقين في موالاتهم الكفار في الباطن وهم في نفس الامر لا معهم ولا مع المؤمنين كما قال تعالى (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) وقال ههنا (ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) يعني اليهود الذين كان المنافقون يمالئونهم ويوالونهم في الباطن

قوله تعالى (ما هم منكم ولا منهم) أي هؤلاء المنافقون ليسوا في الحقيقة منكم أيها المؤمنون ولا من الذين يوالونهم وهم اليهود ثم قال تعالى (ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) يعني المنافقين يحلفون على الكذب وهم عالمون بانهم كاذبون فيما حلفوا وهي اليمين الغموس ولا سيما في مثل حالهم

قال مقاتل بن حيان كان ذلك عشر ليال ثم نسخ ، وقال الكلبي ما كانت إلا ساعة من نهار ﴿ فأقيموا الصلاة ﴾ المفروضة ﴿ وآتوا الزكاة ﴾ الواجبة ﴿ وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون * ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ؟ ﴾ نزلت في المنافقين تولوا اليهود وناصحوهم ونقلوا أسرار المؤمنين اليهم وأراد بقوله (غضب الله عليهم) اليهود ﴿ ما هم منكم ولا منهم ﴾ يعني المنافقين ليسوا من المؤمنين في الدين والولاية ولا من اليهود والكافرين كما قال (مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) ﴿ ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ﴾

قال السدي ومقاتل نزلت في عبدالله بن نبتل المنافق كان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله ﷺ في حجرة من حجراته اذ قال « يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان » فدخل عبدالله بن نبتل وكان أزرق العينين فقال له النبي ﷺ « علام تشتمني أنت وأصحابك ؟ » فحلف بالله ما فعل وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه

اللعين عياذا بالله منه فانهم كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا جاءوا الرسول حلفوا له بالله انهم مؤمنون وفي ذلك يعلمون انهم يكذبون فيما حلفوا به لأنهم لا يعتقدون صدق ماقالوه وان كان في نفس الامر مطابقا ولهذا شهد الله بكذبهم في أيمانهم وشهادتهم لذلك

ثم قال (أعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون) أي أرصد الله لهم على هذا الصنيع العذاب الاليم على أعمالهم السيئة وهي موالاة الكافرين ونصحهم ومعاداة المؤمنين وغشهم

ولهذا قال تعالى (اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله) أي أظهروا الايمان وأبطنوا الكفر واتقوا بالايمان الكاذبة فظن كثير ممن لا يعرف حقيقة أمرهم صدقهم فاغتربهم فحصل بهذا صد عن سبيل الله لبعض الناس (فلهم عذاب مهين) أي في مقابلة ما امتهنوا من الحلف باسم الله العظيم في الايمان الكاذبة الحانثة ثم قال تعالى (لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) أي لن يدفع ذلك عنهم بأسا إذا جاءهم (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

ثم قال تعالى (يوم يبعثهم الله جميعا) أي يحشرهم يوم القيامة عن آخرهم فلا يغادر منهم أحدا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء أي يحلفون لله عز وجل انهم كانوا على الهدى والاستقامة كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا لان من عاش على شيء مات عليه وبعث عليه ويعتقدون ان ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس فيجرون عليهم الاحكام الظاهرة ولهذا قال (ويحسبون انهم على شيء) أي حلفهم ذلك لربهم عز وجل

ثم قال منكرا عليهم حسبانهم (الا انهم هم الكاذبون) فأكد الخبر عنهم بالكذب

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن نفيل حدثنا زهير عن سماك بن حرب حدثني سعيد ابن جبير ان ابن عباس حدثه ان النبي ﷺ كان في ظل حجرة من حجره وعنده نفر من المسلمين قد كاد يقلص عنهم الظل قال « انه سيأتيكم انسان ينظر بعيني شيطان فاذا أتاكم فلا تكلموه » فجاء رجل أزرق فدعاه رسول الله ﷺ فكلمه فقال « علام تشتمني أنت وفلان وفلان؟ » نفر دعاهم بأسمائهم قال فانطلق الرجل فدعاهم فحلفوا له واعتذروا اليه قال فأنزل الله عز وجل (فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون)

فأنزل الله عز وجل هذه الآيات فقال (ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) انهم كذبة ﴿ أعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون * اتخذوا أيمانهم ﴾ الكاذبة ﴿ جنة ﴾ يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن أنفسهم وأموالهم ﴿ فصدوا عن سبيل الله ﴾ صدوا المؤمنين عن جهادهم بالقتل وأخذ أموالهم ﴿ فلهم عذاب مهين * لن تغني عنهم ﴾ يوم القيامة ﴿ أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له ﴾ كاذبين ماكانوا مشركين ﴿ كما يحلفون لكم ﴾ في الدنيا ﴿ ويحسبون انهم على شيء ﴾ من أيمانهم الكاذبة ﴿ ألا انهم هم الكاذبون *

وهكذا رواه الامام احمد من طريقين عن سماك به ورواه ابن جرير عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة عن سماك به نحوه ، وأخرجه أيضا من حديث سفيان الثوري عن سماك بنحوه اسناد جيد ولم يخرجوه وحال هؤلاء كما أخبر الله تعالى عن المشركين حيث يقول (ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون)

ثم قال تعالى (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله) أي استحوذ على قلوبهم الشيطان حتى أنساهم أن يذكروا الله عز وجل وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه

ولهذا قال أبو داود حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زائدة حدثنا السائب بن حبيش عن معدان ابن أبي طلحة اليعمري عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما من ثلاثة في قرية ولا بد ولا تقام فيهم الصلاة الا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة فانما يأكل الذئب القاصية » قال زائدة قال السائب يعني الصلاة في الجماعة

ثم قال تعالى (أولئك حزب الشيطان) يعني الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ثم قال تعالى (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون)

إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الاذلين (٢٠) كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله قوي عزيز (٢١) لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخونهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنت تجري من تحتها الانهر خلدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون

يقول تعالى مخبرا عن الكفار المعاندين المحادين لله ورسوله يعني الذين هم في حد والشرع في حد أي مجانبون للحق مشاقون له هم في ناحية والهدى في ناحية (أولئك في الاذلين) أي في الاشقياء المبعدين المطرودين عن الصواب الأذلين في الدنيا والآخرة (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) أي قد حكم وكتب في كتابه الاول وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع ولا يبدل بان النصرة له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة (وان العاقبة للمتقين) كما قال تعالى (إنا لننصر رسلنا

استحوذ ﴾ غلب واستولى ﴿ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون * ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الاذلين ﴾ الاسفلين أي هم في جملة من يلحقهم الذل في الدنيا والآخرة ﴿ كتب الله ﴾ قضى الله قضاءا ثابتا ﴿ لأغلبن أنا ورسلي

والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) وقال ههنا (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز) أي كتب القوي العزيز انه الغالب لاعدائه وهذا قدر محكم وأمر مبرم ان العاقبة والنصرة للمؤمنين في الدنيا والآخرة

ثم قال تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر * يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) أي لا يوادون المحادين ولو كانوا من الاقربين كما قال تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه) الآية وقال تعالى (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)

وقد قال سعيد بن عبد العزيز وغيره أنزلت هذه الآية (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) إلى آخرها في أبي عبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر ، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جعل الامر شورى بعده في أولئك الستة رضي الله عنهم ولو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته ، وقيل في قوله تعالى (ولو كانوا آباءهم) نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر (أو أبناءهم) في الصديق هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن (أو اخوانهم) في مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ [او عشيرتهم] في عمر قتل قريبا له يومئذ أيضا ، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ فالله أعلم

ان الله قوي عزيز ﴾ نظيره قوله ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون)
قال الزجاج : غلبة الرسل على نوعين : من بعث منهم بالحرب فهو غالب في الحرب ، ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة
قوله عز وجل ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾ الاية ، أخبر ان ايمان المؤمنين يفسد بموادة الكفار وان من كان مؤمنا لا يوالي من كفر وان كان من عشيرته

قيل نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب الى أهل مكة وسيأتي في سورة الممتحنة ان شاء الله عز وجل ، وروى مقاتل بن حيان عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود في هذه الاية قال (ولو كانوا آباءهم) يعني أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه عبدالله بن الجراح يوم أحد (أو أبناءهم) يعني أبا بكر دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال يارسول الله دعني أكن في الرعلة الاولى فقال له رسول

(قلت) ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله ﷺ المسلمين في أسارى بدر فأشار الصديق بأن يفادوا فيكون مايؤخذ منهم قوة للمسلمين وهم بنو العم والعشيرة ولعل الله تعالى أن يهديهم ، وقال عمر لا أرى مارأى يارسول الله هل تمكنني من فلان قريب لعمر فأقتله ، وتمكن عليا من عقيل وتمكن فلانا من فلان ليعلم الله انه ليست في قلوبنا موادة للمشركين القصة بكمالها

وقوله تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه) أي من اتصف بأنه لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه فهذا ممن كتب الله في قلبه الايمان أي كتب له السعادة وقررها في قلبه وزين الايمان في بصيرته ، قال السدي (كتب في قلوبهم الايمان) جعل في قلوبهم الايمان وقال ابن عباس (وأيدهم بروح منه) أي قواهم

وقوله تعالى (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه) كل هذا تقدم تفسيره غير مرة ، وفي قوله تعالى (رضي الله عنهم ورضوا عنه) سر بديع وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم والفضل العميم

وقوله تعالى (أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون) أي هؤلاء حزب الله أي عباد الله وأهل كرامته ،وقوله تعالى (ألا ان حزب الله هم المفلحون) تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرتهم في الدنيا والآخرة في مقابلة ماذكر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان ثم قال (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون)

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا هارون بن حميد الواسطي حدثنا الفضل بن عنبسة عن رجل قد سماه فقال هو عبد الحميد بن سليمان انقطع من كتابي عن الذيال بن عباد قال : كتب أبو حازم الاعرج إلى الزهري : اعلم أن الجاه جاهان جاه يجريه الله تعالى على أيدي أوليائه لأوليائه ، وانهم الخامل ذكرهم الخفية شخوصهم ، ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الاخفياء الاتقياء الابرياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا ، واذا حضروا لم يدعوا ، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة » فهؤلاء أولياء الله تعالى الذين قال الله (أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون)

الله ﷺ « متعنا بنفسك ياأبا بكر » (أو اخوانهم) يعني مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد (أو عشيرتهم) يعني عمر قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعليا وحمزة وعبيدة قتلوا يوم بدر عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة ﴿ اولئك كتب في قلوبهم الايمان ﴾ أثبت التصديق في قلوبهم فهي موقنة مخلصة ، وقيل حكم لهم بالايمان فذكر القلوب لانها موضعه ﴿ وأيدهم بروح منه ﴾ قواهم بنصر منه قال الحسن سمى نصره إياهم روحا لان أمرهم يحيى به ، وقال السدي

(١) وقال نعيم بن حماد حدثنا محمد بن ثور عن يونس عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يداً ولا نعمة فاني وجدت فيما أوحيته إلي (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » قال سفيان يرون أنها نزلت فيمن يخالط السلطان . رواه أبو أحمد العسكري

(١) هذا غير موجود في النسخة المكية

﴿ آخر تفسير سورة المجادلة ولله الحمد والمنة ﴾

تفسير سورة الحشر وهي مدنية

(وكان ابن عباس يقول سورة بني النضير)

قال سعيد بن منصور حدثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس سورة الحشر ؟ قال أنزلت في بني النضير ، ورواه البخاري ومسلم من وجه آخر عن هشيم به ، ورواه البخاري من حديث أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة الحشر ؟ قال سورة النضير

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله مافي السموات ومافي الأرض وهو العزيز الحكيم (١) هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتب من ديارهم لأول الحشر ماظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتيهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون

يعني بالايمان ، وقال الربيع يعني بالقرآن وحججه كما قال (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا) وقيل برحمة منه ، وقيل أمدهم بجبريل عليه السلام ﴿ ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون ﴾.

﴿ سورة الحشر ﴾

(مدنية وهي أربع وعشرون آية)

قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر ؟ قال قل سورة النضير

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سبح لله ما في السموات ومافي الارض وهو العزيز الحكيم ﴾ قال المفسرون نزلت هذه السورة

بُيُوتَهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الابصٰر (٢) ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار (٣) ذلك بأنهم شاقّوا الله ورسوله ومن يُشاقّ الله فان الله شديد العقاب (٤) ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزيَ الفٰسقين (٥)

يخبر تعالى أن جميع ما في السموات وما في الارض من شيء يسبح له ويمجده ويقدسه ويصلي له ويوحده كقوله تعالى [تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وإن من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم]

في بني النضير وذلك ان النبي ﷺ دخل المدينة فصالحته بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل ذلك رسول الله ﷺ منهم فلما غزا رسول الله ﷺ بدراً وظهر على المشركين قالت بنو النضير والله انه النبي الذي وجدنا نعته في التوراة لا ترد له راية، فلما غزا أحداً وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله ﷺ والمؤمنين ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ وركب كعب بن الاشرف في أربعين راكبا من اليهود الى مكة فأتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد ﷺ ودخل أبو سفيان في أربعين وكعب في اربعين من اليهود المسجد الحرام وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الاستار والكعبة ثم رجع كعب وأصحابه الى المدينة ونزل جبريل فأخبر النبي (ص بما تعاقد عليه كعب وأبو سفيان فأمر النبي [ص] بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد بن مسلمة ذكرناه في سورة آل عمران وكان النبي صلى الله عليه وسلم اطلع منهم على خيانة حين أتاهم يستعينهم في دية المسلمين الذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري في منصرفه من بئر معونة فهموا بطرح حجر عليه من فوق الحصن فعصمه الله وأخبره بذلك ذكرناه في سورة المائدة فلما قتل كعب بن الاشرف أصبح رسول الله ﷺ وأمر الناس بالمسير الى بني النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار اليهم النبي ﷺ وجدهم ينوحون على كعب بن الاشرف فقالوا يا محمد واعية على أثر واعية وباكية على أثر باكية؟ قال « نعم » قالوا ذرنا نبكي شجونا ثم ائتمر بأمرك فقال النبي ﷺ « اخرجوا من المدينة » فقالوا الموت أقرب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب وأذنوا بالقتال ودس المنافقون عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه اليهم: أن لا يخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها، ثم انهم أجمعوا على الغدر برسول الله ﷺ فأرسلوا اليه ان اخرج في ثلاثين رجلا من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف بيننا وبينك فيستمعوا منك فان صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا فخرج النبي ﷺ في ثلاثين من أصحابه وخرج اليه ثلاثون حبراً من اليهود حتى اذا كانوا في براز

وقوله تعالى (وهو العزيز) أي منيع الجناب (الحكيم) في قدره وشرعه ، وقوله تعالى (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) يعني يهود بني النضير . قاله ابن عباس ومجاهد والزهري وغير واحد كان رسول الله ﷺ لما قدم المدينة هادنهم وأعطاهم عهدا وذمة على أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه فنقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه فأحل الله بهم بأسه الذي لا مرد له وأنزل عليهم قضاءه الذي لا يصد فأجلاهم النبي ﷺ وأخرجهم من حصونهم الحصينة التي ماطمع فيها المسلمون وظنوا هم أنها مانعتهم من بأس الله فما أغنى عنهم من الله شيئا وجاءهم من الله مالم يكن ببالهم وسيرهم رسول الله ﷺ وأجلاهم من المدينة فكان منهم طائفة ذهبوا إلى أذرعات من أعالي الشام وهي أرض المحشر والمنشر ومنهم طائفة ذهبوا الى خيبر وكان قد أنزلهم منها على أن لهم ما حملت ابلهم فكانوا يخربون ما في بيوتهم من المنقولات التي يمكن أن تحمل معهم ولهذا قال تعالى (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا ياأولي الابصار) أي تفكروا في عاقبة من خالف أمر الله وخالف رسوله وكذب كتابه كيف يحل به من بأسه المخزى له في الدنيا مع مايدخره له في الآخرة من العذاب الاليم

(١) هذا إلى قوله الآتي - ولنذكر - غير موجود بالنسخة المكية

(١) قال أبو داود حدثنا محمد بن داود وسفيان حدثنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن كفار قريش كتبوا إلى ابن أبي ومن كان معه يعبد الاوثان من الاوس والخزرج ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة قبل رجعة بدر انكم أدنيتم صاحبنا وانا نقسم بالله لتقاتلنه أو لنخرجنكم أو لنسيرن اليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونسبي نساءكم ، فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي ومن كان معه من عبدة الاوثان أجمعوا لقتال النبي ﷺ فلما بلغ ذلك النبي ﷺ لقيهم فقال « لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريد أن تكيدوا به أنفسكم ، يريدون أن يقاتلوا أبناءكم واخوانكم » فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا فبلغ ذلك كفار قريش فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود انكم أهل الحلقة والحصون وانكم لتقاتلن مع صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم شيء وهو الخلاخيل فلما بلغ كتابهم النبي ﷺ أيقنت بنو النضير بالغدر فأرسلوا إلى النبي ﷺ اخرج الينا في ثلاثين رجلا من أصحابك ليخرج منا ثلاثون حبراً حتى نلتقي بمكان النصف وليسمعوا منك فان صدقوك

من الارض قال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون رجلا من أصحابه كلهم يحب أن يموت قبله فأرسلوا اليه كيف نفهم ونحن ستون رجلا ؟ اخرج في ثلاثة من أصحابك ؟ ونخرج اليك في ثلاثة من علمائنا فيستمعوا منك فان آمنوا بك آمنا كلنا بك وصدقناك فخرج النبي (ص) في ثلاثة من أصحابه وخرج ثلاثة من اليهود واشتملوا على الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله (ص) فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير الى أخيها وهو رجل مسلم من الانصار فأخبرته بما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله (ص) فأقبل أخوها سريعا حتى أدرك النبي (ص) فساره بخبرهم قبل أن يصل (ص)

وآمنوا بك آمنا بك ، فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب فحصرهم فقال لهم «انكم والله لا تؤمنون عندي الا بعهد تعاهدوني عليه فأبوا أن يعطوه عهداً فقاتلهم يومهم ذلك ثم غدا من الغد على بني قريظة بالكتائب وترك بني النضير ودعاهم إلى أن يعاهدوه فعاهدوه فانصرف عنهم وغدا إلى بني النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء. فجلت بنو النضير واحتملوا ما أقلت الابل من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها ، وكان نخل بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة أعطاه الله إياها وخصه بها فقال تعالى [وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب]يقول بغير قتال فأعطى الفيء ﷺ أكثرها المهاجرين قسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الانصار وكانا ذوي حاجة ولم يقسم من الانصار غيرهما وبقي منها صدقة رسول الله ﷺ التي في أيدي بني فاطمة

ولنذكر ملخص غزوة بني النضير على وجه الاختصار وبالله المستعان

وكان سبب ذلك فيما ذكره أصحاب المغازي والسير انه لما قتل أصحاب بئر معونة من أصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهم وكانوا سبعين وأفلت منهم عمرو بن أمية الضمري فلما كان في أثناء الطريق راجعا الى المدينة قتل رجلين من بني عامر وكان معهما عهد من رسول الله ﷺ وأمان لم يعلم به عمرو فلما رجع أخبر رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ «لقد قتلت رجلين لأدينهما» وكان بين بني النضير وبني عامر حلف وعهد فخرج رسول الله ﷺ الى بني النضير ليستعينهم في دية ذينك الرجلين وكانت منازل بني النضير ظاهر المدينة على أميال منها شرقيها

قال محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه السيرة ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري للجوار الذى كان رسول الله ﷺ عقد لهما فيما حدثني يزيد بن رومان وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية ذينك القتيلين قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه — ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم — فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم فقال أنا لذلك فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال

اليهم فرجع النبي (ص) فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله (ص) بالكتائب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين فسألوا رسول الله (ص) الصلح فأبى عليهم إلا أن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به النبي (ص) فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الابل من أموالهم إلا الحلقة وهي السلاح وعلى أن يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر أموالهم وقال ابن عباس على أن يحمل كل أهل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤا من متاعهم ولنبي الله صلى الله عليه وسلم ما بقي وقال الضحاك أعطى كل ثلاثة نفر بعيراً وسقاء ففعلوا وخرجوا من المدينة

ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فيهم ابو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعا إلى المدينة فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه فقال رأيته داخلا المدينة فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا اليه، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والمسير اليهم ثم سار حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصون فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل والتحريق فيها فنادوه أن يامحمد قد كنت تنهى عن الفساد في الارض وتعيبه على من يصنعه فما بال قطع النخل وتحريقها؟ وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبدالله بن أبي بن سلول ووديعة بن مالك بن أبي قوقل وسويد وداعس قد بعثوا الى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان خرجتم خرجنا معكم فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقذف الله في قلوبهم الرعب، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ماحملت الابل من اموالهم إلا الحلقة ففعلوا فاحتملوا من اموالهم ما استقلت به الابل فكان الرجل منهم يهدم بيته عن انجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به فخرجوا الى خيبر ومنهم من سار الى الشام وخلوا الاموال لرسول الله ﷺ فكانت لرسول الله خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها على المهاجرين الاولين دون الانصار الا سهل بن حنيف وأبادجانة سماك بن خرشة ذكرا فقرا فاعطاهما رسول الله ﷺ قال ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان يامين بن عمرو بن كعب عم عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب أسلما على اموالهما فاحرزاها. قال ابن اسحاق وقد حدثني بعض آل يامين أن رسول الله ﷺ قال ليامين «ألم تر مالقيت من ابن عمك وما هم به من شأني» فجعل يامين بن عمرو لرجل جعلا على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله فيما يزعمون. قال ابن اسحاق ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها وهكذا روى يونس بن بكير عن ابن اسحاق بنحو ماتقدم فقوله تعالى (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) يعني بني النضير (من ديارهم لاول الحشر)

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن أبي سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال: من شك في أن ارض المحشر ههنا يعني الشام فليقرأ هذه الآية (هو الذي اخرج

الى الشام الى أذرعات وأريحا، الا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة فذلك قوله عز وجل ﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ يعني بني النضير ﴿ من ديارهم ﴾ التي كانت بيثرب

قال ابن اسحاق كان اجلاء بني النضير بعد مرجع النبي (ص) من أحد وفتح قريظة عند مرجعه من الاحزاب و بينهما سنتان ﴿ لاول الحشر ﴾ قال الزهري كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا، قال ابن عباس من شك أن

الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر) قال لهم رسول الله ﷺ « اخرجوا » قالوا الى اين ؟ قال « الى ارض المحشر » وحدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو أسامة عن عوف عن الحسن قال لما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير قال « هذا أول الحشر وأنا على الاثر » ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن به

وقوله تعالى (ماظننتم أن يخرجوا) أي في مدة حصاركم لهم وقصرها وكانت ستة أيام مع شدة حصونهم ومنعتها ولهذا قال تعالى (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) أي جاءهم من أمر الله مالم يكن لهم في بال كما قال تعالى في الآية الاخرى (قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لايشعرون)

وقوله تعالى (وقذف في قلوبهم الرعب) أي الخوف والهلع والجزع وكيف لايحصل لهم ذلك وقد حاصرهم الذي نصر بالرعب مسيرة شهر صلوات الله وسلامه عليه

وقوله (يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين) قد تقدم تفسير ابن اسحاق لذلك وهو نقض ما استحسنوه من سقوفهم وابوابهم وتحملها على الابل وكذا قال عروة بن الزبير وعبدالرحمن بن زيد ابن أسلم وغير واحد ، وقال مقاتل بن حيان كان رسول الله ﷺ يقاتلهم فاذا ظهر على درب أو دار

المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فكان هذا أول حشر الى الشام قال لهم النبي (ص) « اخرجوا » قالوا الى أين ؟ قال « إلى أرض المحشر » ثم يحشر الخلق يوم القيامة إلى الشام ، وقال الكلبي انما قال لأول الحشر لانهم كانوا أول من أجلي من أهل الكتاب من جزيرة العرب ، ثم أجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال مرة الهمداني كان أول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر ، وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأريحاء من الشام في أيام عمر

وقال قتادة كان هذا أول الحشر ، والحشر الثاني نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا ﴿ ما ظننتم ﴾ أيها المؤمنون ﴿ أن يخرجوا ﴾ من المدينة لعزتهم ومنعتهم ، وذلك أنهم كانوا أهل حصون وعقار ونخيل كثيرة ﴿ وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ﴾ أي وظن بنو النضير أن حصونهم تمنعهم من من سلطان الله ﴿ فأتاهم الله ﴾ أي أمر الله وعذابه ﴿ من حيث لم يحتسبوا ﴾ وهو أنه أمر نبيه ﷺ بقتالهم واجلائهم وكانوا لايظنون ذلك ﴿ وقذف في قلوبهم الرعب ﴾ بقتل سيدهم كعب بن الاشرف ﴿ يخربون ﴾ قرأ ابو عمرو بالتشديد والآخرون بالتخفيف ومعناهما واحد ﴿ بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ﴾ قال الزهري وذلك أن النبي ﷺ لما صالحهم على أن لهم ما أقلت الابل كانوا ينظرون إلى الخشب في منازلهم فيهدمونها وينزعون منها ما يستحسنونه فيحملونه على إبلهم ويخرب المؤمنون باقيها

قال ابن زيد كانوا يقلعون العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدران ويقلعون الخشب حتى

هدم حيطانها ليتسع المكان للقتال وكان اليهود اذا علوا مكانا أو غلبوا على درب أو دار نقبوا من أدبارها ثم حصنوها ودربوها يقول الله تعالى (فاعتبروا يا أولي الابصار)

وقوله [ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا] أي لو أن كتب الله عليهم هذا الجلاء وهو النفي من ديارهم واموالهم لكان لهم عند الله عذاب آخر من القتل والسبي ونحو ذلك قاله الزهري عن عروة والسدي وابن زيد لان الله قد كتب عليهم انه سيعذبهم في الدار الدنيا مع ما أعد لهم في الدار الآخرة من العذاب في نار جهنم

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثني الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال اخبرني عروة بن الزبير قال ثم كانت وقعة بنى النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر وكان منزلهم بناحية من المدينة فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء وان لهم ما أقلت الابل من الاموال والامتعة إلا الحلقة وهي السلاح فاجلاهم رسول الله ﷺ قبل الشام قال والجلاء أنه كتب عليهم في آي من التوراة وكانوا من سبط لم يصبهم الجلاء قبل ماسلط عليهم رسول الله ﷺ وأنزل الله فيهم (سبح لله مافي السموات وما في الارض ـ الى قوله ـ وليخزي الفاسقين) وقال عكرمة الجلاء القتل وفي رواية عنه الفناء وقال قتادة الجلاء خروج الناس من البلد الى البلد وقال الضحاك اجلاهم الى الشام وأعطى كل ثلاثة بعيراً وسقاء فهذا الجلاء

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا احمد بن كامل القاضي حدثنا محمد بن سعيد العوفي حدثني أبي عن عمي حدثني أبي عن جدي عن ابن عباس قال كان النبي ﷺ قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ فأعطوه ما أراد منهم فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم وأن يخرجهم من ارضهم ومن ديارهم واوطانهم وأن يسير هم الى اذرعات الشام وجعل لكل ثلاثة منهم بعيراً وسقاء والجلاء اخراجهم من ارضهم الى ارض اخرى

وروي ايضا من حديث يعقوب بن محمد الزهري عن ابراهيم بن جعفر عن محمود بن محمد بن مسلمة عن أبيه عن جده عن محمد بن مسلمة أن رسول الله ﷺ بعثه الى بني النضير وأمره أن يؤجلهم

الاوتاد يخربونها لئلا يسكنها المؤمنون حسداً منهم وبغضاً قال قتادة كان المسلمون يخربون مايليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها قال ابن عباس رضي الله عنهما كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها ليتسع لهم المقاتل وجعل أعداء الله ينقبون دورهم في أدبارها فيخرجون إلى التي بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون مايليهم ويرمون بالتي خرجوا منها أصحاب رسول الله ﷺ فذلك قوله عزوجل (يخربون بيوتهم بايديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا) فاتعظوا وانظروا فيما نزل بهم (يا أولي الابصار) يا ذوي العقول والبصائر (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) الخروج من الوطن (لعذبهم في الدنيا) بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة

في الجلاء ثلاثة أيام . وقوله تعالى [ولهم في الآخرة عذاب النار] أي حتم لازم لابد لهم منه
وقوله تعالى [ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله] أي إنما فعل الله بهم ذلك وسلط عليهم رسوله وعباده المؤمنين لانهم خالفوا الله ورسوله وكذبوا بما انزله الله على رسله المتقدمين في البشارة بمحمد (ص) وهم يعرفون ذلك كما يعرفون ابناءهم ثم قال [ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب]
وقوله تعالى (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين) اللين نوع من التمر وهو جيد .قال أبو عبيدة وهو ماخالف العجوة والبرني من التمر ، وقال كثيرون من المفسرين اللينة ألوان التمر سوى العجوة
قال ابن جرير هو جميع النخل ونقله عن مجاهد وهو البويرة أيضاً وذلك ان رسول الله ﷺ لما حاصرهم أمر بقطع نخيلهم اهانة لهم وإرهاباً وإرعاباً لقلوبهم ، فروى محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان وقتادة ومقاتل بن حيان انهم قالوا فبعث بنو قريظة يقولون لرسول الله ﷺ انك تنهى عن الفساد فما بالك تأمر بقطع الاشجار ؟ فأنزل الله هذه الآية الكريمة أي ماقطعتم من لينة وما تركتم من الاشجار فالجميع باذنه ومشيئته وقدره ورضاه وفيه نكاية بالعدو وخزي لهم ، وإرغام لأنوفهم
وقال مجاهد نهى بعض المهاجرين بعضا عن قطع النخل وقالوا أنما هي مغانم المسلمين فنزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وانما قطعه وتركه باذنه ، وقد روي نحو هذا مرفوعا فقال النسائي أخبرنا الحسن بن محمد بن عفان حدثنا حفص بن غياث حدثنا حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين) قال يستنزلونهم من حصونهم وأمروا بقطع النخل فحاك في صدورهم فقال

﴿ ولهم في الآخرة عذاب النار * ذلك ﴾ الذي لحقهم ﴿ بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب * ما قطعتم من لينة ﴾ الآية وذلك ان رسول الله ﷺ لما نزل ببني النضير وتحصنوا بحصونهم أمر بقطع نخيلهم وإحراقها فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح أفمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخيل فهل وجدت فيما زعمت انه أنزل عليك الفساد في الارض ؟ فوجد المسلمون في أنفسهم من قولهم وخشوا أن يكون ذلك فساداً واختلفوا في ذلك، فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما أفاء الله علينا ، وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعها ، فأنزل الله هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم
أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا آدم ثنا الليث عن نافع عن ابن عمر قال حرق رسول الله ﷺ نخل بني النضير وقطع وهي البويرة فنزلت (ما قطعتم من لينة) ﴿ أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله ﴾ أخبر الله في هذه الآية ان ما قطعوه وما تركوه فباذن الله ﴿ وليخزي الفاسقين ﴾ واختلفوا في اللينة فقال قوم النخل كلها

المسلمون: قطعنا بعضا وتركنا بعضا فلنسأل رسول الله ﷺ هل لنا فيا قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيا تركنا من وزر؟ فأنزل الله (ماقطعتم من لينة)

وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا حفص عن ابن جريج عن سليمان ابن موسى عن جابر وعن أبي الزبير عن جابر قال رخص لهم في قطع النخل ثم شدد عليهم فأتوا النبي ﷺ فقالوا يارسول الله علينا اثم فيما قطعنا أو علينا وزر فيما تركنا؟ فأنزل الله عزوجل (ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله)

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قطع نخل بني النضير وحرق، وأخرجه صاحبا الصحيح من رواية موسى بن عقبة بنحوه ولفظ البخاري من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال حارب النضير وقريظة فأجلى بني النضير وأقر قريظة ومن عليهم حتى حاربت قريظة فقتل من رجالهم وسبى وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين الا بعضهم لحقوا بالنبي (ص) فأمنهم وأسلموا وأجلى يهود المدينة كلهم بني قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام ويهود بني حارثة وكل يهود بالمدينة، ولهما أيضا عن قتيبة عن الليث بن سعد عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) حرق نخل بني النضير وقطع وهي البويرة فأنزل الله عز وجل فيه [ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين]

وللبخاري رحمه الله من رواية جويرية بن اسماء عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله [ص] حرق نخل بني النضير وقطع وهي البويرة ولها يقول حسان بن ثابت [رض]

وهان على سراة بني لؤي ... حريق بالبويرة مستطير

فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول

أدام الله ذلك من صنيع ... وحرق في نواحيها السعير

ستعلم أينا منها بنزه ... وتعلم أي أرضينا نضير

كذا رواه البخاري ولم يذكره ابن اسحاق، وقال محمد بن اسحاق وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بني النضير وقتل ابن الاشرف

لقد خزيت بغدرتها الحبور ... كذاك الدهر ذو صرف يدور

وذلك انهم كفروا برب ... عظيم أمره أمر كبير

لينة ما خلا العجوة وهو قول عكرمة وقتادة ورواه زاذان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي ﷺ يقطع نخلهم إلا العجوة وأهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من التمر الالوان واحدها لون ولينة، وقال الزهري هي ألوان النخل كلها إلا العجوة والبرنية، وقال مجاهد وعطية هي النخل كلها

وقد أوتوا معاً فهما وعلماً — وجاءهم من الله النذير
نذير صادق أدى كتاباً — وآيات مبينة تنير
فقالوا ما أتيت بأمر صدق — وأنت بمنكر منا جدير
فقال بلى لقد أديت حقاً — يصدقني به الفهم الخبير
فمن يتبعه يهد لكل رشد — ومن يكفر به يجز الكفور
فلما أشربوا غدراً وكفراً — وجد بهم عن الحق النفور
أرى الله النبي برأي صدق — وكان الله يحكم لا يجور
فأيده وسلطه عليهم — وكان نصيره نعم النصير
فغودر منهم كعب صريعاً — فذلت بعد مصرعه النضير
على الكفين ثم وقد علته — بأيدينا مشهرة ذكور
بأمر محمد اذ دس ليلا — الى كعب أخا كعب يسير
فماكره فأنزله بمكر — ومحمود أخو ثقة جسور
فتلك بنو النضير بدار سوء — أبادهم بما اجترم المبير
غداة أتاهم في الزحف زهوا — رسول الله وهو بهم بصير
وغسان الحماة موازروه — على الاعداء وهو لهم وزير
فقال السلم ويحكم فصدوا — وحالف أمرهم كذب وزور
فذاقوا غب أمرهم وبالا — لكل ثلاثة منهم بعير
وأجلوا عامدين لقينقاع — وغودر منهم نخل ودور

قال وكان مما قيل من الاشعار في بني النضير قول ابن انيم العبسي ويقال قالها قيس بن بحر بن طريف ،قال ابن هشام الاشجعي

أهلي فداء لامرىء غير هالك — أجلى اليهود بالحسي المزنم
يقيلون في جمر العضاه وبدلوا — أهيضب عوذاً بالودي المكمم
فان يك ظني صادقاً بمحمد — يروا خيله بين الصلا ويرمرم
يؤم بها عمرو بن بهثة انهم — عدو وماحي صديق كمجرم
عليهن أبطال مساعير في الوغى — يهزون أطراف الوشيج المقوم

من غير استثناء ، وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهم هي لون من النخل وقال سفيان هي كرام النخل، وقال مقاتل هي ضرب من النخل يقال لثمرها اللون وهو شديد الصفرة يرى نواه من خارج يغيب فيها الضرس وكان من أجود ثمرهم وأعجبها اليهم وكانت النخلة الواحدة منها ثمنها ثمن وصيف

وكل رقيق الشفرتين مهنـد تورث من أزمان عاد وجرهم
فمن مبلغ عني قريشا رسالة فهل بعدهم في المجد من متكرم
بأن أخاكم فاعلمن محمدا تليد الندى بين الحجون وزمزم
فدينوا له بالحق تجسم أموركم وتسموا من الدنيا الى كل معظم
نبي تلاقتـه من الله رحمة ولا تسألوه أمر غيب مرجم
فقد كان في بدر لعمري عبرة لكم يا قريش والقليب الملمم
غداة أتى بالخزرجيـة عامدا اليكم مطيعا للعظيم المـكرم
معانا بروح القدس ينكي عدوه رسولا من الرحمن حقا بعلم
رسولا من الرحمن يتلو كتابه فلـما أنار الحـق لم يتلعثم
أرى أمره يزداد في كل موطن علوا لأمر حمه الله محكم

وقد أورد ابن اسحاق رحمه الله ههنا أشعارا كثيرة فيها آداب ومواعظ وحكم وتفاصيل القصة تركنا باقيها اختصارا واكتفاء بما ذكرناه ولله الحمد والمنة

قال ابن اسحاق كانت وقعة بني النضير بعد وقعة أحد وبعد بئر معونة ، وحكى البخاري عن الزهري عن عروة أنه قال كانت وقعة بني النضير بعد بدر بستة أشهر

وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكنَّ اللهَ يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير (٦) ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتمى والمسكين وابن السبيل كي لا يكون دُولةً بين الأغنياء منكم وما آتكم الرسول فخذوه وما نهكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب (٧)

يقول تعالى مبينا ما الفيء وما صفته وما حكمه فالفيء كل مال أخذ من الكفار من غير قتال ولا ايجاف خيل ولا ركاب كأموال بني النضير هذه فانها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، أي لم يقاتلوا الاعداء فيها بالمبارزة والمصاولة بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبة رسول الله [ص] فأفاءه الله على رسوله ولهذا تصرف فيه كما يشاء فرده على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآيات فقال تعالى [وما أفاء الله على رسوله منهم] أي من

وأحب اليهم من وصيف فلما رأوهم يقطعونها شق ذلك عليهم وقالوا للمؤمنين انكم تكرهون الفساد في الارض وأنتم تفسدون دعوا هذا النخل فانما هو لمن غلب عليه فأخبر الله تعالى ان ذلك باذنه ﴿ وما أفاء الله على رسوله ﴾ أي رده على رسوله يقال فاء يفيء أي رجع وأفاءها الله ﴿منهم﴾ أي من

بني النضير (فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) يعني الابل [ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير] أي هو قدير لا يغالب ولا يمانع بل هو القاهر لكل شيء

ثم قال تعالى [ما أفاء الله على رسوله من اهل القرى] أي جميع البلدان التي تفتح هكذا فحكمها حكم أموال بني النضير ولهذا قال تعالى [فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل] الى آخرها والتي بعدها فهذه مصارف أموال الفيء ووجوهه

قال الامام احمد حدثنا سفيان عن عمرو ومعمر عن الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر رضي الله عنه قال : كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله ﷺ خالصة فكان ينفق على أهله منها نفقة سنته ، وقال مرة قوت سنته وما بقي جعله في الكراع والسلاح في سبيل الله عز وجل هكذا أخرجه احمد ههنا مختصراً ، وقد أخرجه الجماعة في كتبهم الا ابن ماجه من حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن الزهري به وقد رويناه مطولا

وقال أبو داود رحمه الله حدثنا الحسن بن علي ومحمد بن يحيى بن فارس المعنى واحد قالا حدثنا بشر بن عمر الزهراني حدثني مالك بن أنس عن ابن شهاب عن مالك بن أوس قال أرسل إلي عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حين تعالى النهار فجئته فوجدته جالساً على سرير مفضيا إلى رماله فقال حين دخلت عليه : يامال انه قد دف أهل أبيات من قومك وقد أمرت فيهم بشيء فاقسم فيهم قلت لو أمرت غيري بذلك فقال خذه فجاءه يرفا فقال يا أمير المؤمنين هل لك في عثمان بن عفان وعبد الرحمن ابن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص ؟ قال نعم فأذن لهم فدخلوا ، ثم جاءه يرفا فقال يا أمير المؤمنين هل لك في العباس وعلي ؟ قال نعم ، فأذن لهما فدخلا فقال العباس يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا يعني عليا ، فقال بعضهم أجل يا أمير المؤمنين اقض بينهما وارحمهما ، قال مالك ابن أوس خيل إلي أنهما قدما أولئك النفر لذلك ، فقال عمر رضي الله عنه اتئد ثم أقبل على أولئك الرهط فقال : أنشدكم بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال « لا نورث ما تركنا صدقة » قالوا نعم ، ثم أقبل على علي والعباس فقال أنشدكما بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمان أن رسول الله ﷺ قال « لا نورث ما تركنا صدقة » فقالا نعم فقال ان الله خص رسوله بخاصة لم يخص بها أحداً من الناس فقال تعالى (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم

يهود بني النضير ﴿ فما أوجفتم ﴾ أوضعتم ﴿ عليه من خيل ولا ركاب ﴾ يقال وجف الفرس والبعير يجف وجيفا وهو سرعة السير وأوجفه صاحبه اذا حمله على السير وأراد بالركاب الابل التي تحمل القوم وذلك ان بني النضير لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله ﷺ أن يقسمها بينهم كما فعل بغنائم خيبر فبين الله تعالى في هذه الآية انها فيء لم يوجف المسلمون عليه خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا

عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير) فكان الله تعالى أفاء على رسوله أموال بني النضير فوالله مااستأثر بها عليكم ولا أحرزها دونكم فكان رسول الله ﷺ يأخذ منها نفقة سنة أو نفقته ونفقة أهله سنة ويجعل مابقي أسوة المال ، ثم أقبل على أولئك الرهط فقال : أنشدكم بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون ذلك ؟ قالوا نعم ، ثم أقبل على علي والعباس فقال انشدكما بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمان ذلك ؟ قالا نعم فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أنت وهذا الى أبي بكر تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها فقال أبو بكر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ « لانورث ماتركنا صدقة » والله يعلم انه لصادق بار راشد تابع للحق فوليها أبو بكر ، فلما توفي قلت أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم وولي أبي بكر فوليتها ماشاء الله أن أليها فجئت أنت وهذا وأنتما جميع وأمركما واحد فسألتمانيها فقلت إن شئتما فأنا أدفعها اليكما على ان عليكما عهدا لله أن تلياها بالذي كان رسول الله ﷺ يليها فأخذتماها مني على ذلك ثم جئتماني لأقضي بينكما بغير ذلك والله لاأقضي بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتما عنها فرداها إلي أخرجوه من حديث الزهري به

إليها شقة ولا نالوا مشقة ولم يلقوا حربا ﴿ ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ﴾ فجعل أموال بني النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئا الا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم أبو دجانة سماك بن خرشة وسهيل بن حنيف والحارث بن الصمة

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا أبو اليمان انا شعيب عن الزهري أخبرني مالك بن أوس بن الحدثان النضيري ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعاه إذ جاءه حاجبه يرفا فقال هل لك في عثمان وعبد الرحمن والزبير وسعد يستأذنون ؟ قال نعم فأدخلهم فلبث يرفا قليلا ثم جاء فقال هل لك في عباس وعلي يستأذنان ؟ قال نعم فلما دخلا قال عباس يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا وهما يختصمان في الذي أفاء الله على رسوله من بني النضير فقال الرهط يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح احدهما من الآخر قال: اتئدوا أنشدكم بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لانورث ماتركنا صدقة » يريد صلى الله عليه وسلم نفسه قالوا قد قال ذلك فأقبل عمر على علي وعباس فقال أنشدكما الله هل تعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك ، قالا نعم قال فاني أحدثكم عن هذا الامر إن الله قد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحدا غيره فقال (وما أفاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب - الى قوله - قدير) وكانت هذه خالصة لرسول الله

وقال الامام أحمد حدثنا عارم وعفان قالا أخبرنا معمر سمعت أبي يقول حدثنا أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال إن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات أو كما شاء الله حتى فتحت عليه قريظة والنضير قال فجعل يرد بعد ذلك ، قال وإن أهلي أمروني أن آتي النبي ﷺ فأسأله الذي كان أهله أعطوه أو بعضه ، وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاه أم أيمن أو كما شاء الله قال فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فأعطانيهن فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب في عنقي وجعلت تقول كلا والله الذي لا إله إلا هو لا يعطيكهن وقد أعطانيهن أو كما قالت فقال نبي الله « لك كذا وكذا » قال وتقول كلا والله قال ويقول « لك كذا وكذا » قال وتقول كلا والله ، قال ويقول « لك كذا وكذا » قال حتى أعطاها حسبت أنه قال عشرة أمثاله أو قال قريبا من عشرة أمثاله أو كما قال . رواه البخاري ومسلم من طرق عن معمر به وهذه المصارف المذكورة في هذه الآية هي المصارف المذكورة في خمس الغنيمة وقد قدمنا الكلام عليها في سورة الانفال بما أغنى عن اعادته ههنا ولله الحمد

صلى الله عليه وسلم والله ما احتازها دونكم ولا استأثرها عليكم لقد اعطاكموها وبثها فيكم حتى بقي منها هذا المال فكان رسول الله (ص) ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله فعمل بذلك رسول الله (ص) حياته ثم توفي النبي (ص) فقال ابو بكر أنا ولي رسول الله (ص) فقبضها ابو بكر رضي الله تعالى عنه فعمل فيها بما عمل به فيها رسول الله (ص) وأنتما حينئذ جميع وأقبل على علي وعباس تذكران ان أبا بكر فعل فيه كما تقولان والله يعلم انه فيها صادق بار راشد تابع للحق ثم توفى الله أبا بكر فقلت انا ولي رسول الله (ص) وأبي بكر فقبضتها سنتين من امارتي أعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر والله يعلم اني فيه صادق بار راشد تابع للحق ثم جئتماني كلاكما وكلمتكما واحدة وأمركما جميع فقلت لكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث نحن الانبياء ما تركناه صدقة » فلما بدا لي ان ادفعه اليكما قلت إن شئتما دفعته اليكما على ان عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وبما عملت به فيها منذ وليتها والا فلا تكلماني فيها فقلتما ادفعها الينا بذلك فدفعتها اليكما افتلتمسان مني قضاء غير ذلك؟ فوالله الذي باذنه تقوم السماء والارض لا اقضي فيها قضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتما عنها فادفعاها إلي فاني أكفيكماها

قوله عز وجل ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى ﴾ يعني من أموال كفار أهل القرى قال ابن عباس هي قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة ﴿ فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ قد ذكرنا في سورة الانفال حكم الغنيمة وحكم الفيء أن مال الفيء كان لرسول الله ﷺ في حياته يضعه حيث يشاء وكان ينفق منه على أهله نفقة سنتهم ويجعل ما بقي مجعل مال الله، واختلف أهل العلم في مصرف الفيء بعد رسول الله ﷺ فقال قوم هو للائمة بعده وللشافعي

وقوله تعالى (كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم) أى جعلنا هذه المصارف لمال الفيء كيلا يبقى مأكلة يتغلب عليها الاغنياء ويتصرفون فيها بمحض الشهوات والآراء ولا يصرفون منه شيئاً إلى الفقراء وقوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) أي مهما أمركم به فافعلوه ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه فانه انما يأمر بخير وانما ينهى عن شر

قال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن أبي طالب حدثنا عبد الوهاب حدثنا سعيد عن قتادة عن الحسن العوفي عن يحيى بن الجزار عن مسروق قال جاءت امرأة الى ابن مسعود فقالت بلغني أنك تنهى عن الواشمة والواصلة أشيء وجدته في كتاب الله تعالى أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال بلى شيء وجدته في كتاب الله وعن رسول الله ﷺ قالت والله لقد تصفحت مابين دفتي المصحف فما وجدت فيه الذي تقول ، قال فما وجدت فيه (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ؟ قالت بلى ، قال فاني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الواصلة والواشمة والنامصة ، قالت فلعله في بعض أهلك ، قال فادخلي فانظري فدخلت فنظرت ثم خرجت قالت مارأيت بأساً فقال لها أما حفظت وصية العبد الصالح (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه)

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن منصور عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود قال : لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله عزوجل

فيه قولان (أحدهما) هو للمقاتلة (والثاني) لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة ثم بالاهم فالأهم من المصالح واختلفوا في تخميس مال الفيء فذهب بعضهم الى أنه يخمس فخمسه لاهل خمس الغنيمة واربعة اخماسه للمقاتلة والمصالح وذهب الاكثرون الى انه لايخمس بل مصرف جميعه واحد ولجميع المسلمين فيه حق قرأ عمر بن الخطاب (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى – حتى بلغ – للفقراء المهاجرين – والذين جاؤا من بعدهم) ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة وقال ماعلى وجه الارض مسلم إلا له في هذا الفيء حق إلا ماملكت أيمانكم ﴿ كيلا يكون دولة ﴾ قرأ العامة بالياء دولة نصب أي لكيلا يكون الفيء دولة وقرأ أبو جعفر تكون بالتاء دولة بالرفع على اسم كان أي كيلا يكون الامر الى دولة وجعل الكينونة بمعنى الوقوع وحينئذ لاخبر له والدولة اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم ﴿ بين الاغنياء منكم ﴾ يعني بين الرؤساء والاقوياء معناه كيلا يكون الفيء دولة بين الاغنياء والاقوياء فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء ، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصطفي منها بعد المرباع ماشاء فجعله الله لرسوله ﷺ يقسمه فيما أمر به

ثم قال ﴿ وما آتاكم ﴾ أعطاكم ﴿ الرسول ﴾ من الفيء والغنيمة ﴿ فخذوه ، وما نهاكم عنه ﴾ من الغلول وغيره ﴿ فانتهوا ﴾ وهذا نازل في أموال الفيء وهو عام في كل ما أمر به النبي (ص) ونهى عنه أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل

وجل قال فبلغ امرأة من بني أسد في البيت يقال لها أم يعقوب فجاءت اليه فقالت بلغني انك قلت كيت وكيت ، قال مالي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي كتاب الله تعالى ، فقالت اني لأقرأ مابين لوحيه فما وجدته ، فقال إن كنت قرأتيه فقد وجدتيه أما قرأت (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ؟ قالت بلى ! قال فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه ، قالت إني لأظن أهلك يفعلونه ، قال اذهبي فانظري فذهبت فلم تر من حاجتها شيئا فجاءت فقالت مارأيت شيئا ، قال لو كان كذا لم تجامعنا . أخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان الثوري ، وقد ثبت في الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا أمرتكم بأمر فائتوا به مااستطعتم ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه »

وقال النسائي أخبرنا احمد بن سعيد حدثنا يزيد حدثنا منصور بن حيان عن سعيد بن جبير عن عمر وابن عباس أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت ثم تلا رسول الله ﷺ (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقوله تعالى (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) أي اتقوه في امتثال أوامره وترك زواجره فانه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه وارتكب ماعنه زجره ونهاه

للفقراء المهجرين الذين أخرجوا من ديٰرهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون اللهَ ورسولَه أولئك هم الصٰدقون (٨) والذين تبوّءوا الدار والايمٰن من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يُوقَ شح نفسه فأولئك هم المفلحون (٩) والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفرلنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمٰن ولا تجعل في قلوبنا غِلاًّ للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم (١٠)

ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله ، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب فجاءت فقالت إنه بلغني أنك لعنت كيت وكيت فقال ومالي لا ألعن من لعن رسول الله [ص] وهو في كتاب الله تعالى ؟ فقالت لقد قرأت مابين اللوحين فما وجدت فيه ماتقول قال لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه أما قرأت (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قالت بلى قال فانه قد نهى عنه ﴿ واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾

يقول تعالى مبينا حال الفقراء المستحقين لمال الفيء انهم (الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا) أي خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه (وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) أي هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم وهؤلاء هم سادات المهاجرين

ثم قال تعالى مادحا للانصار ومبينا فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حسدهم وإيثارهم مع الحاجة فقال تعالى (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم) أي سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم قال عمر : وأوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الاولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم كرامتهم وأوصيه بالانصار خيرا الذين تبوءوا الدار والايمان من قبل ، أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم . رواه البخاري ههنا أيضاً .

قوله تعالى (يحبون من هاجر اليهم) أي من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم

قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس قال : قال المهاجرون يارسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم احسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلا في كثير لقد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالاجر كله . قال « لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم » لم أره في الكتب من هذا الوجه

ثم بين من له الحق في الفيء فقال ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا ﴾ رزقا ﴿ من الله ورضوانا ﴾ أي خرجوا الى دار الهجرة طلبا لرضاه الله عز وجل ﴿ وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ﴾ في إيمانهم قال قتادة هؤلاء المهاجرون الذين تركوا الديار والاموال والعشائر وخرجوا حبا لله ولرسوله واختاروا الاسلام على ما كانوا فيه من شدة حتى ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها

أخبرنا محمد بن الحسن المروزي انا ابو العباس الطحان انا ابو احمد بن محمد بن قيس بن سليمان انا علي بن عبد العزيز المكي انا ابو عبيد القاسم بن سلام حدثنيه عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن أبي اسحاق عن أمية بن خالد بن عبد الله بن أسيد عن النبي (ص) انه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين قال ابو عبيد هكذا قال عبد الرحمن وهو عندي أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وروينا عن أبي سعيد الخدري عن النبي [ص] قال « أبشروا يامعشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة »

قوله عز وجل ﴿ والذين تبوءوا الدار والايمان ﴾ وهم الانصار تبوءوا الدار توطنوا الدار أي المدينة اتخذوها دار الهجرة والايمان ﴿ من قبلهم ﴾ أي أسلموا في ديارهم وآثروا الايمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي [ص] بسنتين ونظم الآية والذين تبوءوا الدار من قبلهم أي من قبل

وقال البخاري حدثنا عبدالله بن محمد حدثنا سفيان عن يحيى بن سعيد سمع أنس بن مالك حين خرج معه إلى الوليد قال دعا النبي (ص) الانصار أن يقطع لهم البحرين قالوا الا أن تقطع لاخواننا من المهاجرين مثلها قال « امالا فاصبروا حتى تلقوني فانه سيصيبكم أثرة » تفرد به البخاري من هذا الوجه

وقال البخاري حدثنا الحكم بن نافع أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال : قالت الانصار اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل قال لا فقالوا أتكفونا المؤنة ونشركم في الثمرة؟ قالوا سمعنا وأطعنا تفرد به دون مسلم (ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا) أي ولا يجدون في أنفسهم حسداً للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة . قال الحسن البصري (ولا يجدون في صدورهم حاجة) يعني الحسد (مما أوتوا) قال قتادة يعني فيما أعطى اخوانهم وكذا قال ابن زيد . ومما يستدل به على هذا المعنى مارواه الامام أحمد حيث قال حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن أنس قال : كنا جلوساً مع رسول الله (ص) فقال « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » فطلع رجل من الانصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال فلما كان الغد قال رسول الله (ص) مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الاولى ، فلما كان في اليوم الثالث قال رسول الله [ص] مثل مقالته أيضاً فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الاولى ، فلما قام رسول الله [ص] تبعه عبدالله بن عمرو بن العاص فقال اني لاحيت أبي فأقسمت اني لا أدخل عليه ثلاثا فان رأيت أن تؤويني اليك حتى تمضي فعلت قال « نعم » قال أنس فكان عبدالله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير انه اذا تعار تقلب على فراشه ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر قال عبدالله غير أني لم أسمعه يقول الا خيراً ، فلما مضت الليالي الثلاث وكدت أن أحتقر عمله قلت ياعبدالله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » فطلعت انت الثلاث المرات فأردت أن آوي اليك لانظر ماعملك فأقتدي به فلم أرك تعمل كبير عمل فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟ قال ماهو الا مارأيت ، فلما وليت دعاني فقال : ماهو الا مارأيت غير اني لا أجد في نفسي لاحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله اياه . قال عبدالله فهذه التي بلغت بك وهي التي لا تطاق ، ورواه النسائي في اليوم والليلة عن سويد بن نفير عن ابن المبارك عن معمر به وهذا اسناد صحيح على شرط الصحيحين لكن رواه عقيل وغيره عن الزهري عن رجل عن أنس فالله أعلم

قدوم المهاجرين عليهم وقد آمنوا لان الايمان ليس بمكان تبوء ﴿ يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة ﴾ حزازة وغيظاً وحسداً ﴿ مما أوتوا ﴾ أي مما أعطي المهاجرون دونهم من الفيء ، وذلك أن رسول الله [ص] قسم أموال بني النضير بين المهاجرين ولم يعط منها الانصار فطابت أنفس الانصار

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى (ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا) يعني مما أوتوا المهاجرون قال وتكلم في أموال بني النضير بعض من تكلم في الانصار فعاتبهم الله في ذلك فقال تعالى (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير) قال وقال رسول الله ﷺ « ان اخوانكم قد تركوا الاموال والاولاد وخرجوا اليكم » فقالوا أموالنا بيننا قطائع فقال رسول الله ﷺ « أو غير ذلك » قالوا وما ذاك يارسول الله ؟ قال « هم قوم لايعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر » فقالوا نعم يارسول الله

وقوله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) يعني حاجة أي يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ويبدءون بالناس قبلهم في حال احتياجهم الى ذلك

وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال « أفضل الصدقة جهد المقل وهذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله بقوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه) وقوله (وآتى المال على حبه) فان هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به ، وقد لايكون لهم حاجة اليه ولا ضرورة به وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم الى ما أنفقوه ، ومن هذا المقام تصدق الصديق رضي الله عنه بجميع ماله فقال له رسول الله ﷺ « ما أبقيت لاهلك؟» فقال رضي الله عنه أبقيت لهم الله ورسوله وهكذا الماء الذي عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه وهو جريح مثقل أحوج ما يكون الى الماء فرده الآخر الى الثالث فما وصل الى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم رضي الله عنهم وأرضاهم

وقال البخاري حدثنا يعقوب بن ابراهيم بن كثير حدثنا ابو أسامة حدثنا فضيل بن غزوان حدثنا ابو حازم الاشجعي عن أبي هريرة قال : أتى رجل رسول الله [ص] فقال يارسول الله أصابني الجهد فارسل الى نسائه فلم يجد عندهن شيئا فقال النبي [ص] « ألا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله » فقام رجل

بذلك ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ﴾ أي يؤثرون اخوانهم من المهاجرين بأموالهم ومنازلهم على أنفسهم ﴿ ولو كان بهم خصاصة ﴾ فاقة وحاجة الى ما يؤثرون ، وذلك انهم قاسموهم ديارهم وأموالهم

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا مسدد ثنا عبد الله بن داود عن فضيل بن غزوان عن أبي حازم عن أبي هريرة ان رجلا أتى النبي ﷺ فاستضافه فبعث الى نسائه هل عندكن من شيء فقلن ما معنا الا الماء فقال رسول الله ﷺ « من يضم -أو- يضيف هذا » فقال رجل من الانصار أنا يارسول الله فانطلق به الى امرأته فقال اكرمي ضيف رسول الله ﷺ فقالت ما عندنا إلا قوت الصبيان فقال هيء طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء ، فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح سراجها فاطفأته فجعلا يريانه انهما يأكلان فباتا طاويين فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ

من الانصار فقال أنا يارسول الله فذهب الى أهله فقال لامرأته هذا ضيف رسول الله [ص] لا تدخريه شيئا فقالت والله ماعندي الا قوت الصبية قال فاذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فاطفيء السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله [ص] فقال « لقد عجب الله عزوجل - أو - ضحك من فلان وفلانة » وأنزل الله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وكذا رواه البخاري في موضع آخر ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن فضيل بن غزوان به نحوه، وفي رواية لمسلم تسمية هذا الانصاري بابي طلحة رضي الله عنه

وقوله تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) أي من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح قال أحمد حدثنا عبدالرزاق أخبرنا داود بن قيس الفراء عن عبيدالله بن مقسم عن جابر بن عبدالله أن رسول الله [ص] قال « اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » انفرد باخراجه مسلم فرواه عن القعنبي عن داود بن قيس به

وقال الاعمش وشعبة عن عمرو بن مرة عن عبدالله بن الحارث عن زهير بن الاقمر عن عبدالله ابن عمرو قال قال رسول الله [ص] « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الفحش فان الله لايحب الفحش ولا التفحش ، واياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم أمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم

فقال « ضحك الله الليلة - أو عجب - من فعالكما » فأنزل الله عز وجل (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا الحكم بن نافع أنا شعيب ثنا ابو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال قالت الانصار اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل قال « لا » فقالوا تكفونا المؤنة ونشرككم في الثمرة قالوا سمعنا وأطعنا

أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبد الله بن محمد ثنا سفيان عن يحيى بن سعيد سمع أنس بن مالك حين خرج معه الى الوليد قال دعا النبي صلى الله عليه وسلم الانصار إلى أن يقطع لهم البحرين فقالوا لا إلا ان تقطع لاخواننا من المهاجرين مثلها قال « ألا فاصبروا حتى تلقوني على الحوض فانه سيصيبكم أثرة بعدي »

وروي عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) يوم النضير للانصار « إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة » فقالت الانصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فأنزل الله عز وجل (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) والشح في كلام العرب البخل ومنع الفضل، وفرق العلماء بين الشح والبخل

بالفجور ففجروا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا » ورواه أحمد وأبو داود من طريق شعبة والنسائي من طريق الاعمش كلاهما عن عمرو بن مرة به

وقال الليث عن يزيد بن الهاد عن سهيل بن أبي صالح عن صفوان بن أبي يزيد عن القعقاع بن الجلاح عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله [ص] يقول « لايجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدا ولا يجتمع الشح والايمان في قلب أبدا »

وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان أخبرنا ابن المبارك حدثنا المسعودي عن جامع ابن شداد عن الاسود بن هلال قال جاء رجل الى عبد الله فقال يا أبا عبد الرحمن إني أخاف ان أكون قد هلكت فقال له عبد الله وما ذاك ؟ قال سمعت الله يقول (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) وأنا رجل شحيح لا أكاد أن أخرج من يدي شيئا فقال عبد الله : ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القرآن ، إنما الشح الذي ذكر الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلما ولكن ذاك البخل وبئس الشيء البخل . وقال سفيان الثوري عن طارق بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن أبي الهياج الاسدي قال كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلا يقول : اللهم قني شح نفسي . لايزيد على ذلك فقلت له فقال إني اذا وقيت شح نفسي لم اسرق ولم أزن ولم أفعل واذا الرجل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه رواه ابن جرير . وقال ابن جرير حدثني محمد بن اسحاق حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي

روي ان رجلا قال لعبد الله بن مسعود اني أخاف أن أكون قد هلكت قال وماذاك ؟ قال أسمع الله يقول [ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون] وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء فقال عبد الله : ليس ذاك بالشح الذي ذكر الله عز وجل في القرآن ، ولكن الشح أن تأكل مال أخيك ظلماً ولكن ذلك البخل وبئس الشيء البخل. وقال ابن عمر ليس الشح أن يمنع الرجل ماله انما الشح أن تطمع عين الرجل إلى ما ليس له ، وقال سعيد بن جبير الشح هو أخذ الحرام ومنع الزكاة وقيل الشح هو الحرص الشديد الذي يحمله على ارتكاب المحارم ، قال ابن زيد من لم يأخذ شيأ نهاه الله عنه ولم يدعه الشح الى أن يمنع شيأ من شيء أمره الله به فقد وقاه شح نفسه

أخبرنا الامام محمد بن أبي الحسين بن محمد القاضي أنا ابو سعد خلف بن عبد الرحمن بن محمد ابن أبي نزار ثنا أبو بكر احمد بن محمد بن احمد بن حراز القهندري ثنا أبو عبد الله محمد بن اسحاق السعيدي ثنا احمد بن منصور الرمادي ثنا القعنبي ثنا داود بن قيس الفراء عن عبيد الله بن مقسم عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم »

اخبرنا احمد بن عبد الله الصالحي أنا ابو سعيد محمد بن موسى الصيرفي ثنا ابو العباس الاصم أنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنا أبي وشعيب قالا انا الليث عن يزيد بن الهاد عن سهيل بن

حدثنا اسماعيل بن عياش حدثنا مجمع بن جارية الانصاري عن عمه يزيد بن جارية عن أنس بن مالك عن رسول الله [ص] قال « بريء من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف وأعطى في النائبة »

وقوله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء وهم المهاجرون ثم الانصار ثم التابعون لهم باحسان كما قال في آية براءة (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) فالتابعون لهم باحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة الداعون لهم في السر والعلانية ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة (والذين جاءوا من بعدهم يقولون) أي قائلين (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا) اي بغضا وحسداً (للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) وما أحسن ما استنبط الامام مالك رحمه الله من هذه الآية الكريمة أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم [ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم]

وقال ابن أبي حاتم حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي حدثنا محمد بن بشر حدثنا اسماعيل ابن ابراهيم بن مهاجر عن أبيه عن عائشة أنها قالت: أمروا أن يستغفروا لهم فسبوهم ثم قرأت هذه الآية [والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان] الآية وقال اسماعيل بن علية عن عبد الملك بن عمير عن مسروق عن عائشة قالت أمرتم بالاستغفار لاصحاب محمد [ص] فسببتموهم سمعت نبيكم [ص] يقول « لا تذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها أولها » رواه البغوي

وقال أبو داود حدثنا مسدد حدثنا اسماعيل بن ابراهيم حدثنا أيوب عن الزهري قال: قال

ابي صالح عن صفوان بن يزيد عن القعقاع هو بن الجلاج عن ابي هريرة انه سمع رسول الله (ص) يقول « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً ولا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد ابداً » ﴿ والذين جاءوا من بعدهم ﴾ يعني التابعين وهم الذين يجيئون بعد المهاجرين والانصار الى يوم القيامة . ثم ذكر انهم يدعون لانفسهم ولمن سبقهم بالايمان والمغفرة فقال ﴿يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا ﴾ غشا وحسداً وبغضاً ﴿للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم ﴾ فكل من كان في قلبه غل على احد من الصحابة ولم يترحم على جميعهم فانه ليس ممن عناهم الله بهذه الآية لان الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاثة منازل والمهاجرين والانصار والتابعين الموصوفين بما ذكر فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من اقسام المؤمنين قال ابن ابي ليلى الناس على ثلاثة منازل المهاجرون والذين تبوءوا الدار والايمان والذين جاءوا من بعدهم فاجهد ان لا تكون خارجا من هذه المنازل

عمر رضي الله عنه [وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب] قال الزهري قال عمر رضي الله عنه: هذه لرسول الله [ص] خاصة وقرى عرينة وكذا وكذا مما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل - وللفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم - والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم - والذين جاؤا من بعدهم فاستوعبت هذه الآية الناس فلم يبق أحد من المسلمين إلا له فيها حق قال أيوب أو قال حظ إلا بعض من تملكون من ارقائكم . كذا رواه أبو داود وفيه انقطاع

وقال ابن جرير حدثنا عبد الاعلى حدثنا أبو ثور عن معمر عن أيوب عن عكرمة بن خالد عن مالك بن أوس بن الحدثان قال قرأ عمر بن الخطاب [إنما الصدقات للفقراء والمساكين — حتى بلغ — عليم حكيم] ثم قال هذه لهؤلاء ثم قرأ (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى) الآية ثم قال هذه لهؤلاء ثم قرأ (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى — حتى بلغ — للفقراء - والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم - والذين جاؤا من بعدهم) ثم قال استوعبت هذه المسلمين عامة وليس أحد إلا وله فيها حق ثم قال لئن عشت ليأتين الراعي وهو بسرو حمير نصيبه فيها لم يعرق فيها جبينه

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا عبد الله بن حامد أنا احمد بن عبد الله بن سليمان ثنا محمد بن عبد الله ثنا بن نمير ثنا أبي عن اسماعيل بن ابراهيم عن عبد الملك بن عمير عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت أمرتم بالاستغفار لاصحاب محمد ﷺ فسببتموهم سمعت نبيكم ﷺ يقول « لا تذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها أولها » وقال مالك بن مغول قال عامر بن شرحبيل الشعبي يامالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير أهل ملتكم فقالت أصحاب موسى عليه السلام وسئلت النصارى من خير اهل ملتكم فقالوا حواري عيسى عليه السلام وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم فقالوا أصحاب محمد ﷺ أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله) بسفك دمائهم وتفريق شملهم وادحاض حجتهم أعاذنا الله وإياكم من الاهواء المضلة ، قال مالك بن أنس من يبغض أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين ، ثم تلا (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) حتى أتى على هذه الآية (للفقراء المهاجرين - والذين تبوءوا الدار والايمان - والذين جاؤا من بعدهم - إلى قوله - رؤف رحيم)

ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتب لئن أخرجتم

لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم

لكذبون (١١) لئن أخرجوا لا يخرجون معهم، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم، ولئن نصروهم

ليولن الأدبر ثم لا ينصرون (١٢) لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم

لا يفقهون (١٣) لا يقتلونكم جميعا الا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد

تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (١٤) كمثل الذين من قبلهم قريبا

ذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب أليم (١٥) كمثل الشيطن اذ قال للانسن اكفر فلما كفر قال

إني بريء منك إني أخاف الله رب العلمين (١٦) فكان عاقبتهما أنهما في النار خلدين

فيها وذلك جزاء الظلمين (١٧)

يخبر تعالى عن المنافقين كعبد الله بن أبي وأضرابه حين بعثوا الى يهود بني النضير يعدونهم النصر من أنفسهم فقال تعالى (ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبدا وان قوتلتم لننصرنكم] قال الله تعالى [والله يشهد إنهم لكاذبون] أي لكاذبون فيما وعدوهم به إما لأنهم قالوا لهم قولا ومن نيتهم أن لا يفوا لهم به وإما لانهم لا يقع منهم الذي قالوه ولهذا قال تعالى [ولئن قوتلوا لا ينصرونهم] أي لا يقاتلون معهم [ولئن نصروهم) أي قاتلوا معهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون وهذه بشارة مستقلة بنفسها

قوله عز وجل ﴿ ألم تر الى الذين نافقوا ﴾ أي أظهروا خلاف ما أضمروا يعني عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه ﴿ يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ وهم اليهود من بني قريظة والنضير جعل المنافقين اخوانهم في الدين لانهم كفار مثلهم ﴿ لئن أخرجتم ﴾ من المدينة ﴿ لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً ﴾ يسألنا خذلانكم وخلافكم ﴿ أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم ﴾ يعني المنافقين ﴿ لكاذبون * لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ﴾ وكان الامر كذلك فانهم أخرجوا من ديارهم فلم يخرج المنافقون معهم وقوتلوا فلم ينصروهم

قوله تعالى ﴿ ولئن نصروهم ليولن الادبار ﴾ أى لو قدر وجود نصرهم ، قال الزجاج معناه لو قصدوا نصر اليهود لولوا الادبار منهزمين ﴿ ثم لا ينصرون ﴾ يعني بني النضير لا يصيرون منصورين اذا

ثم قال تعالى (لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله) أي يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله كقوله تعالى (إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) ولهذا قال تعالى (ذلك بأنهم قوم لايفقهون). ثم قال تعالى (لايقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر) يعني أنهم من جبنهم وهلعهم لايقدرون على مواجهة جيش الاسلام بالمبارزة والمقاتلة بل إما في حصون أو من وراء جدر محاصرين فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة

ثم قال تعالى (بأسهم بينهم شديد) أي عداوتهم فيما بينهم شديدة كما قال تعالى (ويذيق بعضكم بأس بعض) ولهذا قال تعالى (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) أي تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين وهم مختلفون غاية الاختلاف قال ابراهيم النخعي يعني أهل الكتاب والمنافقين (ذلك بأنهم قوم لايعقلون)

ثم قال تعالى (كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم) قال مجاهد والسدي ومقاتل بن حيان يعني كمثل ما أصاب كفار قريش يوم بدر وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعني يهود بني قينقاع وكذا قال قتادة ومحمد بن اسحاق وهذا القول أشبه بالصواب فان يهود بني قينقاع كان رسول الله ﷺ قد أجلاهم قبل هذا

وقوله تعالى (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك) يعني مثل

انهزم ناصرهم ﴿لأنتم﴾ يامعشر المسلمين ﴿أشد رهبة في صدورهم من الله﴾ أى يرهبونكم أشد من رهبتهم من الله ﴿ذلك﴾ أى ذلك الخوف منكم ﴿بأنهم قوم لايفقهون﴾ عظمة الله ﴿لايقاتلونكم﴾ يعني اليهود ﴿جميعا الا في قرى محصنة﴾ أى لايبرزون لقتالكم انما يقاتلونكم متحصنين بالقرى والجدران وهو قوله ﴿أو من وراء جدر﴾ قرأ ابن كثير وابو عمرو جدار على الواحد، وقرأ الآخرون جدر بضم الجيم والدال على الجمع ﴿بأسهم بينهم شديد﴾ أى بعضهم فظ على بعض وعداوة بعضهم بعضا شديدة، وقيل بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد فاذا خرجوا لكم فهم أجبن خلق الله ﴿تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى﴾ متفرقة مختلفة

قال قتادة أهل الباطل مختلفة أهواؤهم مختلفة شهاداتهم مختلفة أعمالهم وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق، وقال مجاهد أراد أن دين المنافقين يخالف دين اليهود ﴿ذلك بأنهم قوم لا يعقلون كمثل الذين من قبلهم﴾ يعني مثل هؤلاء اليهود كمثل الذين من قبلهم ﴿قريبا﴾ يعني مشركي مكة ﴿ذاقوا وبال أمرهم﴾ يعني القتل ببدر، وكان ذلك قبل غزوة بني النضير قاله مجاهد

وقال ابن عباس (كمثل الذين من قبلهم) يعني بني قينقاع وقيل مثل قريظة كمثل بني النضير وكان بينهما سنتان ﴿ولهم عذاب أليم﴾

ثم ضرب مثلا للمنافقين واليهود جميعا في تخادعهم فقال ﴿كمثل الشيطان﴾ أي مثل المنافقين في غرورهم بني النضير وخذلانهم كمثل الشيطان ﴿إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك﴾

هؤلاء اليهود في اغترارهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين وقول المنافقين لهم لئن قوتلتم لننصرنكم ثم لما حقت الحقائق وجد بهم الحصار والقتال تخلوا عنهم واسلموهم للهلكة مثالهم في هذا كمثل الشيطان اذ سول للانسان والعياذ بالله الكفر فاذا دخل فيما سوله له تبرأ منه وتنصل وقال [إني أخاف الله رب العالمين]

وقد ذكر بعضهم ههنا قصة لبعض عباد بني اسرائيل هي كالمثال لهذا المثل لا أنها المرادة وحدها بالمثل بل هي منه مع غيرها من الوقائع المشاكلة لها، فقال ابن جرير حدثنا خلاد بن أسلم أخبرنا النضر بن شميل أخبرنا شعبة عن أبي اسحاق سمعت عبد الله بن نهيك قال سمعت عليا رضي الله عنه يقول إن راهبا تعبد ستين سنة وإن الشيطان أراده فاعياه فعمد الى امرأة فأجنها ولها اخوة فقال

وذلك ماروى عطاء وغيره عن ابن عباس قال كان راهب في الفترة يقال له برصيصا تعبد لله تعالى في صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وان ابليس أعياه في أمره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين فقال ألا اجد أحداً منكم يكفيني أمر برصيصا؟ فقال الابيض وهو صاحب الانبياء وهو الذي تصدى للنبي ﷺ وجاءه في صورة جبرائيل ليوسوس اليه على وجه الوحي فدفعه جبرايل إلى أقصى أرض الهند، فقال الابيض لابليس أنا أكفيك أمره فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه، وكان لا ينفتل عن صلاته الا في كل عشرة أيام ولا يفطر إلا في عشرة أيام مرة، فلما رأى الابيض أنه لا يجيبه، أقبل على العبادة في أصل صومعته فلما انفتل برصيصا اطلع من صومعته فرأى الابيض قائما يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان فلما رأى ذلك من حاله ندم في نفسه حين لم يجبه، فقال له انك ناديتني وكنت مشتغلا عنك فما حاجتك؟ قال حاجتي اني أحببت أن اكون معك فأتأدب بك وأقتبس من عملك وعلمك ونجتمع على العبادة فتدعو لي وأدعو لك، قال برصيصا اني لفي شغل عنك فان كنت مؤمنا فان الله سيجعل لك فيما ادعو للمؤمنين نصيبا ان استجاب لي، ثم اقبل على صلاته وترك الابيض وأقبل الابيض يصلي فلم يلتفت اليه برصيصا أربعين يوما بعدها فلما انفتل رآه قائماً يصلي فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده قال له ماحاجتك؟ قال حاجتي أن تأذن لي فأرتفع اليك فأذن له فارتفع اليه في صومعته فأقام معه حولا يتعبد لا يفطر إلا في كل اربعين يوما ولا ينفتل عن صلاته إلا في كل اربعين يوما مرة وربما مد الى الثمانين، فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه وأعجبه شأن الابيض فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا إني منطلق فان لي صاحبا غيرك ظننت انك أشد اجتهاداً مما أرى وكان يبلغنا عنك غير الذي رأيت، فدخل من ذلك على برصيصا أمر شديد وكره مفارقته للذي رأى من شدة اجتهاده فلما ودعه قال له الابيض إن عندي دعوات أعلمكها تدعو بهن فهن خير مما أنت فيه يشفي الله بها السقيم ويعافي بها المبتلي والمجنون، قال برصيصا إني اكره هذه المنزلة لان في نفسي شغلا وإني اخاف ان علم به الناس شغلوني عن العبادة

لاخوتها عليكم بهذا القس فيداويها قال فجاؤا بها اليه فداواها وكانت عنده فبينما هو يوما عندها اذ أعجبته فأتاها فحملت فعمد اليها فقتلها فجاء اخوتها فقال الشيطان للراهب أنا صاحبك إنك اعييتني أنا صنعت هذا بك فأطعني انجك مما صنعت بك فاسجدلي سجدة فسجد له فلما سجد له قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين فذلك قوله [كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين]

وقال ابن جرير حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودي حدثنا أبي عن أبيه عن جده عن الاعمش عن عمارة بن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية [كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك اني أخاف الله رب العالمين] قال كانت امرأة ترعى الغنم وكان لها أربعة اخوة وكانت تأوي بالليل الى صومعة راهب قال فنزل الراهب ففجر بها فحملت

فلم يزل به الابيض حتى علمه ثم انطلق حتى أتى ابليس فقال قد والله أهلكت الرجل قال فانطلق الابيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاءه في صورة رجل متطبب فقال لاهله إن بصاحبكم جنونا أفأعالجه ؟ قالوا نعم فقال لهم إني لا أقوى على جنته ولكن سأرشدكم إلى من يدعو الله فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الاعظم الذي اذا دعا به أجاب، فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان فكان الابيض يفعل مثل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو فيعافون فانطلق الابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بني اسرائيل بين ثلاثة اخوة وكان أبوهم ملكهم فمات واستخلف أخاه فكان عمها ملك بني اسرائيل فعذبها وخنقها ثم جاء اليهم في صورة متطبب فقال لهم أتريدون أن أعالجها ؟ قالوا نعم قال إن الذى عرض لها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم الى رجل تثقون به تدعونها عنده إذا جاء شيطانها دعا لها حتى تعلموا أنها قد عوفيت وتردونها صحيحة ، قالوا ومن هو؟ قال برصيصا قالوا وكيف لنا ان يجيبنا الى هذا وهو اعظم شأنا من ذلك ؟ قال فانطلقوا فابنوا صومعة الى جانب صومعته حتى تشرفوا عليه فان قبلها وإلا فضعوها في صومعته ثم قولوا له هي امانة عندك فاحتسب فيها قال فانطلقوا اليه فسألوه فأبى عليهم فبنوا صومعة على ما امرهم به الابيض ووضعوا الجارية في صومعته وقالوا هذه أختنا أمانة فاحتسب فيها ثم انصرفوا ، فلما انفتل برصيصا من صلاته عاين الجارية وما بها من الحسن والجمال فوقعت في قلبه ودخل عليه أمر عظيم ثم اقبل في صلاته فجاءها الشيطان فخنقها ، فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب عنها الشيطان، ثم اقبل على صلاته فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات ثم اقبل على صلاته فجاءها الشيطان فخنقها وكانت تكشف عن نفسها، فجاءه الشيطان وقال واقعها فستتوب بعد ذلك والله تعالى غفار للذنوب والخطايا فتدرك ما تريد من الامر فلم يزل به حتى واقعها ، فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها ، فقال له الشيطان ويحك يابرصيصا قد افتضحت فهل لك ان تقتلها وتتوب فان سألوك فقل ذهب بها شيطانها فلم اقدر عليه فدخل فقتلها ثم انطلق بها فدفنها إلى جانب

فأتاه الشيطان فقال له اقتلها ثم ادفنها فانك رجل مصدق يسمع قولك فقتلها ثم دفنها قال فأتى الشيطان اخوتها في المنام فقال لهم ان الراهب صاحب الصومعة فجر باختكم فلما أحبلها قتلها ثم دفنها في مكان كذا وكذا ، فلما أصبحوا قال رجل منهم والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم أم أترك؟ قالوا لا بل قصها علينا قال فقصها فقال الآخر وأنا والله لقد رأيت ذلك ، فقال الآخر وأنا والله لقد رأيت ذلك ، قالوا فوالله ماهذا الا لشيء. قال فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب فأتوه فأنزلوه ثم انطلقوا به فلقيه الشيطان فقال اني أنا الذي أوقعتك في هذا ولن ينجيك منه غيري فاسجد لي سجدة واحدة وأنجيك مما أوقعتك فيه قال فسجد له ، فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخذ فقتل ، وكذا روي عن ابن عباس وطاوس ومقاتل بن حيان نحو ذلك ، واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا فالله أعلم

وهذه القصة مخالفة لقصة جريج العابد فان جريجا اتهمته امرأة بغي بنفسها وادعت ان حملها منه

الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها ليلا فأخذ بطرف ازارها فبقي طرف ازارها خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته فأقبل على صلاته اذ جاء اخوتها يتعاهدون اختهم وكانوا يجيؤن في بعض الايام يسألون عنها ويوصونه بها فقالوا يابرصيصا مافعلت اختنا؟ قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه فصدقوه وانصرفوا ، فلما أمسوا وهم مكروبون جاء الشيطان إلى اكبرهم في منامه فقال ويحك ان برصيصا فعل باختك كذا وكذا وانه خاف منكم فقتلها ودفنها في موضع كذا وكذا ، فقال الاخ في نفسه هذا حلم وهو من عمل الشيطان فان برصيصا خير وبريء من ذلك قال فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث فانطلق الى الاوسط بمثل ذلك فقال الاوسط مثل ما قال الاكبر فلم يخبر به أحداً فانطلق الى أصغرهم بمثل ذلك ، فقال أصغرهم لاخويه والله لقد رأيت كذا وكذا وقال الاوسط وأنا والله قد رأيت مثله وقال الاكبر وأنا رأيت مثله ، فانطلقوا الى برصيصا وقالوا يابرصيصا مافعلت أختنا؟ قال أليس قد أعلمتكم بحالها فكانكم اتهمتموني؟ فقالوا والله لا نتهمك واستحيوا منه فانصرفوا ، فجاءهم الشيطان فقال ويحكم انها لمدفونة في موضع كذا وان طرف ازارها خارج من التراب فانطلقوا فرأوا أختهم على مارأوا في النوم فمشوا في مواليهم وغلمانهم ومعهم الفؤس والمساحي فهدموا صومعته وأنزلوه ثم كتفوه فانطلقوا به الى الملك فأقر على نفسه ، وذلك ان الشيطان أتاه فقال تقتلها ثم تكابر يجتمع عليك امران قتل ومكابرة اعترف فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة ، فلما صلب أتاه الابيض فقال يابرصيصا أتعرفني قال لا قال أنا صاحبك الذي علمتك الدعوات فاستجيب لك ويحك ما اتقيت الله في أمانتك خنت اهلها وانك زعمت انك اعبد بني اسرائيل أما استحيت؟ فلم يزل يعيره ، ثم قال في آخر ذلك ألم يكفك ما صنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت نفسك وفضحت أشباهك من الناس؟ فان مت على هذه الحالة لم يفلح احد من نظرائك قال فكيف اصنع؟ قال تطيعني في خصلة واحدة حتى أنجيك

ورفعت أمرها إلى ولي الامر فأمر به فأنزل من صومعته وخربت صومعته وهو يقول مالكم مالكم؟ قالوا ياعدو الله فعلت بهذه المرأة كذا وكذا، فقال جريج اصبروا ثم أخذ ابنها وهو صغير جداً ثم قال ياغلام من أبوك؟ قال ابي الراعي وكانت قد أمكنته من نفسها فحملت منه؟ فلما رأى بنو اسرائيل ذلك عظموه كلهم تعظيما بليغا وقالوا نعيد صومعتك من ذهب، قال لا بل أعيدوها من طين كما كانت وقوله تعالى (فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها) اي فكان عاقبة الآمر بالكفر والفاعل له ومصيرهما الى نار جهنم خالدين فيها (وذلك جزاء الظالمين) اي جزاء كل ظالم

مما أنت فيه فآخذ بأعينهم فاخرجك من مكانك قال وما هي؟ قال تسجد لي قال ما أستطيع افعل قال بطرفك افعل فسجد له فقال يابرصيصا هذا الذي كنت أردت منك صارت عاقبة امرك الى ان كفرت بربك أني بريء منك ﴿اني أخاف الله رب العالمين﴾

يقول الله تعالى ﴿فكان عاقبتهما﴾ يعني الشيطان وذلك الانسان ﴿أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين﴾ قال ابن عباس ضرب الله هذا المثل ليهود بني النضير والمنافقين من أهل المدينة وذلك ان الله عزوجل أمر نبيه صلى الله عليه وسلم باجلاء بني النضير عن المدينة فدس المنافقون فيهم وقالوا لا تجيبوا محمداً الى مادعاكم ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم فانا معكم وان أخرجكم خرجنا معكم فاجابوهم ودربوا على حصونهم وتحصنوا في ديارهم وجاء نصر المنافقين حتى جاءهم النبي (ص) فناصبوه الحرب يرجون نصر المنافقين فخذلوهم وتبرؤا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله فكان عاقبة الفريقين النار

قال ابن عباس (رض) فكان الرهبان بعد ذلك في بني اسرائيل لا يمشون الا بالتقية والكتمان وطمع أهل الفسوق والفجور في الاحبار ورموهم بالبهتان والقبيح حتى كان أمر جريج الراهب فلما برأه الله مما رموه به انبسطت بعده الرهبان وظهروا للناس. وكانت قصة جريج على ما أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني زهير بن حرب ثنا يزيد بن هارون أنا جرير بن حازم ثنا محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم عليه السلام وصاحب جريج وصاحب يوسف»

وكان جريج رجلا عابداً فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته أمه وهو يصلي فقالت ياجريج فقال يارب أمي وصلاتي فاقبل على صلاته فانصرفت، لما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت ياجريج فقال أي رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته، فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر الى وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها فقالت ان شئتم لافتننه لكم، قال فتعرضت له فلم يلتفت اليها، فأتت راعيا كان يأوي الى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت، فلما ولدت قالت هو من جريج فأتوه فاستنزلوه من صومعته وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم؟ قالوا زنيت بهذه

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدّمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون (١٨) ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنسٰهم أنفسهم أولئك هم الفسقون (١٩) لايستوي أصحٰب النار وأصحٰب الجنة أصحٰب الجنة هم الفائزون (٢٠)

قال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عون بن أبي جحيفة عن المنذر بن جرير عن أبيه قال: كنا عند رسول الله [ص] في صدر النهار قال فجاء قوم حفاة عراة مجتابي النمار أوالعباء متقلدي السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتغير وجه رسول الله [ص] لما رأى بهم من الفاقة قال فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام الصلاة فصلى ثم خطب فقال « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة » الى آخر الآية ان الله كان عليكم رقيبا وقرأ الآية التي في الحشر - ولتنظر نفس ماقدمت لغد - تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره - حتى قال ولو بشق تمرة » قال فجاء رجل من الانصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت رسول الله [ص] يتهلل وجهه كأنه مذهبه فقال رسول الله [ص] « من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم

البغية فولدت منك فقال أين الصبي فجاؤا به فقال دعوني حتى اصلي فصلى فلما انصرف أتى الى الصبي وطعن في بطنه وقال ياغلام من أبوك؟ قال فلان الراعي قال فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا نبني لك صومعتك من ذهب قال لا ، أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا . وبينا صبي يرضع من امه فمر رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة ، فقالت امه اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الثدي واقبل عليه ونظر اليه فقال اللهم لا تجعلني مثله ، ثم اقبل على ثديه فجعل يرضع قال فكأني انظر الى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه باصبعه السبابة في فمه فجعل يمصها ، قال ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت وهي تقول حسبي الله ونعم الوكيل ، فقالت امه اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاع ونظر اليها فقال اللهم اجعلني مثلها ، فهناك تراجعا الحديث فقالت مر رجل حسن الهيأة فقلت اللهم اجعل ابني مثله فقلت اللهم لا تجعلني مثله ، ومروا بهذه الامة وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت فقلت اللهم لا تجعل ابني مثلها فقلت اللهم اجعلني مثلها ، قال ان ذاك الرجل كان جبارا فقلت اللهم لا تجعلني مثله وان هذه يقولون لها زنيت ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت اللهم اجعلني مثلها »

قوله عز وجل ﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد ﴾ يعني يوم القيامة أي

شيء » انفرد باخراجه مسلم من حديث شعبة باسناده مثله فقوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله أمر بتقواه وهو يشمل فعل مابه أمر وترك ماعنه زجر

وقوله تعالى (ولتنظر نفس ماقدمت لغد) أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الاعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم (واتقوا الله) تأكيد ثان (إن الله خبير بما تعملون) أي اعلموا انه عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم لاتخفى عليه منكم خافية ولا يغيب عنه من أموركم جليل ولاحقير

وقوله تعالى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) أي لاتنسوا ذكر الله تعالى فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم التي تنفعكم في معادكم فان الجزاء من جنس العمل ولهذا قال تعالى (أولئك هم الفاسقون)أي الخارجون عن طاعة الله الهالكون يوم القيامة الخاسرون يوم معادهم كما قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك الخاسرون)

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي حدثنا المغيرة حدثنا جرير بن عثمان عن نعيم بن نمحة قال كان في خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه : أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم ؟ فمن استطاع أن يقضي الاجل وهو في عمل الله عز وجل فليفعل ولن تنالوا ذلك الا بالله عز وجل، ان قوما جعلوا آجالهم لغيرهم فنهاكم الله عز وجل أن تكونوا أمثالهم (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) أين من تعرفون من اخوانكم؟ قدموا على ماقدموا في أيام سلفهم وخلوا بالشقوة والسعادة ؟ أين الجبارون الاولون الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط ؟ قد صاروا تحت الصخر والآبار، هذا كتاب الله لاتفنى عجائبه فاستضيئوا منه ليوم ظلمة، واستضيئوا بسنائه وبيانه ، إن الله تعالى أثنى على زكريا وأهل بيته فقال تعالى [انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين] لاخير في قول لايراد به وجه الله ، ولا خير في مال لاينفق في سبيل الله ، ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه ، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم . هذا اسناد جيد ورجاله كلهم ثقاة ، وشيخ جرير بن عثمان وهو نعيم بن نمحة لاأعرفه بنفي ولا اثبات غير أن أبا داود السجستاني قد حكم بأن شيوخ جرير كلهم ثقاة وقد روي لهذه الخطبة شواهد من وجوه أخر والله أعلم

وقوله تعالى (لايستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة) اي لايستوي هؤلاء وهؤلاء في حكم الله تعالى يوم القيامة كما قال تعالى [أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا

لينظر احدكم أي شيء الذي قدم لنفسه عملا صالحا ينجيه أم سيئا يوبقه؟ ﴿ واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون * ولا تكونوا كالذين نسوا الله ﴾ تركوا امر الله ﴿ فأنساهم انفسهم ﴾ أي حظوظ أنفسهم حتى لم يقدموا لها خيراً ﴿ أولئك هم الفاسقون * لايستوي أصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون ﴾

الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون] وقال تعالى [ومايستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلاماتتذكرون) وقال تعالى [أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض؟ أم نجعل المتقين كالفجار؟] في آيات أخر دالات على أن الله تعالى يكرم الابرار ويهين الفجار ولهذا قال تعالى ههنا [أصحاب الجنة هم الفائزون] أي الناجون المسلمون من عذاب الله عز وجل

لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خـٰشعاً متصدعاً من خشية الله ، وتلك الأمثل نضربها للناس لعلهم يتفكرون (٢١) هو الله الذى لا إله الا هو علٰم الغيب والشهٰدة هو الرحمٰـن الرحيم (٢٢) هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلٰم المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحٰن الله عما يشركون (٢٣) هو الله الخـٰلق البارىء المصوّر له الأسماء الحسنى يسبح له مافي السمٰوات والأرض وهو العزيز الحكيم (٢٤)

يقول تعالى معظما لأمر القرآن ومبينا علو قدره وانه ينبغي أن تخشع له القلوب وتتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد الحق والوعيد الاكيد (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) أي فاذا كان الجبل في غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبر مافيه لخشع وتصدع من خوف الله عز وجل فكيف يليق بكم ياأيها البشر أن لاتلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه ولهذا قال تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) قال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا) إلى آخرها يقول لو اني أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه لتصدع وخشع من ثقله ومن خشية الله فأمر الله الناس اذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع ثم قال تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) وكذا قال قتادة وابن جرير

وقد ثبت في الحديث المتواتر أن رسول الله ﷺ لما عمل له المنبر وقد كان يوم الخطبة يقف إلى جانب جذع من جذوع المسجد فلما وضع المنبر أول ماوضع وجاء النبي ﷺ ليخطب فجاوز الجذع الى نحو المنبر فعند ذلك حن الجذع وجعل يئن كما يئن الصبي الذي يسكت لما كان يسمع من الذكر والوحي عنده ، ففي بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصري بعد إيراده فأنتم أحق أن تشتاقوا

قوله عز وجل ﴿ لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ﴾ قيل لو جعل في الجبل تمييز وأنزل الله القرآن لخشع وتشقق وتصدع من خشية الله مع صلابته ورزانته حذراً من أن لا يؤدي حق الله عز وجل في تعظيم القرآن ، والكافر يعرض عما فيه من العبر كان لم يسمعها يصفه بقساوة القلب ﴿ وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون * هو الله الذي لا إله إلا هو عالم

إلى رسول الله ﷺ من الجذع ، وهكذا هذه الآية الكريمة اذا كانت الجبال الصم لو سمعت كلام الله وفهمته لخشعت وتصدعت من خشيته فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم؟ وقد قال تعالى [ولو ان قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى] الآية وقد تقدم ان معنى ذلك أي لكان هذا القرآن ، وقد قال تعالى [وإن من الحجارة لما يتفجر منه الانهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله] ثم قال تعالى (هو الله الذى لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم) أخبر تعالى انه الذي لا إله الا هو فلا رب غيره ولا إله للوجود سواه وكل مايعبد من دونه فباطل وانه عالم الغيب والشهادة أي يعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا فلا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء من جليل وحقير وصغير وكبير حتى الذر في الظلمات

وقوله تعالى (هو الرحمن الرحيم) قد تقدم الكلام على ذلك في أول التفسير بما أغنى عن اعادته ههنا والمراد انه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما وقد قال تعالى [ورحمتي وسعت كل شيء] وقال تعالى [كتب ربكم على نفسه الرحمة] وقال تعالى [قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون] ثم قال تعالى (هو الله الذي لا إله الا هو الملك) أي المالك لجميع الاشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة

وقوله تعالى (القدوس) قال وهب بن منبه اي الطاهر ، وقال مجاهد وقتادة اي المبارك ، وقال ابن جريج تقدسه الملائكة (السلام) اى من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله ، وقوله تعالى (المؤمن) قال الضحاك عن ابن عباس اي أمن خلقه من أن يظلمهم ، وقال قتادة أمن بقوله انه حق ، وقال ابن زيد صدق عباده المؤمنين في إيمانهم به

وقوله تعالى (المهيمن) قال ابن عباس وغير واحد اي الشاهد على خلقه بأعمالهم بمعنى هو رقيب عليهم كقوله [والله على كل شيء شهيد] وقوله [ثم الله شهيد على مايفعلون] وقوله [أفمن هو قائم

الغيب والشهادة ﴾ الغيب ما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه والشهادة ما شاهدوه وعلموه ﴿ هو الرحمن الرحيم * هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس ﴾ الطاهر من كل عيب المنزه عما لا يليق به ﴿ السلام ﴾ الذي سلم من النقائص ﴿ المؤمن ﴾ قال ابن عباس هو الذي أمن الناس من ظلمه وأمن من آمن به من عذابه وهو من الامان الذي هو ضد التخويف كما قال (وآمنهم من خوف) وقيل معناه المصدق لرسله باظهار المعجزات والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب وللكافرين بما أوعدهم من العقاب ﴿ المهيمن ﴾ الشهيد على عباده بأعمالهم وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي ومقاتل يقال هيمن يهيمن فهو مهيمن اذا كان رقيبا على الشيء وقيل هو في الاصل مؤيمن قلبت الهمزة هاء كقولهم أرقت وهرقت ومعناه المؤمن وقال الحسن الامين وقال الخليل هو الرقيب الحافظ وقال ابن زيد المصدق وقال سعيد بن المسيب والضحاك القاضي وقال ابن كيسان هو اسم من أسماء الله

على كل نفس بما كسبت] الآية ، وقوله تعالى (العزيز) أي الذي قد عز كل شيء فقهره وغلب الاشياء فلا ينال جنابه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه ولهذا قال تعالى (الجبار المتكبر) أي الذي لاتليق الجبرية الا له ولا التكبر إلا لعظمته كما تقدم في الصحيح « العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحداً منهما عذبته » وقال قتادة الجبار الذي جبر خلقه على مايشاء ، وقال ابن جرير الجبار المصلح أمور خلقه المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم ، وقال قتادة المتكبر يعني عن كل سوء ثم قال تعالى (سبحان الله عما يشركون)

وقوله تعالى (هو الله الخالق البارئ المصور) الخلق التقدير والبرء هو الفري وهو التنفيذ وابراز ماقدره وقرره إلى الوجود وليس كل من قدر شيئا ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله عز وجل . قال الشاعر يمدح آخر :

ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

أي أنت تنفذ ماخلقت أي قدرت بخلاف غيرك فانه لايستطيع مايريد فالخلق التقدير والفري التنفيذ ومنه يقال قدر الجلاد ثم فرى أي قطع على ماقدره بحسب مايريده ، وقوله تعالى (الخالق البارئ المصور) أي الذي اذا أراد شيئا قال له كن فيكون على الصفة التي يريد والصورة التي يختار كقوله تعالى [في أي صورة ماشاء ركبك] ولهذا قال المصور أي الذي ينفذ مايريد إيجاده على الصفة التي يريدها ، وقوله تعالى (له الاسماء الحسنى) قد تقدم الكلام على ذلك في سورة الاعراف

ونذكر الحديث المروي في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ « ان لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة الا واحداً من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر » وتقدم سياق الترمذي وابن ماجه له عن أبي هريرة أيضاً وزاد بعد قوله « وهو وتر يحب الوتر » واللفظ للترمذي «هو الله

تعالى في الكتب والله أعلم بتأويله ﴿ العزيز الجبار ﴾ قال ابن عباس الجبار هو العظيم وجبروت الله عظمته وهو على هذا القول صفة ذات الله وقيل هو من الجبر وهو من الاصلاح يقال جبرت الكسر والامر وجبرت العظم اذا أصلحته بعد الكسر ، فهو يغني الفقير ويصلح الكسير

وقال السدي ومقاتل هو الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما أراد وسأل بعضهم عن معنى الجبار فقال هو القهار الذي اذا أراد أمراً فعله لا يحجزه عنه حاجز ﴿ المتكبر ﴾ الذي تكبر عن كل سوء وقيل المتعظم عما لا يليق به وأصل الكبر والكبرياء الامتناع وقيل ذو الكبرياء وهو الملك ﴿ سبحان الله عما يشركون * هو الله الخالق ﴾ المقدر والمقلب للشيء بالتدبير الى غيره كما قال [يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) ﴿ البارئ ﴾ المنشيء للاعيان من العدم الى الوجود ﴿ المصور ﴾ الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض يقال هذه صورة الامر أي مثاله فأولا يكون خلقا ثم برأ ثم تصويراً ﴿ له الاسماء الحسنى * يسبح له مافي السموات والارض وهو العزيز الحكيم ﴾

الذي لا إله الا هو الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارىء ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلي ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوى ، المتين ، الولي ، الحميد ، المحصي ، المبدىء ، المعيد ، المحيي ، المميت ، الحي ، القيوم ، الواجد ، الماجد الواحد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الاول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالي ، المتعالي ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرءوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والاكرام ، المقسط ، الجامع الغني ، المغني ، المعطي ، المانع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادي ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد الصبور » وسياق ابن ماجه بزيادة ونقصان وتقديم وتأخير وقد قدمنا ذلك مبسوطا مطولا بطرقه وألفاظه بما أغنى عن اعادته ههنا

وقوله تعالى (يسبح له ما في السموات والارض) كقوله تعالى [تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفوراً] وقوله تعالى (وهو العزيز) أي فلا يرام جنابه (الحكيم) في شرعه وقدره

وقد قال الامام أحمد حدثنا ابو أحمد الزبيري حدثنا خالد يعني ابن طهمان ابو العلاء الخفاف حدثنا نافع بن أبي نافع عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال « من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً ، ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة » ورواه الترمذي عن محمود بن غيلان عن أبي أحمد الزبيري به ، وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه

﴿ آخر تفسير سورة الحشر ولله الحمد والمنة ﴾

أخبرنا احمد بن ابراهيم الشريحي أنا ابو اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن شيبة ثنا ابن وهب ثنا احمد بن أبي شريح واحمد بن منصور الرمادي قالا أنا أبو احمد الزبيري ثنا خالد بن طهمان حدثني نافع بن أبي نافع عن معقل بن يسار ان رسول الله ﷺ قال « من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث الآيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسي فان مات في ذلك اليوم مات شهيداً ومن قال حين يمسي كان بتلك المنزلة » ورواه أبو عيسى عن محمود بن غيلان عن أبي أحمد الزبيري بهذا الاسناد وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه

تفسير سورة الممتحنة وهى مدنية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تُلقون اليهم بالمودّة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تُسِرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل (١) إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودّوا لو تكفرون (٢) لن تنفعكم أرحامكم ولا أولٰدكم يوم القيٰمة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير (٣)

كان سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة قصة حاطب بن أبي بلتعة وذلك أن حاطبا هذا كان رجلا من المهاجرين وكان من أهل بدر أيضا وكان له بمكة أولاد ومال ولم يكن من قريش أنفسهم بل كان حليفا لعثمان ، فلما عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة لما نقض أهلها العهد فأمر النبي ﷺ المسلمين بالتجهيز لغزوهم وقال « اللهم عم عليهم خبرنا » فعمد حاطب هذا فكتب كتابا وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة يعلمهم بما عزم عليه رسول الله ﷺ من غزوهم ليتخذ بذلك عندهم يداً فأطلع الله تعالى على ذلك رسوله ﷺ استجابة لدعائه فبعث في أثر المرأة فأخذ الكتاب منها وهذا بين في هذا الحديث المتفق على صحته

﴿ سورة الممتحنة مدنية وهي ثلاث عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ﴾ الآية أخبرني عبد الواحد المليحي ثنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا عن سفيان عمرو بن دينار أخبرني الحسن بن محمد انه سمع عبد الله بن أبي رافع يقول سمعت عليا رضي الله عنه يقول بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها » قال فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة ، فقلنا أخرجي الكتاب فقالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب قال فاخرجته من

قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن عمر أخبرني حسن بن محمد بن علي أخبرني عبد الله بن أبي رافع وقال مرة ان عبيد الله بن أبي رافع أخبره أنه سمع عليا رضي الله عنه يقول : بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة قلنا أخرجي الكتاب ، قالت مامعي كتاب ، قلنا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب ، قال فأخرجت الكتاب من عقاصها فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله ﷺ فاذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « ياحاطب ماهذا ؟ » قال لا تعجل علي اني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام ، فقال رسول الله ﷺ « انه صدقكم » فقال عمر دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم » وهكذا أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه من غير وجه عن سفيان بن عيينة به ، وزاد البخاري في كتاب المغازي فأنزل الله السورة (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) وقال في كتاب التفسير قال عمرو ونزلت فيه (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) وقال لاأدري الآية في الحديث أو قال عمرو قال البخاري قال يعني علي ابن المديني قيل لسفيان في هذا نزلت (لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) فقال سفيان هذا في حديث الناس حفظته من عمرو ماتركت منه حرفا ولا أري أحداً حفظه غيري وقد أخرجاه في الصحيحين من حديث حصين بن عبد الرحمن عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن

من عقاصها فأتينا به رسول الله ﷺ فاذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة الى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض امر رسول الله ﷺ فقال « ياحاطب ماهذا ؟ » قال يارسول الله لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقا في قريش يقول كنت حليفا ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي ولم افعله ارتداداً عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله ﷺ « اما انه قد صدقكم » فقال عمر يارسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال « انه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم » فأنزل الله تعالى هذه السورة (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة ـ الى قوله ـ سواء السبيل)

قال المفسرون نزلت الآية في حاطب بن ابي بلتعة كما جاء في الحديث وذلك ان سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف أتت المدينة من مكة ورسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة

السلمي عن علي قال بعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد والزبير بن العوام وكلنا فارس وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة الى المشركين فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ فقلنا الكتاب؟ فقالت مامعي كتاب فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتابا فقلنا ما كذب رسول الله ﷺ لتخرجن الكتاب أو لنجردنك فلما رأت الجد أهوت الى حجزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجته فانطلقنا بها الى رسول الله ﷺ فقال عمر يارسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه فقال النبي ﷺ «ماحملك على ماصنعت؟» قال حاطب والله مابي إلا أن أكون مؤمنا بالله ورسوله ﷺ أردت أن تكون لي عندالقوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله فقال «صدق لا تقولوا له إلا خيراً» فقال عمر إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه فقال «أليس من أهل بدر؟ - فقال - لعل الله اطلع إلي أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد وجبت لكم الجنة - أو - قد غفرت لكم» فدمعت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم هذا لفظ البخاري في المغازي في غزوة بدر

وقد روي من وجه آخر عن علي قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن المسنجاني حدثنا عبيد ابن يعيش حدثنا اسحاق بن سليمان الرازي عن أبي سنان هو سعيد بن سنان عن عمرو بن مرة الجملي عن أبي اسحاق البختري الطائي عن الحارث عن علي قال لما أراد النبي ﷺ أن يأتي مكة أسر الى أناس من أصحابه أنه يريد مكة منهم حاطب بن أبي بلتعة وأفشى في الناس أنه يريدخيبر قال فكتب حاطب بن أبي بلتعة الى أهل مكة أن رسول الله ﷺ يريدكم فأخبر رسول الله ﷺ قال فبعثني رسول الله ﷺ وأبامرثد وليس منا رجل إلا وعنده فرس فقال «ائتوا روضة خاخ فانكم ستلقون

فقال لها رسول الله ﷺ «أمسلمة جئت؟» قالت لا قال «أمهاجرة جئت؟» قالت لا قال «فما جاء بك؟» قالت كنتم الاصل والعشيرة والموالي وقد ذهبت موالي وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني، فقال لها «وأين أنت من شبان مكة؟» وكانت مغنية نائحة قالت ماطلب مني شيء بعد وقعة بدر فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وبني المطلب فأعطوها نفقة وكسوها وحملوها فأتاها حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزى فكتب معها الى أهل مكة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا على ان توصل الى أهل مكة وكتب في الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة الى أهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم، فخرجت سارة ونزل جبريل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول الله ﷺ عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد بن الاسود وأبا مرثد فرسانا فقال لهم «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين

بها امرأة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا حتى رأيناها بالمكان الذي ذكر رسول الله ﷺ فقلنا لها هاتي الكتاب فقالت ما معي كتاب فوضعنا متاعها وفتشناها فلم نجده في متاعها فقال أبو مرثد لعله أن لا يكون معها فقلت ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا فقلنا لها لتخرجنه أو لنعرينك ، فقالت أما تتقون الله؟ ألستم مسلمين؟ فقلنا لتخرجنه أو لنعرينك قال عمرو بن مرة فاخرجته من حجزتها وقال حبيب بن أبي ثابت أخرجتـه من قبلها فأتينا به رسول الله ﷺ فاذا الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة فقام عمر فقال يارسول الله خان الله ورسوله فائذن لي فلأضرب عنقه فقال رسول الله ﷺ « أليس قد شهد بدراً؟ » قالوا بلى قال عمر بلى ولكنه قد نكث وظاهر أعداءك عليك فقال رسول الله ﷺ « فلعل الله أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم إني بما تعملون بصير » ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم فارسل رسول الله ﷺ الى حاطب فقال « ياحاطب ماحملك على ماصنعت؟ » فقال يارسول الله إني كنت امرأ ملصقا في قريش وكان لي بها مال وأهل ولم يكن من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنع أهله وماله فكتبت بذلك اليهم ووالله يارسول الله إني لمؤمن بالله ورسوله فقال رسول الله ﷺ « صدق حاطب فلا تقولوا لحاطب إلا خيرا » قال حبيب بن أبي ثابت فانزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة) الآية وهكذا رواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن أبي سنان سعيد بن سنان باسناده مثله

وقد ذكر ذلك أصحاب المغازي والسير فقال محمد بن اسحاق بن يسار في السيرة حدثني محمد ابن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قال لما أجمع رسول الله ﷺ المسير الى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الامر في السير اليهم ثم أعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة وزعم غيره انها سارة مولاة لبني

فخذوه منها وخلوا سبيلها وإن لم تدفعـه اليـكم فاضربوا عنقها » قال فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الذي قاله رسول الله ﷺ فقالوا لها أين الكتاب؟ فحلفت بالله ما معها كتاب فبحثوها وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي (رض) والله ماكذبنا ولا كذب رسول الله ﷺ وسل سيفه فقال اخرجي الكتاب والا لأجردنك ولأضربن عنقك ، فلما رأت الجد أخرجته من ذؤابتها وكانت قد خبأته في شعرها فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها فرجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ فأرسل رسول الله ﷺ إلى حاطب فأتاه فقال « هل تعرف الكتاب؟ » قال نعم قال « فما حملك على ماصنعت؟ » فقال يا رسول الله والله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا فيهم وكان أهلي بين ظهرانيهم فخشيت على أهلي فأردت أن أتخذ عندهم يدا وقد علمت

عبد المطلب وجعل لها جعلا على أن تبلغه لقريش فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت به وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال «ادركا امرأة قد كتب معها حاطب كتابا الى قريش يحذرهم ماقد أجمعنا له من أمرهم» فخرجا حتى أدركاها بالحليفة حليفة بني أبي أحمد فاستنزلاها بالحليفة فالتمسا في رحلها فلم يجدا شيئا فقال لها علي بن أبي طالب اني أحلف بالله ماكذب رسول الله وما كذبنا ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك فلما رأت الجد منه قالت أعرض فاعرض فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته اليه فأتى به رسول الله ﷺ فدعا رسول الله ﷺ حاطبا فقال «ياحاطب ماحملك على هذا؟» فقال يارسول الله أما والله إني لمؤمن بالله وبرسوله ماغيرت ولا بدلت ولكني كنت امرأ ليس لي في القوم من أهل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم فقال عمر بن الخطاب يارسول الله دعني فلأضرب عنقه فان الرجل قد نافق فقال رسول الله ﷺ «ومايدريك ياعمر؟ لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم» فانزل الله عز وجل في حاطب (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة — الى قوله — قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده) الى آخر القصة، وروى معمر عن الزهري عن عروة نحو ذلك وهكذا ذكر مقاتل بن حيان أن هذه الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة أنه بعث سارة مولاة بنى هاشم وأنه أعطاها عشرة دراهم وأن رسول الله ﷺ بعث في أثرها عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما فأدركاها بالجحفة وذكر تمام القصة كنحو ماتقدم، وعن السدي قريبا منه وهكذا قال العوفي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد أن هذه الآيات نزلت في حاطب بن أبى بلتعة فقوله تعالى (يا أيها آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق) يعنى المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله والمؤمنين الذين شرع الله عداوتهم ومصارمتهم

ان الله ينزل بهم بأسه وان كتابي لايغنى عنهم شيئا فصدقه رسول الله ﷺ وعذره، فقام عمر بن الخطاب فقال دعني يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله ﷺ «ومايدريك ياعمر؟ لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم» فأنزل الله عز وجل في شأن حاطب (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) ﴿تلقون اليهم بالمودة﴾ قيل أي المودة والباء زائدة كقوله (ومن يرد فيه بالحاد بظلم)

وقال الزجاج معناه تلقون اليهم أخبار النبي ﷺ وسره بالمودة التي بينكم وبينهم ﴿وقد كفروا﴾ الواو للحال أي وحالهم انهم كفروا ﴿بما جاءكم من الحق﴾ يعنى القرآن ﴿يخرجون الرسول واياكم﴾

ونهى أن يتخذوا أولياء وأصدقاء وأخلاء . كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم) وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد

وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ، واتقوا الله ان كنتم مؤمنين) . وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ؟) وقال تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه) ولهذا قبل رسول الله ﷺ عذر حاطب لما ذكر أنه إنما فعل ذلك مصانعة لقريش لأجل ما كان له عندهم من الأموال والاولاد

(١) ويذكر ههنا الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا مصعب بن سلام حدثنا الاجلح عن قيس ابن أبي مسلم عن ربعي بن خراش سمعت حذيفة يقول : ضرب لنا رسول الله ﷺ أمثالا واحدا وثلاثة وخمسة وسبعة وتسعة وأحد عشر قال فضرب لنا منها مثلا وترك سائرها قال « إن قوما كانوا أهل ضعف ومسكنة قاتلهم أهل تجبر وعداء فاظهر الله أهل الضعف عليهم فعمدوا الى عدوهم فاستعملوهم وسلطوهم فاسخطوا الله عليهم الى يوم يلقونه

(١) هذا غير موجود بالنسخة المكية

وقوله تعالى (يخرجون الرسول وإياكم) هذا مع ما قبله من التهييج على عداوتهم وعدم موالاتهم لانهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهرهم كراهة لما هم عليه من التوحيد واخلاص العبادة لله وحده ولهذا قال تعالى (أن تؤمنوا بالله ربكم) أي لم يكن لكم عندهم ذنب إلا ايمانكم بالله رب العالمين كقوله تعالى (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) وكقوله تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله)

وقوله تعالى (إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي) أي ان كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي باغين لمرضاتي عنكم فلا توالوا أعدائي وأعداءكم وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حنقا عليكم وسخطا لدينكم

وقوله تعالى (تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) أي تفعلون ذلك وأنا العالم بالسرائر والضمائر والظواهر (ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل * ان يثقفوكم يكونوا لكم

من مكة ﴿ أن تؤمنوا ﴾ أي لان آمنتم كأنه قال يفعلون ذلك لايمانكم ﴿ بالله ربكم ان كنتم خرجتم ﴾ هذا شرط جوابه متقدم وهو قوله (لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ان كنتم خرجتم ﴿ جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة ﴾ قال مقاتل بالنصيحة ﴿ وأنا أعلم بما أخفيتم ﴾ من المودة للكفار ﴿ وما أعلنتم ﴾ أظهرتم بألسنتكم ﴿ ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾ أخطأ طريق الهدى ﴿ ان يثقفوكم ﴾ يظفروا بكم ويردوكم ﴿ يكونوا

أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) أي لو قدروا عليكم لما اتقوا فيكم من أذى ينالونكم به بالمقال والفعال (وودوا لو تكفرون) أي ويحرصون على أن لاتنالوا خيراً فهم عداوتهم لكم كامنة وظاهرة فكيف توالون مثل هؤلاء ؟ وهذا تهييج على عداوتهم أيضا

وقوله تعالى (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير) أي قراباتكم لاتنفعكم عند الله إذا أراد الله بكم سوءا ونفعهم لا يصل اليكم إذا أرضيتموهم بما يسخط الله ومن وافق أهله على الكفر ليرضيهم فقد خاب وخسر وضل عمله ولا ينفعه عند الله قرابته من أحد ولو كان قريبا إلى نبي من الانبياء

قال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن ثابت عن أنس أن رجلا قال يارسول الله أين أبي؟ قال « في النار » فلما قفى دعاه فقال « إن أبي وأباك في النار » ورواه مسلم وأبو داود من حديث حماد بن سلمة به

قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول ابراهيم لأبيه لاستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ، ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير (٤) ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم (٥) لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد (٦)

يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري منهم (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه) أي واتباعه الذين آمنوا معه (إذ قالوا لقومهم

لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم ﴾ بالضرب والقتل ﴿ وألسنتهم بالسوء ﴾ بالشتم ﴿ وودوا لو تكفرون ﴾ كما كفروا . يقول لاتناصحوهم فانهم لايناصحونكم ولا يوادونكم ﴿ لن تنفعكم أرحامكم ﴾ معناه لايدعونكم ولا يحملنكم ذوو أرحامكم وقراباتكم وأولادكم التي بمكة الى خيانة الرسول ﷺ والمؤمنين وترك مناصحتهم وموالاة أعدائهم فلن تنفعكم أرحامكم ﴿ ولا أولادكم ﴾ الذين عصيتم الله لاجلهم ﴿ يوم القيامة يفصل بينكم ﴾ فيدخل أهل طاعته الجنة وأهل معصيته النار

قرأ عاصم ويعقوب (يفصل) بفتح الياء وكسر الصاد مخففا ، وقرأ حمزة والكسائي بضم الياء وكسر الصاد مشدداً ، وقرأ ابن عامر بضم الياء وفتح الصاد مشدداً . وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الصاد مخففا ﴿ والله بما تعملون بصير * قد كانت لكم أسوة ﴾ قدوة ﴿ حسنة في ابراهيم والذين معه ﴾

إنا برآء منكم) أي تبرأنا منكم (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) أي بدينكم وطريقكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً) يعني وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم مادمتم على كفركم فنحن أبداً نتبرأ منكم ونبغضكم (حتى تؤمنوا بالله وحده) أي الى أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لاشريك له وتخلعوا ماتعبدون معه من الاوثان والانداد

وقوله تعالى (الا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك) أي لكم في ابراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها الا في استغفار ابراهيم لأبيه فانه إنما كان عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ، وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لآبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم ويقولون إن ابراهيم كان يستغفر لابيه فأنزل الله عز وجل (ما كان النبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم * وما كان استغفار ابراهيم لابيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن ابراهيم لأواه حليم)

وقال تعالى في هذه الآية الكريمة (قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم — إلى قوله تعالى — إلا قول ابراهيم لابيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء) أي ليس لكم في ذلك أسوة أي في الاستغفار للمشركين هكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان والضحاك وغير واحد

ثم قال تعالى مخبراً عن قول ابراهيم والذين معه حين فارقوا قومهم وتبرءوا منهم فلجأوا إلى الله وتضرعوا اليه فقالوا (ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير) أي توكلنا عليك في جميع الامور وسلمنا أمورنا اليك وفوضناها اليك واليك المصير أي المعاد في الدار الآخرة (ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا) قال مجاهد معناه لاتعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم

من أهل الايمان ﴿ اذ قالوا لقومهم ﴾ من المشركين ﴿ انا برآء منكم ﴾ جمع بريء ﴿ ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم ﴾ جحدنا وأنكرنا دينكم ﴿ وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ يأمر حاطبا والمؤمنين بالاقتداء بابراهيم عليه الصلاة والسلام والذين معه من المؤمنين في التبرؤ من المشركين ﴿ إلا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك ﴾ يعنى لكم أسوة حسنة في ابراهيم وأموره الا في استغفاره لابيه المشرك فان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان قد قال لأبيه لأستغفرن لك ثم تبرأ منه على ما ذكرناه في سورة التوبة ﴿ وما أملك لك من الله من شيء ﴾ يقول ابراهيم لابيه ماأغني عنك ولا أدفع عنك عذاب الله ان عصيته وأشركت به ﴿ ربنا عليك توكلنا ﴾ يقوله ابراهيم ومن معه من المؤمنين ﴿ واليك أنبنا واليك المصير * ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا ﴾ قال الزجاج لا تظهرهم علينا فيظنوا انهم على الحق فيفتتنوا

وقال مجاهد لاتعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولون لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم

هذا وكذا قال الضحاك ، وقال قتادة لاتظهرهم علينا فيفتتنوا بذلك يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحق هم عليه واختاره ابن جرير ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لاتسلطهم علينا فيفتنونا

وقوله تعالى (واغفر لنا ربنا إنك انت العزيز الحكيم) أي واستر ذنوبنا عن غيرك واعف عنها فيما بيننا وبينك (إنك أنت العزيز) أي الذي لايضام من لاذ بجنابك الحكيم في أقوالك وأفعالك وشرعك وقدرك

ثم قال تعالى (لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) وهذا تأكيد لما تقدم ومستثنى منه ماتقدم أيضا لان هذه الاسوة المثبتة ههنا هي الاولى بعينها، وقوله تعالى (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) تهييج إلى ذلك لكل مؤمن بالله والمعاد

وقوله تعالى (ومن يتول) أي عما أمر الله به فان الله هو الغني الحميد كقوله تعالى (إن تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الغني الذي قد كمل في غناه وهو الله هذه صفته لاتنبغي إلا له ليس له كفء وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار والحميد المستحمد الى خلقه أي هو المحمود في جميع أقواله وأفعاله لا إله غيره ولا رب سواه

عسى اللهُ أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودّة والله قدير والله غفور رحيم (٧) لاينهٰكم الله عن الذين لم يقتلوكم في الدّين ولم يخرجوكم من ديٰركم أن تبروهم وتُقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين (٨) إنما ينهٰكم الله عن الذين قٰتلوكم في الدين وأخرجوكم من ديٰركم وظٰهروا على اخراجكم أن تولّوْهم ومن يتولهم فأولٰئك هم الظٰلمون (٩)

يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعداوة الكافرين [عسى الله أن يجعل بينكم وبين

ذلك ﴿ واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم * لقد كان لكم فيهم ﴾ أي في ابراهيم ومن معه ﴿ أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ هذا بدل من قوله (لكم) وبيان انهذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة ﴿ ومن يتول ﴾ يعرض عن الايمان ويوال الكفار ﴿ فان الله هو الغني ﴾ عن خلقه ﴿ الحميد ﴾ الى أوليائه وأهل طاعته

قال مقاتل : فلما أمر الله المؤمنين بعداوة الكفار عادي المؤمنون أقرباءهم المشركين وأظهروا لهم العداوة والبراءة فعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك فأنزل الله عز وجل ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم ﴾ أي من كفار مكة ﴿ مودة ﴾ ففعل الله ذلك بأن أسلم كثير منهم

الذين عاديتم منهم مودة] أي محبة بعد البغضة ومودة بعد النفرة وألفة بعد الفرقة (والله قدير) أي على ماىشاء من الجمع بين الاشياء المتنافرة والمتباينة والمختلفة فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والقساوة فتصبح مجتمعة متفقة كما قال تعالى ممتنا على الانصار [واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها] الآية وكذا قال لهم النبي ﷺ « ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي »

وقال الله تعالى [هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافي الارض جميعا ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم]

وفي الحديث « أحبب حبيبك هونا ما فعسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما فعسى أن يكون حبيبك يوما ما » وقال الشاعر

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن ان لاتلاقيا

وقوله تعالى [والله غفور رحيم] أي يغفر للكافرين كفرهم اذا تابوا منه وأنابوا الى ربهم وأسلموا له وهو الغفور الرحيم بكل من تاب اليه من أي ذنب كان

وقد قال مقاتل بن حيان ان هذه الآية نزلت في أبي سفيان صخر بن حرب فان رسول الله ﷺ تزوج ابنته فكانت هذه مودة مابينه وبينه ، وفي هذا الذي قاله مقاتل نظر فان رسول الله ﷺ تزوج بأم حبيبة بنت أبي سفيان قبل الفتح وأبو سفيان انما أسلم ليلة الفتح بلا خلاف ، وأحسن من هذا مارواه ابن أبي حاتم حيث قال قرىء على محمد بن عزيز حدثني سلامة حدثني عقيل حدثني ابن شهاب أن رسول الله ﷺ استعمل أبا سفيان صخر بن حرب على بعض اليمن فلما قبض رسول الله ﷺ أقبل فلقى ذا الخمار مرتداً فقاتله فكان أول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين قال ابن شهاب وهو ممن أنزل الله فيه [عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة] الآية

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس ان أبا سفيان قال يارسول الله ثلاث أعطنيهن ، قال « نعم » قال تأمرني أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين ، قال « نعم » قال ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك قال « نعم » قال وعندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها الحديث وقد تقدم الكلام عليه

وقوله تعالى (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم) ولم يظاهروا أي يعاونوا على إخراجكم أى لاينهاكم عن الاحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين كالنساء والضعفة منهم (أن تبروهم) أى تحسنوا اليهم (وتقسطوا اليهم) أى تعدلوا (إن الله يحب المقسطين)

فصاروا لهم أولياء وإخوانا وخالطوهم وناكحوهم ﴿ والله قدير والله غفور رحيم ﴾ ثم رخص الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم

قال الامام احمد حدثنا ابو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا فأتيت النبي ﷺ فقلت يارسول الله إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها ؟ قال « نعم صلي أمك » أخرجاه

وقال الامام أحمد حدثنا عارم حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا مصعب بن ثابت حدثنا عامر ابن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال قدمت قتيلة على ابنتها اسماء بنت أبي بكر بهدايا ضباب وقرظ وسمن وهي مشركة فأبت أسماء أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها فسألت عائشة النبي ﷺ فأنزل الله تعالى (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين) إلى آخر الآية فأمرها أن تقبل هديتها وان تدخلها بيتها . وهكذا رواه ابن جرير وابن ابي حاتم من حديث مصعب بن ثابت به ، وفي رواية لأحمد وابن جرير قتيلة بنت عبد العزى بن سعد من بني مالك بن حسل وزاد ابن ابي حاتم في المدة التي كانت بين قريش ورسول الله ﷺ

وقال أبو بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا ابو بكر بن أبي شيبة حدثنا ابو قتادة العدوى عن ابن أخي الزهري عن الزهرى عن عروة عن عائشة وأسماء أنهما قالتا قدمت علينا أمنا المدينة وهي مشركة في المدنة التي كانت بين قريش وبين رسول الله ﷺ وبين قريش فقلنا يارسول الله ان أمنا قدمت علينا المدينة وهي راغبة أفنصلها ؟ قال « نعم فصلاها » ثم قال وهذا الحديث لانعلمه يروى عن الزهرى عن عروة عن عائشة الا من هذا الوجه قلت وهو منكر بهذا السياق لان أم عائشة هي أم رومان وكانت مسلمة مهاجرة وأم اسماء غيرها كما هو مصرح باسمها في هذه الاحاديث المتقدمة والله أعلم ، وقوله تعالى (ان الله يحب المقسطين) قد تقدم تفسير ذلك في سورة الحجرات ، وأورد الحديث الصحيح « المقسطون على منابر من نور عن يمين العرش الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما ولوا »

وقوله تعالى (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم) اى انما ينهاكم عن موالاة هؤلاء الذين ناصبوكم بالعداوة فقاتلوكم واخرجوكم

يخرجوكم من دياركم أن تبروهم ﴾ أي لا ينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم ﴿ و تقسطوا اليهم ﴾ تعدلوا فيهم بالاحسان والبر ﴿ ان الله يحب المقسطين ﴾ قال ابن عباس نزلت في خزاعة كانوا قد صالحوا النبي ﷺ على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحداً فرخص الله في برهم وقال عبد الله بن الزبير نزلت في أسماء بنت أبي بكر وذلك ان أمها قتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بهدايا ضبابا وأقطا وسمنا وهي مشركة فقالت أسماء لا أقبل منك هدية ولا تدخلي علي بيتي حتى تستأذني رسول الله ﷺ فسألت رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية فأمرها رسول الله ﷺ أن تدخلها منزلها وتقبل هديتها وتكرمها وتحسن اليها

وعاونوا على اخراجكم ينهاكم الله عز وجل عن موالاتهم ويأمركم بمعاداتهم ثم أكد الوعيد على موالاتهم فقال (ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون) كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين)

يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنت مهجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمنهن فان علمتموهن مؤمنت فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ماأنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسئلوا ماأنفقتم وليسئلوا ماأنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم (١٠) وإن فاتكم شيء من أزواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ماأنفقوا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون (١١)

تقدم في سورة الفتح في ذكر صلح الحديبية الذي وقع بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش فكان فيه : على أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته الينا ، وفي رواية على انه لا يأتيك

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا قتيبة ثنا حاتم عن هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله ﷺ ومدتهم مع أبيها فاستفتيت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله ان أمي قدمت علي وهي راغبة أفأصلها؟ «قال نعم صليها» وروي عن ابن عيينة قال فأنزل الله فيها (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين) ثم ذكر الله الذين نهاهم عن صلتهم فقال ﴿ انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ﴾ وهم مشركو مكة ﴿ أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾

قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ﴾ الآية

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أنه سمع مروان والمسور ابن مخرمة يخبران عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يأتيك منا أحد وان كان

منا أحد وإن كان على دينك الا رددته الينا وهذا قول عروة والضحاك وعبدالرحمن بن زيد والزهري ومقاتل بن حيان والسدي فعلى هذه الرواية تكون هذه الآية مخصصة للسنة وهذا من أحسن أمثلة ذلك وعلى طريقة بعض السلف ناسخة فان الله عز وجل أمر عباده المؤمنين إذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتحنوهن فان علموهن مؤمنات فلا يرجعوهن إلى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن

[1] وقد ذكرنا في ترجمة عبد الله بن احمد بن جحش من المسند الكبير من طريق أبي بكر ابن أبي عاصم عن محمد بن يحيى الذهلي عن يعقوب بن محمد عن عبد العزيز بن عمران عن مجمع بن يعقوب عن حنين بن أبي ابانة عن عبد الله بن أبي احمد قال هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط في الهجرة فخرج اخواها عمارة والوليد حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلماه فيها أن يردها اليهما فنقض الله العهد بينه وبين المشركين في النساء خاصة فمنعهم أن يردوهن إلى المشركين وأنزل الله آية الامتحان

(١) هذا غير موجود في النسخة المكية

قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير عن قيس بن الربيع عن الاغر بن الصباح عن خليفة بن حصين عن أبي نصر الاسدي قال سئل ابن عباس كيف كان امتحان رسول الله ﷺ النساء؟ قال كان يمتحنهن بالله ماخرجت من بغض زوج وبالله ماخرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ماخرجت التماس دنيا وبالله ماخرجت الاحبا لله ولرسوله ، ثم رواه من وجه آخر عن الاغر بن الصباح

على دينك إلا رددته الينا وخليت بيننا وبينه فكره المؤمنون ذلك وأبى سهيل الا ذلك فكاتبه النبي ﷺ على ذلك فرد النبي ﷺ يومئذ أبا جندل الى أبيه سهيل بن عمرو ولم يأته أحد من الرجال إلا رده في تلك المدة وان كان مسلماً وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج الى رسول الله ﷺ يومئذ مهاجرة وهي عاتق فجاء أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها اليهم فلم يرجعها اليهم لما أنزل الله فيهن (اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن - إلى - ولاهم يحلون لهن)

قال عروة فأخبرتني عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحنهن بهذه الآية (يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات - الى قوله - غفور رحيم)

قال عروة قالت عائشة رضي الله عنها فمن أقرت بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد بايعتك » كلاما يكلمها به والله مامست يده يد امرأة قط في المبايعة مابايعهن إلا بقوله

قال ابن عباس أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمراً حتى اذا كان بالحديبية صالحه مشركو مكة على أن من أتاه من أهل مكة رده اليهم ومن أتى أهل مكة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يردوه عليه وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه ، فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة بعد الفراغ من الكتاب فأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم وقال مقاتل هو صيفي بن الراهب في طلبها وكان كافراً

به ، وكذا رواه البزار من طريقه وذكر فيه أن الذي كان يحلفهن عن أمر رسول الله ﷺ له عمر بن الخطاب

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) كان امتحانهن أن يشهدن أن لا إله الا الله وأن محمداً عبد الله ورسوله ، وقال مجاهد (فامتحنوهن) فاسألوهن عما جاء بهن فان كان جاء بهن غضب على أزواجهن أو سخطة أو غيره ولم يؤمن فارجعوهن إلى أزواجهن ، وقال عكرمة يقال لها ماجاء بك الا حب الله ورسوله ، وما جاء بك عشق رجل منا ولا فرار من زوجك فذلك قوله (فامتحنوهن) وقال قتادة كانت محنتهن أن يستحلفن بالله ماأخرجكن النشوز وما أخرجكن الا حب الاسلام وأهله وحرص عليه فاذا قلن ذلك قبل ذلك منهن ، وقوله تعالى (فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار) فيه دلالة على أن الايمان يمكن الاطلاع عليه يقينا

وقوله تعالى (لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن) هذه الآية هي التي حرمت المسلمات على المشركين وقد كان جائزا في ابتداء الاسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة ولهذا كان أبو العاص بن الربيع زوج ابنة النبي ﷺ زينب رضي الله عنها وقد كانت مسلمة وهو على دين قومه فلما وقع في الاسارى يوم بدر بعثت امرأته زينب في فدائه بقلادة لها كانت لأمها خديجة فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وقال للمسلمين « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها فافعلوا » ففعلوا فأطلقه رسول الله ﷺ على أن يبعث ابنته اليه فوفى له بذلك وصدقه فيما وعده وبعثها إلى رسول الله ﷺ مع زيد بن حارثة رضي الله عنه فأقامت بالمدينة من بعد وقعة بدر وكانت سنة اثنتين إلى أن أسلم زوجها أبو العاص ابن الربيع سنة ثمان فردها عليه بالنكاح الاول ولم يحدث لها صداقا ، كما قال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي حدثنا ابن اسحاق حدثنا داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ رد ابنته زينب على أبي العاص وكانت هجرتها قبل اسلامه بست سنين على النكاح الاول ولم يحدث شهادة ولا صداقا ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه ومنهم من يقول بعد سنتين وهو صحيح

فقال يا محمد اردد علي امرأتي فانك شرطت أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد فأنزل الله عز وجل [يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات] من دار الكفر الى دار الايمان فامتحنوهن قال ابن عباس امتحانها أن تستحلف ماخرجت لبغض زوجها ولا عشقا لرجل من المسلمين ولا رغبة عن أرض إلى أرض ولا لحدث أحدثته ولا لالتماس دنيا وما خرجت إلا رغبة في الاسلام وحباً لله ولرسوله قال فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك فحلفت فلم يردها وأعطى زوجها مهرها وما أنفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان يرد من جاءه من الرجال ويحبس من جاءه من النساء بعد الامتحان ويعطي أزواجهن مهورهن ﴿ الله أعلم بايمانهن ﴾ أي هذا الامتحان لكم والله اعلم بايمانهن ﴿ فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون

لان اسلامه كان بعد تحريم المسلمات على المشركين بسنتين وقال الترمذي ليس باسناده بأس ولا نعرف وجه هذا الحديث ولعله جاء من حفظ داود بن الحصين، وسمعت عبد بن حميد يقول سمعت يزيد بن هارون يذكر عن ابن اسحاق هذا الحديث وحديث ابن الحجاج يعني ابن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله ﷺ رد ابنته على أبي العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد فقال يزيد حديث ابن عباس أجود إسناداً والعمل على حديث عمرو بن شعيب

ثم قلت وقد روى حديث الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب الامام أحمد والترمذي وابن ماجه وضعفه الامام أحمد وغير واحد والله أعلم

وأجاب الجمهور عن حديث ابن عباس بأن ذلك كان قضية عين يحتمل انه لم تنقض عدتها منه لان الذي عليه الاكثرون انها متى انقضت العدة ولم يسلم انفسخ نكاحها منه

وقال آخرون بل إذا انقضت العدة هي بالخيار ان شاءت أقامت على النكاح واستمرت وان شاءت فسخته وذهبت فتزوجت وحملوا عليه حديث ابن عباس والله أعلم

وقوله تعالى (وآتوهم ما أنفقوا) يعني أزواج المهاجرات من المشركين ادفعوا اليهم الذي غرموه عليهن من الاصدقة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والزهري وغير واحد

وقوله تعالى (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن اجورهن) يعني إذا أعطيتموهن أصدقتهن فانكحوهن أي تزوجوهن بشرطه من انقضاء العدة والولي وغير ذلك

وقوله تعالى (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) تحريم من الله عز وجل على عباده المؤمنين نكاح المشركات والاستمرار معهن

وفي الصحيح عن الزهري عن عروة عن المسور ومروان بن الحكم ان رسول الله ﷺ لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساء من المؤمنات فأنزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا

لهن ﴾ ما أحل الله مؤمنة لكافر ﴿ وآتوهم ﴾ يعني أزواجهن الكفار ﴿ ما أنفقوا ﴾ عليهن يعني المهر الذي دفعوا اليهن ﴿ ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن ﴾ أي مهورهن أباح الله نكاحهن للمسلمين وان كان لهن أزواج في دار الكفر لان الاسلام فرق بينهن وبين أزواجهن الكفار ﴿ ولا تمسكوا ﴾ قرأ أبو عمرو ويعقوب بالتشديد والآخرون بالتخفيف من الامساك ﴿ بعصم الكوافر ﴾ والعصم جمع العصمة وهي ما اعتصم به من العقد والنسب والكوافر جمع الكافرة نهى الله المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات يقول من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما، قال الزهري فلما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأتين كانتا له بمكة مشركتين قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان وهما على شركهما بمكة والاخرى أم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية أم ابنه عبد الله بن عمر فتزوجها أبو جهم بن حذافة

اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات ـ الى قوله ـ ولا تمسكوا بعصم الكوافر) فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين تزوج احداهما معاوية بن أبي سفيان والاخرى صفوان بن أمية

وقال ابو ثور عن الزهري : أنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو بأسفل الحديبية حين صالحهم على انه من اتاه منهم رده اليهم فلما جاءه النساء نزلت هذه الآية وأمره أن يرد الصداق الى أزواجهن وحكم على المشركين مثل ذلك اذا جاءتهم امرأة من المسلمين أن يردوا الصداق الى ازواجهن وقال [ولا تمسكوا بعصم الكوافر] وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال وانما حكم الله بينهم بذلك لاجل ما كان بينهم وبينهم من العهد

وقال محمد بن إسحاق عن الزهري طلق عمر يومئذ قريبة[1] بنت أبي امية بن المغيرة فتزوجها معاوية وأم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية وهي ام عبد الله فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم رجل من قومه وهما على شركهما ، وطلق طلحة بن عبيد الله أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فتزوجها بعده خالد بن سعيد بن العاص

وقوله تعالى (واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا اي وطالبوا بما انفقتم على ازواجكم اللاتي يذهبن الى الكفار ان ذهبن وليطالبوا بما انفقوا على ازواجهم اللاتي هاجرن الى المسلمين

وقوله تعالى (ذلكم حكم الله يحكم بينكم) اي في الصلح واستثناء النساء منه والامر بهذا كله هو حكم الله يحكم به بين خلقه (والله عليم حكيم) أي عليم بما يصلح عباده حكيم في ذلك

ثم قال تعالى (وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا) قال مجاهد وقتادة هذا في الكفار الذين ليس لهم عهد اذا فرت اليهم امرأة ولم يدفعوا الى زوجها شيئا فاذا جاءت منهم امرأة لا يدفع الى زوجها شيء حتى يدفع الى زوج الذاهبة اليهم مثل نفقته عليها

(١) كذا في الاصل وفي تفسير البغوي فاطمة

ابن غانم وهما على شركهما وكانت أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب تحت طلحة بن عبد الله فهاجر طلحة وهي بمكة على دين قومها ففرق الاسلام بينهما فتزوجها في الاسلام خالد بن سعيد بن العاص ابن أمية ، قال الشعبي وكانت زينب بنت رسول الله ﷺ امرأة أبي العاص بن الربيع أسلمت ولحقت بالنبي ﷺ وأقام أبو العاص بمكة مشركا ثم أتى المدينة فأسلم فردها عليه رسول الله ﷺ (واسئلوا) أيها المؤمنون ﴿ ما أنفقتم ﴾ أي ان لحقت امرأة منكم بالمشركين مرتدة فاسألوا ما أنفقتم من المهر إذا منعوها ممن تزوجها منهم ﴿ وليسئلوا ﴾ يعني المشركين الذين لحقت أزواجهم بكم ﴿ ما أنفقوا ﴾ من المهر ممن تزوجها منكم ﴿ ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم ﴾ قال الزهري لولا الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء ولم يرد الصداق وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه الآية أقر المؤمنون بحكم الله عز وجل

وقال ابن جرير حدثنا يونس حدثنا ابن وهب اخبرني يونس عن الزهري قال أقر المؤمنون بحكم الله فأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين التي انفقوا على نسائهم وأبى المشركون ان يقروا بحكم الله فيما فرض عليهم من اداء نفقات المسلمين فقال الله تعالى للمؤمنين به (وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون) فلو انها ذهبت بعد هذه الآية امرأة من أزواج المؤمنين إلى المشركين رد المؤمنون إلى زوجها النفقة التي أنفق عليها من العقب الذي بأيديهم الذي أمروا أن يردوه على المشركين من نفقاتهم التي أنفقوا على أزواجهم اللاتي آمن وهاجرن ثم ردوا إلى المشركين فضلا إن كان بقي لهم، والعقب ما كان بقي من صداق نساء الكفار حين آمن وهاجرن

وأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين على نسائهم وأبى المشركون أن يقروا بحكم الله فيما أمروا من أداء نفقات المسلمين على نسائهم فأنزل الله عز وجل ﴿ وان فاتكم ﴾ أيها المؤمنون ﴿شيء من أزواجكم الى الكفار ﴾ فلحقن بهم مرتدات ﴿ فعاقبتم ﴾ قال المفسرون معناه غنمتم أي غزوتم فأصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة وقيل ظهرتم وكانت العاقبة لكم وقيل أصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم ، قرأ حميد الاعرج فعقبتم بالتشديد وقرأ الزهري فعقبتم خفيفة بغير ألف وقرأ مجاهد فأعقبتم أي صنعتم بهم كما صنعوا بكم وكلها لغات بمعنى واحد يقال عاقب وعقب وعقب واعقب وتعقب وتعاقب واعتقب اذا غنم وقيل التعقيب غزوة بعد غزوة ﴿فآتوا الذين ذهبت أزواجهم﴾ الى الكفار منكم ﴿مثل ما أنفقوا﴾ عليهن من الغنائم التي صارت في أيديكم من أموال الكفار وقيل فعاقبتم المرتدة بالقتل

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة أم الحكم بنت أبي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت أبي أمية بن المغيرة أخت أم سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب فلما أراد عمر أن يهاجر أبت وارتدت وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعزة بنت عبد العزى بن فضلة وتزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت أبي جهل ابن هشام كانت تحت هشام بن العاص بن وائل وأم كلثوم بنت جرول كانت تحت عمر بن الخطاب فكلهن رجعن عن الاسلام فأعطى رسول الله ﷺ أزواجهن مهورهن من الغنيمة ﴿واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون ﴾ واختلف القول في أن رد مهر من أسلمت من النساء الى أزواجهن كان واجبا أو مندوبا؟ وأصله ان الصلح هل كان وقع على رد النساء؟ فيه قولان أحدهما انه وقع على رد الرجال والنساء جميعا لما روينا انه لا يأتيك منا احد وإن كان على دينك إلا رددته الينا ثم صار الحكم في رد النساء منسوخا بقوله (فلا ترجعوهن الى الكفار) فعلى هذا كان رد المهر واجبا، والقول الآخر ان الصلح لم يقع على رد النساء لانه روي على انه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته الينا وذلك لان الرجل لا يخشى عليه من الفتنة في الرد ما يخشى على المرأة من إصابة المشرك إياها وأنه لا يؤمن عليها

وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية : يعني إن لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار أمر له رسول الله ﷺ انه يعطى مثل ما أنفق من الغنيمة ، وهكذا قال مجاهد (فعاقبتم) أصبتم غنيمة من قريش أو غيرهم (فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا) يعني مهر مثلها . وهكذا قال مسروق وابراهيم وقتادة ومقاتل والضحاك وسفيان بن حسين والزهري أيضاً. وهذا لا ينافي الاول لانه إن أمكن الاول فهو الاولى وإلا فمن الغنائم اللاتي تؤخذ من أيدي الكفار . وهذا أوسع وهو اختيار ابن جرير ولله الحمد والمنة

يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنت يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولدهن ولا يأتين ببهتن يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم (١٢)

قال البخاري حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن أخي ابن شهاب عن عمه قال أخبرني عروة ان عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته ان رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر اليه من المؤمنات بهذه الآية (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك - الى قوله - غفور رحيم) قال عروة قالت عائشة فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ « قد بايعتك » كلاما ولا والله ما مست يده يد امرأة في المبايعة قط مايبايعهن الا بقوله « قد بايعتك على ذلك » هذا لفظ البخاري

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن أميمة بنت رقيقة قالت أتيت رسول الله ﷺ في نساء لنبايعه فأخذ علينا ما في القرآن أن لا نشرك بالله شيئا الآية وقال « فيما استطعتن وأطقتن » قلنا الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ، قلنا يارسول الله ألا

الردة اذا خوفت وأكرهت عليها لضعف قلبها وقلة عقلها وقلة هدايتها إلى المخرج منها باظهار كلمة الكفر مع التورية وإضمار الايمان ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته الى التقية فعلى هذا كان رد المهر مندوبا ، واختلفوا في أنه هل يجب العمل به اليوم في رد المال اذا شرط في معاقدة الكفار ؟ فقال قوم لا تجب وزعموا ان الآية منسوخة وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة وقال قوم هي غير منسوخة ويرد اليهم ما أنفقوا

قوله عز وجل ﴿ ياأيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك ﴾ الآية وذلك يوم فتح مكة لما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرجال وهو على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه وهو يبايع النساء بأمر رسول الله ﷺ ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من

تصافحنا ؟ قال « اني لا أصافح النساء انما قولي لامرأة واحدة قولي لمائة امرأة » هذا اسناد صحيح وقد رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة والنسائي أيضا من حديث الثوري ومالك بن أنس كلهم عن محمد بن المنكدر به[1] وقال الترمذي حسن صحيح لانعرفه الا من حديث محمد ابن المنكدر وقد رواه أحمد أيضا من حديث محمد بن اسحاق عن محمد بن المنكدر عن أميمة به وزاد : ولم يصافح منا امرأة وكذا رواه ابن جرير من طريق موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر به

ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي جعفر الرازي عن محمد بن المنكدر حدثتني أميمة بنت رقيقة وكانت أخت خديجة خالة فاطمة من فيها الى في فذكره

وقال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن اسحاق حدثني سليط بن أيوب بن الحكم بن سليم عن أمه سلمى بنت قيس وكانت احدى خالات رسول الله ﷺ وقد صلت معه القبلتين ، وكانت احدى نساء بني عدي بن النجار قالت جئت رسول الله ﷺ نبايعه في نسوة من الانصار فلما شرط علينا أن لانشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل اولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف قال « ولا تغششن أزواجكن » قالت فبايعناه ثم انصرفنا فقلت لامرأة منهن ارجعي فسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماغش أزواجنا ؟ قال فسألته فقال « تأخذ ماله فتحابي به غيره »

وقال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن أبي العباس حدثنا عبد الرحمن بن عثمان بن ابراهيم بن محمد ابن حاطب حدثني أبي عن أمه عائشة بنت قدامة يعني ابن مظعون قالت أنا مع أمي رائطة ابنة أبي سفيان الخزاعية والنبي ﷺ يبايع النسوة ويقول « أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصينني في معروف — قلن نعم — فيما استطعتن » فكن يقلن وأقول معهن وأمي تقول لي أي بنية نعم فكنت أقول كما يقلن

وقال البخاري حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن حفصة بنت سيرين عن ام عطية قالت بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا (ولا تشركن بالله شيئا) ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها قالت أسعدتني فلانة فأريد أن أجزيها فما قال لها رسول الله ﷺ شيئا فانطلقت ورجعت فبايعها ، ورواه مسلم وفي رواية فما وفى منهن امرأة غيرها وغير أم سليم امرأة ملحان وللبخاري عن أم عطية قالت أخذ علينا رسول الله ﷺ عند البيعة أن لا ننوح فما وفت منا امرأة

رسول الله ﷺ أن يعرفها فقال رسول الله ﷺ « أبايعهن » ﴿ على أن لا يشركن بالله شيئا ﴾ فرفعت هند رأسها وقالت والله انك لتأخذ علينا أمرا ما رأيناك أخذته على الرجال وبايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط فقال النبي ﷺ ﴿ ولا يسرقن ﴾ فقالت هند ان أبا سفيان رجل شحيح

(١) هذا الى قوله ورواه ابن أبي حاتم غير موجود في النسخة المكية

غير خمس نسوة أم سليم وأم العلاء وابنة أبي سبرة امرأة معاذ وامرأتان أو ابنة أبي سبرة وامرأة معاذ وامرأة أخرى وقد كان رسول الله ﷺ يتعاهد النساء بهذه البيعة يوم العيد كما قال البخاري حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا هارون ثنا معروف حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني ابن جريج أن الحسن بن مسلم أخبره عن طاوس عن ابن عباس قال شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فكلهم يصليها قبل الخطبة ثم يخطب بعد فنزل نبي الله ﷺ فكأني أنظر اليه حين يجلس الرجال بيده ثم أقبل يشقهم حتى أتى النساء مع بلال فقال (يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف) حتى فرغ من الآية كلها ثم قال حين فرغ « أنتن على ذلك » فقالت امرأة واحدة ولم يجبه غيرها نعم يارسول الله لا يدري حسن من هي قال فتصدقن قال وبسط بلال ثوبه فجعلن يلقين الفتخ [1] والخواتيم في ثوب بلال

وقال الامام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا عباس عن سليمان بن سليم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال جاءت أميمة بنت رقيقة الى رسول الله ﷺ تبايعه على الاسلام فقال « أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئا ولا تسرقي ولا تزني ولا تقتلي ولدك ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك ولا تنوحي ولا تبرجي تبرج الجاهلية الاولى »

وقال الامام احمد حدثنا سفيان عن الزهري عن ابي ادريس الخولاني عن عبادة بن الصامت قال : كنا عند رسول الله ﷺ في مجلس فقال « تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم - قرأ الآية التي أخذت على النساء . اذا جاءك المؤمنات - فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه فهو الى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه » أخرجاه في الصحيحين

وقال محمد بن اسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن يزيد بن عبد الله المزني عن أبي عبد الله عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي عن عبادة بن الصامت قال: كنت فيمن حضر العقبة الاولى وكنا اثني عشر رجلا فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء وذلك قبل أن يفرض الحرب على أن لا نشرك

(١) الفتخ بفتح الفاء والتاء جمع فتخة بالخاء المعجمة وهي خاتم كبير يكون في اليد والرجل أو حلقة من فضة كالخاتم

واني أصبت من ماله هنات فلا ادري ايحل لي أم لا فقال ابو سفيان ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال لها « وانك لهند بنت عتبة؟» قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك فقال ﴿ ولا يزنين ﴾ فقالت هند أو تزني الحرة ؟ فقال ﴿ ولا يقتلن

بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف وقال « فان وفيتم فلكم الجنة » رواه ابن أبي حاتم

وقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أمر عمر بن الخطاب فقال « قل لهن ان رسول الله ﷺ يبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا » وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة التي شقت بطن حمزة متنكرة في النساء. فقالت اني ان أتكلم يعرفني وإن عرفني قتلني وانما تنكرت فرقا من رسول الله ﷺ فسكت النسوة اللاتي مع هند وأبين أن يتكلمن فقالت هند وهي متنكرة كيف تقبل من النساء شيئا لم تقبله من الرجال؟ فنظر اليها رسول الله ﷺ وقال لعمر « قل لهن ولا يسرقن » قالت هند والله إني لأصيب من أبي سفيان الهنات ماأدري أيحلهن لي ام لا ؟ قال ابو سفيان ماأصبت من شيء مضى او قد بقي فهو لك حلال فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فدعاها فأخذت بيده فعاذت به فقال « أنت هند ؟ » قالت عفا الله عما سلف فصرف عنها رسول الله ﷺ فقال « ولا يزنين » فقالت يارسول الله وهل تزني امرأة حرة ؟ قال « لا والله ماتزني الحرة - قال - ولا يقتلن أولادهن » قالت هند أنت قتلتهم يوم بدر فأنت وهم أبصر ، قال « ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن » قال « ولا يعصينك في معروف » قال منعهن ان ينحن وكان اهل الجاهلية يمزقن الثياب ويخدشن الوجوه ويقطعن الشعور ، ويدعون بالويل والثبور . وهذا أثر غريب وفي بعضه نكارة والله أعلم ، فان ابا سفيان وامرأته لما أسلما لم يكن رسول الله ﷺ يخيفهما بل أظهر الصفاء والود لهما وكذلك كان الامر من جانبه عليه السلام لهما . وقال مقاتل بن حيان أنزلت هذه الآية يوم الفتح بايع رسول الله ﷺ الرجال على الصفا، وعمر بايع النساء يحلفهن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر بقيته كما تقدم وزاد فلما قال ولا تقتلن أولادكن قالت هند ربيناهم صغارا فقتلتموهم كبارا فضحك عمر بن الخطاب حتى استلقى . رواه ابن ابي حاتم

وقال ابن ابي حاتم حدثنا نصر بن علي حدثتني أم عطية بنت سليمان حدثني عمي عن جدي عن عائشة قالت : جاءت هند بنت عتبة إلى رسول الله ﷺ لتبايعه فنظر الى يدها فقال « اذهبي فغيري يدك » فذهبت فغيرتها بحناء ثم جاءت فقال « أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئا » فبايعته وفي يدها سواران من ذهب فقالت ماتقول في هذين السوارين فقال « جمرتين من نار جهنم »

أولادهن ﴾ فقالت هند ربيناهم صغاراً وقتلتموهم كباراً فأنتم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى وتبسم رسول الله ﷺ فقال ﴿ ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ﴾ وهو أن تقذف ولداً على زوجها ليس منه قالت هند والله ان البهتان لقبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ﴿ ولا يعصينك في معروف ﴾ قالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا أن نعصيك في شيء فأقر النسوة بما أخذ عليهن

وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا ابن فضيل عن حصين عن عامر هو الشعبي قال بايع رسول الله ﷺ النساء وفي يده ثوب قد وضعه على كفه ثم قال « ولا تقتلن أولادكن » فقالت امرأة تقتل آباءهم وتوصينا بأولادهم قال وكان بعد ذلك اذا جاء النساء يبايعنه جمعهن فعرض عليهن فاذا أقررن رجعن فقوله تعالى (يأأيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) اي من جاءك منهن يبايع على هذه الشروط فبايعها على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن أموال الناس الاجانب ، فأما اذا كان الزوج مقصراً في نفقتها فلها أن تأكل من ماله بالمعروف ماجرت به عادة أمثالها وإن كان من غير علمه عملا بحديث هند بنت عتبة انها قالت يارسول الله ان أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة مايكفيني ويكفي بني فهل علي جناح إن أخذت من ماله بغير علمه فقال رسول الله ﷺ « خذي من ماله بالمعروف مايكفيك ويكفي بنيك » أخرجاه في الصحيحين

وقوله تعالى (ولا يزنين) كقوله تعالى (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا) وفي حديث سمرة ذكر عقوبة الزناة بالعذاب الاليم في نار الجحيم

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت جاءت فاطمة بنت عتبة تبايع رسول الله ﷺ فأخذ عليها (أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين) الآية قال فوضعت يدها على رأسها حياء فأعجبه مارأى منها فقالت عائشة اقري أيتها المرأة فوالله مابايعنا الا على هذا قالت فنعم إذاً فبايعها بالآية

(١) وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا ابن فضيل عن حصين عن عامر هو الشعبي قال بايع رسول الله ﷺ النساء وعلى يده ثوب قد وضعه على كفه ثم قال ولا تقتلن أولادكن فقالت امرأة تقتل آباءهم وتوصي بأولادهم ؟ قال وكان بعد ذلك اذا جاءت النساء يبايعنه جمعهن فعرض عليهن فاذا أقررن رجعن

(١) هذا غير موجود بالنسخة المكية

وقوله تعالى (ولا يقتلن أولادهن) وهذا يشمل قتله بعد وجوده كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الاملاق ويعم قتله وهو جنين كما قد يفعله بعض الجهلة من النساء تطرح نفسها لئلا تحبل اما لغرض فاسد أو ماأشبهه

قوله (ولا يقتلن أولادهن) أراد وأد البنات الذي كان يفعل أهل الجاهلية ، قوله (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) ليس المراد منه نهيهن عن الزنا لان النهي عن الزنا قد تقدم ذكره بل المراد منه أن تلتقط مولوداً وتقول لزوجها هذا ولدي منك فهو البهتان المفترى بين أيديهن وأرجلهن لان الولد إذا وضعته الام سقط بين يديها ورجليها

قوله [ولا يعصينك في معروف] أي في كل أمر وافق طاعة الله ، قال بكر بن عبدالله المزني في كل أمر فيه رشدهن . وقال مجاهد لا تخلو المرأة بالرجال

وقوله تعالى (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) قال ابن عباس يعني لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم وكذا قال مقاتل

ويؤيد هذا الحديث الذي رواه ابو داود حدثنا احمد بن صالح حدثنا ابن وهب حدثنا عمرو يعني ابن الحارث عن ابن الهاد عن عبد الله بن يونس عن سعيد المقبري عن ابي هريرة انه سمع رسول الله ﷺ يقول حين نزلت آية الملاعنة « أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله الجنة ، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله منه وفضحه على رءوس الاولين والآخرين » وقوله تعالى (ولا يعصينك في معروف) يعني فيما أمرتهن به من معروف ونهيتهن عنه من منكر

قال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا وهب بن جرير حدثنا ابي قال سمعت الزبير عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (ولا يعصينك في معروف) قال انما هو شرط شرطه الله للنساء

وقال ميمون بن مهران لم يجعل الله طاعة لنبيه الا في المعروف والمعروف طاعة ، وقال ابن زيد أمر الله بطاعة رسوله وهو خيرة الله من خلقه في المعروف

وقد قال غيره عن ابن عباس وأنس بن مالك وسالم بن أبي الجعد وأبي صالح وغير واحد نهاهن يومئذ عن النوح ، وقد تقدم حديث أم عطية في ذلك أيضا

وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة في هذه الآية ذكر لنا أن نبي الله ﷺ أخذ عليهن النياحة ولا تحدثن الرجال الا رجلا منكن محرما فقال عبدالرحمن بن عوف يا رسول الله ان لنا أضيافا وانا نغيب عن نسائنا فقال رسول الله ﷺ « ليس أولئك عنيت ليس أولئك عنيت »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابراهيم بن موسى الفراء أخبرنا ابن أبي زائدة حدثني

وقال سعيد بن المسيب والكلبي وعبد الرحمن بن زيد : هو النهي عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثوب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه ولا تحدث المرأة الرجال الا ذا محرم ولا تخلو برجل غير ذي محرم ولا تسافر الا مع ذي محرم

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا أبو معمر ثنا عبدالوارث ثنا أيوب عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية قالت : بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا [أن لا يشركن بالله شيئا] ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها فقالت أسعدتني فلانة أريد أن اجزيها فما قال لها النبي ﷺ شيئا فانطلقت ورجعت وبايعها

أخبرنا احمد بن ابراهيم الشريحي انا احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أنا الحسين بن محمد بن الحسين الدينوري ثنا احمد بن محمد بن اسحاق ثنا أبو يعلى الموصلي ثنا هدبة بن خالد ثنا أبان بن

مبارك عن الحسن قال كان فيما أخذ النبي ﷺ أن لا تحدثن الرجال الا أن تكون ذات محـرم فان الرجل لايزال يحدث المرأة حتى يمذي بين فخذيه

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا هارون عن عمرو عن عاصم عن ابن سيرين عن أم عطية الانصارية قالت كان فيما اشترط علينا رسول الله ﷺ من المعروف حين بايعناه أن لا ننوح فقالت امرأة من بني فلان ان بني فلان أسعدوني فلا حتى أجزيهم فانطلقت فأسعدتهم ثم جاءت فبايعت قالت فما وفى منهن غيرها وغير أم سليم ابنة ملحان أم أنس بن مالك ، وقد روى البخاري هذا الحديث من طريق حفصة بنت سيرين عن أم عطية نسيبة الانصارية رضي الله عنها

وقد روى نحوه من وجه آخر أيضا قال : حدثنا ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو نعيم حدثنا عمرو بن فروخ القتات حدثني مصعب بن نوح الانصاري قال : أدركت عجوزاً لنا كانت فيمن بايع رسول الله ﷺ قالت فأتيته لابايعه فأخذ علينا فيما أخذ ان لا ينحن فقالت عجوز يارسول الله ان ناساً قد كانوا أسعدوني على مصائب أصابتني وانهم قد أصابتهم مصيبة فأنا أريد أسعدهم قال « فانطلقي فكافئيهم » فانطلقت فكافأتهم ثم انها أتته فبايعته وقال هو المعروف الذي قال الله عزوجل (ولا يعصينك في معروف)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمـد بن منصور الرمادي حدثنا الضبي حدثنا الحجاج بن صفوان عن أسيد بن أبي أسيد البزار عن امرأة من المبايعات قالت كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ أن لانعصيه في معروف أن لانخمش وجها ولا ننشر شعراً ولا نشق جيبا ولا ندعو ويلا

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن سنان القزاز حدثنا إسحاق بن ادريس حدثنا إسحاق بن عثمان ابو يعقوب حدثني إسماعيل بن عبدالرحمن بن عطية عن جدته أم عطية قالت لما قدم رسول الله ﷺ

يزيد ثنا يحيى بن أبي كثير ان زيداً حدثه ان أبا سلام حدثه ان أبا مالك الاشعري حدثه ان رسول الله ﷺ قال « أربع في أمتي من أمر الجاهلية لايتركونهن : الفخر في الاحساب والطعن في الانساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة - وقال - النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب »

اخبرنا عبدالواحد المليحي انا احمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عمرو بن حفص ثنا أبي أنا الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال قال النبي ﷺ « ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » قوله ﴿ فبايعهن ﴾ يعني اذا بايعنك فبايعهن ﴿ واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم ﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل حدثني محمود ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت كان

جمع نساء الانصار في بيت ثم أرسل الينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقام على الباب وسلم علينا فرددن أو فرددنا عليه السلام ثم قال أنا رسول رسول الله ﷺ اليكن قالت فقلنا مرحبا برسول الله وبرسول رسول الله فقال تبايعن على أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزنين ، قالت فقلنا نعم قالت فمد يده من خارج الباب اوالبيت ومددنا أيدينا من داخل البيت ثم قال : اللهم اشهد قالت وأمرنا في العيدين ان نخرج فيه الحيض والعواتق ولا جمعة علينا ، ونهانا عن اتباع الجنائز قال اسماعيل فسألت جدتي عن قوله تعالى (ولا يعصينك في معروف) قالت النياحة

وفي الصحيحين من طريق الاعمش عن عبدالله بن مرة عن مسروق عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » وفي الصحيحين أيضاً عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ بريء من الصالقة والحالقة والشاقة

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا هدبة بن خالد حدثنا أبان بن يزيد حدثنا يحي بن أبي كثير ان زيدا حدثه ان أبا سلام حدثه ان أبا مالك الاشعري حدثه أن رسول الله ﷺ قال « أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الاحساب والطعن في الانسان والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت - وقال - النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » ورواه مسلم في صحيحه منفرداً به من حديث أبان بن يزيد العطار به ، وعن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ لعن النائحة والمستمعة رواه ابو داود

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن يزيد مولى الصهباء عن شهر بن حوشب عن أم سلمة عن رسول الله ﷺ في قول الله تعالى (ولا يعصينك في معروف) قال النوح ورواه الترمذي في التفسير عن عبد بن حميد عن أبي نعيم وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع كلاهما عن يزيد بن عبدالله الشيباني مولى الصهباء به وقال الترمذي حسن غريب

يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس

النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية (لا يشركن بالله شيئا) قالت وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها

أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا محمد بن عبد الله بن حمدون أنا مكي ابن عبدان ثنا عبد الرحمن بن بشر ثنا سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر سمع أميمة بنت رقيقة تقول بايعت رسول الله ﷺ في نسوة فقال لنا « فيم استطعتن وأطقتن ؟ » فقلت رسول الله ﷺ أرحم بنا من أنفسنا قلت يارسول الله بايعنا قال سفيان يعني صافحنا فقال « إني لا اصافح النساء إنما قولي لامرأة كقولي لمائة امرأة »

قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم ﴾ وهم اليهود وذلك أن أناسا

الكفار من أصحاب القبور (١٣)

ينهى تبارك وتعالى عن موالاة الكافرين في آخر هذه السورة كما نهى عنها في أولها فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) يعني اليهود والنصارى وسائر الكفار ممن غضب الله عليه ولعنه واستحق من الله الطرد والابعاد فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء وقد يئسوا من الآخرة أي من ثواب الآخرة ونعيمها في حكم الله عز وجل

وقوله تعالى (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) فيه قولان أحدهما كما يئس الكفار الاحياء من قراباتهم الذين في القبور أن يجتمعوا بهم بعد ذلك لأنهم لا يعتقدون بعثا ولا نشوراً فقد انقطع رجاؤهم منهم فيما يعتقدونه

قال العوفي عن ابن عباس (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) الى آخر السورة يعنى من مات من الذين كفروا فقد يئس الاحياء من الذين كفروا أن يرجعوا اليهم أو يبعثهم الله عز وجل، وقال الحسن البصري (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) قال الكفار الاحياء قد يئسوا من الاموات، وقال قتادة كما يئس الكفار أن يرجع اليهم أصحاب القبور الذين ماتوا وكذا قال الضحاك رواهن ابن جرير، والقول الثاني معناه كما يئس الكفار الذين هم في القبور من كل خير

قال الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) قال كما يئس هذا الكافر إذا مات وعاين ثوابه واطلع عليه وهذا قول مجاهد وعكرمة ومقاتل وابن زيد والكلبي ومنصور وهو اختيار ابن جرير رحمه الله

﴿آخر تفسير سورة الممتحنة ولله الحمد والمنة﴾

من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين يتوصلون اليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك ﴿قد يئسوا﴾ يعني هؤلاء اليهود ﴿من الآخرة﴾ بأن يكون لهم فيها ثواب وخير ﴿كما يئس الكفار من أصحاب القبور﴾ أي كما يئس الكفار الذين ماتوا وصاروا في القبور من أن يكون لهم حظ وثواب في الآخرة، قال مجاهد الكفار حين دخلوا قبورهم أيسوا من رحمة الله قال سعيد بن جبير يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار الذين ماتوا فعاينوا الآخرة وقيل كما يئس الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا اليهم

تفسير سورة الصف وهي مدنية

قال الامام احمد حدثنا يحيي بن آدم حدثنا ابن المبارك عن الاوزاعي عن يحيي بن أبي كثير عن أبي سلمة وعن عطاء بن يسار عن ابي سلمة عن عبدالله بن سلام قال تذا كرنا أيكم يأتي رسول الله ﷺ فيسأله أي الاعمال أحب إلى الله فلم يقم أحد منا فأرسل رسول الله ﷺ الينا رجلا رجلا فجمعنا فقرأ علينا هذه السورة يعني سورة الصف كلها هكذا رواه الامام احمد

وقال ابن أبي حاتم حدثنا العباس بن الوليد بن مرثد البيروتي قراءة قال أخبرني أبي سمعت الاوزاعي حدثنى يحيى بن أبي كثير حدثني ابو سلمة بن عبدالرحمن حدثنى عبدالله بن سلام أن أناسا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لو أرسلنا إلى رسول الله نسأله عن أحب الاعمال إلى الله عز وجل فلم يذهب اليه أحد منا وهبنا أن نسأله عن ذلك قال فدعا رسول الله ﷺ أولئك النفر رجلا رجلا حتى جمعهم ونزلت فيهم هذه السورة (سبح لله) الصف قال عبدالله بن سلام فقرأها علينا رسول الله ﷺ كلها : قال ابو سلمة وقرأها علينا عبدالله بن سلام كلها

قال يحيى بن أبي كثير وقرأها علينا ابو سلمة كلها قال الاوزاعي وقرأها علينا يحيى بن أبي كثير كلها قال أبي وقرأها علينا الاوزاعي كلها ، وقد رواه الترمذي عن عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي حدثنا محمد بن كثير عن الاوزاعي عن يحيى بن أبى كثير عن أبي سلمة عن عبدالله بن سلام قال : قعدنا نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ فتذا كرنا فقلنا لو نعلم أي الاعمال أحب إلى الله عز وجل لعملناه فأنزل الله تعالى (سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم * يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) قال عبدالله بن سلام فقرأها علينا رسول الله ﷺ قال ابو سلمة فقرأها علينا ابن سلام قال يحيى فقرأها علينا ابو سلمة قال ابن كثير فقرأها علينا الاوزاعي قال عبد الله فقرأها علينا ابن كثير، ثم قال الترمذي وقد خولف محمد بن كثير في إسناد هذا الحديث عن الاوزاعي فروى ابن المبارك عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن سلام أو عن ابي سلمة عن عبدالله بن سلام . قلت وهكذا رواه الامام احمد عن معمر عن ابن المبارك به قال الترمذي وروى الوليد بن مسلم هذا الحديث عن الاوزاعي نحو رواية محمد ابن كثير ، قلت وكذا رواه الوليد بن يزيد عن الاوزاعي كما رواه ابن كثير. قلت وقد أخبرني بهذا الحديث الشيخ المسند أبو العباس احمد بن أبي طالب الحجار قراءة عليه وأنا أسمع أخبرنا أبو المنجا عبد الله بن عمران الحلبي أخبرنا ابو الوقت عبد الاول بن عيسى بن شعيب السجزي قال اخبرنا أبو الحسن بن عبد الرحمن بن المظفر بن محمد بن داود الداودي أخبرنا أبو محمد عبدالله بن أحمد بن حمويه السرخسي أخبرنا عيسى بن عمر بن عمران السمرقندي

أخبرنا الامام الحافظ ابو محمد عبد الله بن عبدالرحمن الدارمي بجميع مسنده أخبرنا محمد بن كثير عن الاوزاعي فذكر باسناده مثله وتسلسل لنا قراءتها إلى شيخنا أبي العباس الحجار ولم يقرأها لانه كان أميا وضاق الوقت عن تلقيتها اياه ولكن أخبرني الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان رحمه الله الذهبي أخبرنا القاضي تقي الدين بن سليمان بن الشيخ أبي عمرو أخبرنا ابو المنجا بن اللتي فذكره باسناده وتسلسل لي من طريقه وقرأها علي بكمالها ولله الحمد والمنة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموٰت وما في الارض وهو العزيز الحكيم (١) يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون؟ (٢) كبُر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون (٣) ان الله يحب الذين يقتٰلون في سبيله صفًا كأنَّهم بنيٰن مرصوص (٤)

قد تقدم الكلام على قوله تعالى (سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) غير مرة بما أغنى عن إعادته

وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) انكار على من يعد وعداً أو يقول قولا لايفي به ولهذا استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف الى أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقا سواء ترتب عليه عزم للموعود أم لا واحتجوا أيضا من السنة بما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « آية المنافق ثلاث إذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب، واذا اؤتمن خان »

وفي الحديث الآخر في الصحيح « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها » فذكر منهن اخلاف الوعد وقد استقصينا الكلام على هذين

﴿ سورة الصف مدنية و قال عطاء مكية وهي اربع عشرة آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله مافي السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم * يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ﴾ قال المفسرون ان المؤمنين قالوا لو نعلم أي الاعمال أحب الى الله عز وجل لعملناه ولبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فانزل الله عز وجل (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) فابتلوا بذلك يوم أحد فولوا مدبرين فانزل الله تعالى (لم تقولون مالا تفعلون)

وقال محمد بن كعب لما أخبر تعالى رسوله ﷺ بثواب شهداء بدر قالت الصحابة لئن لقينا بعده

الحديثين في أول شرح البخاري ولله الحمد والمنة ولهذا أكد الله تعالى هذا الانكار عليهم بقوله تعالى (كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون)

وقد روى الامام أحمد وأبو داود عن عبدالله بن عامر بن ربيعة قال : أتانا رسول الله ﷺ وأنا صبي فذهبت لأخرج لألعب فقالت أمي ياعبدالله تعال أعطك فقال لها رسول الله ﷺ «وما أردت أن تعطيه ؟» قالت تمراً فقال «أما انك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة» وذهب الامام مالك رحمه الله الى انه اذا تعلق بالوعد عزم على الموعود وجب الوفاء به كما لو قال لغيره تزوج ولك علي كل يوم كذا فتزوج وجب عليه أن يعطيه مادام كذلك لانه تعلق به حق آدمي وهو مبني على المضايقة وذهب الجمهور إلى أنه لا يجب مطلقا وحملوا الآية على أنها نزلت حين تمنوا فريضة الجهاد عليهم فلما فرض نكل عنه بعضهم كقوله تعالى (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لو لا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا * أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) وقال تعالى (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت) الآية وهكذا هذه الآية معناها كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) قال كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون لوددنا أن الله عز وجل دلنا على أحب الاعمال اليه فنعمل به فأخبر الله نبيه ان أحب الاعمال إيمان به لاشك فيه وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الايمان ولم يقروا به فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم أمره فقال الله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) وهذا اختيار ابن جرير

وقال مقاتل بن حيان قال المؤمنون لو نعلم أحب الاعمال إلى الله لعملنا به فدلهم الله على أحب الاعمال اليه فقال (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) فبين لهم فابتلوا يوم أحد بذلك فولوا عن النبي ﷺ مدبرين فأنزل الله في ذلك (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) وقال أحبكم

قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد، فعيرهم الله بهذه الآية، وقال قتادة والضحاك نزلت في شأن القتال كان الرجل يقول قاتلت ولم يقاتل ، وطعنت ولم يطعن ، وضربت ولم يضرب فنزلت هذه الآية قال ابن زيد نزلت في المنافقين كانوا يعدون النصر للمؤمنين وهم كاذبون ﴿ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ﴾ قوله (أن تقولوا) في موضع رفع فهو كقولك بئس رجلا أخوك ومعنى الآية أي عظم ذلك في المقت والبغض (عند الله) أي ان الله يبغض بغضا شديداً أن تقولوا ﴿ مالا تفعلون ﴾ أن تعدوا من أنفسكم شيئا ثم لم تفوا به ﴿ ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا ﴾ أي يصفون

إلي من قاتل في سبيلي ، ومنهم من يقول أنزلت في شأن القتال يقول الرجل قاتلت ولم يقاتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر

وقال قتادة والضحاك نزلت توبيخا لقوم كانوا يقولون قتلنا ضربنا طاعنا وفعلنا ولم يكونوا فعلوا ذلك ، وقال ابن زيد نزلت في قوم من المنافقين كانوا يعدون المسلمين النصر ولا يفون لهم بذلك وقال مالك عن زيد بن أسلم (لم تقولون مالا تفعلون) قال الجهاد

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (لم تقولون مالا تفعلون — إلى قوله — كأنهم بنيان مرصوص) فما بين ذلك في نفر من الانصار فيهم عبدالله بن رواحة قالوا في مجلس لو نعلم أي الاعمال أحب إلى الله لعملنا به حتى نموت فأنزل الله تعالى هذا فيهم فقال عبدالله بن رواحة لا أبرح حبيسا في سبيل الله حتى أموت فقتل شهيداً

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن أبي المغراء حدثنا علي بن مسهر عن داود بن أبي هند عن أبي حرب بن أبي الاسود الديلي عن أبيه قال بعث أبو موسى إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه منهم ثلثمائة رجل كلهم قد قرأ القرآن فقال أنتم قراء أهل البصرة وخيارهم، وقال كنا نقرأ سورة كنا نشبهها باحدى المسبحات فأنسيناها غير أني قد حفظت منها (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة ، ولهذا قال تعالى (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) فهذا إخبار من الله تعالى بمحبته عباده المؤمنين إذا صفوا مواجهين لاعداء الله في حومة الوغى يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله لتكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان

قال الامام أحمد حدثنا علي بن عبدالله حدثنا هشيم قال مجاهد أخبرنا مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة يضحك الله اليهم : الرجل يقوم من الليل ، والقوم إذا صفوا للصلاة ، والقوم إذا صفوا للقتال » ورواه ابن ماجه من حديث مجالد عن أبي الوداك جبر بن نوف به

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا الاسود يعني ابن شيبان حدثني يزيد بن عبد الله بن الشخير قال قال مطرف كان يبلغني عن أبي ذر حديث كنت أشتهي لقاءه فلقيته فقلت يا أباذر كان يبلغني عنك حديث فكنت أشتهي لقاءك فقال لله أبوك فقد لقيت فهات فقلت كان يبلغني عنك أنك تزعم أن رسول الله ﷺ حدثكم أن الله يبغض ثلاثة ويحب ثلاثة قال أجل فلا إخالني أكذب على خليلي ﷺ قلت فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله عزوجل

أنفسهم عند القتال صفا ولا يزولون عن أماكنهم ﴿ كأنهم بنيان مرصوص ﴾ قد رص بعضه ببعض أي ألزق بعضه ببعض واحكم فليس فيه فرجة ولا خلل ، وقيل أحكم بالرصاص

قال رجل غزا في سبيل الله خرج محتسبا مجاهداً فلقي العدو فقتل وأنتم تجدونه في كتاب الله المنزل ثم قرأ (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) وذكر الحديث هكذا أورد هذا الحديث من هذا الوجه بهذا السياق وهذا اللفظ واختصره ، وقد أخرجه الترمذي والنسائي من حديث شعبة عن منصور بن المعتمر عن ربعي بن خراش عن زيد بن ظبيان عن أبي ذر بأبسط من هذا السياق وأتم وقد أوردناه في موضع آخر ولله الحمد

وعن كعب الاحبار أنه قال : يقول الله تعالى لمحمد ﷺ « عبدي المتوكل المختار ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر مولده بمكة وهجرته بطابة وملكه بالشام ، وأمته الحمادون يحمدون الله على كل حال ، وفي كل منزلة لهم دوي كدوي النحل في جو السماء بالسحر ، يوضون أطرافهم ويأتزرون على أنصافهم صفهم في القتال مثل صفهم في الصلاة » ثم قرأ (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) رعاة الشمس يصلون الصلاة حيث أدركتهم ولو على ظهر دابة رواه ابن أبي حاتم

وقال سعيد بن جبير في قوله تعالى (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) قال كان رسول الله ﷺ لا يقاتل العدو الا أن يصافهم ، وهذا تعليم من الله المؤمنين . قال وقوله تعالى [كأنهم بنيان مرصوص] أي ملتصق بعضه في بعض من الصف في القتال

وقال مقاتل بن حيان ملتصق بعضه الى بعض ، وقال ابن عباس (كأنهم بنيان مرصوص) مثبت لا يزول ملصق بعضه ببعض

وقال قتادة (كأنهم بنيان مرصوص) ألم تر الى صاحب البنيان كيف لا يحب ان يختلف بنيانه فكذلك الله عز وجل لا يحب أن يختلف امره وان الله صف المؤمنين في قتالهم وصفهم في صلاتهم فعليكم بأمر الله فانه عصمة لمن اخذ به ، اورد ذلك كله ابن ابي حاتم

وقال ابن جرير حدثني سعيد بن عمرو السكوني حدثنا بقية بن الوليد عن ابي بكر بن ابي مريم عن يحيي بن جابر الطائي عن ابي بحرية قال كانوا يكرهون القتال على الخيل ويستحبون القتال على الارض لقول الله عز وجل (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) قال وكان ابو بحرية يقول : اذا رأيتموني ألتفت في الصف فجؤا في لحيي

وإذ قال موسى لقومه يـٰقوم لم تؤذونني؟ وقد تعلمون أني رسول الله اليكم؟ فلما زاغوا

أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفـٰسقين (٥) وإذ قال عيسى بن مريم يـٰبني اسرائيل إني

﴿ وإذ قال موسى لقومه ﴾ من بني اسرائيل ﴿ ياقوم لم تؤذونني ﴾ وذلك حين رموه بالادرة ﴿ وقد تعلمون أني رسول الله اليكم ﴾ والرسول يعظم ويحترم ﴿ فلما زاغوا ﴾ عدلوا عن الحق

رسولُ اللهِ إليكم مصدقاً لما بين يديّ من التورٰة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينٰت قالوا هذا سحر مبين (٦)

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام انه قال لقومه (لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم ؟) اي لم توصلون الاذى الي وأنتم تعلمون صدقي فيما جئتكم به من الرسالة . وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ فيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم وأمر له بالصبر ولهذا قال « رحمة الله على موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر » وفيه نهي للمؤمنين أن ينالوا من النبي ﷺ أو يوصلوا اليه اذى كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها)

وقوله تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) اي فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به ازاغ الله قلوبهم عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة والخذلان كما قال تعالى (ونقلب افئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) وقال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) ولهذا قال تعالى في هذه الآية [والله لا يهدي القوم الفاسقين]

وقوله تعالى [وإذ قال عيسى بن مريم يابني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) يعني التوراة قد بشرت بي وأنا مصداق ما أخبرت عنه وأنا مبشر بمن بعدي وهو الرسول النبي الامي العربي المكي احمد . فعيسى عليه السلام هو خاتم انبياء بني اسرائيل وقد اقام في ملأ بني اسرائيل مبشراً بمحمد وهو احمد خاتم الانبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة ، وما احسن ما أورد البخاري الحديث الذي قال فيه حدثنا ابو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري قال اخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان لي اسماء انا محمد وأنا احمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب » ورواه مسلم من حديث الزهري به نحوه

وقال أبو داود الطيالسي حدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء منها ما حفظنا فقال « أنا محمد وأنا أحمد والحاشر والمقفى ونبي

﴿ أزاغ الله قلوبهم ﴾ أمالها عن الحق يعني انهم لما تركوا الحق بايذاء نبيهم أمال الله قلوبهم عن الحق ﴿ والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ قال الزجاج يعني لا يهدي من سبق في علمه انه فاسق ﴿ واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد ﴾ والالف فيه للمبالغة في الحمد وله وجهان أحدهما انه مبالغة من الفاعل أي

الرحمة والتوبة والملحمة » ورواه مسلم من حديث الاعمش عن عمرو بن مرة به، وقد قال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) الآية ، وقال تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ؟قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) قال ابن عباس: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد لئن بعث محمد وهو حي ليتبعنه وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليتبعنه وينصرنه

وقال محمد بن إسحاق حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ انهم قالوا يارسول الله أخبرنا عن نفسك قال « دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام » وهذا إسناد جيد وروي له شواهد من وجوه أخر فقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الاعلى بن هلال السلمي عن العرباض بن سارية قال قال رسول الله ﷺ « اني عند الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين»

وقال أحمد أيضاحدثنا أبوالنضر حدثنا الفرج بن فضالة حدثنا لقمان بن عامر قال سمعت أبا امامة قال قلت يارسول الله ماكان بدء أمرك ؟ قال « دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى ورأت امي انه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام »

وقال أحمد أيضا حدثنا حسن بن موسى سمعت خديجا أخا زهير بن معاوية عن أبي اسحاق عن عبدالله بن عتبة عن عبدالله بن مسعود قال بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلا منهم عبد الله بن مسعود وجعفر وعبدالله بن رواحة وعثمان بن مظعون وأبو موسى فأتوا النجاشي وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية فلما دخلا على النجاشي سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالا له ان نفراً من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا قال فأين هم ؟ قالا هم في أرضك فابعث اليهم فبعث اليهم فقال جعفر أنا خطيبكم اليوم فاتبعوه فسلم ولم يسجد فقالوا له مالك لا تسجد للملك ؟ قال إنا لا نسجد الا لله عز وجل ، قال وما ذاك ؟ قال ان الله بعث الينا رسوله فأمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عز وجل وأمرنا بالصلاة والزكاة ، قال عمرو بن العاص : فانهم يخالفونك في عيسى بن مريم قال ما تقولون في عيسى بن مريم وأمه ؟ قال نقول كما قال الله عز وجل هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسها بشر ولم يفترضها ولد ، قال فرفع عوداً

الانبياء كلهم حمادون لله عز وجل وهو أكثر حمد لله من غيره والثاني انه مبالغة من المفعول أي الانبياء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحيدة وهو أكثر مناقب وأجمع للفضائل والمحاسن التي

من الارض ثم قال يامعشر الحبشة والقسيسين والرهبان والله مايزيدون على الذي نقول فيه ما يساوي هذا مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده أشهد أنه رسول الله وانه الذي نجد في الانجيل وانه الذي بشر به عيسى بن مريم انزلوا حيث شئتم والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا احمل نعليه وأوضئه وأمر بهدية الآخرين فردت اليهما ثم تعجل عبدالله بن مسعود حتى أدرك بدراً وزعم ان النبي ﷺ استغفر له حين بلغه موته ، وقد رويت هذه القصة عن جعفر وأم سلمة رضي الله عنهما وموضع ذلك كتاب السيرة . والمقصد ان الانبياء عليهم السلام لم تزل تنعته وتحكيه في كتبها على أممها وتأمرهم باتباعه ونصره وموازرته اذا بعث ، وكان ما اشتهر الامر في أهل الارض على لسان ابراهيم والد الانبياء بعده حين دعا لاهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم ، وكذا على لسان عيسى بن مريم ولهذا قالوا أخبرنا عن بدء امرك يعني في الارض قال « دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى بن مريم ورؤيا أمي التي رأت » أي ظهر في أهل مكة أثر ذلك والارهاص فذكره صلوات الله وسلامه عليه

وقوله تعالى [فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين] قال ابن جريج وابن جرير [فلما جاءهم] أحمد أي المبشر به في الاعصار المتقادمة ، المنوه به في القرون السالفة ، لما ظهر أمره وجاء بالبينات قال الكفرة والمخالفون [هذا سحر مبين]

ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يُدعى الى الاسلم ، والله لا يهدي القوم الظالمين (٧) يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله مُتم نوره ولو كره الكفرون (٨) هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (٩)

يقول تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام) أي لا أحد أظلم ممن يفتري الكذب على الله ويجعل له أنداداً وشركاء وهو يدعى الى التوحيد والاخلاص ولهذا قال تعالى (والله لايهدي القوم الظالمين)

ثم قال تعالى (يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم) أي يحاولون أن يردوا الحق بالباطل ومثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفىء شعاع الشمس بفيه وكما أن هذا مستحيل كذلك ذلك مستحيل ولهذا قال تعالى (والله متم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) وقد تقدم الكلام على هاتين الآيتين في سورة براءة بما فيه كفاية ولله الحمد والمنة

بمحمد بها ﴿ فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين * ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين * يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون *

يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجرة تنجيكم من عذاب أليم؟ (١٠) تؤمنون بالله

ورسوله وتجهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون (١١)

يغفرْ لكم ذنوبكم ويدخلكم جنت تجري من تحتها الانهار ومسكن طيبةً في جنت عدن

ذلك الفوز العظيم (١٢) وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين (١٣)

تقدم في حديث عبد الله بن سلام أن الصحابة رضي الله عنهم أرادوا أن يسألوا رسول الله ﷺ عن أحب الاعمال إلى الله عز وجل ليفعلوه فأنزل الله تعالى هذه السورة ومن جملتها هذه الآية (يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) ثم فسر هذه التجارة العظيمة التي لاتبور التي هي محصلة المقصود ومزيلة للمحذور فقال تعالى (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) أي من تجارة الدنيا والكد لها والتصدي لها وحدها ثم قال تعالى (يغفر لكم ذنوبكم) أي ان فعلتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه غفرت لكم الزلات وأدخلتكم الجنات والمساكن الطيبات والدرجات العاليات ولهذا قال تعالى (ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم)

ثم قال تعالى (وأخرى تحبونها) اي وأزيدكم على ذلك زيادة تحبونها وهي (نصر من الله وفتح قريب) أي اذا قاتلتم في سبيله ونصرتم دينه تكفل الله بنصركم قال الله تعالى [يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم] وقال تعالى [ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) وقوله تعالى (وفتح قريب) أي عاجل فهذه الزيادة هي خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة لمن أطاع الله ورسوله ونصر الله ودينه ولهذا قال تعالى (وبشر المؤمنين)

يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم ﴾ قرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد والآخرون بالتخفيف ﴿ من عذاب أليم ﴾ نزل هذا حين قالوا لو نعلم أي الاعمال احب الى الله عز وجل لعملناه وجعل ذلك بمنزلة التجارة لانهم يربحون فيها رضا الله ونيل جنته والنجاة من النار، ثم بين تلك التجارة فقال ﴿ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم * وأخرى تحبونها ﴾ أي ولكم خصلة اخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الآخرة وتلك الخصلة ﴿ نصر من الله وفتح قريب ﴾ قال الكلبي هو النصر على قريش وفتح مكة وقال عطاء يريد فتح فارس والروم ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ يا محمد بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة ثم حضهم على نصر

يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله؟ قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني اسراءيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين (١٤)

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم وأن يستجيبوا لله ولرسوله كما استجاب الحواريون لعيسى حين قال (من أنصاري إلى الله) أي من معيني في الدعوة إلى الله عز وجل (قال الحواريون) وهم أتباع عيسى عليه السلام (نحن أنصار الله) اي نحن أنصارك على ما أرسلت به وموازروك على ذلك ولهذا بعثهم دعاة إلى الناس في بلاد الشام في الاسرائيليين واليونانيين وهكذا كان رسول الله ﷺ يقول في أيام الحج «من رجل يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي فان قريشاً قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي» حتى قيض الله عز وجل له الاوس والخزرج من أهل المدينة فبايعوه ووازروه وشارطوه أن يمنعوه من الاسود والاحمر إن هو هاجر اليهم فلما هاجر اليهم بمن معه من أصحابه وفوا له بما عاهدوا الله عليه ولهذا سماهم الله ورسوله الانصار وصار ذلك علما عليهم رضي الله عنهم وأرضاهم

وقوله تعالى (فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة) أي لما بلغ عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام رسالة ربه إلى قومه ووازره من وازره من الحواريين اهتدت طائفة من بني اسرائيل بما جاءهم به وضلت طائفة فخرجت عما جاءهم به وجحدوا نبوته ورموه وأمه بالعظائم وهم اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة وغلت فيه طائفة ممن اتبعه حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة وافترقوا فرقا وشيعا فمن قائل منهم انه ابن الله، وقائل انه ثالث ثلاثة الاب والابن وروح القدس ومن قائل انه الله وكل هذه الاقوال مفصلة في سورة النساء

الدين وجهاد المخالفين فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله﴾ قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو أنصاراً بالتنوين لله بلام الاضافة وقرأ الآخرون أنصار الله بالاضافة كقوله نحن انصار الله ﴿كما قال عيسى بن مريم للحواريين﴾ أي انصروا دين الله مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى عليه السلام ﴿من انصاري إلى الله﴾ أي من ينصرني مع الله ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفه﴾ قال ابن عباس يعني في زمن عيسى عليه السلام وذلك انه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق، فرقة قالوا كان الله فارتفع، وفرقة قالوا كان ابن الله، فرفعه الله اليه، وفرقة قالوا كان عبدالله ورسوله فرفعه اليه وهم المؤمنون، واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا فظهرت

وقوله تعالى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم) اي نصرناهم على من عاداهم من فرق النصارى (فأصبحوا ظاهرين) اي عليهم وذلك ببعثة محمد ﷺ كما قال الامام أبو جعفر بن جرير رحمه الله حدثني ابو السائب حدثنا ابو معاوية عن الاعمش عن المنهال يعني ابن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أراد الله عز وجل أن يرفع عيسى إلى السماء خرج إلى أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلا من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال «إن منكم من يكفر بي اثنتى عشرة مرة بعد أن آمن بي» قال ثم قال أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي» قال فقام شاب من أحدثهم سنا فقال أنا، فقال له «اجلس» ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال انا فقال له «اجلس» ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال انا فقال «نعم أنت ذاك»، قال فألقي عليه شبه عيسى ورفع عيسى عليه السلام من روزنة في البيت إلى السماء قال وجاء الطلب من اليهود فأخذوا شبيهه فقتلوه وصلبوه وكفر به بعضهم اثنتى عشرة مرة بعد ان آمن به فتفرقوا فيه ثلاث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ماشاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء اليعقوبية، وقالت فرقة كان فينا ابن الله ماشاء الله ثم رفعه اليه وهؤلاء النسطورية، وقالت فرقة كان فينا عبدالله ورسوله ماشاء الله ثم رفعه الله اليه وهؤلاء المسلمون فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل الاسلام طامسا حتى بعث الله محمداً ﷺ (فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة) يعني الطائفة التي كفرت من بني اسرائيل في زمن عيسى والطائفة التي آمنت في زمن عيسى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) باظهار محمد ﷺ دينهم على دين الكفار. هذا لفظه في كتابه عند تفسير هذه الآية الكريمة، وهكذا رواه النسائي عند تفسير هذه الآية من سننه عن ابي كريب عن محمد بن العلاء عن أبي معاوية بمثله سواء فأمة محمد ﷺ لايزالون ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله وهم كذلك وحتى يقاتل آخرهم الدجال مع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام كما وردت بذلك الاحاديث الصحاح والله أعلم

﴿آخر تفسير سورة الصف ولله الحمد والمنة﴾

الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث الله محمداً ﷺ فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى ﴿فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾ غالبين عالين

وروى مغيرة عن ابراهيم قال فاصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم أن عيسى كلمة الله وروحه

تفسير سورة الجمعة وهي مدنية

عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين . رواه مسلم في صحيحه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم (١) هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آيته ويزكيهم ويعلمهم الكتب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلل مبين (٢) وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم (٣) ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٤)

يخبر تعالى انه يسبح له ما في السموات وما في الارض اي من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها كما قال تعالى [وإن من شيء إلا يسبح بحمده] ثم قال تعالى (الملك القدوس) أي هو مالك السموات والارض المتصرف فيها بحكمه وهو المقدس اي المنزه عن النقائص الموصوف بصفات الكمال (العزيز الحكيم) تقدم تفسيرهما غير مرة

وقوله تعالى (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم) الاميون هم العرب كما قال تعالى [وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم؟ فان أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد] وتخصيص الاميين بالذكر لا ينفي من عداهم ولكن المنة عليهم ابلغ وأكثر كما قال تعالى في قوله [وانه لذكر لك ولقومك] وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به وكذا قال تعالى [وأنذر عشيرتك الاقربين) وهذا وأمثاله لا ينافي قوله تعالى [قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا] وقوله [لأنذركم به ومن بلغ] وقوله تعالى اخبارا عن القرآن [ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه الى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم وقد قدمنا تفسير ذلك في سورة الانعام بالآيات والاحاديث الصحيحة ولله الحمد والمنة

﴿ سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم * هو الذي بعث في

وهذه الآية هي مصداق اجابة الله لخليله ابراهيم حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فبعثه الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة على حين فترة من الرسل وطموس من السبل وقد اشتدت الحاجة اليه وقد مقت الله أهل الارض عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب اي نزراً يسيرا مما بعث الله به عيسى بن مريم عليه السلام ولهذا قال تعالى (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) وذلك ان العرب كانوا قديما متمسكين بدين ابراهيم الخليل عليه السلام فبدلوه وغيروه وقلبوه وخالفوه واستبدلوا بالتوحيد شركا وباليقين شكا وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله وكذلك أهل الكتاب قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها فبعث الله محمداً صلوات الله وسلامه عليه بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق، فيه هدايتهم والبيان لجميع مايحتاجون اليه من أمر معاشهم ومعادهم والدعوة لهم إلى مايقربهم الى الجنة ورضا الله عنهم والنهي عما يقربهم الى النار وسخط الله تعالى، حاكم فاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب في الاصول والفروع، وجمع له تعالى وله الحمد والمنة جميع المحاسن ممن كان قبله وأعطاه مالم يعط أحداً من الاولين ولا يعطيه أحداً من الآخرين فصلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين، وقوله تعالى (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم) قال الامام ابو عبد الله البخاري رحمه الله تعالى حدثنا عبد العزيز بن عبدالله حدثنا سليمان بن

الاميين ﴾ يعني العرب كانت أمة أمية لا تكتب ولا تقرأ ﴿ رسولا منهم ﴾ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم نسبه نسبهم ﴿ يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ أي ما كانوا قبل بعثة الرسول إلا في ضلال بين يعبدون الاوثان ﴿وآخرين منهم﴾ وفي آخرين وجهان من الاعراب أحدهما الخفض على الرد الى الاميين مجازه وفي آخرين والثاني النصب على الرد الى الهاء والميم في قوله ويعلمهم أي ويعلم آخرين منهم أي من المؤمنين الذين يدينون بدينهم لأنهم اذا اسلموا صاروا منهم فان المسلمين كلهم أمة واحدة واختلف العلماء فيهم فقال قوم هم العجم وهو قول ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية ليث عن مجاهد، والدليل عليه ما أخبرنا أبو جعفر محمد بن عبد الله بن محمد المعلم الطوسي بها ثنا أبو الحسن محمد بن يعقوب انا أبو النصر محمد بن محمد بن يوسف ثنا الحسين بن سفيان وعلي بن طيفور وابو العباس الثقفي قالوا حدثنا قتيبة ثنا عبد العزيز عن ثور عن أبي الغيث عن أبي هريرة قال كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت عليه سورة الجمعة فلما قرأ (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) قال رجل من هؤلاء يارسول الله فلم يراجعه النبي ﷺ حتى سأله مرتين أو ثلاثا قال وفينا سلمان الفارسي قال فوضع النبي ﷺ يده على سلمان ثم قال « لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء »

بلال عن ثور عن ابي الغيث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) قالوا من هم يارسول الله ؟ فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثا وفينا سلمان الفارسي فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان الفارسي ثم قال « لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء » ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير من طرق عن ثور بن يزيد الديلي عن سالم أبي الغيث عن أبي هريرة به ففي هذا الحديث دليل على أن هذه السورة مدنية وعلى عموم بعثته ﷺ إلى جميع الناس لانه فسر قوله تعالى (وآخرين منهم) بفارس ولهذا كتب كتبه الى فارس والروم وغيرهم من الامم يدعوهم الى الله عز وجل والى اتباع ماجاء به ولهذا قال مجاهد وغير واحد في قوله تعالى (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) قال هم الاعاجم وكل من صدق النبي ﷺ من غير العرب

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابراهيم بن العلاء الزبيدي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ابو محمد عيسى بن موسى عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي قال : قال رسول الله ﷺ « إن في أصلاب أصلاب أصلاب رجال ونساء من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب » ثم قرأ (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) يعني بقية من بقي من أمة محمد ﷺ

وقوله تعالى (وهو العزيز الحكيم) أي ذو العزة والحكمة في شرعه وقدره ، وقوله تعالى (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) يعني ماأعطاه الله محمداً ﷺ من النبوة العظيمة وما خص به أمته من بعثته ﷺ

مثل الذين حُمّلوا التورىٰة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن احمد الطاهري أنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز أنا محمد ابن زكريا العذافري أنا اسحاق الدبري ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن جعفر الجزري عن يزيد بن الاصم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « لو كان الدين عند الثريا لذهب اليه رجل - أو قال - رجال من أبناء فارس حتى يتناولوه »

وقال عكرمة ومقاتل هم التابعون ، وقال ابن زيد هم جميع من دخل في الاسلام بعد النبي (ص) الى يوم القيامة ، وهي رواية بن أبي نجيح عن مجاهد

قوله ﴿ لما يلحقوا بهم ﴾ أي لم يدركوهم ولكنهم يكونون بعدهم وقيل [لما يلحقوا بهم] أي في الفضل والسابقة لان التابعين لا يدركون شأو الصحابة ﴿ وهو العزيز الحكيم * ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ﴾ يعني الاسلام والهداية ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾

قوله عز وجل ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ﴾ أي كلفوا القيام بها والعمل بما فيها ﴿ ثم لم يحملوها ﴾

الذين كذبوا بآيت الله والله لايهدي القوم الظلمين (٥) قل يأيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم

أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صدقين (٦) ولا يتمنونه أبداً بما قدمت

أيديهم والله عليم بالظلمين (٧) قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملقيكم ثم تردون الى

علم الغيب والشهدة فينبئكم بما كنتم تعملون (٨)

يقول تعالى ذاما لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً أي كمثل الحمار اذا حمل كتباً لا يدري ما فيها فهو يحملها حملا حسياً ولا يدري ما عليه وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه حفظوه لفظاً ولم يتفهموه ولا عملوا بمقتضاه بل أولوه وحرفوه وبدلوه فهم أسوأ حالا من الحمير لان الحمار لافهم له وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها ولهذا قال تعالى في الآية الاخرى [أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون] وقال تعالى ههنا (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لايهدي القوم الظالمين)

وقال الامام احمد رحمه الله حدثنا ابن نمير عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ « من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً والذي يقول له أنصت ليس له جمعة »

ثم قال تعالى (قل ياأيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) أي إن كنتم تزعمون أنكم على هدى وأن محمداً وأصحابه على ضلالة فادعوا بالموت على الضال من الفئتين إن كنتم صادقين أي فيما تزعمونه قال الله تعالى (ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم) أي بما يعلمون لهم من الكفر والظلم والفجور (والله عليم بالظالمين) وقد قدمنا الكلام في سورة البقرة على هذه المباهلة لليهود حيث قال تعالى (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عندالله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين * ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما

لم يعملوا بما فيها ولم يؤدوا حقها (كمثل الحمار يحمل أسفاراً) أي كتبا من العلم واحدها سفر ، قال الفراء هي الكتب العظام ، يعني كما ان الحمار يحملها ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بها كذلك اليهود يقرءون التوراة ولا ينتفعون بها لانهم خالفوا ما فيها (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب الانبياء يعني من سبق في علمه أنه لايهديهم (قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم أولياء لله من دون الناس) محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه (فتمنوا الموت) فادعوا بالموت على أنفسكم (ان كنتم صادقين) أنكم أبناء الله وأحباؤه فان الموت

هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون) وقد أسلفنا الكلام هناك وبينا أن المراد أن يدعو على الضلال من أنفسهم أو خصومهم كما تقدمت مباهلة النصارى في آل عمران [فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين] ومباهلة المشركين في سورة مريم [قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا]

وقد قال الامام احمد حدثنا اسماعيل بن يزيد الزرقي حدثنا أبو يزيد حدثنا فرات عن عبدالكريم ابن مالك الجزري عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال ابو جهل لعنه الله إن رأيت محمدا عندالكعبة لآتينه حتى اطأ على عنقه قال فقال رسول الله ﷺ « لو فعل لأخذته الملائكة عيانا ولوان اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار ، ولوخرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لايجدون أهلا ولا مالا » رواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم قال البخاري وتبعه عمرو بن خالد عن عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم ، ورواه النسائي أيضا عن عبد الرحمن بن عبدالله الحلبي عن عبيدالله بن عمرو الرقي به أتم

[1] وقوله تعالى (قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) كقوله تعالى في سورة النسا [أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة] وفي معجم الطبراني من حديث معاذ محمد بن محمد الهذلي عن يونس عن الحسن عن سمرة مرفوعا « مثل الذي يفر من الموت كمثل الثعلب تطلبه الارض بدين فجاء يسعى حتى اذا أعيا وانبهر دخل جحره فقالت له الارض ياثعلب ديني فخرج له حصاص فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه فمات »

(١) هذا أيضا غير موجود في النسخة المكية

يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (٩) فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون (١٠)

إنما سميت الجمعة جمعة لأنها مشتقة من الجمع فان أهل الاسلام يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار وفيه كمل جميع الخلائق فانه اليوم السادس من الستة التي خلق الله فيها السموات والارض

هو الذي يوصلكم اليه ﴿ ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين * قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾

قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة ﴾ أي في يوم الجمعة كقوله

وفيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لايوافقها عبـد مؤمن يـ أل فيها الله خيرا الا أعطاه إياه كما ثبتت بذلك الاحاديث الصحاح

وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عبدة بن حميد عن منصور عن أبي معشر عن ابراهيم عن علقمة عن قربع الضبي حدثنا سلمان قال قال ابو القاسم ﷺ « ياسلمان ما يوم الجمعة ؟» قلت الله ورسوله أعلم فقال رسول الله ﷺ يوم الجمعة يوم جمع لله فيه أبواكم أو ابوكم » وقد روي عن أبي هريرة من كلامه نحو هذا فالله أعلم ، وقد كان يقال له في اللغة القديمة يوم العروبة ، وثبت أن الامم قبلنا أمروا به فضلوا عنه ، واختار اليهود يوم السبت الذي لم يقع فيه خلق آدم، واختار النصارى يوم الاحد الذي ابتدىء فيه الخلق ، واختار الله لهذه الامة يوم الجمعة الذي أكمل الله فيه الخليقة كما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا ابو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيدأنهم أوتوا الكتاب من قبلنا

[أروني ما ذا خلقوا من الارض] أي في الارض وأراد بهـذا النداء الاذان عنـد قعود الامام على المنبر للخطبة

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا آدم ثنا ابن ذئب أبي عن الزهري عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الامام على المنبر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء قرأ الاعمش من يوم الجمعة بسكون الميم وقرأ العامة بضمها،واختلفوا في تسمية هذا اليوم جمعة منهم من قال لان الله تعالى جمع فيه خلق آدم عليه السلام وقيل لان الله تعالى فرغ فيه من خلق جميع الاشياء فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لاجتماع الجماعات فيها وقيل لاجتماع الناس فيها للصلاة وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لؤي قال أبو سلمة أول من قال اما بعد كعب بن لؤي وكان اول من سمى الجمعة جمعة وكان يقال له يوم العروبة ، وعن ابن سيرين قال جمع اهل المدينة قبل أن يقدم النبي (ص) المدينة وقيل ان ينزل يوم الجمعة وهم الذين سموها الجمعة وقالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى يوم فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله ونصلي فيه ، فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى أسـعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة ثم أنزل الله عز وجل في ذلك بعد

وروي عن عبد الله بن مالك عن أبيه كعب انه كان اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لاسعد بن زرارة فقلت له اذا سمعت النداء ترحمت لاسعد بن زرارة قال لانه أول من جمع بنا في هزم البيت من حرة بني بياضة في بقيع يقال له بقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ؟ قال اربعون وأما أول جمعة جمعها رسول الله ﷺ بأصحابه فذكر أهل السير ان النبي ﷺ لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على

ثم إن هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد » لفظ البخاري

وفي لفظ لمسلم « أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضي بينهم قبل الخلائق » وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) أي اقصدوا واعمدوا واهتموا في سيركم اليها، وليس المراد بالسعي ههنا المشي السريع وإنما هو الاهتمام بها كقوله تعالى (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن) وكان عمر بن الخطاب وابن مسعود رضي الله عنهما يقرآنها (فامضوا إلى ذكر الله) فاما المشي السريع إلى الصلاة فقد نهي عنه لما أخرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « اذا سمعتم الاقامة فامشوا الى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا » لفظ البخاري

بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول حين امتد الضحى فأقام بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء ويوم الخميس وأسس مسجدهم ثم خرج من بين أظهرهم يوم الجمعة عامداً المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم وقد اتخذوا في ذلك الموضع مسجداً فجمع هناك وخطب

قوله تعالى « فاسعوا إلى ذكر الله » أي فامضوا اليه واعملوا له وليس المراد من السعي الاسراع إنما المراد منه العمل والفعل كما قال (وإذا تولى سعى في الارض) وقال [ان سعيكم لشتى] وكان عمر ابن الخطاب يقرأ [فامضوا إلى ذكر الله] وكذلك هي في قراءة عبد الله بن مسعود

وقال الحسن : أما والله ما هو بالسعي على الاقدام ، ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ، ولكن بالقلوب والنية والخشوع

وعن قتادة في هذه الآية [فاسعوا إلى ذكر الله] قال فالسعي أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشي اليها ، وكان يتأول قوله [فلما بلغ معه السعي] يقول فلما مشى معه

أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري أنا محمد بن أحمد بن محمد بن معقل الميداني ثنا محمد بن يحيي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن ائتوها تمشون وعليكم السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا »

قوله (الى ذكر الله) أي الصلاة ، وقال سعيد بن المسيب [فاسعوا الى ذكر الله] قال هو موعظة

وعن أبي قتادة قال: بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ اذ سمع جلبة رجال فلما صلى قال «ماشأنكم؟» قالوا استعجلنا الى الصلاة قال فلا تفعلوا «اذا أتيتم الصلاة فامشوا وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا » أخرجاه

وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « اذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن ائتوها تمشون وعليكم السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا » رواه الترمذي من حديث عبدالرزاق كذلك وأخرجه من طريق يزيد بن زريع عن معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة بمثله قال الحسن أما والله ما هو بالسعي على الاقدام ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن

الامام ﴿ وذروا البيع ﴾ يعني البيع والشراء لان اسم البيع يتناولهما جميعا ، وانما يحرم البيع والشراء عند الاذان الثاني ، وقال الزهري عند خروج الامام ، وقال الضحاك إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء ﴿ ذلكم ﴾ الذي ذكرت من حضور الجمعة وترك البيع ﴿ خير لكم ﴾ من المبايعة ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ مصالح أنفسكم

واعلم ان صلاة الجمعة من فروض الاعيان فتجب على كل من جمع العقل والبلوغ والحرية والذكورة والاقامة اذا لم يكن له عذر فمن تركها استحق الوعيد ، وأما الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما لانهما ليسا من أهل أن يلزمهما فرض الابدان لنقصان أبدانهما

ولا جمعة على النساء بالاتفاق، أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز بن احمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا ابراهيم بن محمد حدثني سلمة بن عبدالله الخطمي عن محمد ابن كعب انه سمع رجلا من بني وائل يقول قال النبي ﷺ « تجب الجمعة على كل مسلم الا امرأة أو صبيا أو مملوكا » وذهب أكثرهم انه لا جمعة على العبيد وقال الحسن وقتادة والاوزاعي: تجب على العبد المخارج ، ولا على المسافر عند الاكثرين ، وقال النخعي والزهري تجب على المسافر اذا سمع النداء ، وكل من له عذر من مرض أو تعهد مريض أو خوف جاز له ترك الجمعة ، وكذلك له تركها بعذر المطر والوحل

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبدالله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا مسدد ثنا اسماعيل أخبرنا عبد الحميد صاحب الزيادي ثنا عبدالله بن الحارث بن عم ثنا محمد بن سيرين قال ابن عباس لمؤذنه في يوم مطير :اذا قلت أشهد أن محمداً رسول الله فلا تقل حي على الصلاة قل صلوا في بيوتكم فكأن الناس استنكروا فقال فعله من هو خير مني ، ان الجمعة عزيمة واني كرهت أن أخرجكم من بيوتكم فتمشون في الطين والدحض

وكل من لا يجب عليه حضور الجمعة فاذا حضر وصلى مع الامام الجمعة سقط عنه فرض الظهر ، ولكن لايكمل به عدد الجمعة الا صاحب العذر فانه اذا حضر يكمل به العدد

بالقلوب والنية والخشوع . وقال قتادة في قوله (فاسعوا الى ذكر الله) يعني أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشي اليها وكان يتأول قوله تعالى (فلما بلغ معه السعي) أي المشي معه ، وروي عن محمد بن كعب وزيد بن أسلم وغيرهما نحو ذلك

ويستحب لمن جاء الى الجمعة أن يغتسل قبل مجيئه اليها لما ثبت في الصحيحين عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال « اذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل » ولهما عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم » وعن ابي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام ، يغسل رأسه وجسده » رواه مسلم ، وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « على كل رجل مسلم في كل سبعة أيام غسل يوم وهو يوم الجمعة » رواه احمد والنسائي وابن حبان

وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن الاوزاعي عن حسان بن عطية عن

أخبرنا الامام أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد الداودي أنا ابو محمد عبدالله بن احمد بن حمويه السرخسي في سنة احدى وثمانين وثلثمائة أنا عيسى بن عمر بن العباس السمرقندي ثنا أبو محمد عبدالله ابن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي أنا يحيى بن حسان ثنا معاوية بن سلام أخبرني زيد بن سلام انه سمع أبا سلام يقول حدثني الحكم بن مينا ان ابن عمر حدثه وأبا هريرة انهما سمعا رسول الله ﷺ يقول وهو على أعواد منبره « لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين »

أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي ثنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا علي ابن خشرم أنا عيسى بن يونس عن محمد بن عمرو عن عبيدة بن سفيان عن أبي الجعد يعني الضميري قال قال رسول الله ﷺ « من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاونا بها طبع الله على قلبه »

واختلف أهل العلم في موضع إقامة الجمعة وفي العدد الذي تنعقد به الجمعة وفي المسافة التي يجب أن يؤتى منها . أما الموضع فذهب قوم إلى أن كل قرية اجتمع فيها أربعون رجلا من أهل الكمال بأن يكونوا أحراراً عاقلين بالغين مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفاً - إلا ظعن حاجة - تجب عليهم إقامة الجمعة فيها وهو قول عبيد الله بن عبدالله وعمر بن عبد العزيز وبه قال الشافعي وأحمد وإسحاق وقالوا لا تنعقد الجمعة بأقل من أربعين رجلا على هذه الصفة وشرط عمر بن عبدالعزيز مع عدد الاربعين أن يكون فيهم وال والوالي غير شرط عند الشافعي

وقال علي لا جمعة إلا في مصر جامع وهو قول أصحاب الرأي ، ثم عند أبي حنيفة رضي الله عنه تنعقد بأربعة والوالي شرط .وقال الاوزاعي وأبو يوسف :تنعقد بثلاثة إذا كان فيهم وال ، وقال الحسن وأبو ثور تنعقد باثنين كسائر الصلوات

أبي الاشعث الصنعاني عن أوس بن أوس الثقفي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « من غسل واغتسل يوم الجمعة وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها » وهذا الحديث له طرق والفاظ وقد أخرجه أهل السنن الاربعة وحسنه الترمذي ، وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : ان رسول الله ﷺ قال « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعه الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر» أخرجاه . ويستحب له أن يلبس أحسن ثيابه ويتطيب ويتسوك ويتنظف ويتطهر وفي حديث أبى سعيد المتقدم « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم والسواك وأن يمس من طيب أهله »

وقال الامام احمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن محمد بن اسحاق حدثني محمد بن ابراهيم التيمي

وقال ربيعة تنعقد باثني عشر رجلا والدليل على جواز إقامتها في القرى ماأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا محمد بن المثنى أنا أبوعامر العقدي ثنا ابراهيم بن طهمان عن أبي حمزة الضبعي عن ابن عباس قال : ان أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبدالقيس بجواثي من البحرين

وإذا كان الرجل مقيما في قرية لا تقام فيها الجمعة أو كان مقيما في برية فذهب قوم الى انه ان كان يبلغهم النداء من موضع الجمعة يلزمهم حضور الجمعة ، وإن كان لايبلغهم النداء فلا جمعة عليهم وهو قول الشافعي وأحمد وإسحاق. والشرط أن يبلغهم نداء مؤذن جهوري الصوت يؤذن في وقت تكون الاصوات فيه هادئة والرياح ساكنة ، فكل قرية تكون من موضع الجمعة في القرب على هذا القدر يجب على أهلها حضور الجمعة ، وقال سعيد بن المسيب تجب على كل من آواه المبيت ، وقال الزهري تجب على من كان على ستة أميال، وقال ربيعة على أربعة أميال، وقال مالك والليث على ثلاثة أميال

وقال أبو حنيفة رضي الله عنه لا جمعة على أهل السواد قريبة كانت القرية أو بعيدة وكل من تلزمه صلاة الجمعة لايجوز له أن يسافر يوم الجمعة بعد الزوال قبل أن يصلي الجمعة ، وجوز أصحاب الرأي أن يسافر بعد الزوال إذا كان يفارق البلد قبل خروج الوقت أما إذا سافر قبل الزوال بعد طلوع الفجر فيجوز غير أنه يكره إلا أن يكون سفره سفر طاعة من حج أو غزو وذهب بعضهم إلى أنه إذا أصبح يوم الجمعة مقيما فلا يسافر حتى يصلي الجمعة ، والدليل على جوازه ما أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي أنا ابو العباس المحبوبي أنا ابو عيسى ثنا أحمد بن منيع ثنا أبومعاوية عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : بعث النبي ﷺ عبدالله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فغدا أصحابه وقال أتخلف فأصلي مع رسول الله ﷺ ثم ألحقهم فلما صلى مع النبي

عن عمران بن أبي يحيى عن عبدالله بن كعب بن مالك عن أبي ايوب الانصاري سمعت رسول الله ﷺ يقول « من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب أهله إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد فيركع إن بدا له ولم يؤذ أحداً ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلي كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الاخرى »

وفي سنن أبي داود وابن ماجه عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على المنبر « ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته » وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم الجمعة فرأى عليهم ثياب النمار فقال « ما على أحدكم ان وجد سعة ان يتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوبي مهنته » رواه ابن ماجه

وقوله تعالى (اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة) المراد بهذا النداء هو النداء الثاني الذي كان يفعل بين يدي رسول الله ﷺ اذا خرج فجلس على المنبر فانه كان حينئذ يؤذن بين يديه فهذا هو المراد فاما النداء

ﷺ رآه فقال « ما منعك أن تغدو مع أصحابك ؟ » قال أردت أن أصلي معك ثم ألحقهم فقال « لو أنفقت ما في الارض جميعا ما أدركت فضل غدوتهم »

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع رجلا عليه هيئة السفر يقول لولا أن اليوم يوم الجمعة لخرجت فقال عمر اخرج فان الجمعة لا تحبس أحداً عن سفر ، وقد ورد أخبار في سنن يوم الجمعة وفضلها منها ما أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن احمد الفقيه أنا ابو إسحاق ابراهيم ابن عبد الصمد الهاشمي أنا ابو مصعب عن مالك عن يزيد بن عبدالله بن الهاد عن محمد بن ابراهيم ابن الحارث التيمي عن ابي سلمة بن عبدالرحمن عن ابي هريرة أنه قال خرجت إلى الطور فلقيت كعب الاحبار فجلست معه فحدثني عن التوراة وحدثته عن رسول الله ﷺ فكان فيما حدثته ان قلت قال رسول الله ﷺ « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط ، وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة ، وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والانس ، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئا الا أعطاه اياه » قال كعب ذلك في كل سنة يوم فقلت بل في كل جمعة قال فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله ﷺ قال ابو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الاحبار وما حدثته في يوم الجمعة قال عبدالله بن سلام قد علمت أية ساعة هي هي آخر ساعة في يوم الجمعة قال ابو هريرة وكيف تكون آخر ساعة في يوم الجمعة وقد قال رسول الله ﷺ لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي فيها وتلك ساعة لا يصلى فيها فقال عبد الله بن سلام ألم يقل رسول الله ﷺ من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصليها قال ابو هريرة بلى قال فهو ذاك

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد انا ابو اسحاق الهاشمي أنا ابو مصعب عن مالك

الاول الذي زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فانما كان هذا لكثرة الناس كما رواه البخاري رحمه الله حيث قال: حدثنا آدم هو ابن أبى اياس حدثنا ابن أبى ذئب عن الزهري عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر فلما كان عثمان بعد زمن وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء يعني يؤذن به على الدار التي تسمى بالزوراء وكانت أرفع دار بالمدينة بقرب المسجد

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابو نعيم حدثنا ابراهيم حدثنا محمد بن راشد المكحول عن مكحول ان النداء كان في الجمعة مؤذن واحد حين يخرج الامام ثم تقام الصلاة وذلك النداء الذي يحرم عنده الشراء والبيع اذا نودي به، فأمر عثمان رضي الله عنه أن ينادى قبل خروج الامام حتى يجتمع الناس وانما يؤمر بحضور الجمعة الرجال الاحرار دون العبيد والنساء والصبيان ويعذر المسافر والمريض وقيم المريض وما أشبه ذلك من الاعذار كما هو مقرر في كتب الفروع

عن نافع عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال « اذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل »

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي ثنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل ثنا آدم ثنا ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري أخبرني أبي عن عبدالله بن وديعة عن سلمان الفارسي قال قال رسول الله ﷺ « لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه او يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الا غفر له مابينه وبين الجمعة الاخرى »

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا ابو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا ابوجعفر محمد بن احمد بن عبدالجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا احمد بن خالد ثنا محمد بن اسحاق عن محمد بن ابراهيم عن ابي سلمة بن عبدالرحمن وعن أبي امامة يعني ابن سهل بن حنيف حدثاه عن أبي سعيد وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « من اغتسل يوم الجمعة واستن ومس من طيب ان كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد فلم يتخط رقاب الناس ثم ركع ماشاء الله أن يركع وانصت إذا خرج الامام كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة التي كانت قبلها » وقال ابو هريرة وزيادة ثلاثة أيام لان الله تعالى يقول (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها)

أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني أنا ابوالقاسم بن جعفر الهاشمي أنا أبو علي محمد بن احمد بن عمر اللؤلؤي ثنا ابو داود سليمان بن الاشعث ثنا محمد بن حاتم الجرجرائي ثنا ابن المبارك عن الاوزاعي حدثني حسان بن عطية حدثني ابو الاشعث الصنعاني حدثني أوس بن أوس الثقفي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها »

وقوله تعالى (وذروا البيع) أي اسعوا الى ذكر الله واتركوا البيع اذا نودي للصلاة ولهذا اتفق العلماء رضي الله عنهم على تحريم البيع بعد النداء الثاني، واختلفوا هل يصح اذا تعاطاه متعاط أم لا ؟ على قولين وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر في موضعه والله أعلم

وقوله تعالى (ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) أي تركتكم البيع واقبالكم الى ذكر الله والى الصلاة خير لكم أي في الدنيا والاخرة ان كنتم تعلمون

وقوله تعالى (فاذا قضيت الصلاة) أي فرغ منها (فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) لما حجر عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الارض والابتغاء من فضل الله كما كان عراك بن مالك رضي الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال : اللهم اني أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين رواه ابن أبي حاتم

وروي عن بعض السلف انه قال : من باع واشترى في يوم الجمعة بعد الصلاة بارك الله له سبعين مرة لقول الله تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله)

وقوله تعالى (واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) أي في حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم اذكروا الله ذكرا كثيرا ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة، ولهذا جاء في الحديث « من دخل سوقا من الاسواق فقال لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كتب الله له الف الف حسنة ومحا عنه الف الف سيئة » وقال مجاهد : لايكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا

أخبرنا عبدالوهاب بن محمد الخطيب أنا عبدالعزيز بن أحمد الخلال ثنا ابو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إذا كان يوم الجمعة وقفت على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الناس على منازلهم الاول فالاول فاذا خرج الامام طويت الصحف واستمعوا الخطبة والمهجر إلى الصلاة كالمهدي بدنة ثم الذي يليه كالمهدي بقرة ثم الذي يليه كالمهدي شاة ثم الذي يليه كالمهدي كبشا حتى ذكر الدجاجة والبيضة

قوله عز وجل ﴿ فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض ﴾ أي اذا فرغ من الصلاة فانتشروا في الارض للتجارة والتصرف في حوائجكم ﴿ وابتغوا من فضل الله ﴾ يعني الرزق وهذا أمر إباحة كقوله (وإذا حللتم فاصطادوا) قال ابن عباس إن شئت فاخرج وإن شئت فاقعد وإن شئت فصل إلى العصر، وقيل (فانتشروا في الارض) ليس لطلب الدنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله، وقال الحسن البصري وسعيد بن جبير ومكحول (وابتغوا من فضل الله) هو طلب العلم ﴿ واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾

وإذا رأوا تجرة أو لهواً انفضوا اليها وتركوك قائماً، قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجرة، والله خير الرازقين (١١)

يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التي قدمت المدينة يومئذ فقال تعالى (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما) أي على المنبر تخطب، هكذا ذكره غير واحد من التابعين منهم أبو العالية والحسن وزيد بن أسلم وقتادة، وزعم مقاتل بن حيان ان التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل أن يسلم وكان معها طبل فانصرفوا اليها وتركوا رسول الله ﷺ قائما على المنبر إلا القليل منهم وقد صح بذلك الخبر فقال الامام أحمد حدثنا ابن ادريس عن حصين عن سالم بن أبي الجعد عن جابر قال: قدمت عير مرة المدينة ورسول الله ﷺ يخطب فخرج الناس وبقي اثنا عشر رجلا فنزلت (وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا اليها) اخرجاه في الصحيحين من حديث سالم به

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا هشيم عن حصين عن سالم بن أبي الجعد وأبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة فقدمت عير الى المدينة فابتدرها أصحاب رسول الله ﷺ حتى لم يبق مع رسول الله ﷺ إلا اثنا عشر رجلا فقال رسول الله

قوله عز وجل ﴿ واذا رأو تجارة أو لهواً انفضوا اليها وتركوك قائما ﴾ الآية

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا حفص بن عمر ثنا خالد بن عبد الله أنا حصين عن سالم بن أبي الجعد عن أبي سفيان عن جابر ابن عبد الله قال أقبلت عير يوم الجمعة ونحن مع النبي ﷺ فثار الناس إلا اثنى عشر رجلا فانزل الله (واذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا اليها) ويحتج بهذا الحديث «من يرى الجمعة باثني عشر رجلا» وليس فيه بيان أنه أقام بهم الجمعة حتى يكون حجة لاشتراط هذا العدد وقال ابن عباس في رواية الكلبي لم يبق في المسجد إلا ثمانية رهط، وقال الحسن وأبو مالك أصاب اهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة فلما رأوه قاموا اليه بالبقيع خشوا أن يسبقوا اليه فلم يبق مع النبي ﷺ إلا رهط منهم أبو بكر وعمر فنزلت هذه الآية فقال رسول الله ﷺ «والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى منكم أحد لسال بكم الوادي نارا» وقال مقاتل بينا رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بالتجارة وكان اذا قدم لم تبق بالمدينة عاتق إلا أتته وكان يقدم اذا قدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق وبر وغيره فينزل عند أحجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج اليه الناس ليبتاعوا منه فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل أن يسلم ورسول الله ﷺ قائم على المنبر

ﷺ « والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادي نارا » ونزلت هذه الآية (وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا اليها وتركوك قائما) وقال كان في الاثنى عشر الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وفي قوله تعالى (وتركوك قائما) دليل على ان الامام يخطب يوم الجمعة قائما

وقد روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة قال : كانت للنبي خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس ، ولكن ههنا شيء ينبغي أن يعلم وهو :ان هذه القصة قد قيل انها كانت لما كان رسول الله ﷺ يقدم الصلاة يوم الجمعة على الخطبة كما رواه أبو داود في كتاب المراسيل حدثنا

يخطب فخرج اليه الناس فلم يبق في المسجد إلا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال النبي ﷺ « كم بقي في المسجد ؟ » فقالوا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال النبي ﷺ « لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء » فأنزل الله هذه الآية ، وأراد باللهو الطبل وقيل كانت العير اذا قدمت المدينة استقبلوها بالطبل والتصفيق وقوله (انفضوا اليها) رد الكناية الى التجارة لانها أهم وقال علقمة سئل عبد الله بن عمر أكان النبي ﷺ يخطب قائما أو قاعدا ؟ قال أما تقرأ (وتركوك قائما)

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن احمد الخلال ثنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا ابراهيم بن محمد أخبرني جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة خطبتين قائما يفصل بينهما بجلوس

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة أنا أبو الاحوص عن سماك عن جابر بن سمرة قال كان للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس. وبهذا الاسناد عن جابر بن سمرة قال كنت أصلي مع النبي ﷺ فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً . والخطبة فريضة في صلاة الجمعة ويجب أن يخطب قائما خطبتين وأقل مايقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله ويصلي على النبي ﷺ ويوصي بتقوى الله هذه الثلاثة فرض في الخطبتين جميعا ويجب أن يقرأ في الاولى آية من القرآن ويدعو المؤمنين في الثانية فلو ترك واحدة من هذه الخمس لاتصح جمعته عند الشافعي وذهب أبو حنيفة رضي الله عنه الى انه لو أتى بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزأه وهذا القدر لايقع عليه اسم الخطبة وهو مأمور بالخطبة

أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا عبد الله بن يوسف أنا محمد بن مامونة أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد البصري بمكة ثنا الحسن بن الصباح الزعفراني ثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبيد الله بن أبي رافع أن مروان استخلف ابا هريرة على المدينة فصلى بهم أبو هريرة الجمعة فقرأ سورة الجمعة في الركعة الاولى وفي الثانية (اذا جاءك المنافقون) فقال عبيد الله فلما انصرف مشيت الى جنبه فقلت له لقد قرأت بسورتين سمعت علي بن

محمود بن خالد عن الوليد أخبرني أبو معاذ بكير بن معروف انه سمع مقاتل بن حيان يقول : كان رسول الله ﷺ يصلي يوم الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين حتى اذا كان يوم والنبي ﷺ يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل فقال ان دحية بن خليفة قد قدم بتجارة ، يعني فانفضوا ولم يبق معه الا نفر يسير

وقوله تعالى [قل ما عند الله] أي الذي عند الله من الثواب في الدار الآخرة (خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين)أي لمن توكل عليه وطلب الرزق في وقته

﴿ آخر تفسير سورة الجمعة ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة ﴾

أبي طالب يقرأ بهما في الصلاة فقال سمعت النبي ﷺ يقرأ بهما

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن ضمرة بن سعيد المازني عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن الضحاك بن قيس سأل النعمان ابن بشير ماذا كان يقرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على أثر سورة الجمعة فقال كان يقرأ بهل أتاك حديث الغاشية ؟

أخبرنا أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي ثنا أبو العباس المحبوبي ثنا أبو عيسى ثنا قتيبة ثنا أبو عوانة عن ابراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير قال كان النبي ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية ؟وربما اجتمعا في يوم واحد فيقرأ بهما. ولجواز الجمعة خمس شرائط : الوقت وهو وقت الظهر مابين زوال الشمس الى دخول وقت العصر ،والعدد والامام والخطبة ودار الاقامة فاذا فقد شرط من هذه الخمسة يجب أن يصلوها ظهرا ، ولا يجوز للامام أن يبتدىء الخطبة قبل اجتماع العدد وهو عدد الاربعين عند الشافعي فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم انفضوا قبل افتتاح الصلاة أو انتقص واحد من العدد لا يجوز أن يصلي بهم الجمعة بل يصلي الظهر ، ولو افتتح بهم الصلاة ثم انفضوا فأصح أقوال الشافعي أن بقاء الاربعين شرط الى آخر الصلاة كما أن بقاء الوقت شرط الى آخر الصلاة ، ولو انتقص واحد منهم قبل أن يسلم الامام يجب على المصلين أن يصلوها أربعا ، وفيه قول آخر ان بقي معه اثنان أتمها جمعة وقيل ان بقي معه واحد أتمها جمعة ، وعند المزني إذا انفضوا بعد ما صلى بهم الامام ركعة أتمها جمعة . وان بقي وحده فان كان في الركعة الاولى يتمها أربعا وان انتقص من العدد واحد وبه قال أبو حنيفة في العدد الذي يشترطه كالمسبوق إذا أدرك مع الامام ركعة من الجمعة فاذا سلم الامام أتمها جمعة فان أدرك أقل من ركعة أتمها أربعا

قوله عز وجل ﴿ قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ﴾ أي ما عند الله من الثواب على الصلاة والثبات مع النبي ﷺ خير من اللهو ومن التجارة ﴿والله خير الرازقين﴾ لانه موجد الارزاق فاياه فاسئلوا ومنه فاطلبوا

تفسير سورة المنافقين وهي مدنية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

إذا جاءك المنفقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنفقين لكذبون (١) اتخذوا أيمنهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون (٢) ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون (٣) وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قتلهم الله أنى يؤفكون (٤)

يقول تعالى مخبرا عن المنافقين انهم انما يتفوهون بالاسلام إذا جاءوا النبي ﷺ فأما في باطن الامر فليسوا كذلك بل على الضد من ذلك ولهذا قال تعالى (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله) أي اذا حضروا عندك واجهوك بذلك ، وأظهروا لك ذلك ، وليس كما يقولون ولهذا اعترض بجملة مخبرة انه رسول الله فقال (والله يعلم انك لرسوله)

ثم قال تعالى [والله يشهد ان المنافقين لكاذبون] أي فيما أخبروا به وان كان مطابقا للخارج لانهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه ولهذا كذبهم بالنسبة الى اعتقادهم

وقوله تعالى (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله) أي اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة والحلفان الآثمة ليصدقوا فيما يقولون ، فاغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم فاعتقد أنهم مسلمون فربما اقتدى بهم فيما يفعلون وصدقهم فيما يقولون وهم من شأنهم انهم كانوا في الباطن لا يألون الاسلام وأهله خبالا ، فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس ، ولهذا قال تعالى (فصدوا عن

﴿ سورة المنافقين مدنية وهي احدى عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ إذا جاءك المنافقون ﴾ يعني عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه ﴿ قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ﴾ لانهم أضمروا خلاف ما أظهروا ﴿ اتخذوا أيمانهم جنة ﴾ سترة ﴿ فصدوا عن سبيل الله ﴾ منعوا الناس عن الجهاد والايمان بمحمد ﷺ ﴿ انهم ساء ما كانوا يعملون * ذلك بأنهم آمنوا ﴾ أقروا باللسان إذ رأوا المؤمنين ﴿ ثم كفروا ﴾ اذ خلوا إلى

سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ولهذا كان الضحاك بن مزاحم يقرؤها (اتخذوا إيمانهم جنة) أي تصديقهم الظاهر جنة أي تقية يتقون به القتل، والجمهور يقرؤها (أيمانهم) جمع يمين أي إنما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الايمان الى الكفران واستبدالهم الضلالة بالهدى (فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون)

وقوله تعالى (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) أي فلا يصل الى قلوبهم هدى ولا يخلص اليها خير فلا تعي ولا تهتدي

وقوله تعالى (واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم) أي وكانوا أشكالا حسنة وذوي فصاحة وألسنة واذا سمعهم السامع يصغي الى قولهم لبلاغتهم، وهم مع ذلك في غاية الضعف والخور والهلع والجزع والجبن ولهذا قال تعالى [يحسبون كل صيحة عليهم] أي كلما وقع أمر أو كائنة أو خوف يعتقدون لجبنهم انه نازل بهم كما قال تعالى (أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا) فهم جهامات وصور بلا معاني ولهذا قال تعالى (هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون؟) أي كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال؟، وقد قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا عبد الملك بن قدامة الجمحي عن إسحاق بن بكير بن أبي الفرات عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال «إن للمنافقين علامات يعرفون بها: تحيتهم لعنة وطعامهم نهبة وغنيمتهم غلول ولا يقربون المساجد إلا هجراً، ولا يأتون الصلاة إلا دبراً، مستكبرين لا يألفون ولا يؤلفون، خشب بالليل صخب بالنهار» وقال يزيد بن مرة: سخب بالنهار

وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم

المشركين ﴿فطبع على قلوبهم﴾ بالكفر ﴿فهم لا يفقهون﴾ الايمان ﴿واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾ يعني ان لهم أجساما ومناظر ﴿وان يقولوا تسمع لقولهم﴾ فتحسب انه صدق قال عبد الله بن عباس كان عبد الله بن أبي جسيما فصيحا ذلق اللسان فاذا قال سمع النبي ﷺ قوله ﴿كأنهم خشب مسندة﴾ أشباح بلا أرواح، وأجسام بلا أحلام، قرأ أبو عمرو والكسائي خشب بسكون الشين، وقرأ الباقون بضمها مسندة ممالة الى جدار من قولهم أسندت الشيء اذا أملته والتثقيل للتكثير وأراد انها ليست بأشجار تثمر ولكنهم خشب مسندة الى حائط ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ أي لا يسمعون صوتا في العسكر بأن نادى مناد أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة الا ظنوا من جبنهم وسوء ظنهم انهم يرادون بذلك وظنوا انهم قد أتوا لما في قلوبهم من الرعب، وقيل ذلك لكونهم على وجل من أن ينزل الله فيهم امراً يهتك أستارهم ويبيح دماءهم ثم قال ﴿هم العدو﴾ هذا ابتداء وخبره ﴿فاحذرهم﴾ ولا تأمنهم ﴿قاتلهم الله﴾ لعنهم الله ﴿أنى يؤفكون؟﴾ يصرفون عن الحق ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر

مستكبرون (٥) سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ، ان الله لا يهدي القوم الفٰسقين (٦) هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السمٰوٰت والارض ولكن المنٰفقين لا يفقهون (٧) يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنٰفقين لا يعلمون (٨)

يقول تعالى مخبراً عن المنافقين عليهم لعائن الله انهم (إذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم) أي صدوا وأعرضوا عما قيل لهم استكباراً عن ذلك واحتقارا لما قيل لهم ولهذا قال تعالى (ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون) ثم جازاهم على ذلك فقال تعالى (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين) كما قال في سورة براءة وقد تقدم الكلام على ذلك وإيراد الاحاديث المروية هنالك

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر العدني قال قال سفيان (لووا رؤسهم) قال ابن أبي عمر حول سفيان وجهه على يمينه ونظر بعينه شزرا ثم قال هو هذا . وقد ذكر غير واحد من السلف أن هذا السياق كله نزل في عبد الله بن أبي بن سلول كما سنورده قريبا ان شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان . وقد قال محمد بن اسحاق في السيرة ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة يعني مرجعه من أحد وكان عبد الله بن أبي بن سلول كما حدثني ابن شهاب الزهري له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر شرفا له من نفسه ومن قومه وكان فيهم شريفا اذا جلس النبي ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال أيها الناس هذا رسول الله ﷺ بين اظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس حتى اذا صنع يوم أحد ما صنع يعني مرجعه بثلث الجيش ورجع الناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا اجلس أي عدو الله لست لذلك

لكم رسول الله لووا رؤسهم ﴾ أي عطفوا رؤسهم وأعرضوا بوجوههم رغبة عن الاستغفار . قرأ نافع ويعقوب لووا بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد لانهم فعلوها مرة بعد مرة ﴿ ورأيتهم يصدون ﴾ يعرضون عما دعوا اليه ﴿ وهم مستكبرون ﴾ متكبرون عن استغفار رسول الله ﷺ لهم ﴿ سواء عليهم أستغفرت لهم ﴾ يا محمد ﴿ أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ ذكر محمد بن اسحاق وغيره من أصحاب رسول الله ﷺ أنه بلغه ان بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية زوج النبي ﷺ فلما سمع بهم رسول الله ﷺ خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل من قتل منهم ونفل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم فأفاءها

بأهل وقد صنعت ماصنعت فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما قلت بجرا أأن قمت أشدد أمره فلقيه رجال من الانصار بباب المسجد فقالوا ويلك مالك؟ قال قمت أشدد أمره فوثب علي رجال من أصحابه يجذبونني ويعنفونني لكأنما قلت بجرا أأن قمت أشدد أمره قالوا ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ قال والله ما ابتغي أن يستغفر لي

وقال قتادة والسدي أنزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وذلك أن غلاما من قرابته انطلق الى رسول الله ﷺ فحدثه بحديث عنه وأمر شديد فدعاه رسول الله ﷺ فاذا هو يحلف بالله ويتبرأ من ذلك واقبلت الانصار على ذلك الغلام فلاموه وعزلوه وانزل الله فيه ماتسمعون وقيل لعدو الله لو أتيت رسول الله ﷺ فجعل يلوي رأسه أي لست فاعلا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الربيع الزهراني حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن سعيد بن جبير أن رسول الله ﷺ كان اذا نزل منزلا لم يرتحل حتى يصلي فيه فلما كانت غزوة تبوك بلغه أن عبد الله بن أبي بن سلول قال ليخرجن الاعز منها الاذل فارتحل قبل أن ينزل آخر النهار وقيل لعبد الله بن أبي ائت النبي ﷺ حتى يستغفر لك فانزل الله تعالى (اذا جاءك المنافقون ـ الى قوله ـ واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم) وهذا اسناد صحيح الى سعيد بن جبير، وقوله ان ذلك كان في غزوة تبوك فيه نظر بل ليس بجيد فان عبد الله بن أبي بن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك بل رجع بطائفة من الجيش وإنما المشهور عند أصحاب المغازي والسير أن ذلك كان في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق

وقال يونس بن بكير عن ابن اسحاق حدثني محمد بن يحيى بن حبان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة في قصة بنى المصطلق فبينا رسول الله ﷺ مقيم هناك اقتتل على الماء جهجاه بن سعيد الغفاري وكان أجيرا لعمر بن الخطاب وسنان بن يزيد قال ابن اسحاق فحدثني

عليهم فبينما الناس على ذلك الماء إذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن سعيد الغفاري يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهني حليف بني عوف ابن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يامعشر الانصار وصرخ الغفاري يامعشر المهاجرين وأعان جهجاها الغفاري رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا وغضب عبد الله بن أبي بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حديث السن فقال ابن أبي أفعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله ﷺ ثم اقبل على من حضره من قومه فقال هذا مافعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولتحولوا إلى غير بلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد

محمد بن يحيي بن حبان قال ازدحما على الماء فاقتتلا فقال سنان يامعشر الانصار وقال الجهجاه يامعشر المهاجرين وزيد بن أرقم ونفر من الانصار عند عبد الله بن أبي فلما سمعها قال قد ثاورونا في بلادنا والله مامثلنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل ثم اقبل على من عنده من قومه وقال هذا ماصنعتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم الى غيرها فسمعها زيد بن أرقم رضي الله عنه فذهب بها الى رسول الله ﷺ وهو غليم عنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخبره الخبر فقال عمر رضي الله عنه يارسول الله مر عباد بن بشر فليضرب عنقه فقال رسول الله ﷺ « فكيف اذا تحدث الناس ياعمر أن محمدا يقتل أصحابه لاولكن ناد ياعمر الرحيل » فلما بلغ عبد الله بن أبي أن ذلك قد بلغ رسول الله ﷺ أتاه فاعتذر إليه وحلف بالله ماقال ماقال عليه زيد بن أرقم وكان عند قومه بمكان فقالوا يارسول الله عسى أن يكون هذا الغلام أوهم ولم يثبت ماقال الرجل وراح رسول الله ﷺ مهجرا في ساعة كان لايروح فيها فلقيه أسيد بن الحضير رضي الله عنه فسلم عليه بتحية النبوة ثم قال والله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال رسول الله ﷺ « أمابلغك ماقال صاحبك ابن أبي؟ زعم انه اذا قدم المدينة سيخرج الاعز منها الاذل » قال فانت يارسول الله العزيز وهو الذليل ثم قال ارفق به يارسول الله فوالله لقد جاء الله بك وإنا لننظم له الخرز لنتوجه فانه ليرى أن قد سلبته ملكا فسار رسول الله ﷺ بالناس حتى امسوا وليلته حتى اصبحوا وصدر يومه حتى اشتد الضحى ثم نزل بالناس ليشغلهم عما كان من الحديث فلم يأمن الناس ان وجدوا مس الارض فناموا ونزلت سورة المنافقين

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ اخبرنا أبو بكر بن اسحاق اخبرنا بشر بن موسى حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار سمعت جابر بن عبد الله يقول كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الانصار فقال

فقال زيد بن أرقم: أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد ﷺ في عز من الرحمن عزوجل ومودة من المسلمين. فقال عبد الله بن أبي اسكت فانما كنت العب قال فمشى زيد بن أرقم الى رسول الله ﷺ وذلك بعد فراغه من الغزو فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال دعني أضرب عنقه يارسول الله قال « كيف ياعمر اذا تحدث الناس ان محمداً يقتل أصحابه؟ ولكن أذن بالرحيل » وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها فارتحل الناس وأرسل رسول الله ﷺ الى عبد الله ابن أبي فأتاه فقال له أنت صاحب هذا الكلام الذي بلغني ، فقال عبد الله والذي أنزل عليك الكتاب ماقلت شيئا من ذلك وان زيدا لكاذب ، وكان عبد الله في قومه شريفا عظيما ، فقال من حضر من أصحابه من الانصار يارسول الله عسى أن يكون الغلام وهم في حديثه ولم يحفظ ماقاله ، فعذره النبي

الانصاري ياللانصار وقال المهاجري ياللمهاجرين فقال رسول الله ﷺ « مابال دعوى الجاهلية دعوها فانها منتنة » وقال عبد الله بن أبي بن سلول وقد فعلوها؟ والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال جابر وكان الانصار بالمدينة أكثر من المهاجرين حين قدم رسول الله ﷺ ثم المهاجرون بعد ذلك فقال عمر دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال النبي ﷺ « دعه لايتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » ورواه الامام أحمد عن حسين بن محمد المروزي عن سفيان بن عيينة ورواه البخاري عن الحميدي ومسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره عن سفيان به نحوه

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم عن محمد بن كعب القرظي عن زيد بن أرقم قال كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقال عبد الله بن أبي لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال فأتيت النبي ﷺ فأخبرته قال فحلف عبد الله بن أبي أنه لم يكن شيء من ذلك قال فلامني قومي وقالوا ما أردت الى هذا ؟ قال فانطلقت فنمت كئيبا حزينا قال فارسل إلي نبي الله ﷺ فقال « إن الله قد انزل عذرك وصدقك » قال فنزلت هذه الآية (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا - حتى بلغ - لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل) ورواه البخاري عند هذه الآية عن آدم بن أبي إياس عن شعبة ثم قال وقال ابن أبي زائدة عن الاعمش عن عمرو عن ابن أبي ليلى عن زيد عن النبي ﷺ ورواه الترمذي والنسائي عندها أيضا من حديث شعبة به

﴿طريق أخرى عن زيد﴾ قال الامام أحمد رحمه الله حدثنا يحيى بن آدم ويحيى بن أبي بكير قالا حدثنا اسرائيل عن أبي اسحاق قال سمعت زيد بن أرقم وقال أبو بكر عن زيد بن أرقم قال خرجت مع عمي في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول لاصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فذكرت ذلك لعمي فذكره عمي لرسول الله ﷺ فارسل إلي رسول الله ﷺ فحدثته فارسل الى عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه فحلفوا

ﷺ وفشت الملامة في الانصار لزيد وكذبوه، وقال له عمه وكان زيد معه ما أردت الأ أن كذبك رسول الله ﷺ والناس كلهم يقولون ان عبد الله شيخنا وكبيرنا لا يصدق عليه كلام غلام من غلمان الانصار ومقتوك ، وكان زيد يساير النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيا بعد ذلك أن يدنو من النبي (ص) فلما استقل رسول الله (ص) وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال يارسول الله لقد رحت في ساعة منكرة ماكنت تروح فيها فقال له رسول الله (ص) « أوما بلغك ماقال صاحبكم عبدالله بن أبي ؟ » قال وما قال؟ قال « زعم أنه ان رجع الى المدينة أخرج الاعز منها الاذل » فقال أسيد فانت والله يارسول الله تخرجه ان شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ، ثم قال يارسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى أنك قد استلبته ملكا ، وبلغ

بالله ماقالوا فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه فأصابني هم لم يصبني مثله قط وجلست في البيت فقال عمي ما أردت الا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك ؟ قال حتى انزل الله (اذا جاءك المنافقون) قال فبعث الي رسول الله ﷺ فقرأها رسول الله ﷺ علي ثم قال « إن الله قد صدقك »

ثم قال أحمد أيضا حدثنا حسن بن موسى حدثنا زهير حدثنا أبو اسحاق انه سمع زيد بن أرقم يقول خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأصاب الناس شدة فقال عبدالله بن أبي لاصحابه لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فأتيت النبي ﷺ فاخبرته بذلك فارسل الى عبد الله بن أبي فسأله فاجتهد يمينه مافعل فقالوا كذب زيد يارسول الله فوقع في نفسي مما قالوا فانزل الله تصديقي (اذا جاءك المنافقون) قال ودعاهم رسول الله ﷺ ليستغفر لهم فولوا رءوسهم

وقوله تعالى (كأنهم خشب مسندة) قال كانوا رجالا أجمل شيء ، وقد رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث زهير ، ورواه البخاري أيضا والترمذي من حديث اسرائيل كلاهما عن أبي اسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي الهمداني الكوفي عن زيد به

﴿ طريق أخرى عن زيد ﴾ قال ابو عيسى الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبيدالله بن موسى عن اسرائيل عن السدي عن أبي سعيد الازدي قال حدثنا زيد بن أرقم قال غزونا مع رسول الله ﷺ وكان معنا أناس من الاعراب فكنا نبتدر الماء وكان الاعراب يسبقوننا اليه فسبق أعرابي أصحابه ليملأ الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجيء أصحابه قال فأتى رجل من الانصار الاعرابي فأرخى زمام ناقته لتشرب فأبى أن يدعه فانتزع حجرا ففاض الماء فرفع الاعرابي خشبته فضرب بها رأس الانصاري فشجه فأتى عبد الله بن أبي رأس المنافقين فأخبره وكان من أصحابه فغضب عبد الله بن أبي ثم قال : لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله يعني الاعراب وكانوا يحضرون رسول الله ﷺ عند الطعام فقال عبد الله لأصحابه اذا انفضوا من عند محمد فائتوا محمداً بالطعام

عبد الله بن عبد الله بن أبي ما كان من أمر أبيه فأتى رسول الله (ص) فقال يارسول الله انه بلغني انك تريد قتل عبد الله بن أبي لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني به فأنا أحمل اليك رأسه فوالله لقدعلمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالديه مني وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بل نرفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا » قال وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه ذلك حتى أمسى وليلته حتى أصبح وصدر يومه ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يكن الا أن وجدوا مس الارض فوقعوا نياما وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالامس من حديث عبد الله بن أبي ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال له بقعاء فهاجت

فليأكل هو ومن معه ثم قال لأصحابه لئن رجعتم إلى المدينة فليخرج الاعز منها الاذل قال زيد وأنا ردف عمي فسمعت عبد الله بن أبي يقول ما قال فأخبرت عمي فانطلق فأخبر رسول الله ﷺ فأرسل اليه رسول الله ﷺ فحلف وجحد قال فصدقه رسول الله ﷺ وكذبني، قال فجاء إلي عمي فقال ما أردت الا أن مقتك رسول الله ﷺ وكذبك والمسلمون؟ قال فوقع علي من الغم مالم يقع على أحد قط، قال فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ في سفر وقد خفقت برأسي من الهم إذ أتاني رسول الله ﷺ فعرك اذني وضحك في وجهي فما كان يسرني ان لي بها الخلد في الدنيا ثم ان أبا بكر لحقني وقال ماقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت ماقال شيئا الا انه عرك اذني وضحك في وجهي فقال أبشر ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لابي بكر، فلما ان أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين. انفرد باخراجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح

وهكذا رواه الحافظ البيهقي عن الحاكم عن عبيد الله بن موسى به وزاد بعد قوله سورة المنافقين (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله - حتى بلغ - هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا - حتى بلغ - ليخرجن الاعز منها الاذل)

وقد روى عبد الله بن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة بن الزبير في المغازي وكذا ذكر موسى ابن عقبة في مغازيه أيضاً هذه القصة بهذا السياق ولكن جعلا الذي بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام عبد الله بن أبي بن سلول انما هو أوس بن أقرم من بني الحارث بن الخزرج فلعله مبلغ آخر أو تصحيف من جهة السمع والله أعلم

وقال ابن ابي حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عزيز الايلي حدثني سلام حدثني عقيل أخبرت محمد ابن مسلم أن عروة بن الزبير وعمرو بن ثابت الانصاري أخبراه أن رسول الله ﷺ غزا غزوة المريسيع وهي التي هدم رسول الله ﷺ فيها مناة الطاغية التي كانت بين قفا المشلل وبين البحر فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فكسر مناة فاقتتل رجلان في غزوة رسول الله ﷺ تلك

ريح شديدة آذتهم وتخوفوا منها وضلت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ليلا فقال رسول الله (ص) لا تخافوا فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفي بالمدينة قيل من هو، قال رفاعة بن زيد بن التابوت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته؟ ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي؟ فأتاه جبريل فأخبره بقول المنافق وأخبره بمكان الناقة وأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال «ما أزعم اني أعلم الغيب وما أعلمه ولكن الله أخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب قد تعلق زمامها بشجرة» فخرجوا يسعون قبل الشعب فاذا هي كما قال فجاؤا بها من ذلك الشعب وآمن ذلك المنافق فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت قد مات ذلك اليوم وكان من عظماء اليهود وكهفا للمنافقين، فلما وافى رسول الله ﷺ المدينة قال زيد بن أرقم جلست في

أحدهما من المهاجرين والآخر من بهز وهم حلفاء الانصار فاستعلى الرجل الذي من المهاجرين على البهزي فقال البهزي يامعشر الانصار فنصره رجال من الانصار ، وقال المهاجري يامعشر المهاجرين فنصره رجال من المهاجرين حتى كان بين أولئك الرجال من المهاجرين والرجال من الانصارشيء من القتال ثم حجز بينهم فانكفأ كل منافق أو رجل في قلبه مرض إلى عبد الله بن أبي بن سلول فقال قد كنت ترجى وتدفع فأصبحت لاتضر ولا تنفع قد تناصرت علينا الجلابيب وكانوا يدعون كل حديث الهجرة الجلابيب فقال عبد الله بن أبي عدو الله والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال مالك بن الدخشن وكان من المنافقين ألم أقل لكم لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ؟ فسمع بذلك عمر بن الخطاب فأقبل يمشي حتى أتى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضرب عنقه يريد عمر عبد الله بن أبي ، فقال رسول الله ﷺ لعمر؟ « أوقاتله أنت إن أمرتك بقتله؟ » قال عمر نعم والله لئن أمرتني بقتله لأضربن عنقه ، فقال رسول الله ﷺ « اجلس » فأقبل أسيد بن حضير وهو أحد الانصار ثم أحد بني عبد الاشهل حتى أتى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضرب عنقه فقال رسول الله [ص] « أوقاتله أنت إن أمرتك بقتله؟ » قال نعم والله لئن أمرتني بقتله لأضربن بالسيف تحت قرط أذنيه فقال رسول الله ﷺ « اجلس » ثم قال رسول الله ﷺ « آذنوا بالرحيل » فهجر بالناس فسار يومه وليلته والغد حتى متع النهار[1] ثم نزل ثم هجر بالناس مثلها حتى صبح بالمدينة في ثلاث سارها من قفا المشلل فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أرسل إلى عمر فدعاه فقال له رسول الله (ص) « أي عمر أكنت قاتله لو أمرتك بقتله؟ » قال عمر نعم، فقال رسول الله ﷺ « والله لو قتلته يومئذ لأرغمت أنوف رجال لو أمرتهم اليوم بقتله لقتلوه فيتحدث الناس اني قد وقعت على أصحابي فأقتلهم صبراً »

(١) متع النهار متوعا أي ارتفع قبل الزوال

البيت لما بي من الهم والحياء فأنزل الله تعالى سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبدالله بن أبي فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد وقال يازيد « ان الله قد صدقك وأوفى بأذنك » وكان عبد الله بن أبي أتى بقرب المدينة فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبد الله بن عبد الله حتى أناخ على مجامع طرق المدينة فلما جاء عبد الله بن أبي قال وراءك قال مالك ويلك؟ قال لا والله لا تدخلها أبداً إلا باذن رسول الله ﷺ ولتعلمن اليوم من الاعز ومن الاذل فشكا عبد الله إلى رسول الله ﷺ ما صنع ابنه فأرسل إليه رسول الله ﷺ أن خل عنه حتى يدخل فقال أما إذا جاء أمر رسول الله ﷺ فنعم فدخل فلم يلبث إلا أياما قلائل حتى اشتكى ومات، قالوا فلما نزلت الآية وبان كذب عبد الله ابن أبي قيل له يا أبا خباب انه قد نزل فيك آي شداد فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال أمرتموني أن أومن فآمنت وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فقد أعطيت فما بقي إلا أن أسجد لمحمد ﷺ فأنزل الله تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم)

وأنزل الله عز وجل (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا — الى قوله تعالى — يقولون لئن رجعنا الى المدينة) الآية وهذا سياق غريب وفيه أشياء نفيسة لا توجد الا فيه

وقال محمد بن اسحاق بن يسار حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد الله بن عبد الله بن أبي لما بلغه ماكان من أمر أبيه أتى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله انه بلغني انك تريد قتل عبدالله ابن أبي فيما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني به فأنا أحمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ماكان لها من رجل أبر بوالده مني ، إني أخشى ان تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبدالله ابن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار فقال رسول الله ﷺ « بل نترفق به ونحسن صحبته مابقي معنا »

وذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما ان الناس لما قفلوا راجعين الى المدينة وقف عبد الله بن عبدالله هذا على باب المدينة واستل سيفه فجعل الناس يمرون عليه فلما جاء ابوه عبد الله بن أبي قال له ابنه وراءك فقال مالك ويلك ؟ فقال والله لا تجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ فانه العزيز وأنت الذليل ، فلما جاء رسول الله ﷺ وكان انما يسير ساقة فشكا اليه عبد الله بن أبي ابنه فقال ابنه عبد الله والله يارسول الله لا يدخلها حتى تأذن له فأذن له رسول الله ﷺ فقال أما اذا أذن لك رسول الله ﷺ فجز الآن

وقال ابو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا ابو هارون المدني قال : قال عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول لأبيه والله لا تدخل المدينة أبداً حتى تقول رسول الله [ص] الاعز وأنا الاذل ، قال وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انه بلغني أنك تريد ان تقتل أبي فوالذي بعثك بالحق ماتأملت وجهه قط هيبة له ولئن شئت ان آتيك برأسه لأتيتك فاني أكره ان أرى قاتل أبي

يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموٰلكم ولا أولٰدكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك

الآية ونزل ﴿ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ﴾ يتفرقوا ﴿ ولله خزائن السموات والارض ﴾ فلا يعطي أحد أحدا شيئا الا باذنه ولا يمنعه الا بمشيئته ﴿ ولكن المنافقين لا يفقهون ﴾ انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴿ يقولون لئن رجعنا الى المدينة ﴾ من غزوة بني المصطلق ﴿ ليخرجن الأعز منها الأذل ، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ فعزة الله قهره من دونه وعزة رسوله اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله إياهم على أعدائهم ﴿ ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ ذلك ولو علموا ماقالوا هذه المقالة

قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم ﴾ لا تشغلكم ﴿ أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ﴾ قال

هم الخٰسرون (٩) وأنفقوا من مارزقنٰكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا

أخرتني الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصٰلحين؟ (١٠) ولن يؤخر الله نفساً اذا

جاء أجلها والله خبير بما تعملون (١١)

يقول تعالى آمراً لعباده المؤمنين بكثرة ذكره وناهياً لهم عن أن تشغلهم الاموال والاولاد عن ذلك ومخبراً لهم بأنه من التهى بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره فانه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ثم حثهم على الانفاق في طاعته فقال (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين؟) فكل مفرط يندم عند الاحتضار ويسأل طول المدة ولو شيئاً يسيراً ليستعتب ويستدرك مافاته وهيهات، كان ما كان وأتى ماهو آت، وكل بحسب تفريطه، أما الكفار فكما قال تعالى (وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل؟ مالكم من زوال) وقال تعالى (حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون * لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون).

ثم قال تعالى (ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) أي لا ينظر أحداً بعد حلول أجله وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقا في قوله وسؤاله ممن لو رد لعاد الى شر مما كان عليه ولهذا قال تعالى (والله خبير بما تعملون)

وقال أبو عيسى الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو جناب الكلبي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال: من كان له مال يبلغه حج بيت ربه أو تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت فقال رجل يا ابن عباس اتق الله فانما يسأل الرجعة الكفار فقال سأتلو عليك بذلك قرآنا (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل

المفسرون يعني الصلوات الخمس نظيره قوله (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) ﴿ومن يفعل ذلك﴾ أي من شغله ماله وولده عن ذكر الله ﴿فأولئك هم الخاسرون * وأنفقوا مما رزقناكم﴾ قال ابن عباس يريد زكاة الاموال ﴿من قبل أن يأتي أحدكم الموت﴾ فيسأل الرجعة ﴿فيقول رب لولا أخرتني؟﴾ هلا أخرتني أمهلتني وقيل لا صلة فيكون الكلام بمعنى التمني أي لولا أخرتني ﴿إلى أجل قريب فأصدق﴾ فأتصدق وأزكي مالي ﴿وأكن من الصالحين﴾ أي من المؤمنين نظيره قوله تعالى (ومن صلح من آبائهم) هذا قول مقاتل وجماعة وقالوا نزلت الآية في المنافقين وقيل نزلت الآية في المؤمنين والمراد بالصلاح هنا الحج

ذلك فاولئك هم الخاسرون * وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين - الى قوله - والله خبير بما تعملون ! قال فما يوجب الزكاة ؟ قال اذا بلغ المال مائتين فصاعدا ، قال فما يوجب الحج ؟ قال الزاد والبعير

ثم قال حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق عن الثوري عن يحيى بن أبي حية وهو ابو جناب الكلبي عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي ﷺ بنحوه ثم قال وقد رواه سفيان بن عيينة وغيره عن أبي جناب عن الضحاك عن ابن عباس من قوله وهو أصح وضعف أبا جناب الكلبي قلت ورواية الضحاك عن ابن عباس فيها انقطاع والله أعلم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن نفيل حدثنا سليمان بن عطاء عن مسلمة الجهني عن عمه يعني أبا مشجعة بن ربعي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال ذكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادة في العمر فقال « إن الله لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها وإنما الزيادة في العمر أن يرزق الله العبد ذرية صالحة يدعون له فيلحقه دعاؤهم في قبره »

﴿ آخر تفسير سورة المنافقين ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة ﴾

وروى الضحاك وعطية عن ابن عباس انه قال ما من أحد يموت وكان له مال لم يؤد زكاته وأطاق الحج فلم يحج إلا سأل الرجعة عند الموت ، وقرأ هذه الآية وقال (وأكن من الصالحين) أحج قرأ أبو عمرو وأكون بالواو ونصب النون على جواب التمني وعلى لفظ فأصدق قال إنما حذفت الواو من المصحف اختصاراً ، وقرأ الآخرون وأكن بالجزم عطفا على قوله (فأصدق) لو لم يكن فيه الفاء لانه لو لم يكن فيه الفاء لكان جزما يعني إن أخرتني أصدق وأكن ولانه مكتوب في المصحف بحذف الواو ﴿ ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون ﴾ قرأ أبو بكر يعملون بالياء وقرأ الآخرون بالتاء



تفسير سورة التغابن وهى مدنية وقيل مكية

(١) قال الطبراني حدثنا محمد بن هارون بن محمد بن بكار الدمشقي حدثنا العباس بن الوليد الخلال حدثنا الوليد بن الوليد حدثنا ابن ثوبان عن عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «مامن مولود يولد إلا مكتوب في تشبيك رأسه خمس آيات من سورة التغابن» اورده ابن عساكر في ترجمة الوليد بن صالح وهو غريب جداً بل منكر

(١) هذا الحديث ليس في النسخة المكية

بسم الله الرحمن الرحيم

يُسبّح لله مافي السموٰات وما فى الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير (١) هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير (٢) خلق السموٰات والارض بالحق وصوّركم فأحسن صوَرَكم واليه المصير (٣) يعلم مافي السموٰات والأرض ويعلم ماتُسِرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور (٤)

﴿سورة التغابن مدنية﴾

قال عطاء هي مكية إلا ثلاث آيات من قوله (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم) إلى آخرهن وهي ثماني عشرة آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير * هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير﴾ قال ابن عباس ان الله خلق بني آدم مؤمنا وكافراً ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمناً وكافراً وروينا عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام طبع كافراً» وقال جل ذكره (ولا يلدوا إلا فاجراً كفارا)

أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد عن عبد الله بن أبي بكر بن أنس عن النبي ﷺ قال «وكل الله بالرحم ملكا فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فاذا أراد الله أن يقضي خلقها قال يارب أذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ فما الرزق فما الاجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه»

هذه السورة هي آخر المسبحات وقد تقدم الكلام على تسبيح المخلوقات لبارئها ومالكها ولهذا قال تعالى (له الملك وله الحمد) أي هو المتصرف في جميع الكائنات المحمود على جميع مايخلق ويقدره وقوله تعالى (وهو على كل شيء قدير) أي مهما أراد كان بلا ممانع ولا مدافع ومالم يشأ لم يكن

وقوله تعالى (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) أي هو الخالق لكم على هذه الصفة وأراد منكم ذلك فلا بد من وجود مؤمن وكافر وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال وهو شهيد على أعمال عباده وسيجزيهم بها أتم الجزاء ولهذا قال تعالى (والله بما تعملون بصير)

ثم قال تعالى (خلق السموات والارض بالحق) أي بالعدل والحكمة (وصوركم فأحسن صوركم) أي أحسن أشكالكم كقول تعالى (يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ماشاء ركبك؟) وكقوله تعالى (الله الذي جعل لكم الارض قراراً والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات) الآية وقوله تعالى (واليه المصير) أي المرجع والمآب

ثم أخبر تعالى عن علمه بجميع الكائنات السمائية والارضية والنفسية فقال تعالى (يعلم مافي السموات والارض ويعلم ماتسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور)

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ؟ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا؟ فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٦)

وقال جماعة معنى الآية أن الله خلق الخلق ثم كفروا وآمنوا لان الله تعالى ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم فقال (فمنكم كافر ومنكم مؤمن) كما قال الله تعالى (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه) فالله خلقهم والمشي فعلهم ثم اختلفوا في تأويلها ، فروي عن أبي سعيد الخدري أنه قال فمنكم كافر في حياته مؤمن في العاقبة ومنكم مؤمن في حياته كافر في العاقبة ، وقال عطاء بن أبي رباح فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب ، وقيل فمنكم كافر بأن الله تعالى خلقه وهو مذهب الدهرية ومنكم مؤمن بان الله خلقه ، وجملة القول فيه أن الله خلق الكافر وكفره فعلا له وكسبا وخلق المؤمن وإيمانه فعلا له وكسبا فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله ومشيئته ، فالمؤمن بعد خلق الله إياه يختار الايمان لان الله تعالى أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه ، والكافر بعد خلق الله تعالى إياه يختار الكفر لان الله تعالى أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه ، وهذا طريق أهل السنة والجماعة من سلكه أصاب الحق وسلم من الجبر والقدر ﴿ خلق السموات والارض بالحق وصوركم فأحسن صوركم واليه المصير * يعلم مافي السموات والارض ويعلم ماتسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور * ألم يأتكم؟ ﴾ يخاطب كفار مكة ﴿ نبأ الذين كفروا من قبل ﴾

يقول تعالى مخبراً عن الامم الماضين وما حل بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل والتكذيب بالحق فقال تعالى (ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل ؟) أي خبرهم وما كان من أمرهم (فذاقوا وبال أمرهم) أي وخيم تكذيبهم ورديء أفعالهم وهو ماحل بهم في الدنيا من العقوبة والخزي (ولهم عذاب أليم) أي في الدار الآخرة مضاف الى هذا الدنيوي

ثم علل ذلك فقال (ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) أي بالحجج والدلائل والبراهين (فقالوا أبشر يهدوننا ؟) أي استبعدوا أن تكون الرسالة في البشر وأن يكون هداهم على يدي بشر مثلهم (فكفروا وتولوا) أى كذبوا بالحق ونكلوا عن العمل (واستغنى الله) أى عنهم (والله غني حميد)

زعم الذين كفروا أن لن يُبعثوا، قل بلى وربي لتبعثنَّ ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير (٧) فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا والله بما تعملون خبير (٨) يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن، ومن يؤمن بالله ويعمل صـٰلحا يكفر عنه سيئاته ويُدخله جنـٰت تجرى من تحتها الانهٰر خـٰلدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم (٩) والذين كفروا وكذبوا بآيـٰتنا أولـٰئك أصحـٰب النار خـٰلدين فيها وبئس المصير (١٠)

يقول تعالى مخبراً عن الكفار والمشركين والملحدين أنهم يزعمون أنهم لا يبعثون (قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم) أي لتخبرن بجميع اعمالكم جليلها وحقيرها صغيرها وكبيرها (وذلك على الله يسير) أى بعثكم ومجازاتكم وهذه هي الآية الثالثة التي أمر الله رسوله ﷺ أن يقسم بربه عز وجل على وقوع المعاد ووجوده فالاولى في سورة يونس (ويستنبئونك أحق هو ؟ قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين) والثانية في سورة سبأ (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم) الآية والثالثة هي هذه (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير)

يعني الامم الخالية ﴿ فذاقوا وبال أمرهم ﴾ يعني ما لحقهم من العذاب في الدنيا ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ في الآخرة ﴿ ذلك ﴾ العذاب ﴿ بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا؟ ﴾ ولم يقل يهدينا لان البشر وان كان لفظه واحداً فانه في معنى الجمع وهو اسم الجنس لا واحد له من لفظه وواحده انسان، ومعناه ينكرون ويقولون آدمي مثلنا يهدينا؟ ﴿ فكفروا وتولوا واستغنى الله ﴾ عن إيمانهم ﴿ والله غني ﴾ عن خلقه ﴿ حميد ﴾ في أفعاله

ثم أخبر عن إنكارهم البعث فقال جل ذكره ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل ﴾ يا محمد

ثم قال تعالى (فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا) يعني القرآن (والله بما تعملون خبير) أي فلا تخفى عليه من أعمالكم خافية

وقوله تعالى (يوم يجمعكم ليوم الجمع) وهو يوم القيامة سمي بذلك لأنه يجمع فيه الاولون والآخرون في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر كما قال تعالى (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وقال تعالى (قل إن الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم)

وقوله تعالى (ذلك يوم التغابن) قال ابن عباس هو اسم من أسماء يوم القيامة وذلك أن أهل الجنة يغبنون أهل النار وكذا قال قتادة ومجاهد ، وقال مقاتل بن حيان لا غبن أعظم من أن يدخل هؤلاء الى الجنة ويذهب بأولئك الى النار، قلت وقد فسر ذلك بقوله تعالى (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير) وقد تقدم تفسير مثل هذه غير مرة

ما أصاب من مُصيبة إلا باذن الله، ومن يؤمن بالله يَهد قلبه والله بكل شيء عليم (١١)

وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين (١٢) الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١٣)

يقول تعالى مخبراً بما أخبر به في سورة الحديد (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير) وهكذا قال ههنا (ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله) قال ابن عباس بامر الله يعني عن قدره ومشيئته (ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم) أي ومن أصابته

﴿ بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير * فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا ﴾ وهو القرآن ﴿ والله بما تعملون خبير * يوم يجمعكم ليوم الجمع ﴾ يعنى يوم القيامة يجمع فيه أهل السموات والارض ﴿ ذلك يوم التغابن ﴾ وهو تفاعل من الغبن وهو فوت الحظ ، والمراد بالمغبون من غبن عن أهله ومنازله في الجنة فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الايمان وغبن كل مؤمن بتقصيره في الاحسان ﴿ ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار ﴾ قرأ أهل المدينة والشام نكفر وندخله وفي سورة الطلاق ندخله بالنون فيهن وقرأ الآخرون بالياء ﴿ خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير * ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ﴾ بارادته وقضائه ﴿ ومن يؤمن بالله ﴾ فيصدق أنه لا يصيبه مصيبة إلا باذن الله ﴿ يهد قلبه ﴾ يوفقه لليقين حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما

مصيبة فعلم انها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه ، وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه ويقينا صادقا وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيراً منه

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) يعني يهد قلبه اليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه

وقال الاعمش عن أبي ظبيان قال كنا عند علقمة فقرىء عنده هذه الآية (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) فسئل عن ذلك فقال هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم رواه ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيرهما، وقال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) يعني يسترجع يقول (إنا لله وإنا اليه راجعون)

وفي الحديث المتفق عليه « عجبا المؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له ان أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وان أصابته سراء شكر فكان خيراً له وليس ذلك لاحد إلا المؤمن »

(١) وقال أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا الحارث بن يزيد عن علي بن رباح أنه سمع جنادة ابن أبي امية يقول سمعت عبادة بن الصامت يقول ان رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله أي العمل أفضل ؟ قال « إيمان بالله وتصديق به وجهاد في سبيل الله » قال أريد أهون من هذا يارسول الله ؟ قال « لا تتهم الله في شيء قضى لك به » لم يخرجوه

(١) هذا غير موجود في النسخة المكية

وقوله (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أمر بطاعة الله ورسوله فيما شرع وفعل ما به أمر وترك ما عنه نهى زجر . ثم قال تعالى (فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين) أي ان نكلتم عن العمل فانما عليه ما حمل من البلاغ وعليكم ما حملتم من السمع والطاعة . قال الزهري من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم .

ثم قال تعالى مخبراً أنه الأحد الصمد الذي لا إله غيره فقال تعالى (الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فالاول خبر عن التوحيد ومعناه معنى الطلب أي وحدوا الالهية له وأخلصوها لديه وتوكلوا عليه كما قال تعالى (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا)

يا أيها الذين آمنوا ان من أزوٰجكم وأولٰدكم عدواً لكم فاحذروهم ، وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم (١٤) انما أموٰلكم واولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم (١٥)

أخطأه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضائه ﴿ والله بكل شيء عليم * وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين * الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾

قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ﴾ قال ابن عباس هؤلاء رجال من اهل مكة أسلموا وأرادوا أن يهاجروا إلى المدينة فمنعهم أزواجهم وأولادهم

فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (١٦) ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم (١٧) علم الغيب والشهدة العزيز الحكيم (١٨)

يقول تعالى مخبراً عن الازواج والاولاد ان منهم من هو عدو الزوج والوالد بمعنى أنه يلتهي به عن العمل الصالح كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) ولهذا قال تعالى ههنا (فاحذروهم) قال ابن زيد يعني على دينكم، وقال مجاهد (ان من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم) قال يحمل الرجل على قطيعة الرحم أو معصية ربه فلا يستطيع الرجل مع حبه الا أن يطيعه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن خلف الصيدلاني حدثنا الفريابي حدثنا اسرائيل حدثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس وسأله رجل عن هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) قال فهؤلاء رجال أسلموا من مكة فأرادوا أن يأتوا رسول الله ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا أن يعاقبوهم فأنزل الله تعالى هذه الآية (وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم) وكذا رواه الترمذي عن محمد بن يحيى عن الفريابي وهو محمد بن يوسف به وقال حسن صحيح ورواه ابن جرير والطبراني من حديث اسرائيل به، وروي من طريق العوفي عن ابن عباس نحوه وهكذا قال عكرمة مولاه سواء

وقوله تعالى (انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم) يقول تعالى انما الاموال والاولاد فتنة أي اختبار وابتلاء من الله تعالى لخلقه ليعلم من يطيعه ممن يعصيه

وقالوا صبرنا على إسلامكم فلا نصبر على فراقكم فأطاعوهم وتركوا الهجرة فقال تعالى (فاحذروهم) أن تطيعوهم وتدعوا الهجرة ﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم﴾ هذا فيمن أقام على الاهل والولد ولم يهاجر فاذا هاجر رأى الذين سبقوه بالهجرة وقد فقهوا في الدين هم أن يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه عن الهجرة وإن لحقوا في دار الهجرة لم ينفق عليهم ولم يصبهم بخير فأمرهم الله عز وجل بالعفو عنهم والصفح

وقال عطاء بن يسار نزلت في عوف بن مالك الاشجعي كان ذا اهل وولد وكان إذا اراد الغزو بكوا اليه ورققوه وقالوا إلى من تدعنا؟ فيرق لهم ويقيم فأنزل الله ان من ازواجكم وأولادكم عدوا لكم) بحملهم إياكم على ترك الطاعة فاحذروهم أن تقبلوا منهم (وان تعفوا وتصفحوا) فلا تعاقبوهم

وقوله تعالى (والله عنده) أي يوم القيامة (أجر عظيم) كما قال تعالى (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) والتي بعدها

وقال الامام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثني حسين بن واقد حدثني عبد الله بن بريدة سمعت أبا بريدة يقول كان رسول الله ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال «صدق الله ورسوله انما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما» ورواه أهل السنن من حديث حسين بن واقد به، وقال الترمذي حسن غريب انما نعرفه من حديثه

وقال الامام احمد حدثنا شريح بن النعمان حدثنا هشيم أخبرنا مجالد عن الشعبي حدثنا الاشعث بن قيس قال: قدمت على رسول الله ﷺ في وفد كندة فقال لي «هل لك من ولد ؟» قلت غلام ولدلي في مخرجي اليك من ابنة جد ولوددت أن بمكانه سبع القوم فقال «لا تقولن ذلك فان فيهم قرة عين وأجرا اذا قبضوا» ثم قال «ولئن قلت ذاك انهم لمجبنة محزنة» تفرد به أحمد

وقال الحافظ ابو بكر البزار حدثنا محمود بن بكر حدثنا أبي عن عيسي عن ابن أبي ليلى عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «الولد ثمرة القلوب وانهم مجبنة مبخلة محزنة» ثم قال لا نعرفه الا بهذا الاسناد

(١) وقال الطبراني حدثنا هاشم بن مرثد حدثنا محمد بن اسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم ابن زرعة عن شريح بن عبيد عن ابي مالك الاشعري ان رسول الله [ص] قال «ليس عدوك الذي ان قتلته كان فوزا لك وان قتلك دخلت الجنة ولكن الذي لعله عدو لك ولدك الذي خرج من صلبك، ثم اعدى عدو لك مالك الذي ملكت يمينك»

(١) هذا غير موجود في النسخة المكية

على خلافهم اياكم (فان الله غفور رحيم) ﴿ انما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ بلاء واختبار وشغل عن الآخرة يقع بسببها الانسان في العظائم ومنع الحق وتناول الحرام ﴿ والله عنده أجر عظيم ﴾ قال بعضهم لما ذكر الله العداوة أدخل فيه من للتبعيض فقال (ان من أزواجكم واولادكم عدوا لكم) لان كلهم ليسوا باعداء ولم يذكر من قوله (انما اموالكم وأولادكم فتنة) لانها لا تخلو عن الفتنة واشتغال القلب وكان عبد الله بن مسعود يقول لا يقولن أحدكم اللهم إني أعوذ بك من الفتنة فانه ليس منكم أحد يرجع إلى مال وأهل وولد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم اني اعوذ بك من مضلات الفتن

اخبرنا ابو منصور محمد بن عبد الملك المظفري انا ابو سعيد احمد بن محمد بن الفضل الفقيه انا ابو الحسن احمد بن اسحاق الفقية ثنا احمد بن بكر بن يوسف ثنا على بن الحسن انا الحسن بن واقد عن عبد الله بن بريدة قال سمعت أبا بريدة يقول كان رسول الله ﷺ يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر فحملهما فوضعهما

وقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) أي جهدكم وطاقتكم كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله [ص] « اذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه » وقد قال بعض المفسرين كما رواه مالك عن زيد بن أسلم إن هذه الآية ناسخة التي في آل عمران وهي قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)

قال ابن أبي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثني يحيى بن عبدالله بن بكير حدثني ابن لهيعة حدثني عطاء هو ابن دينار عن سعيد بن جبير في قوله (اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون قال لما نزلت هذه الآية اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم فأنزل الله تعالى هذه الآية تخفيفا على المسلمين (فاتقوا الله ما استطعتم) فنسخت الآية الاولى وروي عن أبي العالية وزيد بن أسلم وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان نحو ذلك

وقوله تعالى (واسمعوا وأطيعوا) أي كونوا منقادين لما يأمركم الله به ورسوله ولا تحيدوا عنه يمنة ولا يسرة ولا تقدموا بين يدي الله ورسوله ولا تتخلفوا عما به أمرتم ، ولا تركبوا ما عنه زجرتم

وقوله تعالى (وانفقوا خيرا لانفسكم) اي وابذلوا مما رزقكم الله على الاقارب والفقراء والمساكين وذوي الحاجات واحسنوا الى خلق الله كما احسن الله اليكم يكن خيرا لكم في الدنيا والآخرة وان لا تفعلوا يكن شرا لكم في الدنيا والآخرة

وقوله تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) تقدم تفسيره في سورة الحشر وذكر الاحاديث الواردة في معنى هذه الآية بما اغنى عن اعادته ههنا ولله الحمد والمنة

وقوله تعالى (ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم) اي مهما انفقتم من شيء فهو يخلفه ومهما تصدقتم من شيء فعليه جزاؤه ، ونزل ذلك منزلة القرض له كما ثبت في الصحيحين ان الله تعالى يقول « من يقرض غير ظلوم ولا عديم ولهذا قال تعالى يضاعفه لكم كما تقدم في سورة البقرة (فيضاعفه له أضعافا كثيرة) (ويغفر لكم) أي ويكفر عنكم السيئات ، ولهذا قال تعالى (والله شكور) أي يجزي على القليل بالكثير (حليم) أي يصفح ويغفر ويستر ويتجاوز عن الذنوب والزلات والخطايا والسيئات (عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) تقدم تفسيره غير مرة

(آخر تفسير سورة التغابن ولله الحمد والمنة)

بين يديه ثم قال « صدق الله [انما أموالكم وأولادكم فتنة] نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما » ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ أي أطقتم هذه الآية ناسخة لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته ﴿ واسمعوا وأطيعوا ﴾ الله ورسوله ﴿ وأنفقوا خيرا لانفسكم ﴾ أي أنفقوا من أموالكم خيرا لانفسكم ﴿ ومن يوق شح نفسه ﴾ حتى يعطي حق الله من ماله ﴿ فأولئك هم المفلحون * ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم * عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ﴾

تفسير سورة الطلاق وهي مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم

لا تخرجوهن من بيوتهن، ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد

حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً (١)

خوطب النبي ﷺ أولا تشريفا وتكريما ثم خاطب الامة تبعاً فقال تعالى (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن)

وقال ابن أبي حاتم ثنا محمد بن ثواب بن سعيد الفناري ثنا أسباط بن محمد عن سعيد عن قتادة عن أنس قال ، طلق رسول الله ﷺ حفصة فأتت أهلها فأنزل الله تعالى (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) فقيل له راجعها فانها صوامة قوامة وهي من أزواجك ونسائك في الجنة . ورواه ابن جرير عن ابن بشار عن عبد الاعلى عن سعيد عن قتادة فذكره مرسلا ، وقد ورد من غير وجه أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها

سورة الطلاق مدنية وهي اثنتا عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يا أيها النبي اذا طلقتم النساء ﴾ نادى النبي صلى الله عليه وسلم ثم خاطب أمته لانه السيد المقدم فخطاب الجميع معه وقيل مجازه يا أيها النبي قل لامتك اذا طلقتم النساء أي إذا أردتم تطليقهن كقوله عز وجل [فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله] أي اذا أردت القراءة ﴿ فطلقوهن لعدتهن ﴾ أي لطهرهن الذي يحصينه من عدتهن وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن (فطلقوهن في قبل عدتهن) فنزلت هذه الآية في عبد الله بن عمر كان قد طلق امرأته في حال الحيض

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد الفقيه أنا أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر انه طلق امرأته وهي حائض في عهد رسول الله ﷺ فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك فقال « يا عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء أمسك بعد وان شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء » ورواه سالم عن ابن عمر قال فمره فليراجعها ثم ليطلقها طاهراً أو حاملا ورواه يونس بن جبير وأنس بن سيرين عن ابن عمر ولم يقولا ثم تحيض ثم تطهر

وقال البخاري ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب أخبرني سالم ان عبدالله ابن عمر أخبره انه طلق امرأة له وهي حائض فذكر عمر لرسول الله ﷺ فتغيظ رسول الله ﷺ ثم قال « ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر فان بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرا قبل أن يمسها فتلك العدة التي أمر بها الله عزوجل » هكذا رواه البخاري ههنا وقد رواه في مواضع من كتابه ومسلم ولفظه « فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء » ورواه أصحاب الكتب والمسانيد من طرق متعددة وألفاظ كثيرة وموضع استقصائها كتب الاحكام

وأمس لفظ يورد ههنا مارواه مسلم في صحيحه من طريق ابن جريج أخبرني أبو الزبير انه سمع عبد الرحمن بن أيمن مولى عزة يسأل ابن عمر وأبو الزبير يسمع : كيف ترى في الرجل طلق امرأته حائضاً فقال طلق ابن عمر امرأته حائضا على عهد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « ليراجعها - فردها وقال - إذا طهرت فليطلق أو يمسك » قال ابن عمر : وقرأ النبي ﷺ (ياأيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن)في قبل عدتهن

وقال الاعمش عن مالك بن الحارث عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبدالله في قوله تعالى (فطلقوهن لعدتهن) قال الطهر من غير جماع ، وروي عن ابن عمر وعطاء ومجاهد والحسن وابن سيرين وقتادة وميمون بن مهران ومقاتل بن حيان مثل ذلك ، وهو رواية عن عكرمة والضحاك ، وقال

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا مسلم وسعيد بن سالم عن ابن جريج قال أخبرني أبو الزبير انه سمع عبد الرحمن بن أيمن مولى عروة يسأل عبد الله بن عمرو أبو الزبير يسمع فقال كيف ترى في رجل طلق امرأته حائضا؟ فقال ابن عمرو طلق عبد الله بن عمر امرأته حائضا فقال النبي ﷺ « مره فليراجعها فاذا طهرت فليطلق أو ليمسك » قال ابن عمرو قال الله عز وجل [يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن - أو - لقبل عدتهن) الشافعي يشك ورواه حجاج بن محمد عن ابن جريج وقال قال ابن عمر وقرأ النبي (ص) [يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن]

﴿ فصل ﴾ اعلم أن الطلاق في حال الحيض والنفاس بدعة وكذلك في الطهر الذي جامعها فيه لقول النبي (ص) « وان شاء طلق قبل أن يمس » والطلاق السني ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه وهذا في حق امرأة تلزمها العدة بالاقراء فاما اذا طلق غير المدخول بها في حال الحيض أو طلق الصغيرة التي لم تحض قط او الآيسة بعد ما جامعها او طلق الحامل بعد ما جامعها او في حال رؤية الدم لا يكون بدعيا ولا سنة ولا بدعة في طلاق هؤلاء . لان النبي (ص) قال « ثم ليطلقها طاهراً او حاملا » والخلع في حال الحيض او في طهر جامعها فيه لا يكون بدعيا لان النبي ﷺ اذن لثابت بن قيس في مخالعة زوجته من غير ان يعرف حالها ولولا جوازه في جميع الاحوال لا شبه ان يتعرف الحال ولو طلق

علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (فطلقوهن لعدتهن) قال لا يطلقها وهي حائض ولا في طهر قد جامعها فيه ولكن يتركها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة

وقال عكرمة (فطلقوهن لعدتهن) العدة الطهر والقرء الحيضة أن يطلقها حبلى مستبينا حملها ولا يطلقها وقد طاف عليها ولا يدري حبلى هي أم لا . ومن ههنا أخذ الفقهاء أحكام الطلاق وقسموه الى طلاق سنة وطلاق بدعة فطلاق السنة أن يطلقها طاهرة من غير جماع أو حاملا قد استبان حملها ، والبدعي هو أن يطلقها في حال الحيض أو في طهر قد جامعها فيه ولا يدري أحملت أم لا ، وطلاق ثالث لا سنة فيه ولا بدعة وهو طلاق الصغيرة والآيسة وغير المدخول بها ، وتحرير الكلام في ذلك وما يتعلق به مستقصى في كتب الفروع والله سبحانه وتعالى أعلم

وقوله تعالى (وأحصوا العدة) أي احفظوها واعرفوا ابتداءها وانتهاءها لئلا تطول العدة على المرأة فتمتنع من الازواج (واتقوا الله ربكم) أي في ذلك

وقوله تعالى (لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن) أي في مدة العدة لها حق السكنى على الزوج

امرأته في حال الحيض او في طهر جامعها فيه قصداً يعصي الله تعالى ولكن يقع الطلاق لان النبي ﷺ امر ابن عمر بالمراجعة ولولا وقوع الطلاق لكان لا يأمره بالمراجعة ، واذا راجعها في حال الحيض يجوز ان يطلقها في الطهر الذي يعقب تلك الحيضة قبل المسيس كما رواه يونس بن جبير وأنس ابن سيرين عن ابن عمر وما رواه نافع عن ابن عمر ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فاستحب تأخير الطلاق الى الطهر الثاني حتى لا يكون مراجعته اياها للطلاق كما يكره النكاح للطلاق ، ولا بدعة في الجمع بين الطلقات الثلاث عند بعض اهل العلم حتى لو طلق امرأته في حال الطهر ثلاثا لا يكون بدعياً وهو قول الشافعي واحمد وذهب بعضهم الى انه بدعة وهو قول مالك واصحاب الرأي

قوله عز وجل ﴿ وأحصوا العدة ﴾ اي عدد اقرائها فاحفظوها قيل امر باحصاء العدة لتفريق الطلاق على الاقراء اذا اراد ان يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة امر النفقة والسكنى ﴿ واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ﴾ أراد به إذا كان المسكن الذي طلقها فيه للزوج لا يجوز له أن يخرجها منه ﴿ ولا يخرجن ﴾ ولا يجوز لها أن تخرج مالم تنقض العدة فان خرجت لغير ضرورة أو حاجة أثمت فان وقعت ضرورة بان خافت هدما او غرقا فلها أن تخرج إلى منزل آخر ، وكذلك ان كانت لها حاجة من بيع غزل او شراء قطن فيجوز لها الخروج نهاراً ولا يجوز ليلا فان رجالا استشهدوا بأحد فقالت نساؤهم نستوحش في بيوتنا فأذن لهن النبي ﷺ أن يتحدثن عند أحداهن فاذا كان وقت النوم تأوي كل امرأة إلى بيتها وأذن النبي ﷺ لخالة جابر حين طلقها زوجها أن تخرج لجزاز نخلها ، وإذا لزمتها العدة في السفر تعتد في أهلها ذاهبة وجائية والبدوية تتبوأ حيث يتبوأ أهلها في العدة لان الانتقال في حقهم كالاقامة في حق المقيم

مادامت معتدة منه فليس للرجل أن يخرجها ولا يجوز لها أيضا الخروج لانها معتقلة لحق الزوج أيضا

وقوله تعالى (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) أي لا يخرجن من بيوتهن الا أن ترتكب المرأة فاحشة مبينة فتخرج من المنزل ، والفاحشة المبينة تشمل الزنا كما قاله ابن مسعود وابن عباس وسعيد ابن المسيب والشعبي والحسن وابن سيرين ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو قلابة وأبو صالح والضحاك وزيد بن أسلم وعطاء الخراساني والسدي وسعيد بن أبي هلال وغيرهم ، وتشمل ما اذا نشزت المرأة أو بذت على أهل الرجل وآذتهم في الكلام والفعال كما قاله أبي بن كعب وابن عباس وعكرمة وغيرهم

وقوله تعالى (وتلك حدود الله) أي شرائعه ومحارمه [ومن يتعد حدود الله] أي يخرج عنها ويتجاوزها الى غيرها ولا يأتمر بها [فقد ظلم نفسه] أي بفعل ذلك

وقوله تعالى [لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا] اي انما أبقينا المطلقة في منزل الزوج في مدة العدة لعل الزوج يندم على طلاقها ويخلق الله تعالى في قلبه رجعتها فيكون ذلك أيسر وأسهل

قال الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن فاطمة بنت قيس في قوله تعالى [لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) قالت هي الرجعة ، وكذا قال الشعبي وعطاء وقتادة والضحاك ومقاتل بن حيان والثوري ، ومن ههنا ذهب من ذهب من السلف ومن تابعهم كالامام أحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى الى انه لا تجب السكنى للمبتوتة اي المقطوعة وكذا المتوفى عنها زوجها ، واعتمدوا أيضا على حديث فاطمة بنت قيس الفهرية حين طلقها زوجها أبو عمرو بن حفص آخر ثلاث تطليقات وكان غائبا عنها باليمن فأرسل اليها بذلك فأرسل اليها وكيله بشعير يعني نفقة فتسخطته فقال والله ليس لك علينا نفقة ، فأتت رسول الله ﷺ فقال « ليس لك عليه نفقة » ولمسلم « ولا سكنى » وأمرها ان تعتد في بيت أم شريك ثم قال « تلك امرأة يغشاها اصحابي ، اعتدي عند ابن أم مكتوم فانه رجل أعمى تضعين ثيابك » الحديث

وقد رواه الامام أحمد من طريق أخرى بلفظ آخر فقال حدثنا يحيى بن سعيد ثنا مجالد ثنا عامر قال: قدمت المدينة فأتيت فاطمة بنت قيس فحدثتني ان زوجها طلقها على عهد رسول الله ﷺ فبعثه رسول الله ﷺ في سرية قالت فقال لي أخوه اخرجي من الدار فقلت ان لي نفقة وسكنى حتى يحل الاجل

قوله عز وجل ﴿ إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ﴾ قال ابن عباس الفاحشة المبينة ان تبذأ على اهل زوجها فيحل اخراجها ، وقال جماعة أراد بالفاحشة أن تزني فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد إلى منزلها يروى ذلك عن ابن مسعود ، وقال قتادة معناه الا أن يطلقها عن نشوزها فلها أن تتحول من بيت زوجها والفاحشة النشوز

وقال ابن عمر والسدي خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة ﴿ وتلك حدود الله ﴾ يعني ما ذكر من سنة الطلاق وما بعدها ﴿ ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ﴾

قال لا، قالت فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : ان فلانا طلقني وان أخاه أخرجني ومنعني السكنى والنفقة فقال له « مالك ولابنة آل قيس ؟ » قال يارسول الله ان اخي طلقها ثلاثا جميعا قالت فقال رسول الله ﷺ « انظري يابنت آل قيس انما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها ماكانت له عليها رجعة فاذا لم يكن له عليها رجعة فلا نفقة ولا سكنى اخرجي فانزلي على فلانة ثم قال انه يتحدث اليها انزلي على ابن أم مكتوم فانه أعمى لايراك » وذكر تمام الحديث

وقال ابو القاسم الطبراني ثنا أحمد بن عبد الله البزار التستري ثنا اسحاق بن ابراهيم الصواف ثنا بكر بن بكار ثنا سعيد بن يزيد البجلي ثنا عامر الشعبي انه دخل على فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس القرشي وزوجها ابو عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي فقالت ان أبا عمرو بن حفص أرسل إلي وهو منطلق في جيش الى اليمن بطلاقي فسألت أولياءه النفقة علي والسكنى فقالوا ماأرسل الينا في ذلك شيئا ولا أوصانا به فانطلقت الى رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله ان أبا عمرو ابن حفص أرسل إلي بطلاقي فسألت أولياءه السكنى والنفقة علي فقال أولياؤه لم يرسل الينا في ذلك بشيء فقال رسول الله ﷺ « انما السكنى والنفقة للمرأة اذا كان لزوجها عليها رجعة فاذا كانت لاتحل له حتى تنكح زوجا غيره فلا نفقة لها ولا سكنى »

وكذا رواه النسائي عن احمد بن يحيى الصيرفي عن ابي نعيم الفضل بن دكين عن سعيد بن يزيد وهو الاحمسي البجلي الكوفي قال ابو حاتم الرازي هو شيخ يروى عنه

فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهدة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا (٢) ويرزقه من حيث لايحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، إن الله بلغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً (٣)

يقول تعالى فاذا بلغت المعتدات أجلهن اي شارفن على انقضاء العدة وقارب ذلك ولكن لم تفرغ العدة بالكلية فحينئذ اما أن يعزم الزوج على امساكها وهو رجعتها إلى عصمة نكاحه والاستمرار بها على ماكانت عليه عنده (بمعروف) أي محسنا اليها في صحبتها ، واما أن يعزم على مفارقتها بمعروف أي من غير مقابحة ولا مشاتمة ولا تعنيف بل يطلقها على وجه جميل وسبيل حسن

ويوقع في قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين ، وهذا يدل على أن المستحب أن يفرق الطلقات ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة حتى اذا ندم أمكنته المراجعة ﴿ فاذا بلغن أجلهن ﴾ أي قربن من انقضاء عدتهن ﴿ فامسكوهن ﴾ أي راجعوهن ﴿ بمعروف أو فارقوهن بمعروف ﴾ أي اتركوهن حتى تنقضي

وقوله تعالى (وأشهدوا ذوي عدل منكم) اي على الرجعة اذا عزمتم عليها كما رواه ابو داود وابن ماجه عن عمران بن حصين انه سئل عن الرجل يطلق المرأة ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال طلقت لغير سنة وراجعت لغير سنة أشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد ، وقال ابن جريج كان عطاء يقول (وأشهدوا ذوي عدل منكم) قال لايجوز في نكاح ولا طلاق ولا رجاع الا شاهدا عدل كما قال الله عز وجل إلا أن يكون من عذر

وقوله تعالى (ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) اي هذا الذي أمرناكم به من الاشهاد وإقامة الشهادة انما يأتمر به من يؤمن بالله واليوم الآخر وانه شرع هذا ومن يخاف عقاب الله في الدار الآخرة ، ومن ههنا ذهب الشافعي في أحد قوليه الى وجوب الاشهاد في الرجعة كما يجب عنده في ابتداء النكاح وقد قال بهذا طائفة من العلماء ومن قال بهذا يقول ان الرجعة لاتصح إلا بالقول ليقع الاشهاد عليها .

وقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب) اي ومن يتق الله فيما أمره به وترك مانهاه عنه يجعل له من أمره مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب اى من جهة لاتخطر بباله

قال الامام احمد ثنا يزيد انا كهمس بن الحسن ثنا ابو السليل عن ابي ذر قال : جعل رسول الله ﷺ يتلو علي هذه الآية (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب) حتى فرغ من الآية ثم قال « ياأبا ذر لو ان الناس كلهم أخذوا بها كفتهم » قال فجعل يتلوها ويرددها علي حتى نعست ثم قال « ياأبا ذر كيف تصنع اذا أخرجت من المدينة ؟ » قلت الى السعة والدعة انطلق فأكون حمامة من حمام مكة ، قال « كيف تصنع اذا أخرجت من مكة ؟ » قال قلت الى السعة والدعه الى الشام والارض المقدسة ، قال « وكيف تصنع اذا أخرجت من الشام ؟ » قلت اذا والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي ، قال « اوخير من ذلك » قلت او خير من ذلك ؟ قال « تسمع وتطيع وإن كان عبداً حبشياً »

عدتهن فبين منكم ﴿ وأشهدوا ذوي عدل منكم ﴾ على الرجعة أو الفراق أمر بالاشهاد على الرجعة وعلى الطلاق ﴿ وأقيموا الشهادة لله ﴾ أيها الشهود ﴿ ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ﴾ قال عكرمة والشعبي والضحاك ومن يتق الله فيطلق للسنة يجعل له مخرجا إلى الرجعة وأكثر المفسرين قالوا نزلت في عوف بن مالك الاشجعي أسر المشركون ابنا له يسمى مالكا فأتى النبي ﷺ فقال يارسول الله أسر العدو ابنى وشكا اليه أيضا الفاقة فقال له النبي ﷺ « اتق الله واصبر واكثر من قول لاحول ولا قوة إلا بالله » ففعل الرجل ذلك فبينما هو في بيته إذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فأصاب ابلا وجاء بها إلى ابيه

وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال : فغفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها إلى

وقال ابن ابي حاتم ثنا احمد بن منصور الرمادي ثنا علي بن عبيد ثنا زكريا عن عامر عن شتير ابن شكل قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول ان اجمع آية في القرآن (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) وان أكبر آية في القرآن فرجا (ومن يتق الله يجعل له مخرجا)

وفي المسند حدثني مهدي بن جعفر ثنا الوليد بن مسلم عن الحكم بن مصعب عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب »

وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) يقول ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة (ويرزقه من حيث لا يحتسب) وقال الربيع بن خثيم (يجعل له مخرجا) أي من كل شيء ضاق على الناس ، وقال عكرمة من طلق كما أمره الله يجعل له مخرجا ، وكذا روي عن ابن عباس والضحاك ، وقال ابن مسعود ومسروق (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) يعلم أن الله ان شاء أعطى وإن شاء منع (من حيث لا يحتسب) أي من حيث لا يدري

وقال قتادة (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) أي من شبهات الامور والكرب عند الموت (ويرزقه من حيث لا يحتسب) من حيث لا يرجو ولا يأمل ، وقال السدي (ومن يتق الله) يطلق للسنة ويراجع للسنة ، وزعم أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له عوف بن مالك الاشجعي كان له ابن وأن المشركين أسروه فكان فيهم وكان ابوه يأتي رسول الله [ص] فيشكو اليه مكان ابنه وحاله التي هو بها وحاجته فكان رسول الله [ص] يأمره بالصبر ويقول له « ان الله سيجعل لك فرجا » فلم يلبث بعد ذلك الا يسيراً ان انفلت ابنه من أيدي العدو فمر بغنم من أغنام العدو فاستاقها فجاء بها الى أبيه وجاء معه بغنم قد أصابه من الغنم فنزلت فيه هذه الآية (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) رواه ابن جرير ، وروي أيضا من طريق سالم بن ابي الجعد مرسلا نحوه

وقال الامام احمد ثنا وكيع ثنا سفيان عن عبد الله بن عيسى عن عبد الله بن أبي الجعد عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ « إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر » ورواه النسائي وابن ماجه من حديث سفيان وهو الثوري به /

ابيه وهي أربعة آلاف شاة فنزلت (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) في ابنه ﴿ ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ ما ساق من الغنم

وقال مقاتل أصاب غنما ومتاعا ثم رجع إلى أبيه فانطلق أبوه إلى النبي ﷺ وأخبره الخبر وسأله أيحل له أن يأكل ما أتى به ابنه فقال له النبي ﷺ نعم فأنزل الله هذه الآية قال ابن عباس وابن مسعود (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) هو ان يعلم أنه من قبل الله وان الله رازقه ، وقال الربيع ابن خثيم يجعل له مخرجا من كل شيء ضاق على الناس ، وقال ابو العالية يجعل له مخرجا من كل شدة

وقال محمد بن اسحاق جاء مالك الاشجعي إلى رسول الله [ص] فقال له أسر ابني عوف فقال له رسول الله ﷺ « أرسل اليه ان رسول الله يأمرك أن تكثر من قول لاحول ولا قوة الا بالله » وكانوا قد شدوه بالقد فسقط القد عنه فخرج فاذا هو بناقة لهم فركبها وأقبل فاذا بسرح القوم الذين كانوا قد شدوه فصاح بهم فاتبع أولها آخرها فلم يفجأ أبويه الا وهو ينادي بالباب فقال أبوه عوف ورب الكعبة فقالت أمه واسوأتاه وعوف كيف يقدم لما هو فيه من القد فاستبقا الباب والخادم فاذا عوف قد ملأ الفناء إبلا فقص على أبيه أمره وأمر الابل فقال أبوه قفا حتى آتي رسول الله ﷺ فأسأله عنها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بخبر عوف وخبر الابل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « اصنع بها ما أحببت وما كنت صانعا بمالك » ونزل (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب) رواه ابن ابى حاتم

وقال ابن ابي حاتم ثنا علي بن الحسين ثنا محمد بن علي بن الحسن بن سفيان ثنا ابراهيم بن الاشعث ثنا الفضيل بن عياض عن هشام بن الحسن عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله [ص] « من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لايحتسب ، ومن انقطع إلى الدنيا وكله اليها »

وقوله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) قال الامام احمد حدثنا يونس ثنا ليث ثنا قيس ابن الحجاج عن حنش الصنعاني عن عبد الله بن عباس انه حدثه انه ركب خلف رسول الله [ص] يوما فقال له رسول الله [ص] « ياغلام إني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، واذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الامة لو اجتمعوا على ان ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف » وقد رواه الترمذي من حديث الليث بن سعد وابن لهيعة به وقال حسن صحيح

وقال الامام احمد ثنا وكيع ثنا بشير بن سلمان عن سيار ابى الحكم عن طارق بن شهاب عن عبد الله هو ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نزل به حاجة فأنزلها بالناس كان قمنا أن لاتسهل حاجته ، ومن أنزلها بالله تعالى أتاه الله برزق عاجل أو بموت آجل » ثم رواه عن عبد الرزاق عن سفيان عن بشير عن سيار ابى ضمرة ثم قال وهو الصواب وسيار ابو الحكم لم يحدث عن طارق ، وقوله تعالى (إن الله بالغ أمره) أي منفذ قضاياه وأحكامه في خلقه بما يريده ويشاؤه

وقال الحسن مخرجا عما نهاه الله عنه ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ يثق بالله فيما نابه كفاه ما أهمه

وروينا ان النبي [ص] قال « لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا » ﴿ ان الله بالغ أمره ﴾ قرأ طلحة بن مصرف وحفص عن عاصم (بالغ أمره) بالاضافة ، وقرأ الآخرون بالغ بالتنوين امره نصب اي منفذ أمره ممض في خلقه قضاءه ﴿ قد جعل

(قد جعل الله لكل شيء قدراً) كقوله تعالى (وكل شيء عنده بمقدار)

واللّٰئي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة أشهر واللّٰئي لم يحضن ،

وأولٰتُ الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن ، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً (٤) ذلك

امرُ الله أنزله اليكم ومن يتق الله يكفرْ عنه سيئاته ويعظم له أجراً (٥)

يقول تعالى مبينا لعدة الآيسة وهي التي قد انقطع عنها المحيض لكبرها انها ثلاثة اشهر عوضا عن الثلاثة قروء في حق من تحيض كما دلت على ذلك آية البقرة وكذا الصغار اللائي لم يبلغن سن الحيض ان عدتهن كعدة الآيسة ثلاثة أشهر ولهذا قال تعالى (واللائي لم يحضن)

وقوله تعالى [ان ارتبتم] فيه قولان (أحدهما) وهو قول طائفة من السلف كمجاهد والزهري وابن زيد أي إن رأين دما وشككتم في كونه حيضا او استحاضة وارتبتم فيه (والقول الثاني) ان ارتبتم في حكم عدتهن ولم تعرفوه فهو ثلاثة اشهر ، وهذا مروي عن سعيد بن جبير وهو اختيار ابن جرير وهو اظهر في المعنى ، واحتج عليه بما رواه عن ابي كريب وابي السائب قالا ثنا ابن ادريس انا مطرف عن عمرو بن سالم قال قال ابي بن كعب يارسول الله ان عددا من عدد النساء لم تذكر في الكتاب الصغار والكبار وأولات الاحمال قال فأنزل الله عز وجل [واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر ، واللائي لم يحضن ، وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن]

الله لكل شيء قدراً ﴾ اي جعل الله لكل شيء من الشدة والرخاء أجلا ينتهي اليه ، قال مسروق في هذه الآية (ان الله بالغ أمره) توكل عليه أو لم يتوكل غير أن المتوكل عليه يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً

قوله عز وجل ﴿ واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ﴾ فلا يرجون أن يحضن ﴿ ان ارتبتم ﴾ أي شككتم فلم تدروا ماعدتهن ﴿ فعدتهن ثلاثة أشهر ﴾ قال مقاتل لما نزلت (والمطلقات يتربصن بأنفسهن) ثلاثة قروء ، قال خلاد بن النعمان بن قيس الانصارى يارسول الله فما عدة من لاتحيض والتي لم تحض وعدة الحبلى؟ فأنزل الله (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم) يعني القواعد اللائي قعدن عن الحيض (إن ارتبتم) شككتم في حكمهن فعدتهن ثلاثة أشهر ﴿ واللائي لم يحضن ﴾ يعني الصغائر اللائي لم يحضن فعدتهن أيضا ثلاثة أشهر ، أما الشابة التي كانت تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغها سن الآيسات فذهب أكثر أهل العلم إلى أن عدتها لاتنقضي حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة اقراء او تبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة أشهر وهو قول عثمان وعلي وزيد بن ثابت وعبد الله بن

ورواه ابن ابي حاتم بأبسط من هذا السياق فقال : ثنا أبي ثنا يحيى بن المغيرة انا جرير عن مطرف عن عمر بن سالم عن ابي بن كعب قال : قلت لرسول الله ﷺ ان ناسا من اهل المدينة لما انزلت هذه الآية التي في البقرة في عدة النساء قالوا لقد بقي من عدة النساء لم يذكرن في القرآن الصغار والكبار اللائي قد انقطع منهن الحيض وذوات الحمل قال فأنزلت التي في النساء القصرى (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن)

وقوله تعالى (وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن) يقول تعالى ومن كانت حاملا فعدتها بوضعه ولو كان بعد الطلاق أو الموت بفواق ناقة في قول جمهور العلماء من السلف والخلف كما هو نص هذه الآية الكريمة وكما وردت به السنة النبوية

وقد روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما انهما ذهبا في المتوفى عنها زوجها انها تعتد بأبعد الأجلين من الوضع او الاشهر عملا بهذه الآية والتي في سورة البقرة

وقال البخاري ثنا سعيد بن حفص ثنا شيبان عن يحيى قال أخبرني أبو سلمة قال : جاء رجل الى ابن عباس وأبو هريرة جالس فقال افتني في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة فقال ابن عباس آخر الاجلين قلت أنا (وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن) قال أبو هريرة أنا مع ابن أخي - يعني أبا سلمة - فأرسل ابن عباس غلامه كريبا إلى أم سلمة يسألها فقالت : قتل زوج سبيعة الاسلمية وهي حبلى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة فخطبت فأنكحها رسول الله ﷺ وكان ابو السنابل فيمن خطبها هكذا اورد البخاري هذا الحديث ههنا مختصرا وقد رواه هو ومسلم وأصحاب الكتب مطولا من وجوه أخر

وقال الامام احمد : ثنا حماد بن اسامة انا هشام عن أبيه عن المسور بن مخرمة ان سبيعة الاسلمية توفي عنها زوجها وهي حامل فلم تمكث إلا ليالي حتى وضعت فلما تعلت من نفاسها خطبت فاستأذنت رسول الله ﷺ في النكاح فأذن لها ان تنكح فنكحت

ورواه البخاري في صحيحه ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طرق عنها كما قال مسلم بن الحجاج حدثني ابو الطاهر انا ابن وهب حدثني يونس بن يزيد عن ابن شهاب حدثني عبيد الله بن

مسعود ، وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعي وأصحاب الرأي وحكي عن عمر انها تتربص تسعة أشهر فان لم تحض تعتد بثلاثة أشهر وهو قول مالك

وقال الحسن تتربص سنة فان لم تحض تعتد بثلاثة أشهر وهذا كله في عدة الطلاق ، أما المتوفى عنها زوجها فعدتها أربعة أشهر وعشر سواء كانت ممن تحيض او لا تحيض ، وأما الحامل فعدتها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها أو مات عنها لقوله تعالى ﴿ وأولات الاحمال أجلهن ان يضعن حملهن ﴾

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب انا عبد العزيز بن أحمد الخلال انا ابو العباس الاصم انا الربيع انا الشافعي انا سفيان انا الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن أبيه ان سبيعة بنت الحارث

عبدالله بن عتبة ان اباه كتب الى عمر بن عبدالله بن الارقم الزهري يأمره ان يدخل على سبيعة بنت الحارث الاسلمية فيسألها عن حديثها وعما قال لها رسول الله ﷺ حين استفتته ؟ فكتب عمر بن عبدالله يخبره أن سبيعة أخبرته انها كانت تحت سعد بن خولة وكان ممن شهد بدراً فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك فقال لها مالي أراك متجملة؟ لعلك ترجين النكاح انك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر ، قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت فأتيت رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزويج ان بدا لي ، هذا لفظ مسلم ورواه البخاري مختصراً

ثم قال البخاري بعد روايته الحديث الاول عند هذه الآية ، وقال أبو سليمان بن حرب وأبو النعمان ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد هو ابن سيرين قال كنت في حلقة فيها عبد الرحمن بن أبي ليلى وكان أصحابه يعظمونه فذكر آخر الاجلين فحدثت بحديث سبيعة بنت الحارث عن عبدالله بن عتبة قال فضمز لي بعض أصحابه قال محمد ففطنت له فقلت اني لجريء ان أكذب على عبدالله وهو في ناحية الكوفة قال فاستحيا وقال لكن عمه لم يقل ذلك فلقيت أبا عطية مالك بن عامر فسألته فذهب يحدثني بحديث سبيعة فقلت هل سمعت عن عبدالله فيها شيئا؟ فقال كنا عند عبدالله فقال أتجعلون عليها التغليظ ولا تجعلون عليها الرخصة؟ فنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى (وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن) ورواه ابن جرير من طريق سفيان بن عيينة وإسماعيل بن علية عن أيوب به مختصراً ، ورواه النسائي في التفسير عن محمد بن عبد الاعلى عن خالد بن الحارث عن ابن عون عن محمد بن سيرين فذكره

وقال ابن جرير حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري ثنا سعيد بن أبي مريم ثنا محمد بن جعفر حدثني ابن شبرمة الكوفي عن ابراهيم عن علقمة بن قيس أن عبدالله بن مسعود قال: من شاء لاعنته ما نزلت (وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن) الا بعد آية المتوفى عنها زوجها قال واذا وضعت المتوفى عنها زوجها فقد حلت يريد بآية المتوفى عنها (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً) وقد رواه النسائي من حديث سعيد بن أبي مريم به

ثم قال ابن جرير ثنا أحمد بن منيع ثنا محمد بن عبيد ثنا إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال : ذكر عن ابن مسعود آخر الاجلين فقال من شاء قاسمته بالله ان هذه الآية التي في النساء القصرى نزلت بعد الاربعة الاشهر والعشر ثم قال أجل الحامل أن تضع ما في بطنها

وضعت بعد وفاة زوجها بليال فمر بها أبو السنابل بن بعكك فقال قد تصنعت للازواج انها أربعة أشهر وعشر فذكرت ذلك سبيعة لرسول الله ﷺ فقال « كذب ابو السنابل - او - ليس كما قال ابو

وقال ابن أبي حاتم ثنا أحمد بن سنان الواسطي ثنا عبدالرحمن بن مهدي عن سفيان عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال بلغ ابن مسعود أن عليا رضي الله عنه يقول آخر الاجلين فقال من شاء لاعنته ان التي في النساء القصرى نزلت بعد البقرة (وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن) ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث أبي معاوية عن الاعمش

وقال عبدالله بن الامام أحمد حدثني محمد بن أبي بكر المقدمي أنا عبدالوهاب الثقفي حدثني المثنى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبدالله بن عمرو عن أبي بن كعب قال قلت للنبي ﷺ (وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن) المطلقة ثلاثا أو المتوفى عنها زوجها ؟ فقال « هي المطلقة ثلاثا والمتوفى عنها » هذا حديث غريب جداً بل منكر لان في إسناده المثنى بن الصباح وهو متروك الحديث بمرة ولكن رواه ابن أبي حاتم بسند آخر فقال حدثنا محمد بن داود السمناني ثنا عمرو بن خالد يعني الحراني ثنا ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن سعيد بن المسيب عن أبي بن كعب انه لما نزلت هذه الآية قال لرسول الله ﷺ لا أدري أمشتركة أم مبهمة ؟ قال رسول الله ﷺ « أية آية ؟ » قال (أجلهن أن يضعن حملهن) المتوفى عنها والمطلقة ؟ قال « نعم » وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن موسى ابن داود عن ابن لهيعة به

ثم رواه عن أبي كريب أيضا عن مالك بن اسماعيل عن ابن عيينة عن عبدالكريم بن أبي المخارق أنه حدث عن أبي بن كعب قال : سألت رسول الله ﷺ عن (وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن) قال « أجل كل حامل أن تضع ما في بطنها » عبدالكريم هذا ضعيف ولم يدرك أبيا

وقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً) أي يسهل له أمره وييسره عليه ويجعل له فرجا قريبا ومخرجا عاجلا ثم قال تعالى (ذلك أمر الله أنزله اليكم) أي حكمه وشرعه أنزله اليكم بواسطة رسول الله ﷺ (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً) أي يذهب عنه المحذور ويجزل له الثواب على العمل اليسير

أَسكِنُوهُنَّ مِن حَيثُ سَكَنتُم مِن وُجدِكُم وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيهِنَّ، وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَملٍ فَأَنفِقُوا عَلَيهِنَّ حَتَّى يَضَعنَ حَملَهُنَّ، فَإِن أَرضَعنَ لَكُم فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأتَمِرُوا بَينَكُم بِمَعرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرتُم فَستُرضِعُ لَهُ أُخرَى (٦) لِيُنفِق ذُو سَعَةٍ مِن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ

السنابل قد حللت فتزوجي» ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً ﴾ يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة ﴿ ذلك ﴾ يعني ماذكر من الاحكام ﴿ أمر الله أنزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً * أسكنوهن ﴾ يعني مطلقات نسائكم ﴿ من حيث سكنتم ﴾ من صلة اي أسكنوهن حيث سكنتم

عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا (٧)

يقول تعالى آمراً عباده إذا طلق أحدهم المرأة أن يسكنها في منزل حتى تنقضي عدتها فقال (أسكنوهن من حيث سكنتم) أي عندكم من (وجدكم) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني سعتكم حتى قال قتادة إن لم تجد الا جنب بيتك فاسكنها فيه

وقوله تعالى (ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن) قال مقاتل بن حيان يعني يضاجرها لتفتدي منه بما لها أو تخرج من مسكنه ، وقال الثوري عن منصور عن ابى الضحى (ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن) قال يطلقها فاذا بقي يومان راجعها

قوله تعالى (وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) قال كثير من العلماء منهم

﴿من وجدكم﴾ سعتكم وطاقتكم يعني إن كان موسراً يوسع عليها في المسكن والنفقة وإن كان فقيراً فعلى قدر الطاقة ﴿ولا تضاروهن﴾ لا تؤذوهن ﴿لتضيقوا عليهن﴾ في مساكنهن فيخرجن ﴿وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن﴾ فيخرجن من عدتهن

﴿فصل﴾ اعلم أن المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى ما دامت في العدة ونعني بالسكنى مؤنة السكنى ، فان كانت الدار التي طلقها فيها ملكا للزوج يجب على الزوج أن يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها ، وإن كانت باجارة فعلى الزوج الاجرة وإن كانت عارية ورجع المعير فعليه أن يكتري لها داراً تسكنها، فأما المعتدة البائنة بالخلع او بالطلقات الثلاث أو باللعان فلها السكنى حاملا كانت أو حائلا عند أكثر أهل العلم ، روي ذلك عن ابن عباس أنه قال: لا سكنى لها إلا أن تكون حاملا وهو قول الحسن وعطاء والشعبي. واختلفوا في نفقتها فذهب قوم إلى أنه لا نفقة لها إلا أن تكون حاملا ، روي ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن وعطاء والشعبي وبه قال الشافعي وأحمد ومنهم من أوجبها بكل حال ، روي ذلك عن ابن مسعود وهو قول ابراهيم النخعي ، وبه قال الثوري وأصحاب الرأي، وظاهر القرآن يدل على أنها لا تستحق إلا أن تكون حاملا لان الله تعالى قال (وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن) والدليل عليه من جهة السنة ما أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبدالله بن يزيد مولى الاسود بن سفيان عن أبي سلمة عن عبد الرحمن عن فاطمة بنت قيس أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب بالشام فأرسل اليها وكيله بشعير فسخطته فقال والله مالك علينا من شيء ، فجاءت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال لها ليس لك عليه نفقة ، وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك ثم قال «تلك امرأة يغشاها أصحابي فاعتدي عند ابن أم مكتوم فانه رجل أعمى تضعين ثيابك فاذا حللت فآذنيني» قالت فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني فقال رسول الله

ان عباس وطائفة من السلف وجماعات من الخلف هذه في البائن إن كانت حاملا أنفق عليها حتى تضع حملها قالوا بدليل أن الرجعية تجب نفقتها سواء كانت حاملا أو حائلا ، وقال آخرون بل السياق كله في الرجعيات وانما نص علي الانفاق على الحامل وإن كانت رجعية لان الحمل تطول مدته غالبا فاحتيج إلى النص على وجوب الانفاق إلى الوضع لئلا يتوهم أنه انما تجب النفقة بمقدار مدة العدة ، ثم اختلف العلماء هل النفقة لها بواسطة الحمل أم للحمل وحده؟ على قولين منصوصين عن الشافعي وغيره ويتفرع عليها مسائل كثيرة مذكورة في علم الفروع

صلى الله عليه وسلم « أما أبوجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه ، وأما معاوية فصعلوك لامال له انكحي أسامة بن زيد» قالت فكرهته ثم قال « انكحي أسامة بن زيد» فنكحته فجعل الله فيه خيراً واغتبطت به

واحتج من لم يجعل لها السكنى بحديث فاطمة بنت قيس أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرها أن تعتد في بيت عبد الله بن أم مكتوم ولا حجة فيه لما روي عن عائشة أنها قالت كانت فاطمة في مكان وحش فخيف على ناحيتها . وقال سعيد بن المسيب : انما نقلت فاطمة لطول لسانها على احمائها وكان للسانها ذرابة

أما المعتدة عن وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب أوخيار عتق فلاسكنى لها ولا نفقة وإن كانت حاملا . والمعتدة عن وفاة الزوج لا نفقة لها حاملا كانت أو حائلا عند أكثر أهل العلم ، وروي عن علي رضي الله عنه أن لهذه النفقة ان كانت حاملا من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبي والنخعي والثوري واختلفوا في سكناها وللشافعي رضي الله عنه فيه قولان [أحدهما] لا سكنى لها بل تعتد حيث تشاء وهو قول علي وابن عباس وعائشة وبه قال عطاء والحسن وهو قول أبي حنيفة رضي الله عنه

[والثاني] لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبدالله بن عمر وبه قال مالك وسفيان الثوري وأحمد واسحاق

واحتج من أوجب لها السكنى بما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد انا ابو اسحاق الهاشمي انا ابو مصعب عن مالك عن سعيد بن اسحاق بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب أن الفريعة بنت مالك بن سنان وهي اخت أبي سعيد الخدري اخبرتها انها جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله أن ترجع إلى اهلها في بني خدرة فان زوجها خرج في طلب أعبد له أبقوا حتى إذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارجع إلى أهلي فان زوجي لم يتركني في منزل يملكه ولا نفقة فقالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » فانصرفت حتى إذا كنت في الحجرة او في المسجد دعاني او أمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف قلت؟ » قالت فرددت عليه القصة التي ذكرت من شأن زوجي فقال « امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله » قالت فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشرا ، قالت فلما كان تعني خلافة عثمان أرسل إلي فسألني عن ذلك فأخبرته فاتبعه وقضى به ، فمن قال بهذا القول قال اذنه لفريعة اولا بالرجوع الى اهلها صار منسوخا بقوله آخرا « امكثي في بيتك

وقوله تعالى (فان أرضعن لكم) أي اذا وضعن حملهن وهن طوالق فقد بن بانقضاء عدتهن ولها حينئذ أن ترضع الولد ولها أن تمتنع منه ولكن بعد أن تغذيه بالّلبأ وهو باكورة اللبن الذي لاقوام للمولود غالبا إلا به ، فان أرضعت استحقت أجر مثلها ولها أن تعاقد أباه أو وليه على مايتفقان عليه من أجرة ولهذا قال تعالى (فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن)

وقوله تعالى (وائتمروا بينكم بمعروف) أي ولتكن أموركم فيما بينكم بالمعروف من غير اضرار ولا مضارة كما قال تعالى في سورة البقرة [لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده ، وقوله تعالى (وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى) أي وإن اختلف الرجل والمرأة فطلبت المرأة في أجرة الرضاع كثيراً ولم يجبها الرجل إلى ذلك أو بذله الرجل قليلا ولم توافقه عليه فليسترضع له غيرها فلو رضيت الام بما استؤجرت به الاجنبية فهي أحق بولدها

وقوله تعالى (لينفق ذوسعة من سعته) اي لينفق على المولود والده او وليه بحسب قدرته (ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها) كقوله تعالى (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) روى ابن جرير ثنا ابن حميد ثنا حكام عن أبي سنان قال سألت عمر بن الخطاب عن أبي عبيدة فقيل انه يلبس الغليظ من الثياب ويأكل أخشن الطعام فبعث اليه بألف دينار وقال للرسول انظر مايصنع بها اذا هو أخذها؟ فما لبث ان لبس اللين من الثياب ، وأكل أطيب الطعام فجاءه الرسول فأخبره فقال رحمه الله تعالى تأول هذه الآية (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله)

وقال الحافظ ابو القاسم الطبراني في معجمه الكبير ثنا هاشم بن يزيد الطبراني ثنا محمد بن اسماعيل ابن عياش أخبرني أبي اخبرني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد بن أبي مالك الاشعري واسمه الحارث قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة نفر كان لأحدهم عشرة دنانير فتصدق منها بدينار وكان لآخر عشر أواق فتصدق منها بأوقية، وكان لآخر مائة أوقية فتصدق منها بعشر أواق - فقال رسول الله ﷺ - هم في الاجر سواء، كل قد تصدق بعشر ماله » قال الله تعالى (لينفق ذو سعة من سعته) هذا

حتى يبلغ الكتاب أجله ، ومن لم يوجب السكنى قال : أمرها بالمكث في بيتها آخرا استحبابا لا وجوبا قوله عز وجل ﴿ فان ارضعن لكم ﴾ أي ارضعن اولادكم ﴿ فآتوهن اجورهن ﴾ على ارضاعهن ﴿ وائتمروا بينكم بمعروف ﴾ ليقبل بعضكم من بعض إذا امره بالمعروف ، وقال الشافعي شاوروا ، قال مقاتل : يتراضى الاب والام على اجر مسمى ، والخطاب للزوجين جميعا يأمرهم ان يأتوا بالمعروف وبما هو الاحسن ولا يقصدوا الضرار ﴿ وإن تعاسرتم ﴾ في الرضاع والاجرة فأبى الزوج أن يعطي المرأة اجرتها وأبت الام ان ترضعه فليس له اكراهها على إرضاعه ولكنه يستأجر للصبي مرضعا غير امه وذلك قوله ﴿ فسترضع له اخرى * لينفق ذو سعة من سعته ﴾ على قدر غناه ﴿ ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما

حديث غريب من هذا الوجه . وقوله تعالى (سيجعل الله بعد عسر يسراً) وعد منه تعالى ووعده حق لايخلفه وهذه كقوله تعالى (فان مع العسر يسراً ان مع العسر يسراً)

وقد روى الامام احمد حديثا يحسن أن نذكره ههنافقال حدثناهاشم بن القاسم ثنا عبد الحميد بن بهرام ثنا شهر بن حوشب قال : قال ابو هريرة بينما رجل وامرأة له في السلف الخالي لايقدران على شيء فجاء الرجل من سفره فدخل على امرأته جائعا قد أصابته مسغبة شديدة فقال لامرأته عندك شيء قالت نعم أبشر أتانا رزق الله فاستحثها فقال ويحك ابتغي إن كان عندك شيء قالت نعم هنيهة نرجو رحمة الله، حتى اذا طال عليه الطول قال ويحك قومي فابتغي إن كان عندك شيء فائتيني به فاني قد بلغت وجهدت، فقالت نعم الآن نفتح التنور فلا تعجل فلما أن سكت عنها ساعة وتحينت أن يقول لها قالت من عند نفسها لو قمت فنظرت إلى تنوري فقامت فنظرت إلى تنورها ملآن من جنوب الغنم ورحييها تطحنان فقامت إلى الرحى فنفضتها واستخرجت مافي تنورها من جنوب الغنم ، قال ابو هريرة فوالذي نفس أبي القاسم بيده هو قول محمد صلى الله عليه وسلم « لو أخذت مافي رحييها ولم تنفضها لطحنتا إلى يوم القيامة »

وقال في موضع آخر ثنا ابو عامر ثنا ابو بكر عن هشام عن محمد وهو ابن سيرين عن أبي هريرة قال دخل رجل على أهله فلما رأى مابهم من الحاجة خرج إلى البرية فلما رأت امرأته قامت إلى الرحى فوضعتها وإلى التنور فسجرته ، ثم قالت اللهم ارزقنا فنظرت فاذا الجفنة قد امتلأت قال وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئا قال فرجع الزوج فقال أصبتم بعدي شيئا قالت امرأته نعم من ربنا فأم إلى الرحى فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أما انه لو لم ترفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة »

وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديداً وعذبناها عذابا نكراً (٨) فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا (٩) أعد الله لهم عذابا شديداً فاتقوا الله ياأولي الألبٰب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً (١٠) رسولاً يتلو عليكم آيٰت الله مبينٰت ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصٰلحٰت من الظلمٰت إلى النور، ومن يؤمن بالله ويعمل صٰلحا يدخله جنٰت تجري من تحتها الأنهٰر خٰلدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقا (١١)

آتاه الله ﴾ من المال ﴿ لا يكلف الله نفسا ﴾ في النفقة ﴿ إلا ما آتاها ﴾ اعطاها من المال ﴿ سيجعل الله بعد عسر يسرا ﴾ بعد ضيق وشدة غنى وسعة

قوله عز وجل ﴿ وكأين من قرية عتت ﴾ عصت وطغت ﴿ عن أمر ربها ورسله ﴾ اي وأمر رسله

يقول تعالى متوعدا لمن خالف أمره وكذب رسله وسلك غير ما شرعه ومخبرا عما حل بالامم السالفة بسبب ذلك فقال تعالى (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله) أي تمردت وطغت واستكبرت عن اتباع أمر الله ومتابعة رسله (فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا) أي منكرا فظيعا [فذاقت وبال أمرها] أي غب مخالفتها وندموا حيث لا ينفعهم الندم [وكان عاقبة أمرها خسرا * أعد الله لهم عذابا شديدا] أي في الدار الآخرة مع ما عجل لهم من العذاب في الدنيا

ثم قال تعالى بعد ما قص من خبر هؤلاء [فاتقوا الله يا أولي الالباب] أي الافهام المستقيمة لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم يا أولي الالباب (الذين آمنوا) أي صدقوا بالله ورسله (قد أنزل الله اليكم ذكرا) يعني القرآن كقوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقوله تعالى (رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات) قال بعضهم رسولا منصوب على انه بدل اشتمال وملابسة لان الرسول هو الذي بلغ الذكر

وقال ابن جرير : الصواب ان الرسول ترجمة عن الذكر يعني تفسير له ولهذا قال تعالى (رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات) أي في حال كونها بينة واضحة جلية (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور) كقوله تعالى [كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور] وقال تعالى (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) [1] أي من ظلمات الكفر الى نور الايمان والعلم ، وقد سمى الله تعالى الوحي الذي أنزله نورا لما يحصل به من الهدى كما سماه روحا لما يحصل به من حياة القلوب فقال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي الى صراط مستقيم)

وقوله تعالى [ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا) وقد تقدم تفسير مثل هذا غير مرة بما أغنى عن إعادته ههنا ولله الحمد والمنة

١) هذه العبارة ليست في النسخة المكية

﴿ فحاسبناها حسابا شديداً ﴾ بالمناقشة والاستقصاء ، قال مقاتل حاسبناها بعملها في الدنيا فجازاها بالعذاب وهو قوله ﴿ وعذبناها عذابا نكراً ﴾ منكراً فظيعا وهو عذاب النار لفظهما ماض ومعناهما الاستقبال ، وقيل في الآية تقديم وتأخير مجازها فعذبناها في الدنيا بالجوع والقحط والسيف وسائر البلايا وحاسبناها في الآخرة حسابا شديداً ﴿ فذاقت وبال أمرها ﴾ جزاء أمرها ، وقيل ثقل عاقبة كفرها ﴿ وكان عاقبة أمرها خسراً ﴾ خسرانا في الدنيا والآخرة

قوله ﴿ أعد الله لهم عذابا شديداً فاتقوا الله يا أولي الالباب الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكراً ﴾ يعني القرآن ﴿ رسولا ﴾ بدل من الذكر ، وقيل أنزل اليكم قرآنا وأرسل رسولا ، وقيل مع الرسول وقيل الذكر هو الرسول ، وقيل ذكراً اي شرفا ثم بين ماهو ؟ فقال ﴿ يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات

الله الذى خلق سبع سموٰات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما (١٢)

يقول تعالى مخبرا عن قدرته التامة وسلطانه العظيم ليكون ذلك باعثا على تعظيم ماشرع من الدين القويم [الله الذي خلق سبع سموات) كقوله تعالى إخبارا عن نوح انه قال لقومه (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا؟) وقوله تعالى [تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن]

وقوله تعالى (ومن الارض مثلهن) أي سبعا أيضا كما ثبت في الصحيحين « من ظلم قيد شبر من الارض طوقه من سبع أرضين »[1] وفي صحيح البخاري « خسف به الى سبع أرضين » وقد ذكرت طرقه وألفاظه وعزوه في أول البداية والنهاية عند ذكر خلق الارض ولله الحمد والمنة

ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم فقد أبعد النجعة وأغرق في النزع وخالف القرآن والحديث بلا مستند ، وقد تقدم في سورة الحديد عند قوله تعالى [هو الاول والآخر والظاهر والباطن] ذكر الارضين السبع وبعد ما بينهن وكثافة كل واحدة منهن خمسمائة عام ، وهكذا قال ابن مسعود وغيره وكذا في الحديث الآخر « ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن والارضون السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي الا كحلقة ملقاة بأرض فلاة »

وقال ابن جرير ثنا عمرو بن علي ثنا وكيع ثنا الاعمش عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى (سبع سموات ومن الارض مثلهن) قال لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم ، وكفركم تكذيبكم بها ، وحدثنا ابن حميد ثنا يعقوب بن عبدالله بن سعد القمي الاشعري عن جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي عن سعيد بن جبير قال قال رجل لابن عباس (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) الآية فقال ابن عباس مايؤمنك ان أخبرتك بها فتكفر؟

وقال ابن جرير ثنا عمرو بن علي ومحمد بن المثنى قالا ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى عن ابن عباس في هذه الآية (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) قال عمرو قال في كل ارض مثل ابراهيم ونحو ما على الارض من الخلق

وقال ابن المثنى في حديثه : في كل سماء ابراهيم ، وروى البيهقي في كتاب الاسماء والصفات هذا الأثر عن ابن عباس بأبسط من هذا فقال أنا أبو عبدالله الحافظ ثنا أحمد بن يعقوب ثنا عبيد بن غنام النخعي أنا علي بن حكيم ثنا شريك عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس انه قال (الله الذي

[1] وهذه الزيادة ليست في النسخة المكية

تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقا ﴾ يعني الجنة التي لاينقطع نعيمها ﴿ الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن ﴾ في العدد ﴿ يتنزل الامر بينهن ﴾ بالوحي من السماء السابعة إلى الارض السفلى ، قال أهل المعاني هو مايدبر فيهن من عجيب تدبيره فينزل المطر ويخرج

خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) قال سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدم ونوح كنوح وابراهيم كابراهيم وعيسى كعيسى

ثم رواه البيهقي من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى عن ابن عباس في قول الله عز وجل (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) قال في كل أرض نحو ابراهيم عليه السلام، ثم قال البيهقي إسناد هذا عن ابن عباس صحيح وهو شاذ بمرة لا أعلم لابي الضحى عليه متابعا والله أعلم

قال الامام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي في كتابه التفكر والاعتبار حدثني اسحاق ابن حاتم المدائني ثنا يحيى بن سليمان عن عثمان بن أبي دهرس قال بلغني أن رسول الله ﷺ انتهى الى أصحابه وهم سكوت لا يتكلمون فقال «مالكم لا تتكلمون؟» فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل قال «فكذلك فافعلوا تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها - أو قال - بياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله تعالى لم يعصوا الله طرفة عين قط» قالوا فأين الشيطان عنهم؟ قال «مايدرون خلق الشيطان أم لم يخلق؟» قالوا أمن ولد آدم؟ قال «لا يدرون خلق آدم أم لم يخلق؟» وهذا حديث مرسل وهو منكر جداً وعثمان بن أبي دهرس ذكره ابن أبي حاتم في كتابه فقال روى عن رجل من آل الحكم بن أبي العاص وعنه سفيان ابن عيينة ويحيي بن سليم الطائني وابن المبارك سمعت أبي يقول ذلك

﴿آخر تفسير سورة الطلاق ولله الحمد والمنة﴾

النبات ويأتي بالليل والنهار والصيف والشتاء، ويخلق الحيوان على اختلاف هيآتها وينقلها من حال إلى حال، وقال قتادة في كل أرض من أرضه وسماء من سمائه خلق من خلقه، وأمر من أمره، وقضاء من قضائه ﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير * وأن الله قد أحاط بكل شيء علما﴾ فلا يخفى عليه شيء



تفسير سورة التحريم وهى مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ؟ تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم (١)

قد فرض الله لكم تحلة أيمنكم والله مولـكم وهو العليم الحكيم (٢) وإذ أسر النبي إلى

بعض أزواجه حديثا ، فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض ، فلما

نبأها به قالت من أنبأك هذا ؟ قال نبأني العليم الخبير (٣) إن تتوبا الى الله فقد صغت

قلوبكما، وان تظاهرا عليه فان الله هو مولـه وجبريل وصلح المؤمنين والملئكة بعد ذلك

ظهير (٤) عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمت مؤمنت قنتت

تئبت عبدت سئحت ثيبت وأبكارا (٥)

اختلف في سبب نزول صدر هذه السورة فقيل نزلت في شأن مارية وكان رسول الله ﷺ قد حرمها فنزل قوله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ؟ تبتغي مرضات أزواجك) الآية

﴿ سورة التحريم مدنية وهي اثنتا عشرة آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ؟ تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم ﴾ وسبب نزولها ما أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبيد الله بن اسماعيل ثنا ابو اسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل وكان اذا صلى العصر دخل على نسائه فيدنو منهن فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس فسألت عن ذلك فقيل لي اهدت لها امرأة من قومها عكة عسل فسقت رسول الله ﷺ منها شربة، فقلت أما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت اذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولي له يارسول الله أكلت مغافير؟ فانه سيقول لا فقولي له ماهذه الريح وكان رسول الله ﷺ يشتد عليه ان يوجد منه الريح فانه سيقول سقتني حفصة شربة عسل فقولي له يارسول الله جرست نحله العرفط وسأقول ذلك وقوليه أنت ياصفية ، فلما دخل على سودة قالت سودة والله الذي لا إله الا هو لقد

قال أبو عبد الرحمن النسائي أخبرنا ابراهيم بن يونس بن محمد ثنا أبي ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها فانزل الله عز وجل (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ؟) الى آخر الآية

وقال ابن جرير حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ثنا ابن أبي مريم ثنا أبو غسان حدثني زيد بن أسلم أن رسول الله ﷺ أصاب أم ابراهيم في بيت بعض نسائه فقالت أي رسول الله في بيتي وعلى فراشي ؟ فجعلها عليه حراما فقالت أي رسول الله كيف يحرم عليك الحلال ؟ فحلف لها بالله لا يصيبها فانزل الله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ؟) قال زيد بن أسلم فقوله أنت علي حرام لغو وهكذا روى عبد الرحمن بن زيد عن أبيه وقال ابن جرير أيضا ثنا يونس ثنا ابن وهب عن مالك عن زيد بن أسلم قال : قال لها « أنت علي حرام والله لا أطؤك » وقال سفيان الثوري وابن علية عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق قال آلى رسول الله ﷺ وحرم فعوتب في التحريم وأمر بالكفارة في اليمين رواه ابن جرير وكذا روي عن قتادة وغيره عن الشعبي نفسه وكذا قال غير واحد من السلف منهم الضحاك والحسن وقتادة ومقاتل بن حيان وروى العوفي عن ابن عباس القصة مطولة

كدت أن أناديه بالذي قلت لي وانه لعلى الباب فرقا منك ، فلما دنا رسول الله ﷺ قالت يارسول الله أكلت مغافير ؟ قال « لا » قالت فما بال هذه الريح ؟ قال « سقتني حفصة شربة عسل » قالت جرست نحله العرفط فلما دخل علي قلت له مثل ذلك ، ودخل على صفية فقالت مثل ذلك ، فلما دخل على حفصة قالت له يارسول الله ألا أسقيك منه ؟ قال « لاحاجة لي به » قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه ، قالت قلت لها اسكتي

وأخبرنا عبدالواحد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا الحسن بن محمد بن الصباح ثنا الحجاج عن ابي جريج قال زعم عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يقول سمعت عائشة رضي الله عنها تقول ان رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا فتواصيت أنا وحفصة ان أيتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل اني أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير ؟ فدخل على احداهما فقالت له ذلك فقال « لا بأس شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له » فنزلت (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ؟ تبتغي مرضاة أزواجك — إلى قوله — ان تتوبا إلى الله) لعائشة وحفصة (واذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا) لقوله بل شربت عسلا وبهذا الاسناد قال حدثنا محمد بن اسماعيل انا ابراهيم بن موسى أنا هشام بن يوسف عن ابن جريج عن عطاء باسناده قال قال « لا ولكن كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش فلن أعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحداً » يبتغي بذلك مرضات أزواجه

وقال المفسرون : كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول

وقال ابن جرير ثنا سعيد بن يحيي ثنا أبي ثنا محمد بن اسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله عن ابن عباس قال قلت لعمر بن الخطاب من المرأتان ؟ قال عائشة وحفصة وكان بدء الحديث في شأن أم ابراهيم القبطية أصابها النبي ﷺ في بيت حفصة في نوبتها فوجدت حفصة فقالت يانبي الله لقد جئت إلي شيئا ماجئت الى أحد من أزواجك في يومي وفي دوري وعلى فراشي قال « ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها » قالت بلى فحرمها وقال لها « لا تذكري ذلك لأحد » فذكرته لعائشة فاظهره الله عليه فانزل الله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ؟ تبتغي مرضات أزواجك) الآيات كلها فبلغنا أن رسول الله ﷺ كفر عن يمينه وأصاب جاريته

وقال الهيثم بن كليب في مسنده ثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي ثنا مسلم بن ابراهيم ثنا جرير بن حازم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر عن عمر قال : قال النبي ﷺ لحفصة « لا تخبري أحداً وإن أم ابراهيم علي حرام » فقالت أتحرم ما أحل الله لك ؟ قال « فوالله لا أقربها » قال فلم يقربها حتى أخبرت عائشة قال فانزل الله تعالى (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) وهذا اسناد صحيح ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ، وقد اختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المستخرج

وقال ابن جرير أيضا حدثني يعقوب بن ابراهيم ثنا ابن علية ثنا هشام الدستوائي قال كتب إلي يحيى يحدث عن يعلى بن حكيم عن سعيد بن جبير أن ابن عباس كان يقول في الحرام يمين تكفرها وقال ابن عباس (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) يعني أن رسول الله ﷺ حرم جاريته فقال الله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ؟ — الى قوله — قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) فكفر يمينه فصير الحرام يمينا

[ص] في زيارة أبيها فاذن لها فلما خرجت أرسل رسول الله [ص] إلى جاريته مارية القبطية فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله [ص] ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال « مايبكيك ؟ » فقالت انما أنا ابكي لانك أذنت لي من اجل هذا ادخلت امتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي وعلى فراشي اما رأيت لي حرمة وحقا؟ ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال رسول الله [ص] « اليست هي جاريتي احلها الله لي؟ اسكتي فهي حرام علي التمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امرأة منهن » فلما خرج رسول الله [ص] قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت الا ابشرك ان رسول الله [ص] قد حرم عليه امته مارية وقد اراحنا الله منها واخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر ازواج النبي [ص] فغضبت عائشة فلم تزل بنبي الله [ص] حتى حلف ان لا يقربها فأنزل الله عز وجل (ياايها النبي لم تحرم ما احل الله لك) يعني العسل ومارية (تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم) وامر ان يكفر يمينه ويراجع امته فقال (قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم) اي بين واوجب ان تكفروها إذا حنثم وهي ماذكر في

ورواه البخاري عن معاذ بن فضالة عن هشام هو الدستوائي عن يحيى هو ابن أبي كثير عن ابن حكيم وهو يعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في الحرام يمين تكفر وقالو ابن عباس لقدكان لكم في رسول الله أسوة حسنة)ورواه مسلم من حديث هشام الدستوائي به

وقال النسائي أنا عبد الله بن عبد الصمد بن علي ثنا مخلدهو ابن يزيد ثنا سفيان عن سالم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أتاه رجل فقال إني جعلت امرأتي علي حراما قال كذبت ليست عليك بحرام ثم تلا هذه الآية (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) عليك أغلظ الكفارات عتق رقبة تفرد به النسائي من هذا الوجه بهذا اللفظ

وقال الطبراني ثنا محمد بن زكريا ثنا عبد الله بن رجاء ثنا اسرائيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) قال حرم رسول الله ﷺ سريته ومن ههنا ذهب من ذهب من الفقهاء ممن قال بوجوب الكفارة على من حرم جاريته أو زوجته أو طعاما أو شرابا أو ملبسا أو شيئا من المباحات وهو مذهب الامام أحمدوطائفة، وذهب الشافعي إلى أنه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية اذا حرم عينيهما أو اطلق التحريم فيهما في قول فأما ان نوى بالتحريم طلاق الزوجة أو عتق الامة نفذ فيهما

وقال ابن أبي حاتم حدثني أبو عبد الله الظهراني أنا حفص بن عمر العدني أنا الحكم بن أبان أنا عكرمة عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) في المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ وهذا قول غريب. والصحيح أن ذلك كان في تحريمه العسل كما قال البخاري عند هذه الآية ثنا ابراهيم بن موسى أنا هشام بن يوسف عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة قالت كان النبي ﷺ يشرب عسلا عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له : أكلت مغافير إني أجد منك ريح مغافير . قال « لا ولكني كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش فلن أعود له وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدا » (تبتغي مرضاة أزواجك) هكذا اورد هذا الحديث ههنا بهذا اللفظ

وقال في كتاب الايمان والنذور ثنا الحسن بن محمد ثنا الحجاج عن ابن جريج قال زعم عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يقول سمعت عائشة تزعم أن رسول الله ﷺ كان يمكث عند زينب بنت

سورة المائدة ﴿ والله مولاكم ﴾ وليكم وناصركم ﴿ وهو العليم الحكيم ﴾ واختلف اهل العلم في لفظ التحريم فقال قوم ليس هو بيمين فان قال لزوجته انت علي حرام او حرمتك فان نوى به طلاقا فهو طلاق ، وان نوى به ظهاراً فظهار وإن نوى تحريم ذاتها او اطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ وإن قال ذلك لجاريته فان نوى عتقا عتقت ، وإن نوى تحريم ذاتها او اطلق فعليه كفارة اليمين فان قال لطعام حرمته على نفسي فلا شيء عليه وهذا قول ابن مسعود واليه ذهب الشافعي وذهب جماعة إلى

جحش ويشرب عندها عسلا فتواطأت أنا وحفصة ان أيتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل له إني اجد منك ريح مغافير أكلت مغافير فدخل على احداهما النبي ﷺ فقالت ذلك له فقال « لا بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش » ولن اعود له فنزلت (يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك؟ - الى قوله تعالى - إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما) لعائشة وحفصة (واذ أسر النبي الى بعض ازواجه حديثا) لقوله « بل شربت عسلا » وقال ابراهيم بن موسى عن هشام « ولن اعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك احدا » وهكذا رواه في كتاب الطلاق بهذا الاسناد ولفظه قريب منه . ثم قال المغافير شبيه بالصمغ يكون في الرمث فيه حلاوة ، اغفر الرمث اذا ظهر فيه ، واحدها مغفور ويقال مغافير وهكذا قال الجوهري قال وقد يكون المغفور أيضا للعشر والثمام والسلم والطلح ، قال والرمث بالكسر مرعى من مراعي الابل وهو من الحمض قال والعرفط شجر من العضاه ينضح المغفور . وقد روى مسلم هذا الحديث في كتاب الطلاق من صحيحه عن محمد بن حاتم عن حجاج بن محمد عن ابن جريج أخبرني عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة به ولفظه كما أورده البخاري في الايمان والنذر ، ثم قال البخاري في كتاب الطلاق ثنا فروة بن أبي المغراء ثنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يحب الحلوى والعسل وكان اذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من احداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ماكان يحتبس فغرت فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل فسقت النبي ﷺ منه شربة فقلت أما والله لنحتالن له فقلت لسودة بنت زمعة إنه سيدنو منك فاذا دنا منك فقولي أكلت مغافير فانه سيقول لك لا فقولي له ماهذه الريح التى أجد فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي جرست نحله العرفط وسأقول ذلك وقولي له أنت ياصفية ذلك قالت ، تقول سودة فوالله ماهو إلا أن قام على الباب فأردت أن أناديه بما أمرتني فرقا منك ، فلما

انه يمين فان قال ذلك لزوجته او جاريته فلا تجب عليه الكفارة ما لم يقربها كما لو حلف أن لا يطأها وان حرم طعاما فهو كما لو حلف أن لا يأكله فلا كفارة عليه ما لم يأكل يروى ذلك عن ابي بكر وعائشة وبه قال الاوزاعي وابو حنيفة رضي الله عنه

أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا معاذ بن فضالة ثنا هشام عن يحيى عن ابن حكيم وهو يعلى بن حكيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في الحرام يكفر وقال ابن عباس (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) ﴿ واذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا ﴾ وهو تحريم فتاته على نفسه وقوله لحفصة لاتخبري بذلك أحداً ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس أسر أمر الخلافة بعده فحدثت به حفصة قال الكلبي أسر اليها أن أباك وأبا عائشة يكونان خليفتين على امتي من بعدي

دنا منها قالت له سودة يارسول الله أكلت مغافير ؟ قال « لا » قالت فما هذه الريح التي أجد منك ؟ قال « سقتني حفصة شربة عسل » قالت جرست نحله العرفط فلما دار إلي قلت نحو ذلك فلما دار الى صفية قالت له مثل ذلك فلما دار الى حفصة قالت له يارسول الله ألا أسقيك منه ؟ قال « لاحاجة لي فيه » قالت تقول سودة والله لقد حرمناه قلت لها اسكتي ، هذا لفظ البخاري

وقد رواه مسلم عن سويد بن سعيد عن علي بن مسهر به وعن أبي كريب وهارون بن عبدالله والحسن ابن بشر ثلاثتهم عن أبي أسامة حماد بن اسامة عن هشام بن عروة به ، وعنده : قالت وكان رسول الله ﷺ يشتد عليه أن يوجد منه الريح ، يعني الريح الخبيثة ولهذا قلن له أكلت مغافير لان ريحها فيه شيء ، فلما قال « بل شربت عسلا » قلن جرست نحلة العرفط أي رعت نحله شجر العرفط الذي صمغه المغافير فلهذا ظهر ريحه في العسل الذي شربته قال الجوهري : جرست النحل العرفط تجرس إذا أكلته ، ومنه قيل للنحل جوارس قال الشاعر * تظل على الثمراء منها جوارس *

وقال الجرس والجرس الصوت الخفي ، ويقال سمعت جرس الطير إذا سمعت صوت مناقيرها على شيء تأكله ، وفي الحديث « فيسمعون جرس طير الجنة » قال الاصمعي كنت في مجلس شعبة قال فيسمعون جرش طير الجنة بالشين فقلت جرس فنظر إلي فقال : خذوها عنه فانه أعلم بهذا منا والغرض أن هذا السياق فيه ان حفصة هي الساقية للعسل وهو من طريق هشام بن عروة عن

وقال ميمون بن مهران أسر اليها ان أبابكر خليفتي من بعدي ﴿ فلما نبأت به ﴾ أخبرت به حفصة عائشة ﴿ وأظهره الله عليه ﴾ أي أطلع الله تعالى نبيه على أنها أنبأت به ﴿ عرف بعضه ﴾ قرأ عبدالرحمن السلمي والكسائي عرف بتخفيف الراء أي عرف بعض الفعل الذي فعلته من افشاء سره أي غضب من ذلك عليها وجازاها به من قول القائل لمن أساء اليه لأعرفن لك مافعلت أي لأجازينك عليه وجازاها به عليه بان طلقها فلما بلغ ذلك عمر قال لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله ﷺ فجاء جبريل وأمره بمراجعتها واعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهراً وقعد في مشربة أم ابراهيم مارية حتى نزلت آية التخيير ، وقال مقاتل بن حيان لم يطلق رسول الله ﷺ حفصة وانما هم بطلاقها فأتاه جبريل عليه السلام وقال لاتطلقها فانها صوامة قوامة وانها من جملة نسائك في الجنة فلم يطلقها ، وقرأ الآخرون عرف بالتشديد أي عرف حفصة بعد ذلك الحديث اي أخبرها ببعض القول الذي كان منها ﴿ وأعرض عن بعض ﴾ يعني لم يعرفها إياه ولم يخبرها به قال الحسن ما استقصى كريم قط

قال الله تعالى (عرف بعضه وأعرض عن بعض) وذلك ان النبي ﷺ لما رأى الكراهية في وجه حفصة أراد أن يترضاها فاسر اليها شيئين تحريم الامة على نفسه وتبشيرها بان الخلافة بعده في أبي بكر وفي أبيها عمر رضي الله عنهما فاخبرت به حفصة عائشة رضي الله عنها وأطلع الله تعالى نبيه

أبيه عن خالته عائشة ، وفي طريق ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة ان زينب بنت جحش هي التي سقته العسل وان عائشة وحفصة تواطأتا وتظاهرتا عليه فالله أعلم

وقد يقال انهما واقعتان ولا بعد في ذلك الا أن كونهما سببا لنزول هذه الآية فيه نظر والله أعلم . ومما يدل على أن عائشة وحفصة رضي الله عنهما هما المتظاهرتان الحديث الذي رواه الامام أحمد في مسنده حيث قال ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله بن أبي ثور عن ابن عباس قال : لم أزل حريصا على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى (ان تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) حتى حج عمر وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالاداوة فتبرز ثم أتاني فسكبت على يديه فتوضأ فقلت يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى (ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما ؟) فقال عمر : واعجبا لك يا ابن عباس ، قال الزهري : كره والله ما سأله عنه ولم يكتمه قال هي عائشة وحفصة ، قال ثم أخذ يسوق الحديث قال : كنا معشر قريش قوما نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم . قال وكان منزلي في دار أميـة بن زيد بالعوالي ، قال : فغضبت يوما على امرأتي فاذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني فقالت ماتنكر أن أراجعك؟ فوالله ان أزواج رسول الله ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم الى الليل ، قال : فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت : أتراجعين رسول الله ﷺ ؟ قالت نعم ، قلت : وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل ؟ قالت نعم قلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فاذا هي قد هلكت لاتراجعي رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئا وسليني من مالي ما بدا لك ولا يغرنك ان كانت جارتك هي أوسم ـ أي أجمل ـ وأحب الى رسول الله (ص) منك ، يريد عائشة

عليه عرف حفصة وأخبرها ببعض ما أخبرت به عائشة وهو تحريم الامة وأعرض عن بعض يعني ذكر الخلافة كره رسول الله ﷺ أن ينتشر ذلك في الناس ﴿ فلما نبأها به ﴾ أي أخبر النبي ﷺ حفصة بما أظهره الله عليه ﴿ قالت ﴾ حفصة ﴿ من أنبأك هذا ﴾ اي من أخبرك باني أفشيت السر ﴿قال نبأني العليم الخبير ٭ إن تتوبا إلى الله ﴾ اي من التعاون على النبي ﷺ بالايذاء يخاطب عائشة وحفصة ﴿ فقد صغت قلوبكما ﴾ اي زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما التوبة قال ابن زيد مالت قلوبكما بان سرهما ما كره رسول الله ﷺ من اجتناب جاريته

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا ابو اليمان أنا شعيب عن الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور أنا عبد الله بن عباس قال لم أزل حريصا على أن اسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من ازواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى لهما (إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما) حتى حج فحججت معـه وعدل وعدلت معه باداوة

قال : وكان لي جار من الانصار وكنا نتناوب النزول إلى رسول الله (ص) ينزل يوما وأنزل يوما فيأتيني بخبر الوحي وغيره وآتيه بمثل ذلك ، قال وكنا نتحدث ان غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي يوما ثم أتى عشاء فضرب بابي ثم ناداني فخرجت اليه فقال حدث أمر عظيم فقلت وما ذاك أجاءت غسان ؟ قال لا بل أعظم من ذلك وأطول : طلق رسول الله [ص] نساءه فقلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا كائنا ، حتى إذا صليت الصبح شددت علي ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت أطلقكن رسول الله ﷺ ؟ فقالت لا أدري هو هذا معتزل في هذه المشربة ، فأتيت غلاما له أسود فقلت استأذن لعمر فدخل الغلام ثم خرج إلي فقال ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى أتيت المنبر فاذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست عنده قليلا ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت: استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلي فقال قد ذكرتك له فصمت،فخرجت فجلست إلى المنبر ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلي فقال : قد ذكرتك له فصمت ، فوليت مدبراً فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل قد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكىء على رمل حصير - قال الامام أحمد : وحدثناه يعقوب في حديث صالح قال رمال حصير - قد أثر في جنبه فقلت: أطلقت يا رسول الله نساءك؟ فرفع رأسه إلي وقال « لا » فقلت الله أكبر لو رأيتنا يارسول الله و كنا معشر قريش قوما نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فغضبت علي امرأتي يوما فاذا هي تراجعني فأنكرت ان تراجعني فقالت ماتنكر أن أراجعك ؟ فوالله ان أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسرت أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فاذا هي قد هلكت ، فتبسم رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله قد

فتبرز ثم جاء فسكبت على يديه من الاداوة فتوضأ فقلت له يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله عز وجل لهما (إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما) فقال واعجبا يا ابن عباس هما عائشة وحفصة ، ثم استقبل عمر الحديث يسوقه فقال اني كنت أنا وجار لي من الانصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على النبي ﷺ فينزل يوما وأنزل يوما فاذا نزلت حدثته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الامر أو غيره وإذا نزل فعل مثله ، وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على الانصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الانصار فصحت على امرأتي فراجعتني فأنكرت أن تراجعني فقالت ولم تنكر أن أراجعك؟ فوالله ان ازواج النبي ﷺ ليراجعنه وان احداهن لتهجره اليوم حتى الليل فأفزعني فقلت خابت من فعلت منهن بعظيم ثم جمعت على ثيابي فدخلت على حفصة فقلت أي حفصة أتغاضب احداكن النبي [ص] اليوم حتى الليل ؟ فقالت نعم فقلت خابت وخسرت أفتأمنين ان يغضب الله لغضب رسوله فتهلكي

دخلت على حفصة فقلت لايغيرنك أن كانت جارتك هي أوسم وأحب الى رسول الله ﷺ منك فتبسم أخرى فقلت استأنس يارسول الله ، قال «نعم» فجلست فرفعت رأسي في البيت فوالله مارأيت في البيت شيئا يرد البصر إلا أهبة مقامة فقلت ادع الله يارسول الله ان يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لايعبدون الله ، فاستوى جالساً وقال« أفي شك أنت ياابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا » فقلت استغفر لي يارسول الله وكان أقسم ان لايدخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله عز وجل

وقد رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن الزهري به، وأخرجه الشيخان من حديث يحيى بن سعيد الانصاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: مكثت سنة أريد ان أسأل عمر ابن الخطاب عن آية فما أستطيع ان أسأله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عدل إلى الاراك لحاجة له قال فوقفت حتى فرغ ثم سرت معه فقلت ياأمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ ؟ هذا لفظ البخاري ولمسلم من المرأتان اللتان قال الله تعالى (وان تظاهرا عليه) قال عائشة وحفصة ثم ساق الحديث بطوله ومنهم من اختصره

وقال مسلم أيضا حدثني زهير بن حرب ثنا عمر بن يونس الحنفي ثنا عكرمة بن عمار عن سماك بن الوليد أبي زميل حدثني عبد الله بن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال لما اعتزل نبي الله ﷺ نساءه دخلت المسجد فاذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون طلق رسول الله ﷺ نساءه وذلك قبل أن يؤمر بالحجاب فقلت لأعلمن ذلك اليوم فذكر الحديث في دخوله على عائشة وحفصة ووعظه إياهما إلى أن قال فدخلت فاذا أنا برباح غلام رسول الله ﷺ على أسكفة المشربة فناديت فقلت يارباح استأذن لي على رسول الله ﷺ فذكر نحو ماتقدم - إلى أن قال - فقلت يارسول الله مايشق عليك من أمر النساء ؟

لا تستكثري على النبي [ص] ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه وسليني ما بدا لك ولا يغيرنك أن كانت جارتك هي أوضأ منك وأحب الى النبي [ص] يريد عائشة ، قال عمر وكنا تحدثنا ان غسان تبعث الخيل لتغزونا فنزل صاحبي يوم نوبته فرجع عشاء فضرب بابي ضربا شديداً وقال أثم هو ؟ ففزعت فخرجت اليه فقال حدث أمر عظيم فقلت ما هو أجاءت غسان ؟ قال لا ، بل أعظم منه وأطول طلق النبي [ص] نساءه فقلت قد خابت حفصة وخسرت كنت أظن ان هذا يوشك أن يكون فجمعت علي ثيابي فصليت صلاة الفجر مع النبي [ص] فدخل مشربة له فاعتزل فيها فدخلت على حفصة فاذا هي تبكي فقلت ما يبكيك أولم أكن حذرتك أطلقكن النبي [ص] ؟ قالت لا ادري هو ذا في المشربة فخرجت فجئت الى المنبر فاذا حوله رهط يبكي بعضهم فجلست معهم قليلا ثم غلبني ما أجد فجئت المشربة التي فيها النبي [ص] فقلت لغلام له اسود استأذن لعمر فدخل فكلم النبي [ص] ثم رجع إلي فقال قد كلمت النبي [ص] فذكرتك له فصمت ، فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر ثم

فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكال وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت - وأحمد الله - بكلام الارجوت أن يكون الله يصدق قولي فنزلت هذه الآية آية التخيير (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيراً منكن - وإن تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير) فقلت أطلقتهن ؟ قال « لا » فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلق نساءه ونزلت هذه الآية (واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) فكنت أنا استنبطت ذلك الامر ، وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة ومقاتل بن حيان والضحاك وغيرهم (وصالح المؤمنين) أبو بكر وعمر زاد الحسن البصري وعثمان ، وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد (وصالح المؤمنين) قال علي بن أبي طالب

وقال ابن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسين ثنا محمد بن أبي عمر ثنا محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين قال أخبرني رجل ثقة يرفعه إلى علي قال : قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى (وصالح المؤمنين) قال « هو علي بن أبي طالب » اسناده ضعيف وهو منكر جداً

وقال البخاري ثنا عمرو بن عون ثنا هشيم عن حميد عن أنس قال : قال عمر اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيراً منكن فنزلت هذه الآية وقد تقدم انه وافق القرآن في أماكن منها في نزول الحجاب ومنها في أسارى بدر ومنها قوله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فأنزل الله تعالى (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى)

وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي حدثنا الانصاري ثنا حميد عن أنس قال : قال عمر بن الخطاب بلغني

غلبني ما أجد فجئت فقلت للغلام استأذن لعمر فدخل ثم رجع إلي فقال قد ذكرتك له فصمت فرجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر ثم غلبني ما أجد فجئت الغلام فقلت استأذن لعمر فاستأذن ثم رجع الي فقال قد ذكرتك له فصمت فلما وليت منصرفا فاذا الغلام يدعوني فقال قد أذن لك النبي [ص] فدخلت على رسول الله [ص] فاذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئا على وسادة من أدم حشوها ليف فسلمت عليه ثم قلت وانا قائم يارسول الله اطلقت نساءك فرفع إلي بصره فقال « لا » فقلت الله أكبر ثم قلت وأنا قائم استأنس يارسول الله لو رأيتنى وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم فتبسم رسول الله [ص] ثم قلت يارسول الله لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لها لا يغرنك ان كانت جارتك أوضأ منك وأحب الى رسول الله [ص] يريد عائشة فتبسم النبى [ص] تبسمة أخرى فجلست حين رأيته يتبسم فرفعت بصري في بيته فوالله مارأيت فيه شيئا يرد البصر غير اهبة ثلاثة فقلت يارسول الله ادع الله تعالى فليوسع على امتك فان فارس والروم قد وسع عليهم واعطوا من الدنيا وهم لايعبدون الله تعالى فجلس

شيء كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي ﷺ فاستقريتهن أقول لتكففن عن رسول الله ﷺ أو ليبدلنه الله أزواجا خيراً منكن حتى أتيت على آخر أمهات المؤمنين فقالت : ياعمر أما في رسول الله مايعظ نساءه حتى تعظهن . فأمسكت فأنزل الله عز وجل (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً) وهذه المرأة التي ردته عما كان فيه من وعظ النساء هي أم سلمة كما ثبت ذلك في صحيح البخاري

وقال الطبراني ثنا ابراهيم بن نائلة الاصبهاني ثنا اسماعيل البجلي ثنا أبو عوانة عن أبي سنان عن الضحاك عن ابن عباس في قوله (واذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا) قال دخلت حفصة على النبي ﷺ في بيتها وهو يطأمارية فقال لها رسول الله ﷺ « لا تخبري عائشة حتى أبشرك ببشارة إن أباك يلي الامر من بعد أبي بكر اذا أنا مت » فذهبت حفصة فاخبرت عائشة فقالت عائشة لرسول الله ﷺ من أنباك هذا ؟ قال « نبأني العليم الخبير » فقالت عائشة لا أنظر اليك حتى تحرم مارية فحرمها فانزل الله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم) اسناده فيه نظر، وقد تبين مما أوردناه تفسير هذه الآيات الكريمات

ومعنى قوله (مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات) ظاهر وقوله تعالى (سائحات) أي صائمات قاله أبو هريرة وعائشة وابن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء ومحمد بن كعب القرظي وابو عبد الرحمن السلمي وأبو مالك وابراهيم النخعي والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس والسدى وغيرهم . وتقدم فيه حديث مرفوع عند قوله (السائحون) في سورة براءة ولفظه « سياحة هذه

النبى [ص] وكان متكئا فقال او في هذا انت ياابن الخطاب ان أولئك قوم عجلوا طيباتهم في الحياة الدنيا» فقلت يارسول الله استغفر لي فاعتزل النبى [ص] نساءه من اجل ذلك الحديث حين افشته حفصة الى عائشة تسعا وعشرين ليلة ، وكان يقول «ما انا بداخل عليهن شهراً» من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله تعالى فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة رضي الله عنها فبدأ بها فقالت له عائشة يارسول الله انك كنت اقسمت أن لا تدخل علينا شهرا فانما اصبحت من تسع وعشرين ليلة اعدها عداً فقال «الشهر تسع وعشرون» وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة قالت عائشة ثم أنزل الله آية التخيير فبدأ بي اول امرأة من نسائه فاخترته ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ماقالت عائشة

أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا ابو اليمان أنا شعيب عن الزهري اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن ان عائشة زوج النبى [ص] أخبرته ان رسول الله [ص] جاءها حين أمره الله تعالى ان يخير ازواجه فبدأ بي رسول الله [ص] فقال « اني ذاكر لك امراً فلا عليك ان لا تعجلي بالجواب حتى تستأمري أبويك » وقد علم ان ابوي لم يكونا يامراني بفراقه ثم قال (يا أيها النبى قل لازواجك) الى تمام الآيتين فقلت أوفي هذا أستأمر أبوي ؟ فاني اريد الله ورسوله والدار الآخرة

الامة الصيام » وقال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن (سائحات) أي مهاجرات وتلا عبد الرحمن (السائحون) أي المهاجرون والقول الاول أولى والله أعلم

وقوله تعالى (ثيبات وأبكارا) أي منهن ثيبات ومنهن أبكارا ليكون ذلك أشهى الى النفس فان التنوع يبسط النفس ولهذا قال (ثيبات وأبكارا)

وقال أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير ثنا أبو بكر بن صدقة ثنا محمد بن محمد بن مرزوق ثنا عبدالله بن أبي أمية ثنا عبد القدوس عن صالح بن حيان عن ابن بريدة عن أبيه (ثيبات وأبكارا) قال وعد الله نبيه ﷺ في هذه الآية أن يزوجه فالثيب آسية امرأة فرعون وبالابكار مريم بنت عمران

(١)وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة مريم عليها السلام من طريق سويد بن سعيد ثنا محمد بن صالح ابن عمر عن الضحاك ومجاهد عن ابن عمر قال جاء جبريل الى رسول الله ﷺ فمرت خديجة فقال إن الله يقرئها السلام ويبشرها ببيت في الجنة من قصب بعيد من اللهب لا نصب فيه ولا صخب من لؤلؤة جوفاء بين بيت مريم بنت عمران وبيت آسية بنت مزاحم

(١) هذا غير موجود في النسخة المكية

اخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر انا عبد الغافر بن محمد انا محمد بن عيسى ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني زهير بن حرب ثنا عمر بن يونس الحنفي ثنا عكرمة بن عمار عن سماك بن زميل حدثني عبد الله بن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال لما اعتزل النبي [ص] نساءه وذكر الحديث وقال دخلت عليه فقلت يارسول الله مايشق عليك من شأن النساء ؟ فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وابو بكر والمؤمنون معك؟ وقلما تكلمت وأحمد الله تعالى بكلام الا رجوت ان يكون الله يصدق قولي الذي اقول ونزلت هذه الآية (عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيراً منكن ـ وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير)

قوله ﴿ وان تظاهرا عليه ﴾ أي تظاهرا وتعاونا على أذى النبي ﷺ قرأ أهل الكوفة بتخفيف الظاء والآخرون بتشديدها ﴿ فان الله هو مولاه ﴾ أي وليه وناصره

قوله ﴿ وجبريل وصالح المؤمنين ﴾ روي عن ابن مسعود وابي بن كعب وصالح المؤمنين ابو بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال الكلبي هم المخلصون الذين ليسوا بمنافقين

قوله ﴿ والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾ قال مقاتل بعد الله وجبريل وصالح المؤمنين ظهير أي أعوان النبي ﷺ وهذا من الواحد الذي يؤدي عن الجمع كقوله (وحسن اولئك رفيقا) ﴿ عسى ربه إن طلقكن ﴾ أي واجب من الله إن طلقكن رسوله ﴿ أن يبدله أزواجا خيراً منكن مسلمات ﴾ خاضعات لله بالطاعة ﴿ مؤمنات ﴾ مصدقات بتوحيد الله ﴿ قانتات ﴾ طائعات وقيل داعيات وقيل مصليات ﴿ تائبات عابدات سائحات ﴾ صائمات، وقال زيد بن أسلم مهاجرات وقيل يسحن معه حيثما ساح

ومن حديث أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي (ص) دخل على خديجة وهي في الموت فقال « ياخديجة اذا لقيت ضرائرك فأقرئيهن مني السلام » فقالت يارسول الله وهل تزوجت قبلي ؟ قال « لا ولكن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وكلثم اخت موسى » ضعيف أيضا وقال أبو يعلى ثنا ابراهيم بن عرعرة ثنا عبد النور بن عبد الله ثنا يوسف بن شعيب عن أبي أمامة قال : قال رسول الله (ص) « أعلمت أن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون ؟ » فقلت هنيئا لك يارسول الله وهذا أيضا ضعيف وروي مرسلا عن ابن أبي داود

يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة، عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (٦) يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون (٧) يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنت تجرى من تحتها الانهر يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير (٨)

قال سفيان الثوري عن منصور عن رجل عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى (قوا أنفسكم وأهليكم ناراً) يقول أدبوهم وعلموهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (قوا أنفسكم واهليكم نارا) يقول اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله وائمروا اهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار، وقال مجاهد (قوا انفسكم واهليكم ناراً) قال اتقوا الله وأوصوا اهليكم بتقوى الله وقال قتادة تأمرهم بطاعة الله وتنهاهم عن معصية الله وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به وتساعدهم عليه فاذا رأيت لله معصية قذعتهم عنها وزجرتهم عنها وهكذا قال الضحاك ومقاتل حق على المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده مافرض الله عليهم وما نهاهم الله عنه

وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه احمد وأبو داود والترمذي من حديث عبد الملك

﴿ ثيبات وابكارا ﴾ وهذا في الاخبار عن القدرة لا عن الكون لانه قال ان طلقكن وقد علم انه لا يطلقهن وهذا كقوله (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) وهذا إخبار عن القدرة لا أن في الوجود أمة هم خير من امة محمد ﷺ

قوله عز وجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم ﴾ قال عطاء عن ابن عباس اي بالانتهاء عما نهاكم الله تعالى عنه والعمل بطاعته ﴿ وأهليكم ناراً ﴾ يعني مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وأدبوهم

ابن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جده قال قال رسول الله (ص) « مروا الصبي بالصلاة اذا بلغ سبع سنين فاذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها » هذا لفظ أبي داود وقال الترمذي هذا حديث حسن وروى أبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله (ص) مثل ذلك قال الفقهاء وهكذا في الصوم ليكون ذلك تمرينا له على العبادة لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر والله الموفق

وقوله تعالى (وقودها الناس والحجارة) وقودها أي حطبها الذي يلقى فيها جثث بني آدم (والحجارة) قيل المراد بها الاصنام التي تعبد لقوله تعالى (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) وقال ابن مسعود ومجاهد وأبو جعفر الباقر والسدي: هي حجارة من كبريت زاد مجاهد : أنتن من الجيفة ، وروى ذلك ابن أبي حاتم رحمه الله ثم قال ثنا أبي ثنا عبد الرحمن بن سنان المنقري ثنا عبد العزيز - يعني ابن أبي داود - قال بلغني ان رسول الله (ص) تلا هذه الآية (ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة) وعنده بعض أصحابه وفيهم شيخ فقال الشيخ يارسول الله حجارة جهنم كحجارة الدنيا ؟ فقال النبي (ص) « والذي نفسي بيده لصخرة من صخر جهنم أعظم من جبال الدنيا كلها » قال فوقع الشيخ مغشيا عليه فوضع النبي (ص) يده على فؤاده فاذا هو حي فناداه قال « ياشيخ قل لا اله الا الله » فقالها فبشره بالجنة قال فقال أصحابه يارسول الله أمن بيننا؟ قال « نعم يقول الله تعالى (ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد) » هذا حديث مرسل غريب

وقوله تعالى [عليها ملائكة غلاظ شداد] أي طباعهم غليظة قد نزعت من قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله (شداد) أي تركيبهم في غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج كما قال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا سلمة ابن شبيب ثنا ابراهيم بن الحكم بن أبان ثنا أبي عن عكرمة انه قال : اذا وصل أول اهل النار الى النار وجدوا على الباب أربعمائة الف من خزنة جهنم سود وجوههم كالحة أنيابهم قد نزع الله من قلوبهم الرحمة ليس في قلب واحد منهم مثقال ذرة من الرحمة ، لو طير الطير من منكب أحدهم لطار شهرين قبل أن يبلغ منكبه الآخر ثم يجدون على الباب التسعة عشر ، عرض صدر أحدهم سبعون خريفا ثم يهوون من باب الى باب خمسمائة سنة ثم يجدون على كل باب منها مثل ما وجدوا على الباب الاول حتى ينتهوا الى آخرها

وقوله (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) أي مهما أمرهم به تعالى يبادروا اليه لا يتأخرون عنه طرفة عين وهم قادرون على فعله ليس بهم عجز عنه ، وهؤلاء هم الزبانية عياذا بالله منهم

تقوهم بذلك ناراً ﴿ وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة ﴾ يعني خزنة النار ﴿ غلاظ ﴾ فظاظ على اهل النار ﴿ شداد ﴾ اقوياء يدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين الفا في النار وهم الزبانية لم يخلق الله فيهم الرحمة ﴿ لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون * ياايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم

وقوله (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون) أي يقال للكفرة يوم القيامة لا تعتذروا فانه لا يقبل منكم ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون وانما تجزون اليوم بأعمالكم

ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) أي توبة صادقة جازمة تمحو ما قبلها من السيئات ، وتلم شعث التائب وتجمعه وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناءات

قال ابن جرير ثنا ابن مثنى ثنا محمد ثنا شعبة عن سماك بن حرب سمعت النعمان بن بشير يخطب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله يقول (يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) قال يذنب الذنب ثم لا يرجع فيه ، وقال الثوري عن سماك عن النعمان عن عمر قال التوبة النصوح ان يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه أو لا يريد أن يعود فيه

وقال ابو الاحوص وغيره عن سماك عن النعمان سئل عمر عن التوبة النصوح فقال : ان يتوب الرجل من العمل السيء ثم لا يعود اليه ابداً. وقال الاعمش عن ابي اسحاق عن ابى الاحوص عن عبدالله (توبة نصوحا) قال يتوب ثم لا يعود

وقد روي هذا مرفوعا فقال الامام احمد ثنا علي بن عاصم عن ابراهيم الهجري عن ابي الاحوص عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله (ص) « التوبة من الذنب ان يتوب منه ثم لا يعود فيه » تفرد به احمد من طريق ابراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف والموقوف اصح والله اعلم، ولهذا قال العلماء: التوبة النصوح هو ان يقلع عن الذنب في الحاضر ويندم على ماسلف منه في الماضي ويعزم على ان لا يفعل في المستقبل ، ثم ان كان الحق لآدمي رده اليه بطريقه

قال الامام احمد ثنا سفيان عن عبد الكريم اخبرني زياد بن ابي مريم عن عبد الله بن مغفل قال دخلت مع ابي على عبدالله بن مسعود فقال انت سمعت النبي (ص) يقول « الندم توبة ؟ » قال نعم وقال مرة نعم سمعته يقول « الندم توبة » ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن سفيان بن عيينة عن عبدالكريم وهو ابن مالك الجزري به

وقال ابن ابي حاتم ثنا الحسن بن عرفة حدثني الوليد بن بكير ابو جناب عن عبدالله بن محمد العبدي عن ابي سنان البصري عن ابي قلابة عن زر بن حبيش عن ابي بن كعب قال قيل لنا اشياء تكون في آخر هذه الامة عند اقتراب الساعة منها نكاح الرجل امرأته أو أمته في دبرها وذلك مما حرم الله ورسوله ، ويمقت الله عليه ورسوله ، ومنها نكاح الرجل الرجل وذلك مما حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله ،

انما تجزون ما كنتم تعملون ❊ يا ايها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا ﴾ قرأ الحسن وابو بكر عن عاصم نصوحا بضم النون ، وقرأ العامة بفتحها اي توبة ذات نصح تنصح صاحبها بترك العود إلى ما تاب منه ، واختلفوا في معناها قال عمر وابي ومعاذ التوبة النصوح ان يتوب ثم لا يعود إلى الذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع

ومنها نكاح المرأة المرأة وذلك مما حرم الله ورسوله ، ويمقت الله عليه ورسوله ، وليس لهؤلاء صلاة ما اقاموا على هذا حتى يتوبوا الى الله توبة نصوحا ، قال زر : فقلت لأبي بن كعب فما التوبة النصوح ؟ فقال سألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال « هو الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله بندامتك منه عند الحاضر ثم لا تعود اليه أبداً »

وقال ابن أبى حاتم ثنا أبي ثنا عمرو بن علي ثنا عباد بن عمرو ثنا ابو عمرو بن العلاء سمعت الحسن يقول التوبة النصوح أن تبغض الذنب كما أحببته ، وتستغفر منه إذا ذكرته ، فأما اذا جزم بالتوبة وصمم عليها فانها تجب ماقبلها من الخطيئات كما ثبت في الصحيح « الاسلام يجب ماقبله ، والتوبة تجب ماقبلها » وهل من شرط التوبة النصوح الاستمرار على ذلك إلى الممات؟ كما تقدم في الحديث وفي الاثر « ثم لايعود فيه أبداً » أو يكفي العزم على أن لايعود في تكفير الماضي بحيث لو وقع منه ذلك الذنب بعد ذلك لايكون ذلك ضاراً في تكفير ماتقدم لعموم قوله عليه السلام « التوبة تجب ماقبلها » وللأول أن يحتج بما ثبت في الصحيح أيضاً من أحسن في الاسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ، ومن أساء في الاسلام أخذ بالأول والآخر ، فاذا كان هذا في الاسلام الذي هو أقوى من التوبة فالتوبة بطريق الاولى والله أعلم

وقوله تعالى (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار) وعسى من الله موجبة (يوم لايخزي الله النبي والذين آمنوا معه) أي ولا يخزيهم معه يعني يوم القيامة (نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) كما تقدم في سورة الحديد (يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير) قال مجاهد والضحاك والحسن البصري وغيرهم هذا يقوله المؤمنون حين يرون يوم القيامة نور المنافقين قد طفيء

وقال الامام احمد ثنا ابراهيم بن اسحاق الطالقاني ثنا ابن المبارك عن يحيى بن حسان عن رجل من بني كنانة قال صليت خلف رسول الله ﷺ عام الفتح فسمعته يقول « اللهم لاتخزني يوم القيامة »

وقال محمد بن نصر المروزي ثنا محمد بن مقاتل المروزي ثنا ابن المبارك أنا ابن لهيعة حدثني يزيد بن ابي حبيب عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير انه سمع أبا ذر وأبا الدرداء قالا : قال رسول

قال الحسن هي ان يكون العبد نادما على مامضى مجمعا على ان لايعود فيه ، قال الكلبي أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن ، قال سعيد بن المسيب توبة تنصحون بها انفسكم قال القرظي يجمعها اربعة أشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيء الاخوان ﴿ عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لايخزي الله النبي والذين آمنوا معه ﴾ اي لايعذبهم الله بدخول النار ﴿ نورهم يسعى بين ايديهم وبأيمانهم ﴾ على الصراط ﴿يقولون﴾ إذا طفيء نور المنافقين ﴿ ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير ﴾

الله ﷺ « أنا أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة ، وأول من يؤذن له برفع رأسه فأنظر بين يدي فأعرف أمتي من بين الامم وأنظر عن يميني فأعرف أمتي من بين الامم ، وأنظر عن شمالي فأعرف أمتي من بين الامم » فقال رجل يارسول الله وكيف تعرف أمتك من بين الامم ؟ قال « غر محجلون من آثار الطهور ولا يكون أحد من الامم كذلك غيرهم وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم وأعرفهم سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم »

يأيها النبي جٰهد الكفار والمنٰفقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير (٩) ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صٰلحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين (١٠)

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين هؤلاء بالسلاح والقتال وهؤلاء باقامة الحدود عليهم (واغلظ عليهم) أي في الدنيا (ومأواهم جهنم وبئس المصير) أي في الآخرة ثم قال تعالى (ضرب الله مثلا للذين كفروا) اي في مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم أن ذلك لا يجدي عنهم شيئا ولا ينفعهم عند الله إن لم يكن الايمان حاصلا في قلوبهم ثم ذكر المثل فقال (امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) اي نبيين رسولين عندهما في صحبتهما ليلا ونهاراً يؤاكلانهما ويضاجعانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط (فخانتاهما) اي في الايمان لم يوافقاهما على الايمان ولا صدقاهما في الرسالة فلم يجد ذلك كله شيئا ولا دفع عنهما محذوراً ولهذا قال تعالى (فلم يغنيا عنهما من الله شيئا) اي لكفرهما (وقيل) اي للمرأتين (ادخلا النار مع الداخلين) وليس المراد بقوله (فخانتاهما) في فاحشة بل في الدين فان نساء الانبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الانبياء كما قدمنا في سورة النور

قال سفيان الثوري عن موسى بن أبي عائشة عن سليمان بن قرم سمعت ابن عباس يقول في هذه الآية (فخانتاهما) قال ما زنتا ، أما خيانة امرأة نوح فكانت تخبر انه مجنون ، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه ، وقال العوفي عن ابن عباس قال كانت خيانتهما انهما كانتا على غير دينهما

﴿ يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ ثم ضرب الله مثلا للصالحات والطالحات من النساء فقال جل ذكره ﴿ ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح ﴾ واسمها واعلة ﴿ وامرأة لوط ﴾ واسمها واهلة ، وقال مقاتل والعة ووالهة ﴿ كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ﴾ وهما نوح ولوط عليهما السلام ﴿ فخانتاهما ﴾ قال ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط ،

فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح فاذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به ، وأما امرأة لوط فكانت اذا أضاف لوط أحداً أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء

وقال الضحاك عن ابن عباس مابغت امرأة نبي قط انما كانت خيانتهما في الدين ، وهكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم وقد استدل بهذه الآية الكريمة بعض العلماء على ضعف الحديث الذي يأثره كثير من الناس: من أكل مع مغفور له غفر له . وهذا الحديث لا أصل له وانما يروى هذا عن بعض الصالحين أنه رأى النبي ﷺ في المنام فقال يارسول الله أنت قلت من أكل مع مغفور له غفر له ؟ قال : لا ولكني الآن أقوله

وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة

ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين (١١) ومريم ابنت عمران التي أحصنت

فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين (١٢)

وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين اذا كانوا محتاجين اليهم كما قال تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة) قال قتادة كان فرعون اعتى اهل الارض واكفرهم فوالله ماضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها ليعلموا أن الله تعالى حكم عدل لا يؤاخذ أحداً إلا بذنبه

وقال ابن جرير ثنا اسماعيل بن حفص الابلي ثنا محمد بن جعفر عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان قال كانت امرأة فرعون تعذب في الشمس فاذا انصرف عنها أظلتها الملائكة باجنحتها وكانت ترى بيتها في الجنة، ثم رواه عن عبيد بن محمد المحاربي عن اسباط بن محمد عن سليمان التيمي به . ثم قال ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم ثنا ابن علية عن هشام الدستوائي ثنا القاسم ابن أبي بزة قال : كانت امرأة فرعون تسأل من غلب؟ فيقال غلب موسى وهارون فتقول آمنت برب

انما كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما، فكانت امرأة نوح تقول للناس انه مجنون ، وإذا آمن به أحد أخبرت به الجبابرة، واما امرأة لوط فانها كانت تدل قومه على اضيافه اذا نزل به ضيف بالليل أوقدت النار واذا نزل بالنهار دخنت ليعلم قومه انه نزل به ضيف

وقال الكلبي أسرتا النفاق واظهرتا الايمان ﴿ فلم يغنيا عنهما من الله شيئا ﴾ لم يدفعا عنهما مع نبوتهما عذاب الله ﴿ وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴾ قطع الله بهذه الآية طمع كل من يركب المعصية ان ينفعه صلاح غيره، ثم أخبر ان معصية غيره لا تضره إذا كان مطيعا فقال ﴿وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ﴾ وهي آسية بنت مزاحم

موسى وهارون فارسل اليها فرعون فقال انظروا اعظم صخرة تجدونها فان مضت على قولها فألقوها عليها وان رجعت عن قولها فهي امرأتي، فلما أتوها رفعت بصرها الى السماء فابصرت بيتها في الجنة فمضت على قولها وانتزعت روحها والقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح ، فقولها (رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) قالت العلماء اختارت الجار قبل الدار ، وقد ورد شيء من ذلك في حديث مرفوع (ونجني من فرعون وعمله) أي خلصني منه فاني أبرأ اليك من عمله (ونجني من القوم الظالمين) وهذه المرأة هي آسية بنت مزاحم رضي الله عنها

وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال كان ايمان امرأة فرعون من قبل ايمان امرأة خازن فرعون، وذلك أنها جلست تمشط ابنة فرعون فوقع المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت لها بنت فرعون ولك رب غير ابى ؟ قالت نعم ربى ورب ابيك ورب كل شيء الله فلطمتها بنت فرعون وضربتها واخبرت اباها فارسل اليها فرعون فقال تعبدين ربا غيري ؟ قالت نعم ربى وربك ورب كل شيء الله وإياه أعبد ، فعذبها فرعون واوتدها اوتاداً فشد يديها ورجليها وأرسل عليها الحيات فكانت كذلك، فأتى عليها يوما فقال لها ما أنت منتهية فقالت له ربي وربك ورب كل شيء الله فقال لها إني ذابح ابنك في فيك ان لم تفعلي فقالت له اقض ما أنت قاض فذبح ابنها في فيها ، وان روح ابنها بشرها فقال لها ابشري يا أمه فان لك عند الله من الثواب كذا وكذا فصبرت ، ثم أتى عليها فرعون يوما آخر فقال لها مثل ذلك فقالت له مثل ذلك فذبح ابنها الآخر في فيها فبشرها روحه أيضا وقال لها اصبري يا أمه فان لك عند الله من الثواب كذا وكذا ، قال وسمعت امرأة فرعون كلام روح ابنها الاكبر ثم الاصغر فآمنت امرأة فرعون وقبض الله روح امرأة خازن فرعون وكشف الغطاء عن ثوابها ومنزلتها وكرامتها في الجنة لامرأة فرعون حتى رأت فازدادت إيمانا ويقينا وتصديقا، فأطلع الله فرعون على ايمانها فقال للملأ ماتعلمون من آسية بنت مزاحم ؟ فاثنوا عليها فقال لهم إنها تعبد غيري فقالوا له اقتلها فأوتد لها أوتاداً فشد يديها ورجليها فدعت آسية ربها فقالت (رب ابن لي عندك بيتا

قال المفسرون لما غلب موسى السحرة آمنت امرأة فرعون فلما تبين لفرعون اسلامها أوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس، قال سلمان كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس فاذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة ﴿ إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ﴾ فكشف الله لها عن بيتها في الجنة حتى رأته ، وفي القصة ان فرعون امر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما أتوها بالصخرة قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فأبصرت بيتها في الجنة من درة وانتزع روحها فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه ولم تجد ألما . وقال الحسن وابن كيسان رفع الله امرأة فرعون الى الجنة فهي فيها تأكل وتشرب ﴿ ونجني من فرعون وعمله ﴾ قال مقاتل وعمله يعني الشرك وقال ابو صالح عن ابن عباس

في الجنة) فوافق ذلك أن حضرها فرعون فضحكت حين رأت بيتها في الجنة فقال فرعون ألا تعجبون من جنونها إنا نعذبها وهي تضحك فقبض الله روحها في الجنة رضي الله عنها

وقوله تعالى (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها) أي حفظته وصانته والاحصان هو العفاف والحرية (فنفخنا فيه من روحنا) أي بواسطة الملك وهو جبريل فان الله بعثه اليها فتمثل لها في صورة بشر سوي وأمره الله تعالى أن ينفخ بفيه في جيب درعها فنزلت النفخة فولجت في فرجها فكان منه الحمل بعيسى عليه السلام ولهذا قال تعالى (فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه) أي بقدره وشرعه (وكانت من القانتين)

قال الامام أحمد ثنا يونس ثنا داود بن أبي الفرات عن علباء عن عكرمة عن ابن عباس قال : خط رسول الله ﷺ في الارض أربعة خطوط وقال « أتدرون ماهذا ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم فقال رسول الله ﷺ « أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم امراة فرعون »

وقد ثبت في الصحيح من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة الهمداني عن أبي موسى الاشعري عن النبي ﷺ قال « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد ، وان فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» وقد ذكرنا طرق هذه الاحاديث وألفاظها والكلام عليها في قصة عيسى بن مريم عليهما السلام في كتابنا (البداية والنهاية) ولله الحمد والمنة وذكرنا ماورد من الحديث من انها تكون هي وآسية بنت مزاحم من أزواجه عليه السلام في الجنة عند قوله (ثيبات وأبكارا)

﴿ آخر تفسير سورة التحريم ولله الحمد والمنة ﴾

وعمله قال مجاهد ﴿ ونجني من القوم الظالمين ﴾ الكافرين ﴿ ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه ﴾ أي في جيب درعها ولذلك ذكر الكناية ﴿ من روحنا وصدقت بكلمات ربها ﴾ يعني الشرائع التي شرعها الله للعباد بكلماته المنزلة ﴿ وكتبه ﴾ قرأ أهل البصرة وحفص وكتبه على الجمع وقرأ الآخرون وكتابه على التوحيد والمراد منه الكثرة أيضا وأراد الكتب التي أنزلت على ابراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم السلام ﴿ وكانت من القانتين ﴾ أي من القوم القانتين المطيعين لربهم ولذلك لم يقل من القانتات وقال عطاء من القانتين أي من المصلين ويجوز أن يريد بالقانتين رهطها وعشيرتها فانهم كانوا أهل صلاح مطيعين لله

وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون »

تفسير سورة الملك وهي مكية

قال الامام احمد حدثنا حجاج بن محمد وابن جعفر قالا حدثنا شعبة عن قتادة عن عباس الجشمي عن ابي هريرة عن رسول الله ﷺ قال « إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت لصاحبها حتى غفر له : تبارك الذي بيده الملك » ورواه أهل السنن الاربعة من حديث شعبة به ، وقال الترمذي هذا حديث حسن ، وقد روى الحافظ بن عساكر في تاريخه في ترجمة احمد بن نصر بن زياد ابي عبد الله القرشي النيسابورى المقري الزاهد الفقيه أحد الثقاة الذين روى عنهم البخاري ومسلم لكن في غير الصحيحين ، وروى عنه الترمذي وابن ماجه وابن خزيمة وعليه تفقه في مذهب ابي عبيد بن حرويه وخلق سواهم ساق بسنده من حديثه عن فرات بن السائب عن الزهري عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ « ان رجلا ممن كان قبلكم مات وليس معه شيء من كتاب الله الا تبارك فلما وضع في حفرته أتاه الملك فثارت السورة في وجهه فقال لها انك من كتاب الله وانا اكره مساءتك واني لا أملك لك ولا له ولا لنفسي ضراً ولا نفعا فان أردت هذا به فانطلقي إلى الرب تبارك وتعالى فاشفعي له فتنطلق إلى الرب فتقول يارب ان فلانا عمد إلي من بين كتابك فتعلمني وتلاني أفتحرقه أنت بالنار وتعذبه وانا في جوفه فان كنت فاعلا ذاك به فامحني من كتابك فيقول ألا أراك غضبت فتقول وحق لي ان اغضب فيقول اذهبي فقد وهبته لك وشفعتك فيه ـ قال ـ فتجيء فتزجر الملك فيخرج خاسف البال لم يحل منه بشيء ـ قال ـ فتجيء فتضع فاها على فيه فتقول مرحبا بهذا الفم فربما تلاني ومرحبا بهذا الصدر فربما وعاني ومرحبا بهاتين القدمين فربما قامتا بي وتؤنسه في قبره مخافة الوحشة عليه » قال فلما حدث بهذا رسول الله ﷺ لم يبق صغير ولا كبير ولا حر ولا عبد إلا تعلمها وسماها رسول الله ﷺ المنجية . قلت وهذا حديث منكر جداً وفرات بن السائب هذا ضعفه الامام احمد ويحيى بن معين والبخاري وابو حاتم والدارقطني وغير واحد

وقد ذكره ابن عساكر من وجه آخر عن الزهري من قوله مختصراً[1] وروى البيهقي في كتاب اثبات عذاب القبر عن ابن مسعود موقوفا ومرفوعا مايشهد لهذا وقد كتبناه في كتاب الجنائز من (الاحكام الكبرى) ولله الحمد والمنة ، وقد روى الطبراني والحافظ الضياء المقدسي من طريق سلام ابن مسكين عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « سورة في القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة : تبارك الذي بيده الملك »

(١) هذا إلى قوله وقال الترمذي ليس في النسخة المكية

وقال الترمذي حدثنا محمد بن عبد الملك بن ابي الشوارب حدثنا يحيى بن عمرو بن مالك النكري عن أبيه عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر وهو لايحسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي ﷺ فقال يارسول الله ضربت

خبائي على قبر وأنا لا أحسب انه قبر فاذا انسان يقرأ سورة الملك تبارك حتى ختمها فقال رسول الله ﷺ « هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر » ثم قال هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي الباب عن ابي هريرة ، ثم روى الترمذي أيضا من طريق ليث بن ابي سليم عن ابي الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ ا لم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك ، وقال ليث عن طاوس يفضلان كل سورة في القرآن بسبعين حسنة

وقال الطبراني حدثنا محمد بن الحسن بن عجلان الاصبهاني حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا ابراهيم ابن الحكم بن ابان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لوددت أنها في قلب كل انسان من أمتي » يعني تبارك الذي بيده الملك هذا حديث غريب وابراهيم ضعيف ، وقد تقدم مثله في سورة يس ، وقد روى هذا الحديث عبد بن حميد في مسنده بأ بسط من هذا فقال حدثنا ابراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس انه قال لرجل ألا أتحفك بحديث تفرح به؟ قال بلى قال اقرأ تبارك الذى بيده الملك وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له أن تنجيه من عذاب النار وينجى بها صاحبها من عذاب القبر قال رسول الله ﷺ « لوددت أنها في قلب كل انسان من أمتي »

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

تبٰرك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير (١) الذي خلق الموت والحيوٰة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور (٢) الذي خلق سبع سمٰوٰت طباقا ماترى في خلق الرحمٰن من تفٰوت فارجع البصر هل ترى من فطور (٣) ثم ارجع البصر كرّتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير (٤) ولقد زينا السماء الدنيا بمصٰبيح وجعلنٰها رجوما للشيٰطين وأعتدنا لهم عذاب السعير (٥)

يمجد تعالى نفسه الكريمة ويخبر انه بيده الملك اي هو المتصرف جميع المخلوقات بما يشاء لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله ولهذا قال تعالى (وهو على كل شيء قدير) ثم قال

﴿ سورة الملك مكية وهي ثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير * الذي خلق الموت والحياة ﴾ قال عطاء عن

تعالى (الذي خلق الموت والحياة) واستدل بهذه الآية من قال ان الموت أمر وجودي لانه مخلوق ومعنى الآية انه أوجد الخلائق من العدم (ليبلوهم) اي يختبرهم (أيهم أحسن عملا) كما قال تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم) فسمى الحال الاول وهو العدم موتا وسمى هذه النشأة حياة ولهذا قال تعالى (ثم يميتكم ثم يحييكم)

وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا خليد عن قتادة في قوله تعالى (الذي خلق الموت والحياة) قال كان رسول الله ﷺ يقول « ان الله أذل بني آدم بالموت وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت ، وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء » ورواه معمر عن قتادة

وقوله تعالى (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) أي خير عملا كما قال محمد بن عجلان ولم يقل أكثر عملا ثم قال تعالى (وهو العزيز الغفور) أي هو العزيز العظيم المنيع الجناب وهو مع ذلك غفور لمن تاب اليه وأناب بعد ماعصاه وخالف أمره وإن كان تعالى عزيزاً هو مع ذلك يغفر ويرحم ويصفح ويتجاوز ثم قال تعالى (الذي خلق سبع سموات طباقا) أي طبقة بعد طبقة وهل هن متواصلات بمعنى أنهن علويات بعضهن على بعض أو متفاصلات بينهن خلاء ؟ فيه قولان أصحهما الثاني كما دل على ذلك حديث الاسراء وغيره ، وقوله تعالى (ماترى في خلق الرحمن من تفاوت) أي بل هو مصطحب مستو ليس

ابن عباس يريد الموت في الدنيا والحياة في الآخرة وقال قتادة أراد موت الانسان وحياته في الدنيا جعل الله الدنيا دار حياة ودار فناء وجعل الآخرة دار جزاء ودار بقاء ، قيل انما قدم الموت لانه الى القهر اقرب وقيل قدمه لانه أقدم لان الاشياء في الابتداء كانت في حكم الموت كالنطفة والتراب ونحوهما ثم طرأت عليها الحياة ، وقال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش املح لا يمر بشيء ولا يجد ريحه شيء الا مات ، وخلق الحياة على صورة فرس بلقاء أنثى وهي التي كان جبريل والانبياء يركبونها لا تمر بشيء ولا يجد ريحها شيء الا حيي وهي التي أخذ السامري قبضة من أثرها فالقى على العجل فحيي ﴿ليبلوكم﴾ فيما بين الحياة الى الموت ﴿ أيكم أحسن عملا ﴾

روي عن ابن عمر مرفوعا أحسن عملا أحسن عقلا وأورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقال الفضيل بن عياض أحسن عملا أخلصه وأصوبه وقال العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا فالخالص اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة، وقال الحسن أيكم أزهد في الدنيا وأترك لها، وقال الفراء لم توقع البلوى على أي إلا وبينهما اضمار كما تقول بلوتكم لأنظر أيكم أطوع ومثله سلهم أيهم بذلك زعيم أي سلهم وانظر أيهم فأي رفع على الابتداء وأحسن خبره ﴿ وهو العزيز ﴾ في انتقامه ممن عصاه ﴿ الغفور ﴾ لمن تاب اليه ﴿ الذي خلق سبع سموات طباقا ﴾ طبقا على طبق بعضها فوق بعض ﴿ ماترى في خلق الرحمن من تفاوت ﴾ قرأ حمزة والكسائي من تفوت بتشديد الواو بلا ألف وقرأ

فيه اختلاف ولا تنافر ولا مخالفة ولا نقص ولا عيب ولا خلل ولهذا قال تعالى (فارجع البصر هل ترى من فطور) أي انظر الى السماء فتأملها هل ترى فيها عيبا أو نقصا أو خللا أو فطوراً ، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والثوري وغيرهم في قوله تعالى (فارجع البصر هل ترى من فطور ؟) أي شقوق وقال السدي (هل ترى من فطور) أي من خروق ، وقال ابن عباس في رواية (من فطور) أي من وهاء ، وقال قتادة (هل ترى من فطور) أي هل ترى خللا ياابن آدم

وقوله تعالى (ثم ارجع البصر كرتين) قال قتادة مرتين (ينقلب اليك البصر خاسئا) قال ابن عباس ذليلا ، وقال مجاهد وقتادة صاغراً (وهو حسير) قال ابن عباس يعني وهو كليل ، وقال مجاهد وقتادة والسدي الحسير المنقطع من الاعياء ، ومعنى الآية انك لو كررت البصر مهما كررت لانقلب اليك أي لرجع اليك البصر (خاسئا) عن أن يرى عيبا أو خللا (وهو حسير) أي كليل قد انقطع من الاعياء من كثرة التكرر ولا يرى نقصاً ، ولما نفى عنها في خلقها النقص بين كمالها وزينتها فقال (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) وهي الكواكب التي وضعت فيها من السيارات والثوابت

وقوله تعالى (وجعلناها رجوما للشياطين) عاد الضمير في قوله وجعلناها على جنس المصابيح لا على عينها لأنه لايرمي بالكواكب التي في السماء بل بشهب من دونها وقد تكون مستمدة منها والله أعلم

وقوله تعالى (وأعتدنا لهم عذاب السعير) أي جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا وأعتدنا لهم عذاب السعير في الاخرى كما قال تعالى في أول الصافات [انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب * وحفظا من كل شيطان مارد * لايسمعون الى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحوراً ولهم عذاب

الآخرون بتخفيف الواو والف قبلها وهما لغتان كالتحمل والتحامل والتظهر والتظاهر ومعناه ماترى يا ابن آدم في خلق الرحمن من اعوجاج واختلاف وتناقض بل هي مستقيمة مستوية وأصله من الفوت وهو ان يفوت بعضها بعضا لقلة استوائها ﴿ فارجع البصر ﴾ كرر النظر معناه انظر ثم ارجع البصر ﴿ هل ترى من فطور ﴾ شقوق وصدوع ﴿ ثم ارجع البصر كرتين ﴾ قال ابن عباس مرة بعد مرة ﴿ ينقلب ﴾ ينصرف ويرجع ﴿ اليك البصر خاسئا ﴾ صاغرا ذليلا مبعداً لم ير مايهوى ﴿ وهو حسير ﴾ كليل منقطع لم يدرك ماطلب

وروي عن كعب انه قال السماء الدنيا موج مكفوف والثانية من درة بيضاء والثالثة حديد والرابعة صفر أو قال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء ومن السماء السابعة الى الحجب السبعة صحارى من نور ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ أراد الادنى من الارض وهي التي يراها الناس

وقوله (بمصابيح الكواكب) واحدها مصباح وهو السراج سمي الكوكب مصباحا لاضاءته ﴿ وجعلناها رجوما ﴾ مرامي ﴿ للشياطين ﴾ إذا استرقوا السمع ﴿ وأعتدنا لهم ﴾ في الآخرة ﴿ عذاب

واصب * إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب] قال قتادة انما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال خلقها الله زينة السماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف مالا علم له به . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم

وللذين كفروا بربهم عذابُ جهنم وبئس المصير (٦) إذا أُلقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور (٧) تكاد تميَّز من الغيظ كلما أُلقيَ فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير؟ (٨) قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزَّل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير (٩) وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحٰب السعير (١٠) فاعترفوا بذنبهم فسُحقا لأصحٰب السعير (١١)

يقول تعالى وأعتدنا للذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير أي بئس المآل والمنقلب (اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا) قال ابن جرير يعني الصياح وهي تفور ، قال الثوري تغلي بهم كما يغلي الحب القليل في الماء الكثير

وقوله تعالى (تكاد تميز من الغيظ) أي تكاد ينفصل بعضها من بعض من شدة غيظها عليهم وحنقها بهم [كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ؟ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان أنتم الا في ضلال كبير] يذكر تعالى عدله في خلقه وانه لا يعذب أحداً الا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول اليه كما قال تعالى [وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا] وقال تعالى [حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين] وهكذا عادوا على أنفسهم بالملامة وندموا حيث لا تنفعهم الندامة فقالوا [لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير] أي لو كانت لنا عقول ننتفع بها أو نسمع ما أنزله الله من الحق لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله

السعير ﴾ النار الموقدة ﴿ وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير * اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا ﴾ وهو أول نهيق الحمار وذلك أقبح الاصوات ﴿ وهي تفور ﴾ تغلي بهم كغلي المرجل ، وقال مجاهد تفور بهم كما يفور الماء الكثير في الحب القليل ﴿ تكاد تميز ﴾ تتقطع ﴿ من الغيظ ﴾ من تغيظها عليهم قال ابن قتيبة تكاد تنشق غيظا على الكفار ﴿ كلما ألقي فيها فوج ﴾ جماعة منهم ﴿ سألهم خزنتها ﴾ سؤال توبيخ ﴿ ألم يأتكم نذير ﴾ رسول ينذركم ﴿ قالوا بلى قد جاءنا نذير * فكذبنا وقلنا ﴾ للرسل ﴿ ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير * وقالوا لو كنا نسمع ﴾ من الرسل ما جاءونا به ﴿ أو نعقل ﴾ منهم وقال ابن عباس لو كنا نسمع الهدى أو نعقله فنعمل به ﴿ ما كنا في أصحاب السعير ﴾ قال الزجاج لو كنا نسمع سمع من يعي ويتفكر أو نعقل عقل من يميز وينظر ما كنا من أهل النار

والاغترار به ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم قال الله تعالى (فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير)

قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البختري الطائي قال أخبرني من سمعه من رسول الله ﷺ أنه قال « لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم » وفي حديث آخر « لا يدخل أحد النار إلا وهو يعلم أن النار أولى به من الجنة »

إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير (١٢) وأسروا قولكم او اجهروا به إنه عليم بذات الصدور (١٣) ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟ (١٤) هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور (١٥)

يقول تعالى مخبراً عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائباً عن الناس فينكف عن المعاصي ويقوم بالطاعات حيث لا يراه أحد إلا الله تعالى بأنه له مغفرة وأجر كبير أي تكفر عنه ذنوبه ويجازى بالثواب الجزيل كما ثبت في الصحيحين « سبعة يظلهم الله تعالى في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله » فذكر منهم رجلا دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني أخاف الله، ورجلا تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه

وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا طالوت بن عباد حدثنا عباد حدثنا الحارث بن عبيد عن ثابت عن أنس قال : قالوا يا رسول الله إنا نكون عندك على حال فاذا فارقناك كنا على غيره قال « كيف أنتم وربكم ؟ » قالوا الله ربنا في السر والعلانية ، قال « ليس ذلكم النفاق » لم يروه عن ثابت إلا الحارث بن عبيد فيما نعلمه

ثم قال تعالى منبهاً على انه مطلع على الضمائر والسرائر (وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور) أي بما يخطر في القلوب (ألا يعلم من خلق ؟) أي ألا يعلم الخالق ؟ وقيل معناه ألا يعلم الله مخلوقه والاول أولى لقوله (وهو اللطيف الخبير)

﴿ فاعترفوا بذنبهم فسحقا ﴾ بعدا ﴿ لاصحاب السعير ﴾ قرأ أبو جعفر والكسائي فسحقا بضم الحاء وقرأ الباقون بسكونها وهما لغتان مثل الرعب والرعب والسحت والسحت ﴿ إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير * وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور ﴾ قال ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فيخبره جبريل عليه السلام بما قالوا فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم كي لا يسمع إله محمد فقال الله جل ذكره ﴿ ألا يعلم من خلق ﴾ ألا يعلم ما في الصدور من خلقها ﴿ وهو اللطيف الخبير ﴾ خلقها لطيف علمه بما في القلوب الخبير بما فيها من السر والوسوسة وقيل

ثم ذكر نعمته على خلقه في تسخيره لهم الارض وتذليله إياها لهم بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال وأنبع فيها من العيون وسلك فيها من السبل وهيأ فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار فقال تعالى (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها) أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئا الا أن ييسره الله لكم ولهذا قال تعالى (وكلوا من رزقه) فالسعي في السبب لاينافي التوكل كما قال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أخبرني بكر بن عمرو أنه سمع عبدالله بن هبيرة يقول انه سمع أباتميم الجيشاني يقول انه سمع عمر بن الخطاب يقول انه سمع رسول الله ﷺ يقول « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا » رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابن هبيرة وقال الترمذي حسن صحيح ، فأثبت لها رواحا وغدوا لطلب الرزق مع توكلها على الله عز وجل وهو المسخر المسير المسبب (واليه النشور) أي المرجع يوم القيامة، قال ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة: مناكبها أطرافها وفجاجها ونواحيها وقال ابن عباس وقتادة أيضا مناكبها الجبال

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن حكام الازدي حدثنا شعبة عن قتادة عن يونس بن جبير عن بشير بن كعب انه قرأ هذه الآية (فامشوا في مناكبها) فقال لأم ولد له: إن علمت مامناكبها فأنت عتيقة فقالت هي الجبال فسأل أبا الدرداء فقال هي الجبال

ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور ؟ (١٦) أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا؟ فستعلمون كيف نذير (١٧) ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير ؟ (١٨) أولم يروا الى الطير فوقهم صفت ويقبضن ؟ ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شيء بصير (١٩)

وهذا أيضا من لطفه ورحمته بخلقه انه قادر على تعذيبهم بسبب كفر بعضهم به وعبادتهم معه

من يرجع الى المخلوق أي ألا يعلم الله مخلوقه ﴿ هو الذي جعل لكم الارض ذلولا ﴾ سهلا لا يمتنع المشي فيها بالحزونة ﴿ فامشوا في مناكبها ﴾ قال ابن عباس وقتادة في جبالها وقال الضحاك في آكامها ، وقال مجاهد في طرقها وفجاجها قال الحسن في سبلها وقال الكلبي في أطرافها وقال مقاتل في نواحيها قال الفراء في جوانبها، والاصل في الكلمة الجانب ومنه منكب الرجل والريح النكباء وتنكب فلان ﴿ وكلوا من رزقه ﴾ مما خلقه رزقا لكم في الارض ﴿ واليه النشور ﴾ أي واليه تبعثون من قبوركم ثم خوف الكفار فقال ﴿ ءأمنتم من في السماء ﴾ قال ابن عباس أي عذاب من في السماء ان عصيتموه ﴿ أن يخسف بكم

غيره وهو مع هذا يحلم ويصفح ويؤجل ولا يعجل كما قال تعالى [ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا] وقال ههنا [أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور] أي تذهب وتجيء وتضطرب [أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا] أي ريحا فيها حصباء تدمغكم كما قال تعالى [أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا] وهكذا توعدهم ههنا بقوله [فستعلمون كيف نذير] أي كيف يكون انذاري وعاقبة من تخلف عنه وكذب به

ثم قال تعالى (ولقد كذب الذين من قبلهم) اي من الامم السالفة والقرون الخالية (فكيف كان نكير) أي فكيف كان إنكاري عليهم ومعاقبتي لهم أي عظيما شديدا أليما

ثم قال تعالى [أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن] أي تارة يصففن اجنحتهن في الهواء وتارة تجمع جناحا وتنشر جناحا [مايمسكهن] أي في الجو [الا الرحمن] أي بماسخر لهن من الهواء من رحمته ولطفه [انه بكل شيء بصير] أي بما يصلح كل شيء من مخلوقاته وهذه كقوله تعالى [ألم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء مايمسكهن الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون]

أمّن هذا الذي هو جُند لكم ينصركم من دون الرحمن ؟ إنْ الكافرون إلا في غرور (٢٠) أمّن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه ؟ بل لجّوا في عتوٍّ ونفور (٢١) أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمّن يمشي سويا على صراط مستقيم ؟ (٢٢) قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ماتشكرون (٢٣) قل هو الذى ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون (٢٤) ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ؟ (٢٥) قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين (٢٦) فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذي كنتم به تدّعون (٢٧)

الارض فاذا هي تمور ﴾ قال الحسن تتحرك بأهلها وقيل تهوي بهم والمعنى أن الله تعالى يحرك الارض عند الخسف بهم حتى تلقيهم الى أسفل والارض تعلو عليهم وتمور فوقهم يقال مار يمور إذا جاء وذهب ﴿ أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا ﴾ ريحا ذات حجارة كما فعل بقوم لوط ﴿ فستعلمون ﴾ في الآخرة وعند الموت ﴿ كيف نذير ﴾ أي انذاري اذا عاينتم العذاب ﴿ ولقد كذب الذين من قبلهم ﴾ من كفار الامم الماضية ﴿ فكيف كان نكير ﴾ أي انكاري عليهم بالعذاب ﴿ أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ﴾ تصف أجنحتهن في الهواء ﴿ ويقبضن ﴾ أجنحتهن بعد البسط ﴿ مايمسكهن ﴾ في حال القبض والبسط ان يسقطن ﴿ إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير * أمن هذا الذي هو جند لكم ﴾

يقول تعالى للمشركين الذين عبدوا معه غيره يبتغون عندهم نصراً ورزقاً منكراً عليهم فيما اعتقدوه ومخبرا لهم أنه لايحصل لهم ما أملوه فقال تعالى (أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) أي ليس لكم من دونه من ولي ولا واق ولا ناصر لكم غيره ولهذا قال تعالى (إن الكافرون إلا في غرور)

ثم قال تعالى (أمن هذا الذي يرزقكم ان أمسك رزقه؟) أي من هذا الذي اذا قطع الله عنكم رزقه يرزقكم بعده؟ أي لا أحد يعطي ويمنع ويخلق ويرزق وينصر إلا الله عز وجل وحده لاشريك له أي وهم يعلمون ذلك ومع هذا يعبدون غيره ولهذا قال تعالى (بل لجوا) أي استمروا في طغيانهم وافكهم وضلالهم (في عتو ونفور) أي في معاندة واستكبار ونفور على أدبارهم عن الحق لا يسمعون له ولا يتبعونه

ثم قال تعالى (أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى؟ أمن يمشي سويا على صراط مستقيم؟) وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشي مكبا على وجهه أي يمشي منحنيا لامستويا على وجهه أي لايدري أين يسلك ولا كيف يذهب بل تائه حائر ضال أهذا اهدى (أمن يمشي سويا ؟) أي منتصب القامة (على صراط مستقيم) أي على طريق واضح بين وهو في نفسه مستقيم وطريقه مستقيمة هذا مثلهم في الدنيا وكذلك يكونون في الآخرة ، فالمؤمن يحشر يمشي سويا على صراط مستقيم مفض به الى الجنة الفيحاء ، وأما الكافر فانه يحشر يمشي على وجهه الى نار جهنم (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم) الآيات أزواجهم اشباههم

قال الامام أحمد رحمه الله حدثنا ابن نمير حدثنا اسماعيل عن نفيع قال سمعت أنس بن مالك يقول قيل يارسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم ؟ فقال « أليس الذي امشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم ؟ » وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من طريق[1]

وقوله تعالى (قل هو الذي أنشأكم) أي ابتدأ خلقكم بعد ان لم تكونوا شيئا مذكورا (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) أى العقول والادراك [قليلا ماتشكرون] أي قلما تستعملون هذه

(١) هنا بياض بالأصول والحديث في صحيح البخارى فى كتاب التفسير فى سورة الفرقان عن أنس بن مالك أيضا .

استفهام انكار قال ابن عباس أي منعة لكم ﴿ ينصركم من دون الرحمن ﴾ يمنعكم من عذابه ويدفع عنكم ما أراد بكم ﴿ ان الكافرون الا في غرور ﴾ أي في غرور من الشيطان يغرهم بان العذاب لاينزل بهم ﴿ أمن هذا الذي يرزقكم ان أمسك رزقه؟ ﴾ أي من الذي يرزقكم المطر ان أمسك الله عنكم؟ ﴿ بل لجوا في عتو ﴾ تماد في الضلال ﴿ ونفور ﴾ تباعد من الحق قال مجاهد الكفور ثم ضرب مثلا فقال ﴿ أفمن يمشي مكبا على وجهه ﴾ راكبا رأسه في الضلالة والجهالة أعمى العين والقلب لا يبصر يمينا ولا شمالا وهو الكافر قال قتادة راكبا على المعاصي في الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيامة ﴿ أهدى؟ أمن يمشي سويا؟ ﴾ معتدلا يبصر الطريق وهو ﴿ على صراط مستقيم ﴾ وهو مؤمن قال قتادة يمشي يوم القيامة سويا ﴿ قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون ﴾ قال مقاتل يعني أنهم لا يشكرون رب

القوى التي أنعم الله بها عليكم في طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره [قل هو الذي ذرأكم في الارض] أي بثكم ونشركم في أقطار الارض وارجائها مع اختلاف ألسنتكم في لغاتكم وألوانكم وحلاكم واشكالكم وصوركم [واليه تحشرون] أى تجمعون بعد هذا التفرق والشتات يجمعكم كما فرقكم ويعيدكم كما بدأكم ثم قال تعالى مخبرا عن الكفار المنكرين للمعاد المستبعدين وقوعه [ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين] أي متى يقع هذا الذى تخبرنا بكونه من الاجتماع بعد هذا التفرق [قل إنما العلم عند الله] أي لا يعلم وقت ذلك على التعيين إلا الله عز وجل لكنه أمرني أن اخبركم أن هذا كائن وواقع لامحالة فاحذروه [وإنما أنا نذير مبين] أي وإنما علي البلاغ وقد أديته اليكم

قال الله تعالى [فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا] أي لما قامت القيامة وشاهدها الكفار ورأوا أن الامر كان قريبا لان كل ما هو آت آت وان طال زمنه فلما وقع ما كذبوا به ساءهم ذلك لما يعلمون مالهم هناك من الشر أي فأحاط بهم ذلك وجاءهم من أمر الله مالم يكن لهم في بال ولاحساب (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) ولهذا يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ [هذا الذي كنتم به تدعون] أي تستعجلون

قل أرءيتم ان أهلكني الله ومن معي أو رحمنا فمن يجير الكٰفرين من عذاب أليم ؟ (٢٨)

قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو في ضلٰل مبين (٢٩) قل أرءيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين ؟ (٣٠)

يقول تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الجاحدين لنعمه [أرأيتم ان اهلكني الله ومن معي أو رحمنا ؟ فمن يجير الكافرين من عذاب أليم؟] أي خلصوا انفسكم فانه لامنقذ لكم من الله إلا بالتوبة

هذه النعم ﴿ قل هو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون * ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين؟ * قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين * فلما رأوه ﴾ يعني العذاب في الآخرة على قول أكثر المفسرين وقال مجاهد يعني العذاب ببدر ﴿ زلفة ﴾ أي قريبا وهو اسم يوصف به المصدر ويستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والاثنان والجمع ﴿ سيئت وجوه الذين كفروا ﴾ اسودت وعلتها الكآبة، فالمعنى قبحت وجوههم بالسواد يقال ساء الشيء يسوء فهو سيء اذا قبح وسيء يساء اذا أقبح ﴿ وقيل ﴾ لهم أي قال لهم الخزنة ﴿ هذا ﴾ أي هذا العذاب ﴿ الذي كنتم به تدعون ﴾ تفتعلون من الدعاء أي ان تدعوه وتتمنوه فانه يعجله لكم ، وقرأ يعقوب تدعون بالتخفيف وهي قراءة قتادة ومعناهما واحد مثل تذكرون وتذكرون ﴿ قل ﴾ يا محمد لمشركي مكة الذين يتمنون هلاكك ﴿ أرأيتم ان اهلكني الله ومن معي ﴾ من المؤمنين ﴿ أو رحمنا ﴾ فأبقانا الى منتهى آجالنا ﴿ فمن يجير الكافرين من عذاب أليم؟ ﴾ فانه واقع بهم لامحالة

والانابة والرجوع الى دينه ولا ينفعكم وقوع ما تتمنون لنا من العذاب والنكال فسواء عذبنا الله أو رحمنا فلا مناص لكم من نكاله وعذابه الاليم الواقع بكم

ثم قال تعالى [قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا] أي آمنا برب العالمين الرحمن الرحيم وعليه توكلنا في جميع امورنا كما قال تعالى [فاعبده وتوكل عليه] ولهذا قال تعالى [فستعلمون من هو في ضلال مبين؟] أي منا ومنكم ولمن تكون العاقبة في الدنيا والآخرة

ثم قال تعالى (قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً) أي ذاهبا في الارض إلى أسفل فلا ينال بالفؤس الحداد ولا السواعد الشداد والغائر عكس النابع ولهذا قال تعالى (فمن يأتيكم بماء معين؟) أي نابع سائح جار على وجه الارض أي لايقدر على ذلك إلا الله عز وجل فمن فضله وكرمه أن أنبع لكم المياه وأجراها في سائر أقطار الارض بحسب مايحتاج العباد اليه من القلة والكثرة فلله الحمد والمنة

﴿ آخر تفسير سورة الملك ولله الحمد ﴾

وقيل معناه أرأيتم ان أهلكني الله فيعذبني ومن معي أو رحمنا فيغفر لنا؟ فنحن مع ايماننا خائفون أن يهلكنا بذنوبنا لان حكمه نافذ فينا [فمن يجير الكافرين؟] فمن يجيركم ويمنعكم من عذابه وانتم كافرون وهذا معنى قول ابن عباس ﴿ قل هو الرحمن ﴾ الذي نعبده ﴿ آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون ﴾ قرأ الكسائي بالياء وقرأ الباقون بالتاء ﴿من هو في ضلال مبين؟﴾ أي ستعلمون عند معاينة العذاب من الضال أنحن أم أنتم؟ ﴿قل أرأيتم ان اصبح ماؤكم غوراً﴾ أى غائراً ذاهبا في الارض لاتناله الايدى والدلاء قال الكلبي ومقاتل يعني ماء زمزم ﴿ فمن يأتيكم بماء معين ﴾ ظاهر تراه العيون وتناله الايدى والدلاء وقال عطاء عن ابن عباس معين أى جار

أخبرنا ابو سعيد الشريحي أنا ابو اسحاق الثعلبي أخبرني الحسن الفارسي ثنا ابو عبد الله محمد ابن يزيد ثنا ابو يحيى البزار ثنا محمد بن يحيى ثنا ابو داود ثنا عمران عن قتادة عن ابن عباس الجشمي عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « ان سورة من كتاب الله ماهي الا ثلاثون آية شفعت لرجل فأخرجته يوم القيامة من النار وأدخلته الجنة وهي سورة تبارك »

تفسير سورة ن وهى مكية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ن والقلم وما يسطرون (١) ماأنت بنعمة ربك بمجنون (٢) وان لك لأجرا غير ممنون (٣) وانك لعلى خُلُق عظيم (٤) فستبصر ويبصرون (٥) بأيكم المفتون؟ (٦) ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين (٧)

قد تقدم الكلام على حروف الهجاء في أول سورة البقرة وأن قوله تعالى (ن) كقوله (ص - ق) ونحو ذلك من الحروف المقطعة في أوائل السور وتحرير القول في ذلك بما أغنى عن اعادته ههنا ، وقيل المراد بقوله [ن] حوت عظيم على تيار الماء العظيم المحيط وهو حامل الأرضين السبع كما قال الامام ابو جعفر ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى حدثنا سفيان هو الثوري حدثنا سليمان هو الاعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال : أول ماخلق الله القلم قال اكتب ، قال وماذا أكتب ؟ قال اكتب القدر فجرى بما يكون من ذلك اليوم إلى قيام الساعة ، ثم خلق النون ورفع بخار الماء ففتقت منه السماء وبسطت الارض على ظهر النون فاضطرب النون فمادت الارض فأثبتت بالجبال فانها لتفخر على الارض وكذا رواه ابن أبي حاتم عن احمد بن سنان عن أبي معاوية عن الاعمش به ، وهكذا رواه شعبة ومحمد ابن فضيل ووكيع عن الاعمش به ، وزاد شعبة في روايته ثم قرأ (ن والقلم وما يسطرون) وقد رواه شريك عن الاعمش عن أبي ظبيان أو مجاهد عن ابن عباس فذكر نحوه ، ورواه معمر عن الاعمش أن ابن عباس قال فذكره ثم قرأ (ن والقلم وما يسطرون)

ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن عطاء عن أبي الضحى عن ابن عباس قال : إن أول شيء خلق ربي عز وجل القلم ثم قال لها كتب فكتب ماهو كائن إلى أن تقوم الساعة ، ثم خلق النون فوق الماء ثم كبس الارض عليه

﴿ سورة القلم مكية وهي اثنتان وخمسون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ن ﴾ اختلفوا فيه فقال ابن عباس هو الحوت الذي على ظهره الارض وهو قول مجاهد ومقاتل والسدى والكلبي وروى أبو ظبيان عن ابن عباس قال أول ماخلق الله القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض فأثبتت بالجبال وان

وقد روى الطبراني ذلك مرفوعا فقال حدثنا ابو حبيب زيد بن المهدي المروزي حدثنا سعيد ابن يعقوب الطالقاني حدثنا مؤمل بن اسماعيل حدثنا حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى مسلم بن صبيح عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أول ماخلق الله القلم والحوت قال ما أكتب؟ قال كل شيء كائن إلى يوم القيامة» ثم قرأ (ن والقلم وما يسطرون) فالنون الحوت، والقلم القلم

(1) «حديث آخر» في ذلك رواه ابن عساكر عن أبي عبد الله مولى بني أمية عن أبي صالح عن أبي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن أول شيء خلقه الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة ثم قال له اكتب، قال وما أكتب؟ قال اكتب مايكون أو ماهو كائن من عمل أو رزق أو أجل فكتب ذلك الى يوم القيامة فذلك قوله (ن والقلم وما يسطرون) ثم ختم على القلم فلم يتكلم الى يوم القيامة، ثم خلق العقل وقال وعزتي لأكملنك فيمن أحببت ولانقصنك ممن أبغضت»

وقال ابن أبي نجيح ان ابراهيم بن أبي بكر أخبره عن مجاهد قال: كان يقال النون الحوت العظيم الذي تحت الارض السابعة، وقد ذكر البغوي وجماعة من المفسرين أن على ظهر هذا الحوت صخرة سمكها كغلظ السموات والارض وعلى ظهرها ثور له أربعون ألف قرن وعلى متنه الارضون السبع وما فيهن وما بينهن والله أعلم

ومن العجيب أن بعضهم حمل على هذا المعنى الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا اسماعيل حدثنا حميد عن أنس أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم رسول الله ﷺ المدينة فأتاه فسأله عن أشياء قال إني سائلك عن أشياء لايعلمها إلا نبي، قال ما أول اشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع الى أبيه؟ وما بال الولد ينزع الى أمه؟ قال «أخبرني بهن جبريل آنفا» قال ابن سلام فذاك عدو اليهود من الملائكة قال «أما أول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب،

(1) هذا غير موجود في النسخة المكية

الجبال لتفخر على الارض، ثم قرأ ابن عباس [نٓ والقلم وما يسطرون] واختلفوا في اسمه فقال الكلبي ومقاتل بهموت وقال الواقدي ليوثا وقال كعب لوثيا وعن علي اسمه بلهوث

وقال الرواة لما خلق الله الارض وفتقها بعث من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع فوضعها على عاتقه، احدى يديه بالمشرق والاخرى بالمغرب باسطتين قابضتين على الارضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط الله عليه من الفردوس ثوراً له أربعون الف قرن وأربعون الف قائمة وجعل قرار قدمي الملك على سنامه فلم تستقر قدماه، فأخذ الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة في الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة الف عام فوضعها بين سنام الثور إلى أذنه فاستقرت عليها قدماه. وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الارض ومنخراه في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر وأزبد وإذا رد نفسه جزر فلم يكن لقوائم الثور موضع قرار

وأول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد الحوت ، وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد واذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت » ورواه البخاري من طرق عن حميد ورواه مسلم أيضاً وله من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ نحو هذا

وفي صحيح مسلم من حديث أبي أسماء الرحبي عن ثوبان أن حبراً سأل رسول الله ﷺ عن مسائل فكان منها أن قال فما تحفتهم؟ يعني أهل الجنة حين يدخلون الجنة قال « زيادة كبد الحوت » قال فما غذاؤهم على أثرها ؟ قال « ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها » قال فما شرابهم عليه؟ قال « من عين فيها تسمى سلسبيلا » وقيل المراد بقوله ن لوح من نور

قال ابن جرير حدثنا الحسن بن شبيب المكتب حدثنا محمد بن زياد الجزرى عن فرات بن ابي الفرات عن معاوية بن قرة عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ « (ن والقلم وما يسطرون) لوح من نور وقلم من نور يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة » وهذا مرسل غريب ، وقال ابن جريج أخبرت أن ذلك القلم من نور طوله مائة عام وقيل المراد بقوله (ن) دواة والقلم القلم

قال ابن جرير حدثنا عبدالاعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن وقتادة في قوله (ن) قالا هي الدواة ، وقد روى في هذا حديث مرفوع غريب جدا فقال ابن ابي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام ابن خالد حدثنا الحسن بن يحيي حدثنا أبو عبدالله مولى بنى أمية عن ابي صالح عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « خلق الله النون وهي الدواة »

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب حدثنا أخي عيسى بن عبدالله حدثنا ثابت الثمالي عن ابن عباس قال : ان الله خلق النون وهي الدواة وخلق القلم فقال اكتب قال وما أكتب ؟ قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل معمول بر او فجور او رزق مقسوم حلال اوحرام ثم ألزم كل شيء من ذلك شأنه دخوله في الدنيا ومقامه فيها كم ؟ وخروجه منها كيف ؟ ثم جعل على العباد حفظة وللكتاب خزانا فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم فاذا فني الرزق وانقطع الأثر وانقضى الاجل أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم فتقول لهم الخزنة مانجد لصاحبكم

فخلق الله تعالى صخرة كغلاظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه (فتكن في صخرة) ولم يكن للصخرة مستقر فخلق الله نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة يقل الدنيا كلها بما عليها حرفان من كتاب قال لها الجبار كوني فكانت

قال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذى على ظهره الارض فوسوس له فقال له أتدرى ماعلى ظهرك ياليوثيا من الامم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم القيتهم عن ظهرك فهم ليوثيا أن يفعل ذلك فبعث الله دابة فدخلت منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله منها فأذن لها فخرجت

عندنا شيئا فترجم الحفظة فيجدونهم قدماتوا قال فقال ابن عباس أ لستم قوما عربا تسمعون الحفظة يقولون (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون؟) وهل يكون الاستنساخ إلا من أصل؟

وقوله تعالى (والقلم) الظاهر انه جنس القلم الذى يكتب به كقوله (اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) فهو قسم منه تعالى وتنبيه لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم ، ولهذا قال (وما يسطرون) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني ومايكتبون وقال أبو الضحى عن ابن عباس وما يسطرون أى وما يعملون

وقال السدي وما يسطرون يعني الملائكة وما تكتب من أعمال العباد ، وقال آخرون بل المراد هنا بالقلم الذي أجراه الله بالقدر حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارضين بخمسين الف عام ، وأوردوا في ذلك الاحاديث الواردة في ذكر القلم فقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد يحيى بن يحيى بن سعيد القطان ويونس بن حبيب قالا حدثنا ابو داود الطيالسي حدثنا عبدالواحد ابن سليم السلمي عن عطاء هو ابن أبي رباح حدثني الوليد بن عبادة بن الصامت قال دعاني ابي حين حضره الموت فقال اني سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان أول ماخلق الله القلم فقال له اكتب قال يارب وما أكتب؟ قال اكتب القدر وما هو كائن الى الابد » وهذا الحديث قد رواه الامام احمد من طرق عن الوليد بن عبادة عن أبيه به ، وأخرجه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي به وقال حسن صحيح غريب

ورواه أبو داود في كتاب السنة من سننه عن جعفر بن مسافر عن يحيى بن حسان عن ابن رباح عن ابراهيم بن ابي عبلة عن ابي حفصة واسمه حبيش بن شريح الحبشي الشامي عن عبادة فذكره

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبدالله الطوسي حدثنا علي بن الحسن بن شقيق أنبأنا عبدالله بن المبارك حدثنا رباح بن زيد عن عمر بن حبيب عن القاسم بن ابي بزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال « ان أول شيء خلقه الله القلم فأمره فكتب كل شيء » غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد والقلم يعني الذي كتب به الذكر وقوله تعالى (وما يسطرون) أي يكتبون كما تقدم

قال كعب فوالذى نفسي بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشيء من ذلك عادت الى ذلك كما كانت وقال بعضهم ان نون آخر حروف الرحمن وهي رواية عكرمة عن ابن عباس

وقال الحسن وقتادة والضحاك النون الدواة وقيل هو قسم أقسم الله به وقيل فاتحة السورة وقال عطاء افتتاح اسمه نور وناصر ، وقال محمد بن كعب اقسم الله بنصرته المؤمنين ﴿والقلم﴾ هو الذى كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله مابين السماء والارض ويقال اول ماخلق القلم ونظر اليه فانشق بنصفين ثم قال اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك ﴿وما يسطرون﴾

وقوله (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) أي لست ولله الحمد بمجنون كما يقوله الجهلة من قومك المكذبون بما جئتهم به من الهدى والحق المبين فنسبوك فيه إلى الجنون (وان لك لأجراً غير ممنون) أي بل ان لك الاجر العظيم والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد على ابلاغك رسالة ربك إلى الخلق وصبرك على أذاهم ومعنى غير ممنون أي غير مقطوع كقوله (عطاء غير مجذوذ - فلهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع عنهم ، وقال مجاهد غير ممنون أي غير محسوب وهو يرجع إلى ما قلناه وقوله تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) قال العوفي عن ابن عباس وانك لعلى دين عظيم وهو الاسلام وكذلك قال مجاهد وابو مالك والسدي والربيع بن أنس وكذا قال الضحاك وابن زيد

وقال عطية لعلى أدب عظيم ، وقال معمر عن قتادة سئلت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ قالت كان خلقه القرآن تقول كما هو في القرآن ، وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قوله (وانك لعلى خلق عظيم) ذكر لنا ان سعيد بن هشام سأل عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت ألست تقرأ القرآن قال بلى قالت فان خلق رسول الله ﷺ كان القرآن

وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام قال سألت عائشة فقلت أخبريني يا أم المؤمنين عن خلق رسول الله ﷺ فقالت أتقرأ القرآن ؟ فقلت نعم فقالت كان خلقه القرآن ، هذا مختصر من حديث طويل ، وقد رواه الامام مسلم في صحيحه من حديث قتادة بطوله وسيأتي في سورة المزمل إن شاء الله تعالى وبه الثقة

يكتبون أي ما تكتب الملائكة الحفظة من أعمال بني آدم ﴿ ما أنت بنعمة ﴾ بنبوة ﴿ ربك بمجنون ﴾ هذا جواب لقولهم (يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون) فأقسم الله بالنون والقلم وما يكتب من الاعمال فقال (ما أنت بنعمة ربك) بنبوة ربك (بمجنون) هذا جواب القسم أي انك لا تكون مجنونا وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة وقيل بعصمة ربك وقيل هو كما يقال ما أنت بمجنون والحمد لله وقيل معناه ما أنت بمجنون والنعمة لربك كقولهم سبحانك اللهم وبحمدك أي والحمد لك ﴿ وان لك لاجراً غير ممنون ﴾ أي غير منقوص ولا مقطوع بصبرك على افترائهم عليك ﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾ قال ابن عباس ومجاهد دين عظيم لا دين أحب الي ولا أرضى عندي منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو آداب القرآن سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت كان خلقه القرآن . قال قتادة هو ما كان يأتمر به من أمر الله وينتهي عنه من نهي الله . والمعنى انك لعلى الخلق الذي أمرك الله به في القرآن . وقيل سمى الله خلقه عظيما لانه امتثل تأديب الله إياه بقوله [خذ العفو] الآية . وروينا عن جابر ان النبي ﷺ قال « ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال »

اخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل

وقال الامام احمد حدثنا اسماعيل حدثنا يونس عن الحسن قال سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت كان خلقه القرآن

وقال الامام احمد حدثنا أسود حدثنا شريك عن قيس بن وهب عن رجل من بني سواد قال سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت اما تقرأ القرآن ؟ [وانك لعلى خلق عظيم] قال قلت حدثيني عن ذاك قالت صنعت له طعاما وصنعت له حفصة طعاما فقلت لجاريتي اذهبي فان جاءت هي بالطعام فوضعته قبل فاطرحي الطعام ، قالت فجاءت بالطعام قالت فألقت الجارية فوقعت القصعة فانكسرت وكان نطع قالت فجمعه رسول الله ﷺ وقال « اقتصوا - أو اقتصي شك أسود - ظرفا مكان ظرفك » قالت فما قال شيئا

وقال ابن جرير حدثنا عبيد بن آدم بن أبي اياس حدثنا أبي حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن عن سعد بن هشام قال أتيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقلت لها اخبريني بخلق النبي ﷺ فقالت كان خلقه القرآن أما تقرأ (وانك لعلى خلق عظيم)

وقد روى أبو داود والنسائي من حديث الحسن نحوه ، وقال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير بن نفير قال حججت فدخلت على عائشة رضي الله عنها فسألتها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت كان خلق رسول الله ﷺ القرآن ، وهكذا

ثنا احمد بن سعيد أبو عبد الله ثنا اسحاق بن منصور ثنا ابراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي اسحاق قال سمعت البراء يقول كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير

أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا أبو القاسم علي بن احمد الخزاعي أنا ابو سعيد الهيثم ابن كليب الشاشي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جعفر بن سليمان الضبعي عن ثابت عن أنس بن مالك قال خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال لي لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقا وما مسست خزاً قط ولا حريراً ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مسكا ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ

أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحي أنا ابو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا ابو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار ثنا احمد بن محمد بن عيسى البرتي ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان الثوري عن الاعمش عن أبي وائل عن مسروق عن عبد الله بن عمرو قال ان رسول الله ﷺ لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول « خياركم أحسنكم أخلاقا »

أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحي أنا ابو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا ابو العباس الاصم ثنا محمد بن

رواه احمد عن عبدالرحمن بن مهدي . ورواه النسائي في التفسير عن إسحاق بن منصور عن عبدالرحمن ابن مهدي عن معاوية بن صالح به

ومعنى هذا انه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمراً ونهيا سجية له وخلقا تطبعه وترك طبعه الجبلي فمهما أمره القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه ، هذا مع ماجبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط ولا قال لشيء فعلته لم فعلته ؟ ولا لشيء لم أفعله ألا فعلته ، وكان ﷺ احسن الناس خلقا ولا مسست خزاً ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله ﷺ ولا شممت مسكا ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ

وقال البخاري حدثنا اسحاق بن منصور حدثنا ابراهيم بن يوسف عن ابيه عن ابي إسحاق قال سمعت البراء يقول كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجها وأحسن الناس خلقا ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، والاحاديث في هذا كثيرة ولأبي عيسى الترمذي في هذا كتاب الشمائل

هشام بن ملاس ثنا مروان الفزاري ثنا حميد الطويل عن أنس ان امرأة عرضت لرسول الله ﷺ في طريق من طرق المدينة فقالت يارسول الله ان لي اليك حاجة فقال « يا أم فلان اجلسي في أي سكك المدينة شئت أجلس اليك » قال ففعلت فقعد اليها رسول الله ﷺ حتى قضت حاجتها

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل قال قال لي محمد بن عيسى ثنا هشام انا حميد الطويل ثنا أنس بن مالك قال ان كانت الامة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا ابو محمد بن عبد الرحمن بن أبي شريح أنا ابو القاسم عبد الله ابن محمد بن عبد العزيز البغوي ثنا علي بن الجعد أخبرنا عمران بن يزيد الثعلبي عن زيد العمي عن أنس بن مالك ان رسول الله ﷺ كان اذا صافح الرجل لم ينزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عن وجهه ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له

اخبرنا عبد الله بن عبد الصمد أنا ابو القاسم الخزاعي انا الهيثم بن كليب ثنا ابو عيسى ثنا هارون ابن اسحاق الهمذاني ثنا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة (رض) قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادما ولا امرأة

أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحى أنا احمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن اسماعيل انا اسماعيل بن عبد الله حدثني مالك بن اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس قال كنت امشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: ماضرب رسول الله ﷺ بيده خادما له قط ولا ضرب امرأة ولاضرب بيده شيئا قط الا أن يجاهد في سبيل الله ، ولاخير بين شيئين قط الا كان أحبهما اليه أيسرهما حتى يكون إثما فاذا كان إثما كان أبعد الناس من الاثم ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى اليه إلا أن تنتهك حرمات الله فيكون هو ينتقم لله عز وجل

وقال الامام احمد حدثنا سعيد بن منصور حدثنا عبد العزيز بن محمد عن محمد بن عجلان عن القعقاع ابن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما بعثت لأتمم صالح الاخلاق » تفرد به

وقوله تعالى [فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون؟] أي فستعلم يامحمد وسيعلم مخالفوك ومكذبوك من المفتون الضال منك ومنهم؟ وهذه كقوله تعالى [سيعلمون غدا من الكذاب الاشر؟] وكقوله تعالى (وانا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين] قال ابن جريج قال ابن عباس في هذه الآية ستعلم

جبذة شديدة ورجع النبي ﷺ في نحر الاعرابي حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البردة من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله ﷺ ثم ضحك ثم أمر له بعطاء

اخبرنا عبد الواحد المليحي أنا ابو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا ابو جعفر محمد بن احمد ابن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا علي المديني ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك عن ام الدرداء تحدث عن ابي الدرداء عن النبي ﷺ قال « إن أثقل شيء يوضع في ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن وان الله تعالى يبغض الفاحش البذيء »

اخبرنا عبد الواحد المليحي أنا ابو منصور السمعاني أنا ابو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو نعيم ثنا يزيد بن داود الاودي سمعت أبي سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ لأصحابه « أتدرون ما أكثر مايدخل الناس النار ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « فان اكثر مايدخل الناس النار الاجوفان الفرج والفم، أتدرون ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ » قالوا الله ورسوله اعلم قال « فان أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق »

اخبرنا احمد بن عبد الله الصالحي أنا ابو سعيد محمد بن موسى الصيرفي ثنا ابو العباس الاصم ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنا أبي وشعيب قالا ثنا الليث عن أبي الهاد عن عمرو بن أبي عمرو عن عبد المطلب بن عبد الله عن عائشة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار »

قوله عز وجل ﴿ فستبصر ويبصرون ﴾ فسترى يامحمد ويرون يعني أهل مكة اذا نزل بهم العذاب ﴿ بأيكم المفتون ﴾ قيل معناه بأيكم الجنون فالمفتون مفعول بمعنى المصدر كما يقال مابفلان مجلود ومعقول

ويعلمون يوم القيامة وقال العوفي عن ابن عباس بأيكم المفتون أى المجنون وكذا قال مجاهد وغيره وقال قتادة وغيره بأيكم المفتون أي اولى بالشيطان ومعنى المفتون ظاهر أي الذى قد افتتن عن الحق وضل عنه ، وإنما دخلت الباء في قوله بأيكم لتدل على تضمين الفعل في قوله [فستبصر ويبصرون] وتقديره فستعلم ويعلمون أو فستخبر ويخبرون بأيكم المفتون والله أعلم

ثم قال تعالى [إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين] أي هو يعلم تعالى أي الفريقين منكم ومنهم هو المهتدى ويعلم الحزب الضال عن الحق

فلا تطع المكذّبين (٨) ودّوا لو تُدْهن فيدهنون (٩) ولا تطع كل حلاف مَهين (١٠) هماز مشاء بنميم (١١) مناع للخير معتد أثيم (١٢) عتُلٍّ بعد ذلك زنيم (١٣) أن كان ذامال وبنين (١٤) إذا تتلى عليه آيٰتنا قال أسٰطير الأوّلين (١٥) سنسمه على الخرطوم (١٦)

يقول تعالى كما أنعمنا عليك واعطيناك الشرع المستقيم والخلق العظيم (فلا تطع المكذبين * ودوا لو تدهن فيدهنون) قال ابن عباس لو ترخص لهم فيرخصون وقال مجاهد (ودوا لو تدهن) تركن إلى آلهتهم وتترك ما أنت عليه من الحق

ثم قال تعالى (ولا تطع كل حلاف مهين) وذلك أن الكاذب لضعفه ومهانته إنما يتقي بأيمانه الكاذبة التي يجترىء بها على أسماء الله تعالى واستعمالها في كل وقت في غير محلها قال ابن عباس المهين الكاذب وقال مجاهد هو الضعيف القلب، وقال الحسن كل حلاف مكابر مهين ضعيف . وقوله تعالى

أي جلادة وعقل وهذا معنى قول الضحاك ورواية العوفي عن ابن عباس وقيل الباء بمعنى في، مجازه فستبصر ويبصرون في أى الفريقين المجنون في فريقك أوفي فريقهم وقيل (بأيكم المفتون) وهو الشيطان الذي فتن بالجنون وهذا قول مجاهد، وقال آخرون الباء فيه زائدة معناه أيكم المفتون أي المجنون الذي فتن بالجنون وهذا قول قتادة ﴿ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين * فلا تطع المكذبين ﴾ يعنى مشركي مكة فانهم كانوا يدعونه إلى دين آبائه فنهاه أن يطيعهم ﴿ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾ قال الضحاك لو تكفر فيكفرون وقال الكلبي لو تلين لهم فيلينون لك. قال الحسن تصانعهم في دينك فيصانعون في دينهم . قال زيد بن أسلم لو تنافق وترائي فينافقون. قال ابن قتيبة أرادوا على أن تعبد آلهتهم مدة ويعبدون الله مدة ﴿ ولا تطع كل حلاف ﴾ كثير الحلف بالباطل. قال مقاتل يعني الوليد بن المغيرة وقيل الاسود ابن عبد يغوث وقال عطاء الاخنس بن شريق

قوله ﴿ مهين ﴾ ضعيف حقير قيل هو فعيل من المهانة وهي قلة الرأي والتميز . وقال ابن عباس كذاب وهو قريب من الاول لان الانسان انما يكذب لمهانة نفسه عليه ﴿ هماز ﴾ مغتاب يأكل لحوم

(هماز) قال ابن عباس وقتادة يعني الاغتياب (مشاء بنميم) يعني الذي يمشي بين الناس ويحرش بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين وهي الحالقة

وقد ثبت في الصحيحين من حديث مجاهد عن طاوس عن ابن عباس قال مر رسول الله ﷺ بقبرين فقال « إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة » الحديث وأخرجه بقية الجماعة في كتبهم من طرق عن مجاهد به

وقال الامام احمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن ابراهيم عن همام أن حذيفة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يدخل الجنة قتات » رواه الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن ابراهيم به وحدثنا عبد الرزاق حدثنا الثوري عن منصور عن ابراهيم عن همام عن حذيفة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يدخل الجنة قتات » يعني نماما وحدثنا يحيى بن سعيد القطان حدثنا أبو سعيد الاحول عن الاعمش حدثني ابراهيم منذ نحو ستين سنة عن همام بن حريث قال مر رجل على حذيفة فقيل إن هذا يرفع الحديث الى الامراء فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول أو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة قتات »

وقال احمد حدثنا هشام حدثنا مهدي عن واصل الاحدب عن أبي وائل قال بلغ حذيفة عن رجل انه ينم الحديث فقال سمعت رسول الله ﷺ قال « لا يدخل الجنة نمام »

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ابن خثيم عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن أن النبي ﷺ قال « ألا اخبركم بخياركم ؟ » قالوا بلى يارسول الله قال « الذين اذا رؤا ذكر الله عز وجل » ثم قال « ألا اخبركم بشراركم المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرآء العنت » ورواه ابن ماجه عن سويد بن سعيد عن يحيى بن سليم عن ابن خثيم به

وقال الامام احمد حدثنا سفيان عن ابن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن عبدالرحمن بن غنم يبلغ به النبي ﷺ « خيار عباد الله الذين اذا رؤا ذكر الله ، وشرار عباد الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العنت »

وقوله تعالى (مناع للخير معتد أثيم) أي يمنع ما عليه وما لديه من الخير (معتد) في تناول ما أحل

الناس بالطعن والغيبة . وقال الحسن هو الذي يغمز بأخيه في المجلس كقوله همزة ﴿مشاء بنميم﴾ قتات يسعى بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم ﴿مناع للخير﴾ بخيل بالمال قال ابن عباس مناع للخير أي للاسلام يمنع ولده وعشيرته عن الاسلام يقول لئن دخل واحد منكم في دين محمد لا أنفعه بشيء أبداً ﴿معتد﴾ ظلوم يتعدى الحق ﴿أثيم﴾ فاجر ﴿عتل﴾ العتل الغليظ الجافي وقال الحسن هو الفاحش الخلق السيء الخلق قال الفراء هو الشديد الخصومة في الباطل وقال الكلبي هو الشديد في كفره وكل شديد عند العرب عتل . وأصله من العتل وهو الدفع بالعنف . قال عبيد بن عمير العتل الاكول الشروب القوي الشديد

الله له يتجاوز فيها الحد المشروع (أثيم) أي يتناول المحرمات . وقوله تعالى (عتل بعد ذلك زنيم) أما العتل فهو الفظ الغليظ الصحيح الجموع المنوع

وقال الامام احمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن عن سفيان عن سعيد بن خالد عن حارثة بن وهب قال : قال رسول الله ﷺ « ألا أنبئكم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أنبئكم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر » وقال وكيع « كل جواظ جعظري مستكبر » أخرجاه في الصحيحين وبقية الجماعة إلا أبا داود من حديث سفيان الثوري وشعبة كلاهما عن سعيد بن خالد به

وقال الامام احمد أيضا حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى بن علي قال سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال عند ذكر أهل النار « كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع » تفرد به احمد قال اهل اللغة الجعظرى الفظ الغليظ والجواظ الجموع المنوع

وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا عبد الحميد عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم قال سئل رسول الله ﷺ عن العتل الزنيم فقال « هو الشديد الخلق المصحح الاكول الشروب الواجد للطعام والشراب الظلوم للناس رحيب الجوف » وبهذا الاسناد قال رسول الله ﷺ « لا يدخل الجنة الجواظ الجعظرى العتل الزنيم » وقد أرسله أيضا غير واحد من التابعين

وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله ﷺ « تبكي السماء من عبد أصح الله جسمه ، وأرحب جوفه وأعطاه من الدنيا هضما[1] فكان للناس ظلوما قال فذلك العتل الزنيم » وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طريقين مرسلين ونص عليه غير واحد من السلف منهم مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة وغيرهم أن العتل هو المصحح الخلق الشديد القوي في المأكل والمشرب والمنكح وغير ذلك

وأما الزنيم فقال البخارى حدثنا محمود حدثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبي حصين عن مجاهد عن ابن عباس (عتل بعد ذلك زنيم) قال رجل من قريش له زنمة مثل زنمة الشاة، ومعنى هذا أنه كان مشهوراً بالسوء كشهرة الشاة ذات الزنمة من بين أخواتها ، وانما الزنيم في لغة العرب هو الدعي في القوم قاله ابن جرير وغير واحد من الأئمة قال ومنه قول حسان بن ثابت يعني يذم بعض كفار قريش

(١) في تفسير ابن جرير مقضما

لا يزن في الميزان شعيرة يدفع الملك من أولئك سبعين الفا دفعة واحدة ﴿ بعد ذلك ﴾ أي مع ذلك يريد مع ما وصفناه به ﴿زنيم﴾ وهو الدعي الملصق بالقوم وليس منهم . قال عطاء عن ابن عباس يريد مع هذا هو دعي في قريش وليس منهم . قال مرة الهمداني انما ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة وقيل الزنيم الذي له زنمة كزنمة الشاة

وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال في هذه الآية : نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم فعرف. وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يعرف بالشر كما تعرف الشاة

وأنت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وقال آخر :

زنيم ليس يعرف من أبوه بغي الام ذو حسب لئيم

وقال ابن ابي حاتم حدثنا عمار بن خالد الواسطي حدثنا اسباط عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (زنيم) قال الدعي الفاحش اللئيم ، ثم قال ابن عباس :

زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد في عرض الاديم الاكارع

وقال العوفي عن ابن عباس الزنيم الدعي ويقال الزنيم رجل كانت به زنمة يعرف بها ويقال هو الاخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة ، وزعم أناس من بني زهرة أن الزنيم الاسود بن عبد يغوث الزهري وليس به ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس أنه زعم أن الزنيم الملحق النسب

وقال ابن أبي حاتم حدثني يونس حدثنا ابن وهب حدثني سليمان بن بلال عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب أنه سمعه يقول في هذه الآية (عتل بعد ذلك زنيم) قال سعيد هو الملصق بالقوم ليس منهم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا عقبة بن خالد عن عامر بن قدامة قال سئل عكرمة عن الزنيم قال هو ولد الزنا ، وقال الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله تعالى (عتل بعد ذلك زنيم) قال يعرف المؤمن من الكافر مثل الشاة الزنماء والزنماء من الشياه التي في عنقها هنتان معلقتان في حلقها ، وقال الثوري عن جابر عن الحسن عن سعيد بن جبير قال الزنيم الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها والزنيم الملصق . رواه ابن جرير ، وروي أيضاً من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال في الزنيم : نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم . قال وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها قال وقال آخرون كان دعيا

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن ادريس عن أبيه عن أصحاب التفسير قالوا هو الذي تكون له زنمة مثل زنمة الشاة ، وقال الضحاك كانت له زنمة في أصل أذنه ويقال هو اللئيم الملصق في النسب ، وقال أبو اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس هو المريب الذي يعرف بالشر ، وقال مجاهد الزنيم الذي يعرف بهذا الوصف كما تعرف الشاة ، وقال أبو رزين الزنيم علامة الكفر ، وقال عكرمة

بزنمتها ، قال ابن قتيبة لانعلم ان الله وصف أحداً ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فألحق به عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان الواعظ حدثني أبو محمد بن زنجويه بن محمد ثنا علي بن الحسين الهمداني ثنا عبد الله بن الوليد العوفي عن سفيان حدثني معبد بن خالد القيسي عن حارث بن وهب الخزاعي قال قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل

الزنيم الذي يعرف باللؤم كما تعرف الشاة بزنمتها. والاقوال في هذا كثيرة وترجع إلى ماقلناه وهو أن الزنيم هو المشهور بالشر الذي يعرف به من بين الناس وغالبا يكون دعيا ولد زنا فانه في الغالب يتسلط الشيطان عليه مالا يتسلط على غيره كما جاء في الحديث « لايدخل الجنة ولد زنا » وفي الحديث الآخر « ولد الزنا شر الثلاثة اذا عمل بعمل أبويه »

وقوله تعالى (أن كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين) يقول تعالى هذا مقابلة ماأنعم الله عليه من المال والبنين كفر بآيات الله عز وجل وأعرض عنها وزعم أنها كذب مأخوذ من أساطير الاولين كقوله تعالى [ذرني ومن خلقت وحيداً * وجعلت له مالا ممدوداً * وبنين شهوداً * ومهدت له تمهيداً * ثم يطمع أن أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيداً * سأرهقه صعوداً * انه فكر وقدر * فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر * سأصليه سقر * وما أدراك ماسقر * لاتبقي ولا تذر * لواحة للبشر * عليها تسعة عشر]

وقال تعالى ههنا (سنسمه على الخرطوم) قال ابن جرير سنبين أمره بيانا واضحا حتى يعرفوه ولا يخفى عليهم كما لاتخفى عليهم السمة على الخراطيم، وهكذا قال قتادة (سنسمه على الخرطوم) شين لايفارقه آخر ماعليه، وفي رواية عنه سنسمه سيما على أنفه، وكذا قال السدي وقال العوفي عن ابن عباس (سنسمه على الخرطوم) يقاتل يوم بدر فيخطم بالسيف في القتال، وقال آخرون (سنسمه) سمة أهل النار يعني نسود وجهه يوم القيامة وعبر عن الوجه بالخرطوم حكى ذلك كله أبو جعفر ابن جرير ومال إلى أنه لامانع من اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة وهو متجه

وقد قال ابن أبي حاتم في سورة عم يتسالون حدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثني الليث حدثني خالد بن سعيد عن عبد الملك بن عبد الله عن عيسى بن هلال الصدفي عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ

ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ متكبر» ﴿ أن كان ذا مال وبنين ﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة وأبو بكر ويعقوب (أأن) بالاستفهام، ثم حمزة وأبو بكر يحققان الهمزتين بلا مد وبعد الهمزة الاولى ابو جعفر وابن عامر ويعقوب ويلينون الثانية وقرأ الآخرون بلا استفهام على الخبر فمن قرأ بالاستفهام فمعناه ألأن كان ذا مال وبنين ﴿اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين ﴾ أي جعل مجازاة النعم التي خولها من البنين والمال الكفر بآياتنا، وقيل معناه ألأن كان ذا مال وبنين تطعه ومن قرأ على الخبر فمعناه لا تطع كل حلاف مهين لان كان ذا مال وبنين أي لا تطعه لماله وبنيه إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين ثم أوعده فقال ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ والخرطوم الانف قال أبو العالية ومجاهد أي نسود وجهه فنجعل له علما في الآخرة يعرف به وهو سواد الوجه قال الفراء خص الخرطوم بالسمة وانه في مذهب الوجه لان بعض الشيء يعبر به عن كله وقال ابن

انه قال « ان العبد يكتب مؤمنا أحقابا ثم أحقابا ثم يموت والله عليه ساخط ، وإن العبد يكتب كافراً أحقابا ثم أحقابا ثم يموت والله عليه راض ، ومن مات همازاً لمازاً ملقباً للناس كان علامته يوم القيامة أن يسمه الله على الخرطوم من كلا الشفتين »

إنا بلونهم كما بلونا أصحٰب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين (١٧) ولا يستثنون (١٨) فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون (١٩) فأصبحت كالصريم (٢٠) فتنادوا مصبحين (٢١) أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صٰرمين (٢٢) فانطلقوا وهم يتخفتون (٢٣) أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين (٢٤) وغدوا على حرد قٰدرين (٢٥) فلما رأوها قالوا إنا لضالون (٢٦) بل نحن محرومون (٢٧) قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون (٢٨) قالوا سبحٰن ربنا إنا كنا ظٰلمين (٢٩) فأقبل بعضهم على بعض يتلومون (٣٠) قالوا يٰويلنا إنا كنا طٰغين (٣١) عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا الى ربنا راغبون (٣٢) كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ٣٣

هذا مثل ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى اليهم من الرحمة العظيمة وأعطاهم من النعم الجسيمة وهو بعثة محمد ﷺ اليهم فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة ولهذا قال تعالى (إنا بلوناهم)

عباس سنخطمه بالسيف وقد فعل ذلك يوم بدر، وقال قتادة سنلحق به شيا لايفارقه، قال القتيبي تقول العرب للرجل سب الرجل سبة قبيحة قد وسمه ميسم سوء يريد ألصق به عاراً لا يفارقه كما ان السمة لا ينمحي ولا يعفو أثرها، وقد ألحق الله بما ذكر من عيوبه عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة كالوسم على الخرطوم، وقال الضحاك والكسائي سنكويه على وجهه ﴿ إنا بلوناهم ﴾ يعني اختبرنا أهل مكة بالقحط والجوع ﴿ كما بلونا ﴾ ابتلينا ﴿ أصحاب الجنة ﴾

روى محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله عز وجل (إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة) قال كان بستان باليمن يقال له الضروان دون صنعاء بفرسخين يطؤه أهل الطريق كان غرسه قوم من أهل الصلوة، وكان لرجل، فمات فورثه ثلاثة بنين له وكان يكون للمساكين إذا صرموا نخلهم كل شيء تعداه المنجل فلم يجذه وإذا طرح من فوق النخل الى البساط فكل شيء يسقط على البساط فهو أيضا للمساكين وإذا حصدوا زرعهم فكل شيء تعداه المنجل فهو للمساكين وإذا داسوا كان لهم كل شيء ينتثر أيضا فلما مات الاب وورثه هؤلاء الاخوة عن أبيهم فقالوا والله ان المال لقليل وإن العيال

أي اختبرناهم (كما بلونا أصحاب الجنة) وهي البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه (إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين) أي حلفوا فيما بينهم ليجذن ثمرها ليلا لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء (ولا يستثنون) أي فيما حلفوا به ، ولهذا حنثهم الله في أيمانهم فقال تعالى (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) أي اصابتها آفة سماوية (فأصبحت كالصريم) قال ابن عباس اي كالليل الاسود وقال الثوري والسدي مثل الزرع إذا حصد اي هشيما يبسا

وقال ابن أبي حاتم :ذكر عن احمد بن الصباح أنبأنا بشر بن زاذان عن عمر بن صبيح عن ليث بن أبي سليم عن عبدالرحمن بن سابط عن ابن مسعود قال :قال رسول الله ﷺ « إياكم والمعاصي ان العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقا قد كان هيء له » ثم تلا رسول الله ﷺ (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم) قد حرموا خير جنتهم بذنبهم (فتنادوا مصبحين) اي لما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضا ليذهبوا إلى الجذاذ أي القطع (أن اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين) أي تريدون الصرام ، قال مجاهد :كان حرثهم عنبا (فانطلقوا وهم يتخافتون) اي يتناجون فيما بينهم بحيث لا يسمعون أحداً كلامهم

ثم فسر الله سبحانه وتعالى عالم السر والنجوى ما كانوا يتخافتون به فقال تعالى (فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) اي يقول بعضهم لبعض لاتمكنوا اليوم فقيراً يدخلها عليكم. قال الله تعالى (وغدوا على حرد) أي قوة وشدة ، وقال مجاهد (وغدوا على حرد) اى جد

لكثير وانما كان هذا الامر يفعل إذ كان المال كثيرا والعيال قليلا فاما إذا قل المال وكثر العيال فانا لا نستطيع أن نفعل هذا فتحالفوا بينهم يوما ليغدون غدوة قبل خروج الناس فليصرمن نخلهم ولم يستثنوا يعني لم يقولوا ان شاء الله فغدا القوم بسدفة من الليل الى جنتهم ليصرموها قبل أن يخرج المساكين فرأوها مسودة وقد طاف عليها من الليل طائف من العذاب فأحرقها فأصبحت كالصريم فذلك قوله عزوجل﴿إذ أقسموا ﴾حلفوا ﴿ ليصرمنها مصبحين﴾ ليجزنها وليقطعن ثمرها إذا أصبحوا قبل أن يعلم المساكين ﴿ ولا يستثنون ﴾ لا يقولون ان شاء الله ﴿فطاف عليها طائف﴾ عذاب ﴿من ربك﴾ ليلا ولا يكون الطائف الا بالليل وكان ذلك الطائف نارا نزلت من السماء فأحرقتها ﴿وهم نائمون * فأصبحت كالصريم﴾ كالليل المظلم الاسود، وقال الحسن أي صرم منها الخير فليس فيها شيء ، وقال الاخفش كالصبح الصريم من الليل وأصل الصريم المصروم مثل قتيل ومقتول وكل شيء قطع فهو صريم فالليل صريم والصبح صريم لان كل واحد منهما ينصرم عن صاحبه، وقال ابن عباس كالرماد الاسود بلغة خزيمة ﴿فتنادوا مصبحين﴾ نادى بعضهم بعضا لما أصبحوا ﴿أن اغدوا على حرثكم﴾ يعني الثمار والزروع والاعناب ﴿ ان كنتم صارمين﴾ قاطعين للنخل ﴿فانطلقوا ﴾ مشوا اليها ﴿ وهم يتخافتون﴾ يتسارون يقول بعضهم لبعض سراً ﴿ أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين * وغدوا على حرد ﴾ الحرد في اللغة يكون بمعني القصد والمنع والغضب

وقال عكرمة على غيظ ، وقال الشعبي (على حرد) على المساكين ، وقال السدي [على حرد] أي كان اسم قريتهم حرد فأبعد السدى في قوله هذا [قادرين] اى عليها فيما يزعمون ويرومون [فلما رأوها قالوا إنا لضالون] اي فلما وصلوا اليها وأشرفوا عليها وهي الحالة التي قال الله عز وجل قد استحالت عن تلك النضارة والزهرة وكثرة الثمار إلى أن صارت سوداء مدلهمة لا ينتفع بشيء منها فاعتقدوا انهم قد أخطأوا الطريق ولهذا قالوا (إنا لضالون) أى قد سلكنا اليها غير الطريق فتهنا عنها ، قاله ابن عباس وغيره ، ثم رجعوا عما كانوا فيه وتيقنوا انها هي فقالوا (بل نحن محرومون) اى بل هي هذه ولكن نحن لا حظ لنا ولا نصيب (قال أوسطهم) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومحمد بن كعب والربيع بن انس والضحاك وقتادة اي اعدلهم وخيرهم [ألم اقل لكم لولا تسبحون ؟] قال مجاهد والسدى وابن جريج [لولا تسبحون] اى لولا تستثنون . قال السدي وكان استثناؤهم في ذلك الزمان تسبيحا ، وقال ابن جرير هو قول القائل ان شاء الله ، وقيل معناه قال اوسطهم ألم اقل لكم لولا تسبحون؟ اي هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم (قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين) أتوا بالطاعة حيث لا تنفع وندموا واعترفوا حيث لا ينجع ولهذا قالوا [انا كنا ظالمين * فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون] اي يلوم بعضهم بعضا على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين من حق الجذاذ فما كان جواب بعضهم لبعض الا الاعتراف بالخطيئة والذنب [قالوا ياويلنا إنا كنا طاغين] اى اعتدينا وبغينا وطغينا وجاوزنا الحد حتى

قال الحسن وقتادة وأبو العالية على جد وجهد ، وقال القرظي ومجاهد وعكرمة على أمر مجتمع قد أسسوه بينهم وهذا على معنى القصد لان القاصد الى الشيء جاد مجمع على الامر ، وقال أبو عبيدة والقتيبي غدوا من بيتهم على منع المساكين يقال حاردت السنة اذا لم يكن لها مطر وحاردت الناقة اذا لم يكن لها ابن ، وقال الشعبي وسفيان على حنق وغضب من المساكين ، وعن ابن عباس على قدرة ﴿قادرين﴾ عند أنفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول بينها وبينهم أحد ﴿فلما رأوها قالوا إنا لضالون﴾ أي لما رأوا الجنة محترقة قالوا إنا لمخطئون الطريق أضللنا مكان جنتنا ليست هذه بجنتنا فقال بعضهم ﴿ بل نحن محرومون ﴾ حرمنا خيرها ونفعها لمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء ﴿قال أوسطهم﴾ أعدلهم وأعقلهم وأفضلهم ﴿ ألم أقل لكم لولا تسبحون ﴾ هلا تستثنون أنكر عليهم ترك الاستثناء في قولهم (ليصرمنها مصبحين) وسمى الاستثناء تسبيحا لانه تعظيم لله وإقرار بأنه لا يقدر أحد على شيء إلا بمشيئته ، وقال أبو صالح كان استثناؤهم سبحان الله وقيل هلا تسبحون الله وتقولون سبحان الله وتشكرونه على ما أعطاكم وقيل هلا تستغفرونه من فعلكم ﴿ قالوا سبحان ربنا ﴾ نزهوه عن أن يكون ظالما فيما فعل وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا ﴿ إنا كنا ظالمين ﴾ بمنعنا المساكين ﴿ فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ﴾ يلوم بعضهم بعضا في منع المساكين حقوقهم ونادوا على أنفسهم بالويل ﴿ قالوا ياويلنا إنا كنا طاغين ﴾ في منعنا حق الفقراء ، وقال ابن كيسان طغينا نعم الله فلم

أصابنا ما أصابنا (عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها انا إلى ربنا راغبون) قيل رغبوا في بذلهـا لهم في الدنيا وقيل احتسبوا ثوابها في الدار الآخرة والله أعلم

ثم قد ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن قال سعيد بن جبير كانوا من قرية يقال لها ضروان على ستة أميال من صنعاء، وقيل كانوا من أهل الحبشة وكان ابوهم قد خلف لهم هذه الجنة وكانوا من أهل الكتاب، وقد كان أبوهم يسير فيها سيرة حسنة فكان ما يستغل منها يرد فيها ما تحتاج اليه ويدخر لعياله قوت سنتهم ويتصدق بالفاضل، فلما مات وورثه بنوه قالوا لقد كان أبونا أحمق اذ كان يصرف من هذه شيئاً للفقراء ولو انا منعناهم لتوفر ذلك علينا فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية رأس المال والربح والصدقة فلم يبق لهم شيء قال الله تعالى (كذلك العذاب) أي هكذا عذاب من خالف أمر الله وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه ومنع حق المسكين والفقير وذوي الحاجات وبدل نعمة الله كفرا (ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) أي هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم وعذاب الآخرة أشق

ان للمتقين عند ربهم جنٰت النعيم (٣٤) أفنجعل المسلمين كالمجرمين؟ (٣٥) مالكم كيف تحكمون؟ (٣٦) أم لكم كتٰب فيه تدرسون؟ (٣٧) ان لكم فيه لما تخيرون (٣٨) أم لكم أيمٰن علينا بالغة الى يوم القيٰمة؟ إن لكم لما تحكمون (٣٩) سلهم أيهم بذلك زعيم؟ (٤٠) أم لهم شركاء؟ فليأتوا بشركائهم ان كانوا صٰدقين (٤١)

لما ذكر تعالى حال أهل الجنة الدنيوية وما أصابهم فيها من النقمة حين عصوا الله عز وجل وخالفوا أمره بين ان لمن اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة جنات النعيم التي لا تبيد ولا تفرغ ولا ينقضي نعيمها ثم قال تعالى (أفنجعل المسلمين كالمجرمين؟) أي أفنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء؟ كلا ورب الارض والسماء ولهذا قال (مالكم كيف تحكمون؟) أي كيف تظنون ذلك؟

تشكرها ولم نصنع ما صنع آباؤنا من قبل ثم رجعوا إلى أنفسهم فقالوا ﴿عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون﴾ قال عبدالله بن مسعود بلغني ان القوم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقوداً واحداً، قال الله تعالى ﴿كذلك العذاب﴾ أي كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف أمرنا ﴿ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾

ثم أخبر بما عنده للمتقين فقال ﴿ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم﴾ فقال المشركون إنا نعطى في الآخرة أفضل مما تعطون فقال الله تكذيباً لهم ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين؟ مالكم كيف تحكمون؟﴾

(١) هذه الزيادة ليست في المكية

[١]وقد ورد في حديث رواه الحافظ البيهقي من طريق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ نهى عن الجذاذ بالليل والحصاد بالليل

ثم قال تعالى (أم لكم كتاب؟ فيه تدرسون * إن لكم فيه لما تخيرون) يقول تعالى أفبأيديكم كتاب منزل من السماء تدرسونه وتحفظونه وتتداولونه بنقل الخلف عن السلف متضمن حكما مؤكدا كما تدعونه؟ (ان لكم فيه لما تخيرون * أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون ؟) أي أمعكم عهود منا ومواثيق مؤكدة ؟(ان لكم لما تحكمون) أي انه سيحصل لكم ماتريدون وتشتهون (سلهم أيهم بذلك زعيم؟) أي قل لهم من هو المتضمن المتكفل بهذا؟ قال ابن عباس يقول أيهم بذلك كفيل؟ (أم لهم شركاء) أي من الاصنام والانداد (فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين)

يوم يُكشف عن ساق ويُدعوْن الى السجود فلا يستطيعون (٤٢) خشعةً أبصرهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يُدعوْن الى السجود وهم سالمون (٤٣) فذرني ومن يُكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لايعلمون (٤٤) وأملي لهم ان كيدي متين (٤٥) أم تسئلهم أجرا فهم من مَغرَم مُثقلون (٤٦) أم عندهم علم الغيب فهم يكتبون (٤٧)

لماذكر تعالى أن للمتقين عند ربهم جنات النعيم بين متى ذلك كائن وواقع فقال تعالى (يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون) يعني يوم القيامة وما يكون فيه من الاهوال والزلازل والبلاء والامتحان والامور العظام

وقد قال البخارى ههنا حدثنا آدم حدثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن

أم لكم كتاب؟ ﴾ نزل من عند الله ﴿ فيه ﴾ في هذا الكتاب ﴿ تدرسون ﴾ تقرءون ﴿ ان لكم فيه ﴾ في ذلك الكتاب ﴿ لما تخيرون ﴾ تختارون وتشتهون ﴿ أم لكم أيمان ﴾ عهود ومواثيق ﴿ علينا بالغة ﴾ مؤكدة عاهدناكم عليها فاستوثقتم بها منا فلا تنقطع ﴿ إلى يوم القيامة ان لكم ﴾ كسران لدخول اللام في الخبر في ذلك العهد ﴿ لما تحكمون ﴾ لأنفسكم من الخير والكرامة عند الله

ثم قال لنبيه ﷺ ﴿ سلهم أيهم بذلك زعيم ﴾ كفيل أي أيهم يكفل لهم بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين ﴿ أم لهم شركاء ﴾ أي عندهم شركاء لله أرباب تفعل هذا ، وقيل شهداء يشهدون لهم بصدق مايدعونه ﴿ فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين * يوم يكشف عن ساق ﴾ قيل يوم ظرف لقوله فليأتوا بشركائهم أي فليأتوا بها في ذلك اليوم لتنفعهم وتشفع لهم يوم يكشف عن ساق قيل عن أمر فظيع شديد قال ابن عباس هو أشد ساعة في القيمة قال سعيد بن جبير (يوم يكشف عن ساق) عن شدة الامر وقال ابن قتيبة : تقول العرب للرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج فيه الى الجد ومقاساة الشدة شمر عن ساقه، ويقال إذا اشتد الامر في الحرب كشفت الحرب عن ساق

زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت النبي ﷺ يقول «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحداً» وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وفي غيرهما من طرق وله ألفاظ وهو حديث طويل مشهور

وقد قال عبد الله بن المبارك عن أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس (يوم يكشف عن ساق) قال هو يوم القيامة يوم كرب وشدة رواه ابن جرير ثم قال حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن المغيرة عن ابراهيم عن ابن مسعود أو ابن عباس الشك من ابن جرير (يوم يكشف عن ساق) قال عن أمر عظيم كقول الشاعر * شالت الحرب عن ساق * وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (يوم يكشف عن ساق) قال شدة الامر، وقال ابن عباس هي أشد ساعة تكون في يوم القيامة، وقال ابن جرير عن مجاهد (يوم يكشف عن ساق) قال شدة الامر وجده

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني سويد بن سعيد حدثني حفص بن ميسرة عن زيد بن سالم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسا في زمن النبي ﷺ قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ «نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب؟» قالوا لا يارسول الله قال «ماتضارون في رؤية الله يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، اذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ماكانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير أهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون؟ فقالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم ألا تردون؟ فيحشرون الى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار، ثم تدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون؟ قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون؟ فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم ألا تردون فيحشرون الى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال فماذا تنتظرون؟ لتتبع كل امة ماكانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ماكنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا حتى ان بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (يوم يكشف عن ساق) هو الامر الشديد الفظيع من الهول يوم القيامة ، وقال العوفي عن ابن عباس قوله (يوم يكشف عن ساق) يقول حين يكشف الامر وتبدو الاعمال وكشفه دخول الآخرة وكشف الامر عنه ، وكذا روى الضحاك وغيره عن ابن عباس . أورد ذلك كله أبو جعفر ابن جرير

ثم قال حدثني أبو زيد عمر بن شبة حدثنا هارون بن عمر المخزومي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا أبو سعيد روح بن جناح عن مولى لعمر بن عبد العزيز عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه عن النبي ﷺ قال « يوم يكشف عن ساق يعني عن نور عظيم يخرون له سجداً » ورواه أبو يعلى عن القاسم ابن يحيى عن الوليد بن مسلم به وفيه رجل مبهم والله أعلم

وربما ، الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رءوسهم وقد تحول في الصورة التي رأوه فيها اول مرة فقال أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم » قيل يارسول الله وما الجسر؟ قال « دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب ، فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوش في نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار ، فوالذي نفسي بيده مامن احد منكم بأشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا به أحدا ، ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا فيه خير ممن أمرتنا به » وكان ابو سعيد الخدري يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم (ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما) فيقول الله شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر مايكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم تعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله من النار الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا

وقوله تعالى (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة) أي في الدار الآخرة باجرامهم وتكبرهم في الدنيا فعوقبوا بنقيض ماكانوا عليه ولما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة اذا تجلى الرب عز وجل فيسجد له المؤمنون ولا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد بل يعود ظهر أحدهم طبقا واحداً كلما أراد أحدهم أن يسجد خر لقفاه عكس السجود كما كانوا في الدنيا بخلاف ماعليه المؤمنون

ثم قال تعالى (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) يعني القرآن وهذا تهديد شديد أي دعني وإياه مني ومنه أنا أعلم به كيف أستدرجه وأمده في غيه وأنظره ثم آخذه أخذ عزيز مقتدر، ولهذا قال تعالى (سنستدرجهم من حيث لايعلمون) أي وهم لايشعرون بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة وهو في نفس الامر اهانة كما قال تعالى [أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات؟ بل لايشعرون] وقال تعالى [فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون] ولهذا قال ههنا (وأملي لهم إن كيدي متين) أي وأؤخرهم

أعطيتنا مالم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندي أفضل من هذا فيقولون ياربنا أي شيء أفضل من هذا ؟ فيقول رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبدا

وروى محمد بن إسماعيل هذا الحديث عن يحيى بن بكير عن الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد ابن ابي هلال عن زيد بن أسلم بهذا المعنى أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا آدم ثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول « يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا »

قوله عزوجل ﴿ ويدعون إلى السجود فلايستطيعون ﴾ يعني الكفار والمنافقين تصير أصلابهم كصياصي البقر فلا يستطيعون السجود ﴿ خاشعة أبصارهم ﴾ وذلك ان المؤمنين يرفعون رءوسهم من السجود ووجوههم أشد بياضا من الثلج وتسود وجوه الكافرين والمنافقين ﴿ ترهقهم ذلة ﴾ يغشاهم ذل الندامة والحسرة ﴿ وقد كانوا يدعون إلى السجود ﴾ قال ابراهيم التيمي يعني إلى الصلاة المكتوبة بالاذان والاقامة، وقال سعيد ابن جبير كانوا يسمعون حي على الصلاة حي على الفلاح فلا يجيبون ﴿ وهم سالمون ﴾ أصحاء فلا يأتونه

قال كعب الاحبار والله مانزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن الجماعات ﴿ فذرني ومن يكذب بهذا الحديث ﴾ أي فدعني والمكذبين بالقرآن وخل بيني وبينهم قال الزجاج معناه لاتشغل قلبك به وكله إلي فاني أكفيك أمره ﴿ سنستدرجهم ﴾ سنأخذهم بالعذاب ﴿ من حيث لايعلمون ﴾ فعذبوا يوم بدر ﴿ وأملي لهم إن كيدي متين * أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب

وأنظرهم وأمدهم وذلك من كيدي ومكري بهم ولهذا قال تعالى (إن كيدي متين) أي عظيم لمن خالف أمري وكذب رسلي واجترأ على معصيتي

وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الله تعالى ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد) وقوله تعالى (أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون؟ * أم عندهم الغيب فهم يكتبون؟) تقدم تفسيرهما في سورة الطور ، والمعنى في ذلك أنك يامحمد تدعوهم إلى الله عز وجل بلا أجر تأخذه منهم بل ترجو ثواب ذلك عند الله تعالى وهم يكذبون بما جئتهم به بمجرد الجهل والكفر والعناد

فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم (٤٨) لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم (٤٩) فاجتبه ربه فجعله من الصلحين (٥٠) وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصرهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون (٥١) وما هو إلا ذكر للعلمين (٥٢)

يقول تعالى (فاصبر) يامحمد على أذى قومك لك وتكذيبهم فان الله سيحكم لك عليهم ويجعل في الدنيا والآخرة العاقبة لك ولأتباعك (ولا تكن كصاحب الحوت) يعني ذا النون وهو يونس بن متى عليه السلام حين ذهب مغاضباً على قومه فكان من أمره ماكان من ركوبه في البحر والتقام الحوت له وشرود الحوت به في البحار وظلمات غمرات اليم وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلي القدير الذي لا يرد ماأنفذه من التقدير فحينئذ نادى في الظلمات [أن لا اله الا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين] قال الله تعالى [فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين]

وقال تعالى (فلولا أنه كان من المسبحين * للبث في بطنه الى يوم يبعثون) وقال ههنا (إذ نادى وهو مكظوم) قال ابن عباس ومجاهد والسدى وهو مغموم ، وقال عطاء الخراساني وأبو مالك مكروب وقد قدمنا في الحديث أنه لما قال (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) خرجت الكلمة تحن حول العرش فقالت الملائكة يارب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال الله تبارك وتعالى أما تعرفون هذ؟ قالوا لا ، قال هذا يونس ، قالوا يارب عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة

فهم يكتبون ؟ فاصبر لحكم ربك ﴾ اصبر على أذاهم لقضاء ربك ﴿ ولا تكن ﴾ في الضجر والعجلة ﴿ كصاحب الحوت ﴾ وهو يونس بن متى ﴿ إذ نادى ﴾ ربه وهو في بطن الحوت ﴿ وهو مكظوم ﴾ مملوء غما ﴿ لولا أن تداركه ﴾ أدركه ﴿ نعمة من ربه ﴾ حين رحمه وتاب عليه ﴿ لنبذ بالعراء ﴾ لطرح

مجابة قال نعم ، قالوا أفلا ترحم ماكان يعمله في الرخا فتنجيه من البلاء ؟ فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء ولهذا قال تعالى (فاجتباه ربه فجعله من الصالحين)

وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن الاعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « لاينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى » ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة

وقوله تعالى (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما (ليزلقونك) لينفذونك (بأبصارهم) أي يعينونك بأبصارهم بمعنى يحسدونك لبغضهم إياك لولا وقاية الله لك وحمايته إياك منهم ، وفي هذه الآية دليل على أن العين اصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل كما وردت بذلك الاحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة

﴿ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ﴾ قال أبو داود حدثنا سليمان بن داود العتكي حدثنا شريك ح وحدثنا العباس العنبري حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا شريك عن العباس بن ذريح عن الشعبي قال العباس عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « لارقية إلا من عين أوحمة أو دم لايرقأ » لم يذكر العباس العين وهذا لفظ سليمان

﴿ حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه ﴾ قال أبو عبد الله بن ماجه حدثنا محمد بن عبدالله ابن نمير حدثنا اسحاق بن سليمان عن أبي جعفر الرازى عن حصين عن الشعبي عن بريدة بن الحصيب قال : قال رسول الله ﷺ « لارقية إلا من عين أو حمة » هكذا رواه ابن ماجه وقد أخرجه مسلم في صحيحه عن سعيد بن منصور عن هشيم عن حصين بن عبدالرحمن عن عامر الشعبي عن بريدة موقوفا وفيه قصة وقد رواه شعبة عن حصين عن الشعبي عن بريدة ، قال الترمذى وروى هذا الحديث الامام البخارى من حديث محمد بن فضيل وأبو داود من حديث مالك بن مغول والترمذي من حديث سفيان ابن عيينة ثلاثتهم عن حصين عن عامر عن الشعبي عن عمران بن حصين موقوفا « لارقية إلا من عين أوحمة »

﴿ حديث أبي ذر جندب بن جنادة (رض) ﴾ قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا ابراهيم بن محمد بن عرعرة عن ابن البزيد السامي حدثنا ديلم بن غزوان حدثنا وهب بن أبي دبي عن ابن حرب عن

بالفضاء من بطن الحوت ﴿ وهو مذموم ﴾ يذم ويلام بالذنب ﴿ فاجتباه ربه ﴾ اصطفاه ﴿ فجعله من الصالحين * وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم ﴾ وذلك ان الكفار أرادوا أن يصيبوا رسول الله ﷺ بالعين فنظر اليه قوم من قريش وقالوا ما رأينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين في بني أسد حتى كانت الناقة والبقرة السمينة تمر بأحدهم فيعاينها ثم يقول ياجارية خذي المكتل والدراهم فأتينا بشيء من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر ، وقال الكلبي كان رجل من العرب

عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ « إن العين لتولع الرجل باذن الله فيتصاعد حالقا ثم يتردى منه » اسناده غريب ولم يخرجوه

﴿ حديث حابس التميمي ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حرب حدثنا يحيى بن أبي كثير حدثني حبة بن حابس التميمي أن أباه أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « لاشيء في الهام والعين حق وأصدق الطيرة الفأل » وقد رواه الترمذي عن عمرو بن علي عن أبي غسان يحيى ابن كثير عن علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير به ثم قال غريب

قال وروى سنان عن يحيى بن أبي كثير عن حبة بن حابس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قلت كذلك رواه الامام احمد عن حسين بن موسى وحسين بن بن محمد بن شيبان بن أبي حبة حدثه عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا بأس في الهام والعين حق وأصدق الطيرة الفأل »

﴿ حديث بن عباس رضي الله عنه ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن الوليد عن سفيان عن دريد حدثني اسماعيل بن ثوبان عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « العين حق العين حق تستنزل الحالق » غريب

﴿ طريق أخرى ﴾ قال مسلم في صحيحه حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي أخبرنا مسلم بن ابراهيم حدثنا وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقت العين واذا استغسلتم فاغسلوا » انفرد به دون البخاري

وقال عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن منصور عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين يقول « أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » ويقول هكذا كان ابراهيم يعوذ اسحاق واسماعيل عليهما السلام أخرجه البخاري وأهل السنن من حديث المنهال به

﴿ حديث أبي امامة أسعد بن سهل بن حنيف رضي الله عنه ﴾ قال ابن ماجه حدثنا هشام بن عمار حدثنا سفيان عن الزهري عن أبي امامة أسعد بن سهل بن حنيف قال مر عامر بن ربيعة بسهل بن حنيف وهو يغتسل فقال لم أر كاليوم ولا جلد مخبأة فما لبث أن لبط به فأتي به رسول الله ﷺ فقيل له

محجن يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثا ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الابل فيقول لم أر كاليوم إبلا ولا غنما أحسن من هذه فما تذهب إلا قليلا حتى تسقط منها طائفة وعدة ، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ بالعين ويفعل به مثل ذلك فعصم الله نبيه وأنزل (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) أي ويكاد ودخلت اللام في ليزلقونك لمكان ان ، وقرأ أهل المدينة ليزلقونك بفتح الياء والآخرون بضمها وهما لغتان يقال زلقه يزلقه زلقا وأزلقه يزلقه إزلاقا قال ابن عباس معناه ينفذونك يقال زلق

أدرك سهلا صريعا قال « من تتهمون به ؟ » قالوا عامر بن ربيعة قال « علام يقتل أحدكم أخاه ؟ اذا رأى أحدكم من أخيه مايعجبه فليدع له بالبركة » ثم دعا بماء فأمر عامرا أن يتوضأ فيغسل وجهه ويديه الى المرفقين وركبتيه وداخلة إزاره وأمره أن يصب عليه قال سفيان قال معمر عن الزهري وأمر أن يكفأ الاناء من خلفه، وقد رواه النسائي من حديث سفيان بن عيينة ومالك بن أنس كلاهما عن الزهري به، ومن حديث سفيان بن عيينة به أيضا عن معمر عن الزهري عن أبي امامة ويكفأ الاناء من خلفه، ومن حديث ابن أبي ذئب عن الزهري عن أبي امامة أسعد بن سهل بن حنيف عن أبيه به ومن حديث مالك أيضاً عن محمد بن أبي امامة بن سهل عن أبيه به

﴿ حديث أبي سعيد الخدري ﴾ قال ابن ماجه حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله ﷺ يتعوذ من اعين الجان واعين الانس فلما نزلت المعوذتان أخذهما وترك ماسوى ذلك، ورواه الترمذي والنسائي من حديث سعيد بن أبي إياس أبي مسعود الجريري به وقال الترمذي حسن

﴿ حديث آخر عنه ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثني أبي حدثني عبد العزيز بن صهيب حدثني أبو نضرة عن أبي سعيد أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال اشتكيت يامحمد ؟ قال « نعم » قال بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس وعين تشنيك والله يشفيك ، بسم الله أرقيك . ورواه عن عفان عن عبد الوارث مثله ، ورواه مسلم وأهل السنن إلا أبا داود من حديث عبد الوارث به

وقال الامام أحمد أيضاً حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا داود عن أبي نضرة عن ابي سعيد او جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ اشتكى فأتاه جبريل فقال: بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من كل حاسد وعين والله يشفيك . ورواه أيضاً عن محمد بن عبد الرحمن الطفاوي عن داود بن أبي نضرة عن أبي سعيد به، قال أبو زرعة الرازي روى عبد الصمد بن عبد الوارث عن أبيه عن عبد العزيز عن أنس في معناه وكلاهما صحيح

﴿ حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴾ قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن همام ابن منبه قال هذا ماحدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال « إن العين حق » أخرجاه من حديث

السهم إذا نفذ ، قال السدي يصيبونك بعيونهم قال النضر بن شميل يعينونك وقيل يزيلونك، وقال الكلبي يصرعونك وقيل يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة ، قال ابن قتيبة ليس يريد أنهم يصيبونك بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه وانما أراد انهم ينظرون اليك إذا قرأت القرآن نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك وقال الزجاج يعني من شدة عداوتهم يكادون بنظرهم نظر البغضاء أن يصرعوك وهذا مستعمل في الكلام يقول القائل نظر إلي نظرا يكاد يصرعني ونظراً

عبد الرزاق . وقال ابن ماجه حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا اسماعيل بن علية عن الجريري عن مضارب بن عون عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « العين حق » تفرد به، ورواه أحمد عن اسماعيل بن علية عن سعيد الجريري به

وقال الامام احمد حدثنا ابن نمير حدثنا ثور يعني ابن يزيد عن مكحول عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « العين حق ويحضرها الشيطان وحسد بن آدم »

وقال احمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا ابو معشر عن محمد بن قيس سئل أبو هريرة هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: الطيرة في ثلاث : في المسكن والفرس والمرأة ؟ قال قلت اذاً أقول على رسول الله ﷺ مالم يقل ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول « أصدق الطيرة الفأل والعين حق »

﴿ حديث أسماء بنت عميس ﴾ قال الامام احمد حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة الزرقي قال قالت أسماء يارسول الله ان بني جعفر تصيبهم العين أفأسترقي لهم قال « نعم فلو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين » وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به ، ورواه الترمذي أيضاً والنسائي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عروة بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة عن أسماء بنت عميس به وقال الترمذي حسن صحيح

﴿ حديث عائشة رضي الله عنها ﴾ قال ابن ماجه حدثنا علي بن أبي الخصيب حدثنا وكيع عن سفيان ومسعر عن معبد بن خالد عن عبد الله بن شداد عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أمرها أن تسترقي من العين . ورواه البخاري عن محمد بن كثير عن سفيان عن معبد بن خالد به ، وأخرجه مسلم من حديث سفيان ومسعر كلاهما عن معبد به

ثم قال ابن ماجه حدثنا محمد بن بشار حدثنا ابو هشام المخزومي حدثنا وهيب عن ابي واقد عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « استعيذوا بالله فان النفس حق » تفرد به

وقال أبو داود حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة قالت : كان يؤمر العائن فيتوضأ ويغسل منه المعين . قلت كذلك رواه أحمد عن حسن بن موسى وحسين بن محمد عن سنان أن ابن حسنة حدثه عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا الهام والعين حق وأصدق الطيرة الفأل »

يكاد يأكلني ، يدل على صحة هذا المعنى أنه قرن هذا النظر بسماع القرآن وهو قوله ﴿ لما سمعوا الذكر ﴾ وهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهية فيحدون اليه النظر بالبغضاء ﴿ ويقولون انه لمجنون ﴾ أي ينسبونه إلى الجنون اذا سمعوه يقرأ القرآن فقال الله تعالى ﴿ وما هو ﴾ يعني القرآن ﴿ إلا ذكر للعالمين ﴾ قال ابن عباس موعظة للمؤمنين ، قال الحسن دواء إصابة العين أن يقرأ الانسان هذه الآية

(حديث سهل بن حنيف) قال الامام احمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا ابوادريس الزهري عن ابي امامة بن سهل بن حنيف أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ خرج وساروا معه نحو مكة حتى اذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف وكان رجلا أبيض حسن الجسم والجلد فنظر اليه عامر بن ربيعة أخو بني عدي بن كعب وهو يغتسل فقال مارأيت كاليوم ولا جلد مخبأة فلبط سهل فأتى رسول الله ﷺ فقيل له يارسول الله هل لك في سهل ؟ والله مايرفع رأسه ولا يفيق ، « قال هل تتهمون فيه من أحد ؟ » قالوا نظر اليه عامر بن ربيعة فدعا رسول الله ﷺ عامراً فتغيظ عليه وقال « علام يقتل أحدكم أخاه ؟ هلا اذا رأيت مايعجبك بركت ؟ - ثم قال - اغتسل له » فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح ثم صب ذلك الماء عليه فصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه ثم يكفأ القدح وراءه ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس

(حديث عامر بن ربيعة) قال الامام أحمد في مسند عامر حدثنا وكيع حدثنا أبي حدثنا عبدالله ابن عيسى عن أمية بن هند بن سهل بن حنيف عن عبيدالله بن عامر قال انطلق عامر بن ربيعة وسهل ابن حنيف يريدان الغسل قال فانطلقا يلتمسان الخمر قال فوضع عامر جبة كانت عليه من صوف فنظرت اليه فأصبته بعيني فنزل الماء يغتسل قال فسمعت له في الماء فرقعة فأتيته فناديته ثلاثا فلم يجبني فأتيت النبي (ص) فاخبرته قال فجاء يمشي فخاض الماء فكأني أنظر الى بياض ساقيه قال فضرب صدره بيده ثم قال « اللهم اصرف عنه حرها وبردها ووصبها » قال فقام، فقال رسول الله (ص) « اذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله مايعجبه فليبرك فان العين حق »

(حديث جابر) قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا محمد بن معمر حدثنا أبو داود حدثنا طالب بن حبيب بن عمرو بن سهل الانصاري ويقال له ابن الضجيع ضجيع حمزة رضي الله عنه حدثني عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله عن أبيه قال : قال رسول الله (ص) « أكثر من يموت من امتي بعد كتاب الله وقضائه وقدره بالانفس » قال البزار يعنى العين قال ولا نعلم يروى هذا الحديث عن النبي (ص) إلا بهذا الاسناد قلت بل قد روى من وجه آخر عن جابر

قال الحافظ أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر الهروي المعروف بشكر في كتاب العجائب وهو مشتمل على فوائد جليلة وغريبة حدثنا الرمادى حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا علي بن أبي علي الهاشمي حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « العين حق لتورد الرجل القبر

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي ثنا ابو بكر محمد بن الحسين القطان أنا احمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه أنا أبو هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « العين حق » ونهى عن الوشم

والجل القدر وإن اكثر هلاك أمتي في العين » ثم رواه عن شعيب بن أيوب عن معاوية بن هشام عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ «قد تدخل الرجل العين في القبر وتدخل الجمل القدر » وهذا اسناد رجاله كلهم ثقات ولم يخرجوه

﴿ حديث عبد الله بن عمرو ﴾ قال الامام احمد حدثنا قتيبة حدثنا رشدين بن سعد عن الحسن ابن ثوبان عن هشام بن أبي رقية عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « لاعدوى ولا طيرة ولا هامة ولا حسد والعين حق » تفرد به احمد

﴿ حديث عن علي ﴾ روى الحافظ ابن عساكر من طريق خيثمة بن سليمان الحافظ حدثنا عبيد ابن محمد الكشوري حدثنا عبد الله بن عبد الله بن عبد ربه البصري عن أبي رجاء عن شعبة عن أبي اسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي ﷺ فوافقه مغتما فقال يامحمد ماهذا الغم الذي أراه في وجهك؟ قال « الحسن والحسين أصابتهما عين » قال صدق بالعين فان العين حق أفلا عوذتهما بهؤلاء الكلمات قال « وماهن ياجبريل ؟ » قال قل اللهم ذا السلطان العظيم والمن القديم ذا الوجه الكريم ولي الكلمات التامات والدعوات المستجابات عاف الحسن والحسين من أنفس الجن وأعين الانس فقالها النبي ﷺ فقاما يلعبان بين يديه فقال النبي (ص) « عوذوا أنفسكم ونساءكم واولادكم بهذا التعويذ فانه لم يتعوذ المتعوذون بمثله » قال الخطيب البغدادى تفرد بروايته أبو رجاء محمد بن عبيد الله الحنطي من أهل تستر ذكره ابن عساكر في ترجمة طراد بن الحسين من تاريخه

وقوله تعالى « ويقولون إنه لمجنون) أي يزدرونه بأعينهم ويؤذونه بألسنتهم ويقولون إنه لمجنون أى لمجيئه بالقرآن قال الله تعالى (وما هو إلا ذكر للعالمين)

﴿ آخر تفسير سورة ن ولله الحمد والمنة ﴾

أخبرنا الامام ابو علي الحسين بن محمد القاضي ثنا السيد أبو الحسن بن محمد بن الحسين بن داود العلوي أنا أبو نصر بن محمد بن حمدويه بن سهل المروزي ثنا محمود بن آدم المروزي ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة الزرقي أن أسماء بنت عميس قالت يارسول الله ان بني جعفر تصيبهم العين أفأسترقي لهم ؟ « قال « نعم فلو كان شيء يسبق القضاء لسبقته العين »

تفسير سورة الحاقة وهى مكية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحاقّة (١) ما الحاقّة ؟ (٢) وما أدراك ما الحاقة ؟ (٣) كذبت ثمود وعاد بالقارعة (٤) فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية (٥) وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية (٦) سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية (٧) فهل ترى لهم من باقية ؟ (٨) وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة (٩) فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية (١٠) انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية (١١) لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية (١٢)

الحاقة من أسماء يوم القيامة لان فيها يتحقق الوعد والوعيد ولهذا عظم الله امرها فقال (وما أدراك ما الحاقة) ثم ذكر تعالى اهلاكه الامم المكذبين بها فقال تعالى (فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية) وهي الصيحة التي اسكتتهم والزلزلة التي اسكنتهم هكذا قال قتادة الطاغية الصيحة وهو اختيار ابن جرير وقال مجاهد الطاغية الذنوب وكذا قال الربيع بن أنس وابن زيد إنها الطغيان وقرأ ابن زيد (كذبت

﴿ سورة الحاقة مكية وهي اثنان وخمسون آيه ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ الحاقة ﴾ يعني القيامة سميت حاقة لانها حقت فلا كاذبة لها وقيل لان فيها حواق الامور وحقائقها ولان فيها يحق الجزاء على الاعمال أي يجب يقال حق عليه الشيء اذا وجب يحق حقوقا ، قال الله تعالى (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ، قال الكسائي الحاقة يوم الحق ﴿ ما الحاقة ؟ ﴾ هذا استفهام معناه التفخيم لشأنها كما يقال زيد ما زيد ؟ على التعظيم لشأنه ﴿ وما أدراك ما الحاقة ؟ ﴾ أي انك لا تعلمها اذا لم تعاينها ولم تر ما فيها من الاهوال ﴿ كذبت ثمود وعاد بالقارعة ﴾ قال ابن عباس وقتادة بالقيامة سميت قارعة لانها تقرع قلوب العباد وبالحاقة، وقيل كذبت بالعذاب الذي أوعدهم نبيهم حتى نزل بهم فقرع قلوبهم ﴿ فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ﴾ أي بطغيانهم وكفرهم قيل هي مصدر وقيل نعت أي بأفعالهم الطاغية وهذا معنى قول مجاهد كما قال كذبت ثمود بطغواها، وقال قتادة بالصيحة الطاغية

ثمود بطغواها) وقال السدي فاهلكوا بالطاغية قال يعني عاقر الناقة (وأما عاد فاهلكوا بريح صرصر) أي باردة قال قتادة والسدى والربيع بن أنس والثورى (عاتية) أى شديدة الهبوب قال قتادة عتت عليهم حتى نقبت عن افئدتهم وقال الضحاك (صرصر) باردة (عاتية) عتت عليهم بغير رحمة ولا بركة وقال علي وغيره عتت على الخزنة فخرجت بغير حساب (سخرها عليهم) أي سلطها عليهم (سبع ليال وثمانية أيام حسوما) أي كوامل متتابعات مشائيم قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وعكرمة والثوري وغيرهم حسوما متتابعات وعن عكرمة والربيع بن خثيم مشائيم عليهم كقوله تعالى (في أيام نحسات) قال الربيع وكان أولها الجمعة وقال غيره الاربعاء ويقال إنها التي تسميها الناس الاعجاز وكأن الناس أخذوا ذلك من قوله تعالى (فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية) وقيل لانها تكون في عجز الشتاء ويقال أيام العجوز لان عجوزاً من قوم عاد دخلت سربا فقتلها الريح في اليوم الثامن .حكاه البغوي والله أعلم

قال ابن عباس (خاوية) خربة وقال غيره بالية أي جعلت الريح تضرب بأحدهم الارض فيخر ميتاً على أم رأسه فينشدخ رأسه وتبقى جثته هامدة كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان. وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال « نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن يحيى بن الربس القيدي حدثنا ابن فضيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « ما فتح الله على عاد من الريح التي هلكوا بها إلا مثل موضع الخاتم فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم فجعلتهم بين السماء والارض فلما رأى ذلك أهل الحاضرة من عاد الريح وما فيها قالوا هذا عارض ممطرنا فألقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة »

وهي التي جاوزت مقادير الصياح فأهلكتهم ، وقيل طغت على الخزان كما طغى الماء على قوم نوح ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية﴾ عتت على خزانها فلم تطعهم ولم يكن لهم عليها سبيل وجاوزت المقدار فلم يعرفوا كم خرج منها؟ ﴿سخرها عليهم﴾ أرسلها عليهم وقال مقاتل سلطها عليهم ﴿ سبع ليال وثمانية أيام﴾ قال وهب هي الايام التي تسميها العرب أيام العجوز ذات برد ورياح شديدة قيل سميت عجوزا لانها في عجز الشتاء وقيل سميت بذلك لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فتبعتها الريح فقتلتها في اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع العذاب ﴿حسوما﴾ قال مجاهد وقتادة متتابعة ليس فيها فترة فعلى هذا هو من حسم الكي وهو أن يتابع على موضع الداء بالمكواة حتى يبرأ ثم قيل لكل شيء توبع حاسم وجمعه حسوم مثل شاهد وشهود ، وقال الكلبي ومقاتل حسوما دائمة ، وقال النضر بن شميل حسمتهم قطعتهم وأهلكتهم والحسم القطع والمنع ومنه حسم الداء، قال الزجاج أي تحسمهم حسوما تفنيهم وتذهبهم وقال عطية حسوما شؤما كأنها حسمت الخير عن أهلها ﴿فترى القوم فيها﴾ أي في تلك الليالي والايام ﴿صرعى﴾ هلكى جمع صريع ﴿كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾ ساقطة وقيل خالية الاجواف

وقال الثوري عن ليث عن مجاهد: الريح لها جناحان وذنب (فهل ترى لهم من باقية؟) أي هل تحس منهم من أحد من بقاياهم أو ممن ينتسب اليهم بل بادوا عن آخرهم ولم يجعل الله لهم خلفا

ثم قال تعالى (وجاء فرعون ومن قبله) قرئ بكسر القاف أي ومن عنده ممن في زمانه من أتباعه من كفار القبط، وقرأ آخرون بفتحها أي ومن قبله من الامم المشبهين له

وقوله تعالى (والمؤتفكات) وهم الامم المكذبون بالرسل (بالخاطئة) وهي التكذيب بما أنزل الله، قال الربيع (بالخاطئة) أي بالمعصية، وقال مجاهد بالخطايا ولهذا قال تعالى (فعصوا رسول ربهم) وهذا جنس أي كل كذب رسول الله اليهم كما قال تعالى (إن كل إلا كذب الرسل فحق وعيد) ومن كذب برسول فقد كذب بالجميع كما قال تعالى (كذبت قوم نوح المرسلين - كذبت عاد المرسلين - كذبت ثمود المرسلين) وإنما جاء الى كل أمة رسول واحد ولهذا قال ههنا (فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية) أي عظيمة شديدة أليمة، قال مجاهد رابية شديدة وقال السدي مهلكة

ثم قال تعالى (إنا لما طغا الماء) أى زاد على الحد باذن الله وارتفع على الوجود، وقال ابن عباس وغيره طغا الماء كثر. وذلك بسبب دعوة نوح عليه السلام على قومه حين كذبوه وخالفوه فعبدوا غير الله فاستجاب الله له وعم أهل الارض بالطوفان إلا من كان مع نوح في السفينة، فالناس كلهم من سلالة نوح وذريته

قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن أبي سنان عن سعيد بن سنان عن غير واحد عن علي بن أبي طالب قال لم تنزل قطرة من ماء الا بكيل على يدي ملك فلما كان يوم نوح أذن للماء دون الخزان فطغى الماء على الخزان فخرج فذلك قوله تعالى (انا لما طغى الماء) اى زاد على الحد باذن الله [حملناكم في الجارية] ولم ينزل شيء من الريح الا بكيل على يدي ملك الا يوم عاد فانه أذن لها دون الخزان فخرجت فذلك قوله تعالى (بريح صرصر عاتية) أى عتت على الخزان ولهذا قال تعالى ممتنا على الناس (إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية) وهي السفينة الجارية على وجه الماء (لنجعلها لكم

﴿ فهل ترى لهم من باقية ؟ ﴾ أى من نفس باقية يعني لم يبق منهم أحد ﴿ وجاء فرعون ومن قبله ﴾ قرأ أهل البصرة والكسائي بكسر القاف وفتح الباء أى ومن معه من جنوده وأتباعه وقرأ الآخرون بفتح القاف وسكون الباء أى ومن قبله من الامم الكافرة ﴿ والمؤتفكات ﴾ أى قرى قوم لوط يريد أهل المؤتفكات وقيل يريد الامم الذين ائتفكوا بخطيئتهم ﴿بالخاطئة﴾ بالخطيئة والمعصية وهي الشرك ﴿ فعصوا رسول ربهم ﴾ يعني لوطا وموسى ﴿ فأخذهم أخذة رابية ﴾ نامية . قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما شديدة وقيل زائدة على عذاب الامم ﴿ إنا لما طغى الماء ﴾ أي عتا وجاوز حده حتى علا على كل شيء وارتفع فوقه يعني زمن نوح عليه السلام ﴿حملناكم﴾ أي حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم ﴿ في الجارية ﴾ في السفينة التي تجري في الماء ﴿لنجعلها﴾ لنجعل تلك الفعلة التي فعلنا من إغراق قوم

تذكرة) عاد الضمير على الجنس لدلالة المعنى عليه أى وأبقينا لكم من جنسها ما تركبون على تيار الماء في البحار كما قال (وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه) وقال تعالى (وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون * وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) وقال قتادة : أبقى الله السفينة حتى أدركها أوائل هذه الامة ، والاول أظهر ولهذا قال تعالى (وتعيها أذن واعية) أي وتفهم هذه النعمة وتذكرها أذن واعية ، قال ابن عباس : حافظة سامعة . وقال قتادة [أذن واعية] عقلت عن الله فانتفعت بما سمعت من كتاب الله ، وقال الضحاك [وتعيها أذن واعية] سمعتها أذن ووعت أي من له سمع صحيح ، عقل رجيح وهذا عام في كل من فهم ووعي

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة الدمشقي حدثنا العباس بن الوليد بن صبيح الدمشقي حدثنا زيد بن يحيي حدثنا علي بن حوشب سمعت مكحولا يقول : لما نزل على رسول الله ﷺ (وتعيها أذن واعية) قال رسول الله ﷺ « سألت ربي أن يجعلها أذن علي » قال مكحول فكان علي يقول : ماسمعت من رسول الله ﷺ شيئا قط فنسيته . وهكذا رواه ابن جرير عن علي بن سهل عن الوليد بن مسلم عن علي بن حوشب عن مكحول به وهو حديث مرسل

وقد قال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا جعفر بن محمد بن عامر حدثنا بشر بن آدم حدثنا عبد الله بن الزبير أبو محمد يعني والد أبي أحمد الزبيري حدثني صالح بن ميثم سمعت بن مرة الاسلمي يقول قال رسول الله ﷺ لعلي « اني أمرت أن أدنيك ولا أقصيك وأن أعلمك وأن تعي وحق لك أن تعي » قال فنزلت هذه الآية (وتعيها أذن واعية) ورواه ابن جرير عن محمد بن خلف عن بشر بن آدم به ثم رواه ابن جرير من طريق آخر عن داود الاعمى عن بريدة به ولا يصح أيضا

فاذا نفخ في الصور نفخةٌ واحدة (١٣) وحُملت الارض والجبال فدُكتا دكةً واحدة (١٤)

فيومئذ وقعت الواقعة (١٥) وانشقت السماء فهي يومئذ واهية (١٦) والملك على أرجائها

ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمنية (١٧) يومئذ تعرضون لاتخفي منكم خافية (١٨)

يقول تعالى مخبرا عن أهوال يوم القيامة وأول ذلك نفخة الفزع ثم يعقبها نفخة الصعق حين يصعق من في السموات ومن في الارض إلا من شاء الله ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث

نوح ونجاة من حملنا ﴿ لكم تذكرة ﴾ عبرة وعظة ﴿ وتعيها ﴾ قرأ القواس عن ابن كثير وسليم عن حمزة باختلاس العين وقرأ الآخرون بكسرها أي تحفظها ﴿ أذن واعية ﴾ أي حافظة لما جاء من عند الله ، قال قتادة أذن سمعت وعقلت ماسمعت . قال الفراء لتحفظها كل أذن فتكون عبرة وموعظة لمن يأتي بعد ﴿ فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة ﴾ وهي النفخة الاولى ﴿ وحملت الارض والجبال ﴾ رفعت عن أماكنها

والنشور وهي هذه النفخة وقد أكدها ههنا بأنها واحدة لان أمر الله لايخالف ولا يمانع ولا يحتاج إلى تكرار ولا تأكيد ، وقال الربيع هي النفخة الاخيرة والظاهر ما قلناه ، ولهذا قال ههنا (وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة) أي فمدت مد الاديم العكاظي وتبدلت الارض غير الارض (فيومئذ وقعت الواقعة) أي قامت القيامة (وانشقت السماء فهي يومئذ واهية) قال سماك عن شيخ من بنى أسد عن علي قال : تنشق السماء من المجرة رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جريج هي كقوله (وفتحت السماء فكانت أبوابا) وقال ابن عباس متخرقة والعرش بحذائها (والملك على أرجائها) الملك اسم جنس اي الملائكة على أرجاء السماء. قال ابن عباس على ما لم يه منها أي حافاتها وكذا قال سعيد بن جبير والاوزاعي ، وقال الضحاك أطرافها ، وقال الحسن البصري أبوابها ، وقال الربيع بن أنس في قوله (والملك على أرجائها) يقول على ما استدق من السماء ينظرون إلى أهل الارض

وقوله تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) أى يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش العرش العظيم او العرش الذى يوضع في الارض يوم القيامة لفصل القضاء والله أعلم بالصواب ، وفي حديث عبدالله بن عميرة عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبدالمطلب في ذكر حملة العرش انهم ثمانية او عال

وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابوسعيد عن ابن سعيد حدثنا زيد بن الحباب حدثنى ابو السمح البصري حدثنا ابوقبيل حي بن هانيء انه سمع عبدالله بن عمرو يقول : حملة العرش ثمانية مابين موق أحدهم إلى مؤخر عينه مسيرة مائة عام

وقال ابن ابى حاتم حدثنا ابى قال كتب إلي احمد بن حفص بن عبدالله النيسابوري حدثنى ابي

﴿فدكتا﴾ كسرتا ﴿دكة﴾ كسرة ﴿واحدة﴾ فصارتا هباء منثوراً ﴿فيومئذ وقعت الواقعة﴾ قامت القيامة ﴿وانشقت السماء فهي يومئذ واهية﴾ ضعيفة ، قال الفراء وهيها تشققها ﴿والملك﴾ يعني الملائكة ﴿على أرجائها﴾ نواحيها وأقطارها مالم ينشق منها واحدها رجا مقصوراً وتثنيته رجوان ، قال الضحاك تكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرهم الرب فينزلون فيحيطون بالارض ومن عليها ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم﴾ أي فوق رؤسهم يعني الحملة ﴿يومئذ﴾ يوم القيامة ﴿ثمانية﴾ أي ثمانية أملاك ، جاء في الحديث «أنهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة أيدهم الله باربعة أخرى فكانوا ثمانية على صورة الاوعال بين أظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء» وجاء في الحديث «لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر»

أخبرنا أبو بكر بن الهيثم الترابي أنا أبو الفضل محمد بن الحسين الحدادي أنا محمد بن يحيى الخالدى أنا اسحاق بن ابراهيم الحنظلي ثنا عبد الرزاق ثنا يحيى بن العلاء الراعي عن عمه شعيب بن خالد ثنا

حدثنا ابراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «أذن لي أن أحدثكم عن ملك من حملة العرش بعد ما بين شحمة أذنه وعنقه بخفق الطير سبعمائة عام» وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات

وقد رواه ابو داود في كتاب السنة من سننه حدثنا احمد بن حفص بن عبدالله حدثنا ابي حدثنا ابراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش ان ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام» هذا لفظ ابي داود

وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا يحيى بن المغيرة حدثنا جرير عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير في قوله تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) قال ثمانية صفوف من الملائكة قال، وروي عن الشعبي وعكرمة والضحاك وابن جريج مثل ذلك، وكذا روى السدي عن أبي مالك عن ابن عباس ثمانية صفوف وكذا روى العوفي عنه وقال الضحاك عن ابن عباس الكروبيون ثمانية أجزاء كل جزء منهم بعدة الانس والجن والشياطين والملائكة

وقوله تعالى (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) أي تعرضون على عالم السر والنجوى الذي لا يخفى عليه شيء من أموركم بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر ولهذا قال تعالى (لا تخفى منكم خافية)

وقد قال ابن أبي الدنيا أخبرنا اسحاق بن اسماعيل أخبرنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن برقان عن ثابت بن الحجاج قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا

سماك بن حرب عن عبد الله بن عمير عن العباس بن عبد المطلب قال كنا جلوسا عند النبي ﷺ بالبطحاء فمرت سحابة فقال النبي ﷺ «أتدرون ما هذا» قلنا السحاب قال «والمزن» قلنا والمزن قال «والعنان» فقلنا والعنان فسكتنا، فقال «هل تدرون كم بين السماء والارض» قلنا الله ورسوله أعلم قال «بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء الى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكذلك غلظ كل سماء خمسمائة سنة وفوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والارض، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن كما بين السماء والارض وفوق ذلك العرش بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والارض والله تعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء» ويروى هذا عن عبد الله بن عمير عن الاحنف بن قيس عن العباس

وروي عن ابن عباس انه قال (فوقهم يومئذ ثمانية) أى ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله ﴿يومئذ تعرضون﴾ على الله ﴿لا تخفى﴾ قرأ حمزة والكسائي لا يخفى بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء ﴿منكم خافية﴾ أى فعلة خافية، قال الكلبي لا يخفى على الله منكم شيء. قال أبو موسى يعرض الناس ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعندها تطاير الصحف فآخذ بيمينه

أنفسكم قبل أن توزنوا فانه أخف عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم وتزينوا للعرض الاكبر (يومئـذ تعرضون لاتخفى منكم خافية)

وقال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا علي بن رفاعة عن الحسن عن ابي موسى قال : قال رسول الله ﷺ « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير ، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله » ورواه ابن ماجه عن ابي بكر بن ابي شيبة عن وكيع به وقد رواه الترمذي عن ابي كريب عن وكيع عن علي بن علي بن الحسين عن ابي هريرة به ، وقد روى ابن جرير عن مجاهد بن موسى عن يزيد بن سليم بن حيان عن مروان الاصفر عن أبي وائل عن عبدالله قال: يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات عرضتان معاذير وخصومات والعرضة الثالثة تطير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله ورواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلا مثله

فأما من أُوتيَ كتٰبه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتٰبيـه (١٩) إني ظننت أني مُلٰق حِسابيه (٢٠) فهو في عيشة راضية (٢١) في جنة عالية (٢٢) قطوفها دانية (٢٣) كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية (٢٤)

يخبر تعالى عن سعادة من يؤتى كتابه يوم القيامة بيمينه وفرحه بذلك وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه (هاؤم اقرءوا كتابيه) أي خذوا اقرءوا كتابيه لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضة لانه ممن بدل الله سيئاته حسنات ، قال عبد الرحمن بن زيد معنى (هاؤم اقرءوا كتابيه) أى ها اقرءوا كتابيه وأم زائدة كذا قال والظاهر انها بمعنى هاكم

وقد قال ابن ابي حاتم حدثنـا بشر بن مطر الواسطي حدثنـا يزيد بن هارون أخبرنا عاصم الاحول عن ابى عثمان قال : المؤمن يعطى كتابه بيمينه في ستر من الله فيقرأ سيئاته فكلما قرأ سيئة تغير لونه حتى يمر بحسناته فيقرؤها فيرجع اليه لونه ثم ينظر فاذا سيئاته قد بدلت حسنات قال فعند ذلك يقول هاؤم اقرءوا كتابيه

وحدثنا ابي حدثنا ابراهيم بن الوليد بن سلمة حدثنا روح بن عباد حدثنا موسى بن عبيدة أخبرني عبدالله بن عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة قال إن الله يوقف عبده يوم القيامة فيبدي أى يظهر سيئاته في ظهر صحيفته فيقول له أنت عملت هذا ، فيقول نعم اى رب ، فيقول له إني لم أفضحك به وإني قد

آخذ بشماله وذلك قوله عز وجل ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم ﴾ تعالوا ﴿ اقرءوا كتابيه ﴾

غفرت لك فيقول عند ذلك هاؤم اقرءوا كتابيه (إني ظننت أني ملاق حسابيه) حين نجا من فضيحته يوم القيامة

وقد تقدم في الصحيح حديث ابن عمر حين سئل عن النجوى فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يدني الله العبد يوم القيامة فيقرره بذنوبه كلها حتى اذا رأى انه قد هلك قال الله تعالى إني سترتها عليك في الدنيا وانا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه ، وأما الكافر والمنافق فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين »

وقوله تعالى (إني ظننت أني ملاق حسابيه) أي قد كنت موقنا في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة كما قال تعالى (الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم) قال الله تعالى (فهو في عيشة راضية) اى مرضية (في جنة عالية) اى رفيعة قصورها ، حسان حورها ، نعيمة دورها ، دائم حبورها ،

قال ابن أبي حاتم حدثنا ابي حدثنا ابو عتبة الحسن بن علي بن مسلم السكوني حدثنا اسماعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف عن يحيي بن ابى كثير عن ابى سلام الاسود قال سمعت أبا أمامة قال : سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يتزاور أهل الجنة ، قال « نعم انه ليهبط أهل الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلى فيحيونهم ويسلمون عليهم ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون إلى الاعلين تقصر بهم أعمالهم » وقد ثبت في الصحيح « ان الجنة مائة درجة مابين كل درجتين كما بين السماء والارض » وقوله تعالى (قطوفها دانية) قال البراء بن عازب اى قريبة يتناولها أحدهم وهو نائم على سريره وكذا قال غير واحد

قال الطبراني عن الدبري عن سفيان الثورى عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عطاء بن يسار عن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ « لا يدخل أحد الجنة إلا بجواز : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان ابن فلان ادخلوه جنة عالية قطوفها دانية » . وكذا رواه الضياء في صفة الجنة من طريق سعدان بن سعيد عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان عن رسول الله ﷺ قال « يعطى المؤمن جوازاً على الصراط : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان ادخلوه جنة عالية قطوفها دانية »

وقوله تعالى (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية) أي يقال لهم ذلك تفضلا عليهم

الهاء في كتابيه هاء الوقف ﴿إني ظننت﴾ علمت وأيقنت ﴿ أني ملاق حسابيه ﴾ اى أحاسب في الآخرة ﴿فهو في عيشة﴾ يعني حالة من العيش ﴿راضية﴾ مرضية كقوله (ماء دافق) يريد يرضاها بأن لقي الثواب وأمن العقاب ﴿في جنة عالية﴾ رفيعة ﴿ قطوفها دانية ﴾ ثمارها قريبة لمن يتناولها ينالها قائما وقاعدا ومضطجعا يقطعون كيف شاؤا ويقال لهم ﴿ كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم ﴾ قدمتم لآخرتكم من الاعمال الصالحة

وامتنانا وانعاما واحسانا وإلا فقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال « اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا أن أحداً منكم لن يدخله عمله الجنة » قالوا ولا أنت يارسول الله قال « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل »

وأما من أوتي كتٰبه بشماله فيقول يٰليتني لم أوت كتٰبيه (٢٥) ولم ادر ماحسابيه (٢٦) يٰليتها كانت القاضية (٢٧) ماأغنى عني ماليه (٢٨) هلك عني سلطٰنيه (٢٩) خذوه فغلوه (٣٠) ثم الجحيم صلوه (٣١) ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه (٣٢) انه كان لا يؤمن بالله العظيم (٣٣) ولا يحض على طعام المسكين (٣٤) فليس له اليوم هٰهنا حميم (٣٥) ولا طعام الا من غسلين (٣٦) لا يأكله الا الخٰطئون (٣٧)

وهذا اخبار عن حال الاشقياء اذا أعطي أحدهم كتابه في العرصات بشماله فحينئذ يندم غاية الندم (فيقول ياليتني لم أوت كتابيه * ولم ادرما حسابيه * ياليتها كانت القاضية) قال الضحاك يعني موتة لاحياة بعدها وكذا قال محمد بن كعب والربيع والسدي وقال قتادة تمنى الموت ولم يكن شيء في الدنيا أكره اليه منه (ما أغنى عني ماليه * هلك عني سلطانيه) أى لم يدفع عني مالي ولا جاهي عذاب الله وبأسه بل خاص الامر إلي وحدى فلا معين لي ولا مجير فعندها يقول الله عز وجل (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه) أى يأمر الزبانية أن تأخذه عنفا من المحشر فتغله أى تضع الاغلال في عنقه ثم توردة الى جهنم فتصليه إياها أى تغمره فيها

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو خالد عن عمرو بن قيس عن المنهال بن عمرو

﴿في الايام الخالية﴾ الماضية يريد أيام الدنيا ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله﴾ قال ابن السائب تلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه ، وقيل تنزع يده اليسرى من صدره إلى خلف ظهره ثم يعطى كتابه ﴿فيقول ياليتني لم أوت كتابيه﴾ يتمنى انه لم يؤت كتابه لما يرى فيه من قبائح أعماله ﴿ولم أدر ماحسابيه * ياليتها كانت القاضية﴾ يقول ياليت الموتة التي متها في الدنيا كانت القاضية الفارغة من كل ما بعدها والقاطعة للحياة فلم أحي بعدها والقاضية موت لا حياة بعده يتمنى انه لم يبعث للحساب قال قتادة يتمنى الموت وان لم يكن عنده في الدنيا شيء أكره من الموت ﴿ما أغنى عني ماليه﴾ لم يدفع عني من عذاب الله شيئا ﴿هلك عني سلطانيه﴾ ضلت عني حجتي عن اكثر المفسرين وقال ابن زيد زال عني ملكي وقوتي قال مقاتل يعني حين شهدت عليه الجوارح بالشرك

يقول الله لخزنة جهنم ﴿خذوه فغلوه﴾ اجمعوا يده الى عنقه ﴿ثم الجحيم صلوه﴾ أى ادخلوه

قال إذا قال الله تعالى خـذوه ابتدره سبعون الف ملك ان الملك منهم ليقول هكذا فيلقي سبعين الفا في النار. وروى ابن أبي الدنيا في الاهوال أنه يبتدره أربعمائة الف ولا يبقى شيء إلا دقه فيقول مالي ولك فيقول ان الرب عليك غضبان فكل شيء غضبان عليك، وقال الفضيل بن عياض : إذا قال الرب عز وجل خذوه فغـلوه ابتدره سبعون الف ملك أيهم يجعل الغل في عنقه (ثم الجحيم صلوه) أي اغمروه فيها

وقوله تعالى (ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) قال كعب الاحبار : كل حلقة منها قدر حديد الدنيا . وقال العوفي عن ابن عباس وابن جريج بذراع الملك . وقال ابن جريج قال ابن عباس [فاسلكوه] تدخل في استه ثم تخرج من فيه ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود حين يشوى وقال العوفي عن ابن عباس يسلك في دبره حتى يخرج من منخريه حتى لا يقوم على رجليه

وقال الامام أحمد حدثنا علي بن اسحاق أخبرنا عبدالله أخبرنا سعيد بن يزيد عن أبي السمح عن عيسى بن هلال الصدفي عن عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ « لو أن رضاضة مثل هذه - وأشار الى جمجمة - أرسلت من السماء إلى الارض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ قعرها أو أصلها » وأخرجه الترمذي عن سويد بن سعيد عن عبدالله بن المبارك به وقال هذا حديث حسن

وقوله تعالى (انه كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحض على طعام المسكين) أي لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته ولا ينفع خلقه ويؤدي حقهم ، فان لله على العباد ان يوحدوه ولا يشركوا به

الجحيم ﴿ ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه ﴾ فادخلوه فيها ، قال ابن عباس سبعون ذراعا بذراع الملك فتدخل في دبره وتخرج من منخره وقيل تدخل في فيه وتخرج من دبره ، وقال نوف البكالي سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع أبعد مما بينك وبين مكة وكان في رحبة الكوفة ، وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعا ، وقال الحسن الله أعلم أى ذراع

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن احمد بن الحارث انا ابو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود ثنا ابو اسحاق ابراهيم بن عبـد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن يزيد عن أبي السمح عن عيسى بن هلال الصدفي عن عبدالله بن عمرو ابن العاص قال قال رسول الله ﷺ « لو أن رضاضة مثل هذه وأشار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الارض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة التي ذكرها الله في القرآن لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها ، وعن كعب قال: لو جمع حديد الدنيا ماوزن حلقة منها ﴿ إنه كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحض على طعام المسكين ﴾

شيئا ، وللعباد بعضهم على بعض حق الاحسان والمعاونة على البر والتقوى ولهذا أمر الله باقام الصلاة وايتاء الزكاة .وقبض النبي ﷺ وهو يقول «الصلاة وماملكت أيمانكم»

وقوله تعالى [فليس له اليوم ههنا حميم * ولا طعام إلا من غسلين * لا يأكله الا الخاطئون] أي ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله تعالى لا حميم وهو القريب ولا شفيع يطاع ، ولاطعام له ههنا الا من غسلين . قال قتادة : هو شر طعام أهل النار .وقال الربيع والضحاك هو شجرة في جهنم

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا أبو سعيد المؤدب عن خصيف عن مجاهد عن ابن عباس قال ماأدري ماالغسلين ولكني أظنه الزقوم

وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال الغسلين الدم والماء يسيل من لحومهم .وقال علي بن أبي طلحة عنه الغسلين صديد اهل النار

فلا أقسم بما تبصرون (٣٨) وما لا تبصرون (٣٩) إنه لقول رسول كريم (٤٠) وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون (٤١) ولا بقول كاهن قليلا ماتذكّرون (٤٢) تنزيل من رب العٰلمين (٤٣)

يقول تعالى مقسما لخلقه بما يشاهدونه من آياته في مخلوقاته الدالة على كماله في أسمائه وصفاته وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من المغيبات عنهم ان القرآن كلامه ووحيه وتنزيله على عبده ورسوله الذي اصطفاه لتبليغ الرساله وأداء الامانة فقال تعالى (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون * انه لقول رسول كريم) يعني محمداً ﷺ أضافه اليه على معنى التبليغ لان الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل ولهذا أضافه في سورة التكوير الى الرسول الملكي [انه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين] وهذا جبريل عليه السلام ،ثم قال تعالى [وماصاحبكم بمجنون] يعني محمدا ﷺ [ولقد رآه بالافق المبين] يعني ان محمداً رأى جبريل على صورته التي خلقه الله عليها [وما هو

لا يطعم المسكين في الدنيا ولا يأمر أهله بذلك ﴿فليس له اليوم ههنا حميم﴾ قريب ينفعه ويشفع له ﴿ولا طعام إلا من غسلين﴾ وهو صديد أهل النار مأخوذ من الغسل كأنه غسالة جروحهم وقروحهم، قال الضحاك والربيع هو شجر يأكله أهل النار ﴿ لا يأكله إلا الخاطئون ﴾ أى الكافرون ﴿ فلا أقسم ﴾ لارد لكلام المشركين كأنه قال ليس كما يقول المشركون أقسم ﴿ بما تبصرون وما لا تبصرون ﴾ أى بما ترون وما لاترون قال قتادة أقسم بالاشياء كلها فيدخل فيه جميع المكونات والموجودات وقيل أقسم بالدنيا والآخرة وقيل ما تبصرون ما على وجه الارض وما لا تبصرون مافي بطنها ، وقيل ما تبصرون من الاجسام وما لا تبصرون من الارواح وقيل ما تبصرون الانس وما لا تبصرون الملائكة والجن وقيل النعم الظاهرة والباطنة وقيل ما تبصرون ماأظهر الله للملائكة واللوح والقلم وما لا تبصرون ما استأثر بعلمه فلم يطلع عليه أحد ﴿ إنه ﴾ يعني القرآن ﴿ لقول رسول كريم ﴾ أى

على الغيب بضنين] أي بمتهم [وما هو بقول شيطان رجيم] وهكذا قال ههنا [وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون] فأضافه الله تارة إلى قول الرسول الملكي وتارة إلى الرسول البشري لان كلا منهما مبلغ عن الله ما استأمنه عليه من وحيه وكلامه ولهذا قال تعالى [تنزيل من رب العالمين]

قال الامام أحمد حدثنا ابو المغيرة حدثنا صفوان حدثنا شريح بن عبيد قال قال عمر بن الخطاب خرجت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن قال فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال فقرأ [انه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون] قال فقلت كاهن ، قال فقرأ [ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين * ولو تقول علينا بعض الاقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين] الى آخر السورة ، قال فوقع الاسلام في قلبي كل موقع ، فهذا من جملة الاسباب التي جعلها الله تعالى مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب [رض] كما أوردنا كيفية إسلامه في سيرته المفردة ولله الحمد والمنة

ولو تقوّل علينا بعض الاقاويل (٤٤) لأخذنا منه باليمين (٤٥) ثم لقطعنا منه الوتين (٤٦)

فما منكم من أحد عنه حٰجزين (٤٧) وإنه لتذكرة للمتقين (٤٨) وإنا لنعلم أن منكم مكذبين (٤٩)

وإنه لحسرة على الكفٰرين (٥٠) وإنه لحق اليقين (٥١) فسبح باسم ربك العظيم (٥٢)

يقول تعالى (ولو تقول علينا) أي محمد ﷺ لو كان كما يزعمون مفتريا علينا فزاد في الرسالة أو نقص منها او قال شيئا من عنده فنسبه الينا وليس كذلك لعاجلناه بالعقوبة ، ولهذا قال تعالى (لأخذنا منه باليمين) قيل معناه لانتقمنا منه باليمين لانها أشد في البطش ، وقيل لأخذنا بيمينه ثم

تلاوة رسول كريم يعني محمدا ﷺ ﴿ وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون ﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يؤمنون ويذكرون بالياء فيهما وقرأ الآخرون بالتاء وأراد بالقليل نفي إيمانهم أصلا كقولك لمن لا يزورك قلما تأتينا وأنت تريد لاتأتينا أصلا ﴿ تنزيل من رب العالمين * ولو تقول ﴾ تخرص واختلق ﴿ علينا ﴾ محمد ﴿ بعض الاقاويل ﴾ وأتى بشيء من عند نفسه ﴿ لأخذنا منه باليمين ﴾ قيل من صلة مجازه لاخذناه وانتقمنا منه باليمين أي بالحق كقوله تأتوننا عن اليمين أي من قبل الحق ، وقال ابن عباس لاخذناه بالقوة والقدرة ، قال الشماخ يمدح عرابة ملك اليمن

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

لقطعنا منه الوتين) قال ابن عباس وهو نياط القلب وهو العرق الذي القلب معلق فيه ، وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والحكم وقتادة والضحاك ومسلم البطين وابو صخر حميد بن زياد ، وقال محمد ابن كعب هو القلب ومراقه وما يليه

وقوله تعالى (فما منكم من أحد عنه حاجزين) أي فما يقدر أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه اذا أردنا به شيئا من ذلك ، والمعنى في هذا بل هو صادق بار راشد لان الله عز وجل مقرر له مايبلغه عنه ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات

ثم قال تعالى (وانه لتذكرة للمتقين) يعني القرآن كما قال تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى) ثم قال تعالى (وانا لنعلم أن منكم مكذبين) أي مع هذا البيان والوضوح سيوجد منكم من يكذب بالقرآن . ثم قال تعالى (وانه لحسرة على الكافرين) قال ابن جرير وان التكذيب لحسرة على الكافرين يوم القيامة ، وحكاه عن قتادة بمثله

وروى ابن أبي حاتم من طريق السدي عن أبي مالك (وانه لحسرة على الكافرين) يقول لندامة ويحتمل عود الضمير على القرآن أي وإن القرآن والايمان به لحسرة في نفس الامر على الكافرين كما قال تعالى (كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لايؤمنون به)

وقال تعالى (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) ولهذا قال ههنا (وانه لحق اليقين) أي الخبر الصدق الحق الذي لامرية فيه ولا شك ولا ريب ثم قال تعالى (فسبح باسم ربك العظيم) أي الذي أنزل هذا القرآن العظيم

﴿ آخر تفسير سورة الحاقة ولله الحمد والمنة ﴾

أي بالقوة عبر عن القوة باليمين لان قوة كل شيء في ميامنه وقيل معناه لاخذناه بيده اليمنى وهو مثل معناه لاذللناه وأهناه كالسلطان إذا اراد الاستخفاف ببعض من بين يديه يقول لبعض أعوانه خذ بيده فأقمه ﴿ ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ قال ابن عباس أي نياط القلب وهو قول أكثر المفسرين وقال مجاهد الحبل الذي في الظهر وقيل هو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه ﴿ فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ مانعين يحجزوننا عن عقوبته، والمعنى ان محمداً لايتكلف الكذب لاجلكم مع علمه بانه لو تكلفه لعاقبناه ولا يقدر أحد على دفع عقوبتنا عنه ،وانما قال حاجزين بالجمع وهو فعل واحد رداً على معناه كقوله (لا نفرق بين أحد من رسله ﴿ وانه ﴾ يعني القرآن ﴿ لتذكرة للمتقين ﴾ أي لعظة لمن اتقى عقاب الله ﴿ وانا لنعلم أن منكم مكذبين * وانه لحسرة على الكافرين ﴾ يوم القيامة يندمون على ترك الايمان ﴿ وإنه لحق اليقين ﴾ أضافه الى نفسه لاختلاف اللفظين ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾

تفسير سورة سأل سائل وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل سائل بعذاب واقع (١) للكفرين ليس له دافع (٢) من الله ذي المعارج (٣) تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة (٤) فاصبر صبراً جميلا (٥) انهم يرونه بعيداً (٦) ونرٰه قريبا (٧)

(سأل سائل بعذاب واقع) فيه تضمين دل عليه حرف الباء كأنه مقدر استعجل سائل بعذاب واقع كقوله تعالى (ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده) أي وعذابه واقع لامحالة

قال النسائي حدثنا بشر بن خالد حدثنا أبو أسامة حدثنا سفيان عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (سأل سائل بعذاب واقع) قال النضر بن الحارث بن كلدة وقال العوفي عن ابن عباس (سأل سائل بعذاب واقع) قال ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع بهم

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى (سأل سائل) دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة قال وهو قولهم (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) وقال ابن زيد وغيره (سال سائل بعذاب واقع) أي واد في جهنم يسيل يوم القيامة بالعذاب وهذا القول ضعيف بعيد عن المراد والصحيح الاول لدلالة السياق عليه

وقوله تعالى (واقع للكافرين) أي مرصد معد للكافرين، وقال ابن عباس واقع جائي (ليس له

﴿ سورة المعارج مكية أربع وأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سأل سائل ﴾ قرأ اهل المدينة والشام سال بغير همز وقرأ الآخرون بالهمز فمن همز فهو من السؤال ومن قرأ بغير همز قيل هو لغة في السؤال يقال سال يسال مثل خاف يخاف يعني سأل يسأل خفف الهمزة وجعلها الفا وقيل هو من السيل وسائل واد من أودية جهنم يروى ذلك عن عبدالرحمن ابن زيد بن أسلم والاول أصح، واختلفوا في الباء في قوله ﴿ بعذاب ﴾ قيل هي بمعنى عن قوله (فاسئل به خبيراً) أي عنه خبيراً، ومعنى الآية سأل سائل عن عذاب ﴿ واقع ﴾ نازل كائن على من ينزل ولمن ذلك العذاب فقال الله مبينا مجيباً لذلك السائل ﴿ للكافرين ﴾ وذلك ان أهل مكة لما خوفهم النبي ﷺ

دافع) أي لا دافع له اذا أراد الله كونه ولهذا قال تعالى (من الله ذي المعارج) قال الثوري عن الاعمش عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (ذي المعارج) قال ذو الدرجات، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ذي المعارج يعني العلو والفواضل وقال مجاهد ذي المعارج معارج السماء، وقال قتادة ذي الفواضل والنعم

وقوله تعالى (تعرج الملائكة والروح اليه) قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة تعرج تصعد وأما الروح فقال ابو صالح هم خلق من خلق الله يشبهون الناس وليسوا ناساً، قلت ويحتمل أن يكون المراد به جبريل ويكون من باب عطف الخاص على العام، ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بنى آدم فانها إذا قبضت يصعد بها إلى السماء كما دل عليه حديث البراء وفي الحديث الذي رواه الامام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث المنهاج عن زاذان عن البراء مرفوعا الحديث بطوله في قبض الروح الطيبة قال فيه «فلا يزال يصعد بها من سماء إلى سماء حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله» والله أعلم بصحته (١) فقد تكلم في بعض رواته ولكنه مشهور وله شاهد في حديث أبي هريرة فيما تقدم من رواية الامام أحمد والترمذي وابن ماجه من طريق ابن أبي الدنيا عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عنه، وهذا إسناد رجاله على شرط الجماعة، وقد بسطنا لفظه عند قوله تعالى [يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء]

وقوله تعالى [في يوم كان مقداره خمسين الف سنة] فيه أربعة أقوال [أحدها] ان المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين وهو قرار الارض السابعة وذلك مسيرة خمسين الف سنة هذا ارتفاع العرش عن المركز الذى في وسط الارض السابعة وكذلك اتساع العرش من قطر إلى قطر مسيرة خمسين الف سنة وانه من ياقوتة حمراء كما ذكره ابن أبي شيبة في كتاب صفة العرش

(١) هذه الزيادة ليست في النسخة المكية

بالعذاب قال بعضهم لبعض من أهل هذا العذاب؟ ولمن هو؟ سلوا عنه محمداً فسألوه فأنزل الله (سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين) أي هو للكافرين، هذا قول الحسن وقتادة وقيل الباء صلة، ومعنى الآية دعا داع وسأل سائل عذابا واقعا للكافرين أي على الكافرين اللام بمعنى على وهو النضر بن الحارث حيث دعا على نفسه وسأل العذاب فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فنزل به ما سأل يوم بدر فقتل صبرا وهذا قول ابن عباس ومجاهد ﴿ليس له دافع من الله﴾ أي بعذاب من الله ﴿ذي المعارج﴾ قال ابن عباس أي ذي السموات سماها معارج لان الملائكة تعرج فيها، وقال سعيد ابن جبير ذي الدرجات وقال قتادة ذي الفواضل والنعم ومعارج الملائكة ﴿تعرج الملائكة﴾ قرأ الكسائي يعرج بالياء وهي قراءة ابن مسعود وقرأ الآخرون تعرج بالتاء ﴿والروح﴾ يعني جبريل عليه السلام ﴿إليه﴾ أي إلى الله عز وجل ﴿في يوم كان مقداره خمسين الف سنة﴾ من سني الدنيا

وقد قال ابن أبي حاتم عند هذه الآية حدثنا أحمد بن سلمة حدثنا اسحاق بن ابراهيم أخبرنا حكام عن عمر بن معمر بن معروف عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال منتهى أمره من أسفل الارضين الى منتهى امره من فوق السموات خمسين ألف سنة (في يوم كان مقداره ألف سنة) يعني بذلك حين ينزل الامر من السماء الى الارض ومن الارض الى السماء في يوم واحد فذلك مقداره ألف سنة لان ما بين السماء والارض مقدار مسيرة خمسمائة عام وقد رواه ابن جرير عن ابن حميد عن حكام بن سالم عن عمر بن معروف عن مجاهد قوله لم يذكر ابن عباس

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا ابراهيم بن منصور حدثنا نوح المضروب عن عبدالوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس قال غلظ كل ارض خمسمائة عام وبين كل أرض الى أرض خمسمائة عام فذلك سبعة آلاف عام وغلظ كل سماء خمسمائة عام وبين السماء الى السماء خمسمائة عام فذلك أربعة عشر ألف عام وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام فذلك قوله تعالى (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) (القول الثاني) أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم الى قيام الساعة

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة اخبرنا ابراهيم بن موسى اخبرنا ابن أبي زائدة عن ابن جريج عن مجاهد في قوله تعالى (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال الدنيا عمرها خمسون ألف سنة وذلك عمرها يوم سماها الله عز وجل يوما تعرج الملائكة والروح اليه في يوم) قال اليوم الدنيا

وقال عبد الرزاق اخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن الحكم بن أبان عن عكرمة (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال الدنيا من أولها الى آخرها مقدار خمسين ألف سنة لايدرى أحد كم مضى؟ ولا كم بقي؟ إلا الله عز وجل (القول الثالث) انه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة وهو قول غريب جداً

قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا بهلول بن المورق حدثنا

لو صعد غير الملك من بني آدم من منتهى أمر الله تعالى من أسفل الارض السابعة إلى منتهى أمر الله تعالى من فوق السماء السابعة لما صعد في أقل من خمسين الف سنة والملك يقطع ذلك كله في ساعة واحدة وروى ليث عن مجاهد ان مقدار هذا خمسين الف سنة ، وقال محمد بن اسحاق لو سار بنو آدم من الدنيا إلى موضع العرش ساروا خمسين الف سنة ، وقال عكرمة وقتادة هو يوم القيامة ، وقال الحسن أيضا هو يوم القيامة وأراد ان موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسون الف سنة من سني الدنيا ليس يعني به ان مقدار طوله هذا دون غيره لان يوم القيامة له أول وليس له آخر لانه يوم ممدود ولو كان له آخر لكان منقطعا

موسى بن عبيدة أخبرني محمد بن كعب (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة (القول الرابع) أن المراد بذلك يوم القيامة

قال ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن سنان الواسطي حدثنا عبد الرحمن بن مهدى عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال يوم القيامة واسناده صحيح ورواه الثورى عن سماك بن حرب عن عكرمة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة يوم القيامة وكذا قال الضحاك وابن زيد

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال هو يوم القيامة جعله الله تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة وقد وردت أحاديث في معنى ذلك

قال الامام أحمد حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قيل لرسول الله ﷺ (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ما اطول هذا اليوم ؟ فقال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا » ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به إلا أن دراجا وشيخه أبا الهيثم ضعيفان والله أعلم

وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي عمر الغداني قال كنت عند أبي هريرة فمر رجل من بني عامر بن صعصعة فقيل له هذا أكثر عامري مالا فقال أبو هريرة ردوه إلي فردوه فقال نبئت أنك ذو مال كثير فقال العامري أي والله إن لي لمائة حمراء أو مائة أدماء حتى عد من ألوان الابل وافنان الرقيق ورباط الخيل فقال أبو هريرة إياك واخفاف الابل واظلاف الغنم يردد ذلك عليه حتى جعل لون العامرى يتغير فقال ماذاك يا أبا هريرة ؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من كانت له ابل لايعطي حقها في نجدتها ورسلها - قلنا يارسول الله ما نجدتها ورسلها ؟ قال - في عسرها ويسرها فانها تأتي يوم القيامة كاغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه

وروى ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال هو يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين الف سنة

أخبرنا أبو الفرج المظفر بن اسماعيل التيمي أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو احمد عبد الله بن عدي الحافظ ثنا عبد الله بن سعيد ثنا أسد بن موسى ثنا ابن لهيعة عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال قيل لرسول الله ﷺ (في يوم كان مقداره خمسين الف سنة) فما أطول هذا اليوم ؟ فقال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده انه ليخفف عن المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا » وقيل معناه لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله

باخفافها فاذا جاوزته أخراها اعيدت عليه أولاها (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله، واذا كانت له بقر لايعطى حقها في نجدتها ورسلها فانها تأتي يوم القيامة كأغذ ماكانت وأكثره وأسمنه وآشره ثم يبطح لهـا بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ليس فيها عقصاء ولا عضباء اذا جاوزته اخراها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله، واذا كانت له غنم لايعطي حقها في نجدتها ورسلها فانها تأتي يوم القيامة كأغذ ماكانت وأسمنه وآشره حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ليس فيها عقصاء ولا عضباء اذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله» فقال العامري وما حق الابل ياأبا هريرة ؟ قال أن تعطي الكريمة وتمنح الغزيرة وتفقر الظهر وتسقي الابل وتطرق الفحـل . وقد رواه أبو داود من حديث شعبة والنسائي من حديث سعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة به

﴿ طريق أخرى لهذا الحديث ﴾ قال الامام أحمد حدثنا ابو كامل حدثنا حماد عن سهل بن ابي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مامن صاحب كنز لايؤدي حقه إلا جعل صفائح يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار »وذكر بقية الحديث في الغنم والابل كما تقدم وفيه الخيل الثلاثة : لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى رجل وزر إلى آخره » ورواه مسلم في صحيحه بتمامه منفرداً به دون البخاري من حديث سهيل عن أبيه عن أبي هريرة وموضع استقصاء طرقه وألفاظه في كتاب الزكاة من كتاب الاحكام ، والغرض من إيراده ههنا قوله (حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة)

وقد روى ابن جرير عن يعقوب عن ابن عيينة وعبد الوهاب عن أيوب عن ابن أبي مليكة قال سأل رجل ابن عباس عن قوله (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) فقال مايوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال فاتهمه ، فقال انما سألتـك لتحدثني ، قال هما يومان ذكرهما الله الله أعلم بهما وأكره أن أقول في كتاب الله بما لاأعلم

لم يفرغ منه في خمسين الف سنة وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس ومقاتل وقال عطاء ويفرغ الله منه في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا

وروى محمد بن الفضل عن الكلبي قال يقول لو وليت حساب ذلك اليوم الملائكة والجن والانس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه في خمسين ألف سنة وأنا أفرغ منها في ساعة من النهار ، وقال يمان هو يوم القيامة فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة وفيه تقديم وتأخير كانه قال ليس له دافع من الله

وقوله تعالى (فاصبر صبراً جميلا) أي اصبر يامحمد على تكذيب قومك لك واستعجالهم العذاب استبعاداً لوقوعه كقوله (يستعجل بها الذين لايؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق) ولهذا قال (انهم يرونه بعيداً) أي وقوع العذاب وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع بمعنى مستحيل الوقوع (ونراه قريبا) أي المؤمنون يعتقدون كونه قريبا وإن كان له أمد لايعلمه إلا الله عز وجل لكن كل ماهو آت فهو قريب وواقع لامحالة

يوم تكون السماء كالمهل (٨) وتكون الجبال كالعهن (٩) ولا يسئل حميم حميما (١٠) يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه (١١) وصاحبته وأخيه (١٢) وفصيلته التي تؤويه (١٣) ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه (١٤) كلا إنها لظى (١٥) نزاعة للشوى (١٦) تدعو من أدبر وتولى (١٧) وجمع فأوعى (١٨)

يقول تعالى العذاب واقع بالكافرين (يوم تكون السماء كالمهل) قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي وغير واحد أي كدردي الزيت (وتكون الجبال كالعهن) أي كالصوف المنفوش قاله مجاهد وقتادة والسدي وهذه الآية كقوله تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش)

وقوله تعالى (ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم) أي لايسأل القريب قريبه عن حاله وهو يراه في أسوأ الاحوال فتشغله نفسه عن غيره ، قال العوفي عن ابن عباس يعرف بعضهم بعضاً ويتعارفون بينهم ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك يقول الله تعالى (لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه) وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى (ياأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لايجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق) وكقوله تعالى (وإن تدع مثقلة إلى حملها لايحمل

ذي المعارج- في يوم كان مقداره خمسين الف سنة تعرج الملائكة والروح اليه ﴿ فاصبر صبرا جميلا ﴾ يامحمد على تكذيبهم وهذا قبل أن يؤمر بالقتال ﴿ إنهم يرونه بعيداً ﴾ يعني العذاب ﴿ ونراه قريبا ﴾ لان ما هو آت قريب وهو يوم القيامة ﴿ يوم تكون السماء كالمهل ﴾ كعكر الزيت

وقال الحسن كالفضة اذا اذيبت ﴿ وتكون الجبال كالعهن ﴾ كالصوف المصبوغ ولا يقال عهن إلا للمصبوغ وقال مقاتل كالصوف المنفوش وقال الحسن كالصوف الاحمر وهو أضعف الصوف وأول ماتتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم تصير هباء منثوراً ﴿ ولا يسأل حميم حميما ﴾ قرأ البزي عن ابن كثير لايسئل بضم الياء أي لايسئل حميم عن حميم أي لايقال له أين حميمك ؟ وقرأ الآخرون بفتح الياء أي لايسأل قريب قريبا لشغله بشأن نفسه ﴿ يبصرونهم ﴾ يرونهم وليس في القيامة مخلوق إلا وهو نصب عين صاحبه من الجن والانس فيبصر الرجل أباه وأخاه وقرابته فلا يسأله ويبصر

منه شيء ولو كان ذاقربى) وكقوله تعالى (فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون)وكقوله تعالى(يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امريء منهم يومئذ شأن يغنيه)

وقوله تعالى (يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه * وصاحبته وأخيه * وفصيلته التي تؤويه * ومن في الارض جميعا ثم ينجيه * كلا)أي لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الارض وبأعز مايجده من المال ولو بملء الارض ذهبا أو من ولده الذى كان في الدنيا حشاشة كبده يود يوم القيامة اذا رأى الاهوال أن يفتدى من عذاب الله به ولا يقبل منه ، قال مجاهد والسدى(فصيلته) قبيلته وعشيرته ، وقال عكرمة فخذه الذي هو منهم ، وقال أشهب عن مالك فصيلته أمه

وقوله تعالى (انها لظى) يصف النار وشدة حرها (نزاعة للشوى) قال ابن عباس ومجاهد جلدة الرأس ، وقال العوفي عن ابن عباس (نزاعة للشوى) الجلود والهام ، وقال مجاهد مادون العظم من اللحم ، وقال سعيد بن جبير والعقب ، وقال ابو صالح(نزاعة للشوى) يعني أطراف اليدين والرجلين وقال أيضا (نزاعة للشوى) لحم الساقين ، وقال الحسن البصرى وثابت البناني (نزاعة للشوى) أى مكارم وجهه ، وقال الحسن أيضاً تحرق كل شيء فيه ويبقى فؤاده يصيح ، وقال قتادة(نزاعة للشوى) أي نزاعة لهامته ومكارم وجهه وخلقه وأطرافه

وقال الضحاك تبري اللحم والجلد عن العظم حتى لاتترك منه شيئا ، وقال ابن زيد الشوى الآراب العظام فقوله نزاعة قال تقطع عظامهم ثم تبدل جلودهم وخلقهم

حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه قال ابن عباس يتعارفون ساعة من النهار ثم لايتعارفون بعده ، وقيل يبصرونهم يعرفونهم أي يعرف الحميم حميمه حتى يعرفه ومع ذلك لايسأله عن شأنه لشغله بنفسه ، وقال السدي يعرفونهم أما المؤمن فببياض وجهه وأما الكافر فبسواد وجهه ﴿ يود المجرم ﴾ يتمنى المشرك ﴿ لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته ﴾ زوجته ﴿ وأخيه وفصيلته ﴾ عشيرته التي فصل منهم وقال مجاهد قبيلته وقال غيره أقربائه الاقربين ﴿ التي تؤويه ﴾ أي تضمه ويأوي اليها ﴿ ومن في الارض جميعا ﴾ يود لو يفتدي بهم جميعا ﴿ ثم ينجيه ﴾ ذلك الفداء من عذاب الله ﴿ كلا ﴾ لا ينجيه من عذاب الله شيء ثم ابتدأ فقال ﴿ إنها لظى ﴾ وهي اسم من أسماء جهنم وقيل هي الدركة الثانية سميت بذلك لانها تتلظى أي تتلهب ﴿ نزاعة للشوى ﴾ قرأ حفص عن عاصم نزاعة نصب على الحال والقطع وقرأ الآخرون بالرفع أي هي نزاعة الشوى وهي الاطراف اليدان والرجلان والاطراف وقال مجاهد لجلود الرأس وروى ابراهيم بن المهاجر عنه اللحم دون العظام قال مقاتل تنزع النار الاطراف فلا تترك لحما ولا جلداً وقال الضحاك تنزع الجلد واللحم عن العظام قال سعيد بن جبير عن ابن عباس العصب والعقب وقال الكلبي لام الرأس تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان ثم تعود لا كله فتأكله فذلك دأبها

وقوله تعالى (تدعو من أدبر وتولى * وجمع فأوعى) أي تدعو النار اليها أبناءها الذين خلقهم الله لها ، وقدر لهم أنهم في الدار الدنيا يعملون عملها فتدعوهم يوم القيامة بلسان طلق ذلق ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب وذلك أنهم كما قال الله عز وجل كانوا ممن أدبر وتولى اي كذب بقلبه وترك العمل بجوارحه (وجمع فأوعى) أي جمع المال بعضه على بعض فأوعاه أي أوكاه ومنع حق الله منه من الواجب عليه في النفقات ومن إخراج الزكاة

وقد ورد في الحديث « ولا توعي فيوعي الله عليك » وكان عبدالله بن عكيم لا يربطه كيسا ويقول سمعت الله يقول وجمع فأوعى ، وقال الحسن البصري يا ابن آدم سمعت وعيدالله ثم أوعيت الدنيا وقال قتادة في قوله وجمع فأوعى قال كان جموعا نموما للحديث

ان الانسن خُلق هَلوعا (١٩) اذا مسه الشر جزوعا (٢٠) واذا مسه الخير منوعا (٢١) الا المصلين (٢٢) الذين هم على صلاتهم دائمون (٢٣) والذين في أموالهم حق معلوم (٢٤) للسائل والمحروم (٢٥) والذين يُصدقون بيوم الدين (٢٦) والذين هم من عذاب ربهم مشفقون (٢٧) ان عذاب ربهم غيرُ مأمون (٢٨) والذين هم لفروجهم حفظون (٢٩) الا على أزواجهم أو ماملكت أيمٰنهم فانهم غير مَلومين (٣٠) فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون (٣١) والذين هم لأمٰنتهم وعهدهم راعون (٣٢) والذين هم بشهٰداتهم قائمون (٣٣) والذين هم على صلاتهم يحافظون (٣٤) أولئك في جنٰت مكرمون (٣٥)

يقول تعالى مخبراً عن الانسان وما هو مجبول عليه من الاخلاق الدنيئة (إن الانسان خلق

وقال قتادة لمكارم خلقه واطرافه وقال أبو العالية لمحاسن وجهه وقال ابن جرير الشوى جوارح الانسان مالم يكن مقتلا يقال رمى فاشوى اذا أصاب الاطراف ولم يصب المقتل ﴿ تدعو ﴾ النار الى نفسها ﴿ من أدبر ﴾ عن الايمان ﴿ وتولى ﴾ عن الحق فتقول إلي يامشرك إلي يامنافق إلي إلي قال ابن عباس تدعو الكافرين والمنافقين بأسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب حكى عن الخليل أنه قال تدعو أي تعذب وقال قال اعرابي لآخر دعاك الله أي عذبك الله ﴿ وجمع ﴾ أي جمع المال ﴿ فاوعى ﴾ أمسكه في الوعاء ولم يؤد حق الله منه ﴿ إن الانسان خلق هلوعا ﴾ روى السدي عن أبي صالح عن ابن عباس قال الهلوع الحريص على مالا يحل له وقال سعيد بن جبير شحيحا وقال عكرمة

هلوعا) ثم فسره بقوله (إذا مسه الشر جزوعا) أي إذا مسه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب وايس أن يحصل له بعد ذلك خير (واذا مسه الخير منوعا) أي اذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره ومنع حق الله تعالى فيها

وقال الامام احمد حدثنا ابو الرحمن حدثنا موسى بن علي بن رباح سمعت أبي يحدث عن عبدالعزيز ابن مروان بن الحكم قال سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ « شر ما في رجل شح هالع وجبن خالع » ورواه ابو داود عن عبدالله بن الجراح عن أبي عبدالرحمن المقري به وليس لعبدالعزيز عنده سواه . ثم قال تعالى (إلا المصلين) أي الانسان من حيث هو متصف بصفات الذم إلا من عصمه الله ووفقه وهداه إلى الخير ويسر له أسبابه وهم المصلون الذين هم على صلاتهم دائمون قيل معناه يحافظون على أوقاتها وواجباتها قاله ابن مسعود ومسروق وابراهيم النخعي ، وقيل المراد بالدوام ههنا السكون والخشوع كقوله تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) قاله عقبة بن عامر ومنه الماء الدائم وهو الساكن الراكد ، وهذا يدل على وجوب الطمأنينة في الصلاة فان الذي لا يطمئن في ركوعه وسجوده ليس بدائم على صلاته لانه لم يسكن فيها ولم يدم بل ينقرها نقر الغراب فلا يفلح في صلاته ، وقيل المراد بذلك الذين إذا عملوا عملا داوموا عليه وأثبتوه كما جاء في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال « أحب الاعمال إلى الله أدومها وان قل ، وفي لفظ ـ ما داوم عليه صاحبه قالت وكان رسول الله ﷺ اذا عمل عملا داوم عليه وفي لفظ أثبته ، وقال قتادة في قوله تعالى (الذين هم على صلاتهم دائمون) ذكر لنا أن دانيال عليه السلام نعت أمة محمد ﷺ فقال يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما غرقوا أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم أو ثمود ما أخذتهم الصيحة فعليكم بالصلاة فانها خلق للمؤمنين حسن

ضجوراً وقال الضحاك والحسن بخيلا وقال مقاتل جزوعا وقال قتادة ضيق القلب والهلع شدة الحرص وقلة الصبر وقال عطية عن ابن عباس تفسيره مابعد وهو قوله ﴿ إذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا ﴾ يعني اذا أصابه الفقر لم يصبر واذا أصابه المال لم ينفق قال ابن كيسان خلق الله الانسان يحب مايسره ويهرب مما يكره ثم تعبده بانفاق مايحب والصبر على مايكره ثم استثنى فقال ﴿ إلا المصلين ﴾ استثنى الجمع من الواحد لان الانسان في معنى الجمع ﴿ الذين هم على صلاتهم دائمون ﴾ يقيمونها في أوقاتها يعني الفرائض

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة ثنا أبو طاهر محمد بن احمد بن الحارث أنا محمد ابن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله ابن المبارك عن أبي لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب أن أبا الخير اخبره قال سألنا عقبة بن عامر عن قول الله تعالى (الذين هم على صلاتهم دائمون) أهم الذين يصلون أبداً قال لا ولكنهم اذا صلوا لم

وقوله تعالى [والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم] أي في أموالهم نصيب مقرر لذوي الحاجات ، وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الذاريات

وقوله تعالى [والذين يصدقون بيوم الدين] أي يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب ، ولهذا قال تعالى [والذين هم من عذاب ربهم مشفقون] أي خائفون وجلون [ان عذاب ربهم غير مأمون] أي لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره الا بأمان من الله تبارك وتعالى . وقوله تعالى [والذين هم لفروجهم حافظون] أي يكفونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع في غير ما أذن الله فيه ولهذا قال تعالى [إلا على أزواجهم أوما ملكت أيمانهم] أى من الاماء [فانهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون] وقد تقدم تفسير هذا في أول سورة [قد أفلح المؤمنون] بما أغني عن اعادته ههنا

وقوله تعالى [والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون] أي اذا اؤتمنوا لم يخونوا ، وإذا عاهدوا لم يغدروا وهذه صفات المؤمنين وضدها صفات المنافقين كما ورد في الحديث الصحيح « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف واذا اؤتمن خان » ، وفي رواية « إذا حدث كذب وإذا عاهد غادر ، واذا خاصم فجر »

وقوله تعالى (والذين هم بشهاداتهم قائمون) أى محافظون عليها لا يزيدون فيها ولا ينقصون منها ولا يكتمونها (ومن يكتمها فانه آثم قلبه)

ثم قال تعالى [والذين هم على صلاتهم يحافظون] أى على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها كما تقدم في أول سورة قد أفلح المؤمنون سواء ولهذا قال هناك (أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) وقال ههنا [أولئك في جنات مكرمون] أى مكرمون بأنواع الملاذ والمسار

فمالِ الذين كفروا قِبَلَكَ مهطعين ؟ (٣٦) عن اليمين وعن الشمال عِزين (٣٧) أيطمع كل

يلتفتوا عن يمينهم ولا عن شمائلهم ولا عن خلفهم ﴿ والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم * والذين يصدقون بيوم الدين * والذين هم من عذاب ربهم مشفقون * إن عذاب ربهم غير مأمون * والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فانهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون * والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم بشهاداتهم قائمون ﴾ قرأ حفص عن عاصم ويعقوب بشهاداتهم على الجمع وقرأ الآخرون بشهادتهم على التوحيد (قائمون) أي يقومون فيها بالحق ولا يكتمونها ولا يغيرونها ﴿ والذين هم على صلاتهم يحافظون * أولئك في جنات مكرمون ﴾ قوله عز وجل ﴿ فمال الذين كفروا ﴾ أي فما بال الذين كفروا كقوله [فمالهم عن التذكرة معرضين]

امرىء منهم أن يُدخَل جنة نعيم ؟ (٣٨) كلا إنا خلقنهم مما يعلمون (٣٩) فلا أقسم برب المشرق والمغرب إنا لقدرون (٤٠) على أن نبدّل خيراً منهم ومانحن بمسبوقين (٤١) فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يُلـقوا يومهم الذي يوعَدُون (٤٢) يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى نُصُب يوفضون (٤٣) خشعة أبصرهم ترهقهم ذلة ، ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون (٤٤)

يقول تعالى منكراً على الكفار الذين كانوا في زمن النبي ﷺ وهم مشاهدون له ولما أرسله الله به من الهدى وما أيده الله به من المعجزات الباهرات ، ثم هم مع هذا كله فارون منه متفرقون عنه ، شاردون يميناً وشمالا فرقاً فرقاً ، وشيعاً شيعاً كما قال تعالى [فما لهم عن التذكرة معرضين ؟ كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة] الآية وهذه مثلها فانه قال تعالى [فمالذين كفروا قبلك مهطعين] أي فما لهؤلاء الكفار الذين عندك يامحمد مهطعين أي مسرعين نافرين منك كما قال الحسن البصري مهطعين اي منطلقين [عن اليمين وعن الشمال عزين] واحدها عزة أي متفرقين وهو حال من مهطعين اى في حال تفرقهم واختلافهم كما قال الامام أحمد في أهل الاهواء فهم مخالفون للكتاب مختلفون في الكتاب متفقون على مخالفة الكتاب

وقال العوفي عن ابن عباس [فما الذين كفروا قبلك مهطعين] قال قبلك ينظرون [عن اليمين وعن الشمال عزين] قال العزين العصب من الناس عن يمين وشمال معرضين يستهزئون به

وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا أبو عامر حدثنا قرة عن الحسن في قوله [عن اليمين وعن الشمال عزين] أي متفرقين يأخذون يميناوشمالا يقولون ماقال هذا الرجل . وقال قتادة [مهطعين] عامدين (عن اليمين وعن الشمال عزين) أي فرقا حول النبي ﷺ لا يرغبون في كتاب الله ولا في نبيه ﷺ.

وقال الثوري وشعبة وعبثر بن القاسم وعيسى بن يونس ومحمد بن فضيل ووكيع ويحيى القطان وأبو معاوية كلهم عن الاعمش عن المسيب بن رافع عن تميم بن طرفة عن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم حلق فقال « مالي أراكم عزين ؟ » رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن جرير من حديث الاعمش به

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه وهم حلق حلق فقال « مالي أراكم عزين؟ » وهذا إسناد جيد ولم أره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه

﴿ قبلك مهطعين ﴾ مسرعين مقبلين اليك مادي أعناقهم ومدمني النظر اليك متطلعين نحوك . نزلت في جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبي ﷺ يستمعون كلامه ويستهزئون به ويكذبونه فقال الله تعالى مالهم ينظرون اليك ويجلسون عندك وهم لاينتفعون بما يستمعون ﴿ عن اليمين وعن الشمال

وقوله تعالى (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم * كلا) أي أيطمع هؤلاء والحالة هذه من فرارهم عن الرسول ﷺ ونفارهم عن الحق أن يدخلوا جنات النعيم ؟ كلا بل مأواهم جهنم.

ثم قال تعالى مقرراً لوقوع المعاد والعذاب بهم الذي أنكروا كونه واستبعدوا وجوده مستدلا عليهم بالبداءة التي الاعادة أهون منها وهم معترفون بها فقال تعالى [إنا خلقناهم مما يعلمون] أي من المني الضعيف كما قال تعالى [ألم نخلقكم من ماء مهين ؟] وقال [فلينظر الانسان مم خلق * خلق من ماء دافق * يخرج من بين الصلب والترائب * انه على رجعه لقادر * يوم تبلى السرائر * فماله من قوة ولا ناصر] ثم قال تعالى [فلا أقسم برب المشارق والمغارب] أي الذي خلق السموات والارض وجعل مشرقاً ومغربا وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب في مغاربها . وتقدير الكلام ليس الامر كما تزعمون أن لامعاد ولا حساب ولا بعث ولا نشور بل كل ذلك واقع وكائن لامحالة ، ولهذا أتى بلا في ابتداء القسم ليدل على أن المقسم عليه نفي وهو مضمون الكلام وهو الرد على زعمهم الفاسد في نفي يوم القيامة وقد شاهدوا من عظيم قدرة الله تعالى ماهو أبلغ من إقامة القيامة وهو خلق السموات والارض وتسخير مافيهما من المخلوقات من الحيوانات والجمادات وسائر صنوف الموجودات ولهذا قال تعالى [لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون] وقال تعالى [أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى ، بلى انه على كل شيء قدير] وقال تعالى في الآية الاخرى [أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى وهو الخلاق العليم * انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) وقال ههنا (فلا أقسم برب المشارق

عزين ﴾ حلقا وفرقا . والعزين جماعات في تفرقة واحدتها عزة ﴿ أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم ؟ ﴾ قال ابن عباس معناه أيطمع كل رجل منهم أن يدخل جنتي كما يدخلها المسلمون ويتنعم فيها وقد كذب نبيي ﴿ كلا ﴾ لايدخلونها ثم ابتدأ فقال ﴿ إنا خلقناهم مما يعلمون ﴾ أي من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة . نبه الناس على انهم خلقوا من أصل واحد وانما يتفاضلون ويستوجبون الجنة بالايمان والطاعة

أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أحمد بن ابراهيم الثعلبي أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه ثنا موسى بن محمد بن علي ثنا جعفر بن محمد الفريابي ثنا صفوان بن صالح ثنا الوليد بن مسلم ثنا جرير بن عثمان الرحبي عن عبدالرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشر بن جحاش قال قال النبي ﷺ وبصق يوما في كفه ووضع عليها أصبعه فقال « يقول الله عز وجل ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد ، فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة ؟ »

وقيل معناه إنا خلقناهم من أجل مايعلمون وهو الامر والنهي والثواب والعقاب . وقيل ما بمعنى من مجازه إنا خلقناهم ممن يعلمون ويعقلون لا كالبهائم ﴿ فلا أقسم برب المشارق والمغارب ﴾ يعني مشرق

والمغارب انا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم) أي يوم القيامة نعيدهم بأبدان خير من هذه فان قدرته صالحة لذلك (وما نحن بمسبوقين) أي بعاجزين كما قال تعالى [أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه * بلى قادرين على أن نسوي بنانه]وقال تعالى (نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لاتعلمون)

واختار ابن جرير (على أن نبدل خيراً منهم) أي أمة تطيعنا ولا تعصينا وجعلها كقوله [وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا أمثالكم] والمعنى الاول أظهر لدلالة الآيات الأخر عليه والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم قال تعالى (فذرهم) أي يامحمد (يخوضوا ويلعبوا) أى دعهم في تكذيبهم وكفرهم وعنادهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) اي فسيعلمون غب ذلك ويذوقون وباله (يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون) أي يقومون من القبور اذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب ينهضون سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون ، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك إلى علم يسعون ، وقال أبو العالية ويحيى بن أبي كثير إلى غاية يسعون اليها ، وقد قرأ الجمهور إلى نصب بفتح النون وإسكان الصاد وهو مصدر بمعنى المنصوب ، وقرأ الحسن البصري نصب بضم النون والصاد وهو الصنم اي كأنهم في إسراعهم الى يوم الموقف كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى النصب اذا عاينوه يوفضون يبتدرون أيهم يستلمه أول ، وهذا مروي عن مجاهد ويحيى بن أبي كثير وأبو مسلم البطين وقتادة والضحاك والربيع بن أنس وأبي صالح وعاصم بن بهدلة وابن زيد وغيرهم

وقوله تعالى (خاشعة أبصارهم) أي خاضعة (ترهقهم ذلة) أي في مقابلة مااستكبروا في الدنيا عن الطاعة (ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون)

﴿ آخر تفسير سورة سأل سائل ولله الحمد والمنة ﴾

كل يوم من السنة ومغربه ﴿ إنا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم ﴾ على أن نخلق أمثل منهم وأطوع لله ﴿ وما نحن بمسبوقين * فذرهم يخوضوا ﴾ في باطلهم ﴿ ويلعبوا ﴾ في دنياهم ﴿ حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون ﴾ نسختها آية القتال ﴿ يوم يخرجون من الاجداث ﴾ أي القبور ﴿ سراعا ﴾ إلى إجابة الداعي ﴿ كأنهم إلى نصب ﴾ قرأ ابن عامر وحفص [نصب] بضم النون والصاد ، وقرأ الآخرون بفتح النون وسكون الصاد يعنون الى شيء منصوب . يقال فلان نصب عيني . وقال الكلبي الى علم وراية ومن قرأ بالضم قال مقاتل والكسائي يعني الى أوثانهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ، قال الحسن يسرعون اليها أيهم يستلمها أولا ﴿ يوفضون ﴾ أي يسرعون ﴿ خاشعة ﴾ ذليلة خاضعة ﴿ أبصارهم ترهقهم ذلة ﴾ يغشاهم هوان ﴿ ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ﴾ يعني يوم القيامة

(تم الجزء الثامن من تفسيري ابن كثير والبغوي ويليه بعون الله تعالى الجزء التاسع وأوله تفسير سورة نوح)

